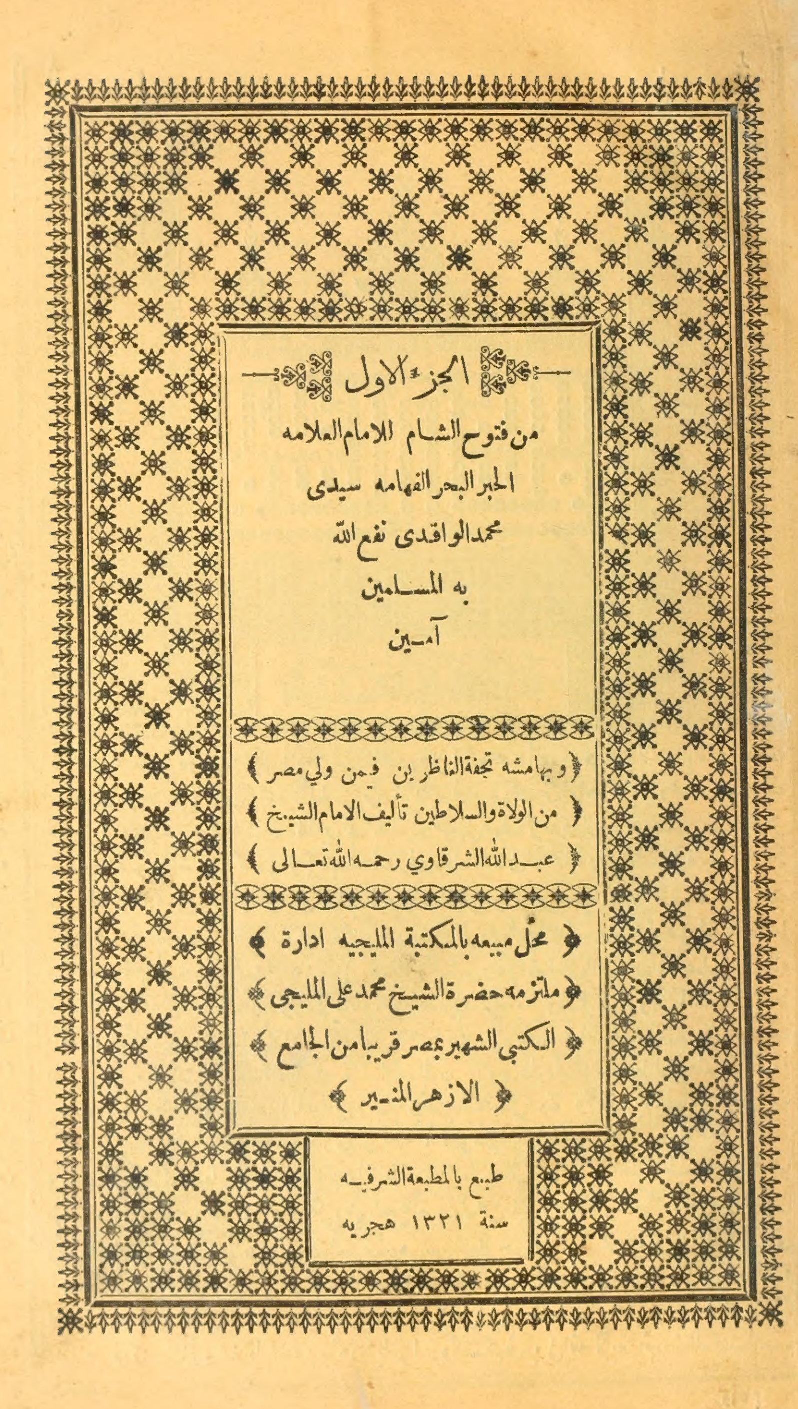




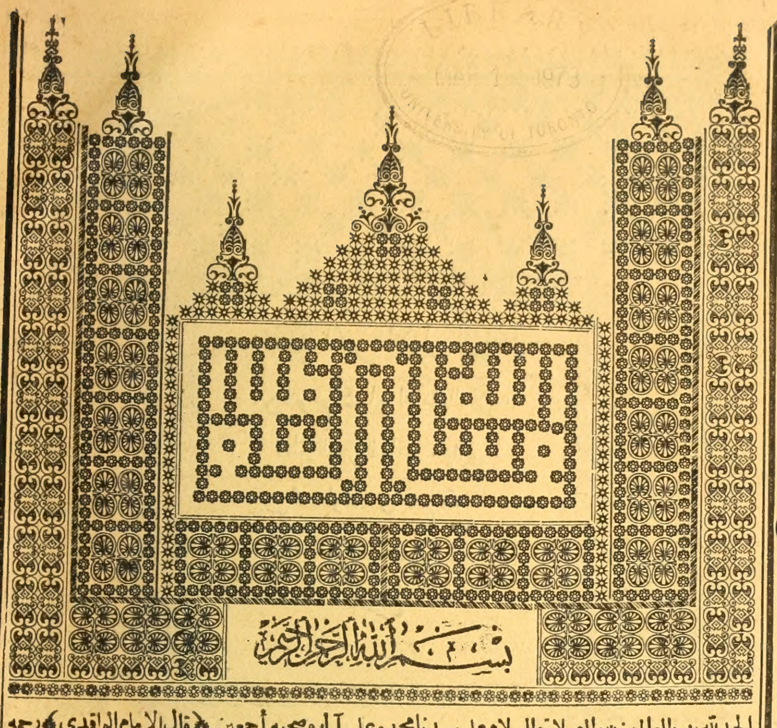
الجزء الاول

من فتوح الشام للامام العلامه
الحبر البحر الفهامه سيدى
محمد الواقدى نفع الله
به المسلمين
آمين

﴿ وبهامشه تحفة الناظرين فيمن ولي مصر ﴾
﴿ من الولاة والسلاطين تأليف الامام الشيخ ﴾
﴿ عبد الله الشرقاوي رحمه الله تعالى ﴾

﴿ محل مبيعه بالمكتبة المليجيه ادارة ﴾
﴿ ملتزمه حضرة الشيخ محمد على المليجى ﴾
﴿ الكتبي الشهير بمصر قريبا من الجامع ﴾
﴿ الازهر المنير ﴾

طبع بالمطبعة الشرفيه
سنة ١٣٢١ هجريه



الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين * (قال الامام الواقدى) رحمه الله تعالى (حدثنى) أبو بكر محمد بن الحسن بن سفيان بن نوفل بن محمد بن ابراهيم التيمى ومحمد بن عبد الله الأنصارى وأبو سعيد مولى هشام ومالك بن أبى الحسن واسمعيل مولى الزبير ومازن بن عوف من بنى النجار كل حدث عن فتوح الشام بما كان (قالوا) جميعا انه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خليفة بعده أبو بكر رضى الله عنه قتل فى خلافته مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة وقاتل بنى حنيفة وأهل الردة * وأطاعته العرب فعزم أن يبعث جيشه الى الشام وصرف وجهه لقتال الروم فجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وقام فيهم خطيبا فحمد الله عز وجل وقال يا أيها الناس رحمكم الله تعالى اعلموا ان الله فضلكم بالاسلام وجعلكم من أمة محمد عليه السلام وزادكم ايمانا ويقينا ونصركم نصرا مبينا وقال فيكم اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عوّل أن يصرف همته الى الشام فقبضه الله اليه واختار له مالديه ألا وانى عازم أن أوجه أبطال المسلمين الى الشام باهليهم وما لهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأنى بذلك قبل موته وقال زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها فما قولكم فى ذلك فقالوا يا خليفة رسول الله مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت فان الله تعالى فرض علينا طاعتك فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ففرح أبو بكر رضى الله عنه ونزل عن المنبر وكتب الكتب الى ملوك اليمن وأهل مكة وكانت الكتب فيها نسخة واحدة وهى بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليكم (أما بعد) فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد عزمت أن أوجهكم الى بلاد الشام لتأخذوها من أيدى الكفار والطغاة فمن عوّل منكم على الجهاد والصدام فليبادر الى طاعة الملك العلام ثم كتب انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله الآية ثم بعث الكتب اليهم

وأقام

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله المبدئ المعيد القديم الباقى المجيد الذى أتقن العالم بحكمته وأبرزه بقدرته فوجد على أحسن مثال وأتم منوال وظهر فى كل نوع منه على حسب ماتقتضيه طبيعته وأفاض عليه ماسبق فى علمه وتعلقت به ارادته وأيد من شاء من عباده بتنفيذ الاحكام وأودع فيه خصوصية لاتوجد فى غيره من بقية الانام والصلاة والسلام على أول مظاهر للذات العلية وأفضل من أفيضت عليه الاسرار الالهية وجمع فيه ماتفرق من الكمالات

وأقام ينتظر جوابهم وقدومهم وكان الذى بعثه بالكتب التى لليمن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما مرت الأيام حتى قدم أنس رضى الله عنه يبشره بقدوم أهل اليمن وقال يا خليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على أحد الا و بادر الى طاعة الله و رسوله وأجاب دعوتك وقد تجهزوا فى العدد والعديد والزرد النضيد وقد أقبلت اليك يا خليفة رسول الله مبشرا بقدوم الرجال وأى رجال وقد أجابوك شعثا غبرا وهم أبطال اليمن وشجعانها وقد ساروا اليك بالذرارى والاموال والنساء والاطفال وكأنك بهم وقد أشرفوا عليك ووصلوا اليك فتأهب الى لقائهم قال فسر أبو بكر رضى الله عنه بقوله سرورا عظيما وأقام يومه ذلك حتى اذا كان من الغد أقبلوا الى الصديق رضى الله عنه وقد لاحت غبرة القوم لأهل المدينة قال فأخبروه فركب المسلمون من أهل المدينة وغيرهم وأظهروا زينتهم وعددهم ونشروا الاعلام الاسلامية ورفعوا الالوية المحمدية فما كان الا قليل حتى أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا قوم فى اثر قوم وقبيلة فى اثر قبيلة فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير وهم بالدروع الداودية والبيض العادية والسيوف الهندية وأمامهم ذو الكلاع الحميرى رضى الله عنه فلما قرب من الصديق رضى الله عنه أحب أن يعرفه بمكانه وقومه وأشار بالسلام وجعل ينشد و يقول

أتتك حمير بالاهلين والولد * أهل السوابق والعالون بالرتب * أسد غطارفة شوس عمالقة
بردوا الكماة غدا فى الحرب بالغضب * الحرب عادتنا والضرب همتنا * وذو الكلاع دعا فى الاهل والنسب
دمشق لى دون كل الناس أجمعهم * وساكنيها سأهويهم الى العطب

قال فتبسم أبو بكر الصديق رضى الله عنه من قوله ثم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فابشر بنصر الله على أهل الشرك أجمعين فقال الامام على صدقت وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس رضى الله عنه وسارت حمير بكتائبها وأموالها وأقبلت من بعدها كتائب مذحج أهل الخيل العتاق والرماح الدقاق وأمامهم سيدهم قيس بن هبيرة المرادى رضى الله عنه فلما وصل الى الصديق رضى الله عنه جعل يقول صلوا على طه الرسول

أتتك كتائب منا سراعا * ذو والتيجان أعنى من مراد فقدمنا أمامك كى ترانا * نبيد القوم بالسيف النجادى

قال فجزاه أبو بكر رضى الله عنه خيرا وتقدم بكتائبه ومواليه وتقدمت من بعده قبائل طيئ يقدمها حارث بن مسعد الطائى رضى الله عنه فلما وصل هم أن يترجل فاقسم عليه أبو بكر رضى الله عنه بالله تعالى أن لا تفعل فدنا منه فصافحه وسلم عليه وأقبلت الازد فى جموع كثيرة يقدمها جندب بن عمرو الدوسى رضى الله عنه ثم جاءت من بعدهم بنو عبس يقدمهم الامير ميسرة بن مسروق العبسى رضى الله عنه وأقبلت من بعدهم بنو كنانة يقدمهم عبشم بن أسلم الكنانى وتتابعت قبائل اليمن يتلو بعضها بعضا ومعهم نساؤهم وأموالهم فلما نظر أبو بكر رضى الله عنه الى نصرتهم سر بذلك وشكر الله تعالى وأنزل القوم حول المدينة كل قبيلة متفرقة عن صاحبتها واستمر وأفاضر بهم المقام من قلة الزاد وعلف الخيل وجدوبة الارض فاجتمع أكابرهم عند الصديق رضى الله عنه وقالوا يا خليفة رسول الله انك أمرتنا بامر فأسرعنا لله ولك رغبة فى الجهاد وقد تكامل جيشنا وفرغنا من أهبتنا والمقام قد أضر بنا الان بلدك ليست بلد جيش ولا حافر ولا عيش والعسكر نازل فان كنت قد بدلت فيما عزمت عليه فأمرنا بالرجوع الى بلدنا وأقبل الجميع وخاطبوه بذلك فلما فرغوا من كلامهم قال أبو بكر رضى الله عنه يا أهل اليمن ومن حضر من غيرهم أما والله ما أريد لكم الاضرار وانما أردنا تكاملكم قالوا انه لم يبق من ورائنا أحد فاعزم على بركة الله تعالى ﴿قال المؤلف رحمه الله تعالى﴾ لقد بلغنى أن أبا بكر رضى الله عنه قام من ساعته يمشى على قدميه وحوله جماعة من الاصحاب منهم عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين وخرجوا الى ظاهر المدينة ووقع النداء فى الناس وكبروا بأجمعهم فرحا لخروجهم وأجابتهم الجبال لدوى أصواتهم وعلا أبو بكر على دابته حتى أشرف على الجيش فنظر اليهم واذاهم قد ملؤا الارض فتهلل وجهه وقال اللهم أنزل عليهم الصبر وأيدهم ولا تسلمهم الى عدوهم انك على كل شئ قدير وكان أول من دعاه أبو بكر يزيد بن أبى سفيان وعقد له راية وأمره على ألف فارس من سائر الناس ودعا بعده رجلا من بنى عامر بن لؤى يقال له ربيعة بن عامر وكان فارسا مشهورا فى الحجاز فعقد له راية وأمره على ألف فارس ثم أقبل أبو بكر على يزيد بن أبى سفيان وقال له هذا

الانسانية ودعا الناس الى التوحيد وترك العناد وجاهد فى الله حق جهاده وبلغت دعوته سائر البلاد وعلى من ورث حاله من الآل والاصحاب ومن تبعهم الى يوم التناد آمين

﴿أما بعد﴾ فيقول كثير المساوى عبد الله ابن حجازى الشهير بالشرقاوى انه لما حل ركاب الصدر الاعظم والوزير الافخم والدستور الاكرم حضرة مولانا الوزير يوسف باشا بلغه الله تعالى من المرادات ماشاء بمدينة بلبيس فى شهر رمضان المعظم سنة أربع عشرة ومائتين بعد حصول الصلح بينه وبين طائفة الفرنساوية فى قلعة العريش وذهبت مع

ربيعة بن عامر من ذوي العلا والمفاخر قد علمت صولته وقد ضممته اليك وأمرتك عليه فاجعله في مقدمتك وشاوره في أمرك ولا تخالفه فقال يزيد حبا وكرامة وأسرعت الفرسان الى لبس السلاح واجتمع الجند وركب يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر وأقبلا بقومهما الى أبي بكر رضي الله عنه فاقبل يمشي مع القوم فقال يزيد ياخليفة رسول الله الناجي من غضب الله من رضيت عنه لا نكون على ظهور خيولنا وأنت تمشي فاما أن تركب واما أن ننزل فقال ما أنا براكب وما أنتم بنازلين وسار الى أن وصل الى ثنية الوداع فوقف هنالك فتقدم اليه يزيد فقال ياخليفة رسول الله أوصنا فقال اذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك وشاورهم في الامر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور فانه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم واذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة الا بهيمة المأكول ولا تغدروا اذا عاهدتم ولا تنقضوا اذا صالحتم وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم وستجدون قوما آخرين من حزب الشيطان وعبدة الصلبان قد حلقوا أوساط رؤسهم حتى كأنها مناحيض العظام فاعلوهم بسيوفكم حتى يرجعوا الى الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد استودعتكم الله ثم عانقه وصافحه وصافح ربيعة بن عامر وقال ياعامر أظهر شجاعتك على بني الاصفر بلغكم الله آمالكم وغفر لنا ولكم قال وسار القوم ورجع أبو بكر رضي الله عنه بمن معه الى المدينة قال فجد القوم في السير فقال ربيعة بن عامر ماهذا السير يايزيد وقد أمرك أبو بكر أن ترفق بالناس في سيرك فقال يزيد ياعامر ان أبا بكر رضي الله عنه سيعقد العقود ويرسل الجيوش فأردت أن أسبق الناس الى الشام فلعلنا أن نفتح فتحا قبل تلاحق الناس بنا فيجتمع بذلك ثلاث خصال رضا الله عز وجل ورضا خليفتنا وغنيمة نأخذها فقال ربيعة فسر الآن ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال فأخذ القوم في السير على وادي القرى ليخرجوا على تبوك ثم على الجابية الى دمشق قال واتصل الخبر بالملك هرقل من قوم من عرب اليمن المتنصرة كانوا في المدينة فلما صح عند الملك ذلك جمع بطارقته في عسكره وقال لهم يابني الاصفر ان دولتكم قد عزمت على الانهزام ولقد كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتقيمون الصلاة وتؤتون الزكاة التي أمركم بها الآباء والاجداد والقسس والرهبان وتقيمون حدود الله التي أمركم بها في الانجيل لا جرم انكم ما قصدكم ملك من ملوك الوشاة ونازعكم على الشام الا قهرتموه ولقد قصدكم كسرى بجنود فارس فانكسروا على أعقابهم والآن قد بدلتم وغيرتم فظلمتم وجرتم وقد بعث اليكم ربكم قوما لم يكن في الامم أضعف منهم عندنا وقد رمتهم شدة الجوع الينا وأتى بهم الى بلادنا وبعثهم صاحب نبيهم ليأخذ واملكنا من أيدينا ويخرجونا من بلادنا ثم انه حدثهم بالذي سمعه من طرسيسه فقالوا أيها الملك نردهم عن مرادهم ونصل الى مدينتهم ونخرب كعبتهم قال فلما سمع مقالتهم وتبين اغتياظهم جرد منهم ثمانية آلاف من أشجع فرسانهم وأمر عليهم خمسة من بطارقتهم وهم البطليق وأخوه جرجيس وصاحب شرطته ولوقا بن سمعان وصليب بن حنا صاحب غزة وكانت هذه الخمسة البطارقة يضرب بهم المثل في الشجاعة والبراعة ثم تدرعوا وأظهروا زينتهم وصلت عليهم الائمة صلاة النصر فقالوا اللهم انصر من كان منا على الحق وبخروهم ببخور الكنائس ثم رشوا عليهم من ماء المعمودية وودعوا الملك وساروا وأمامهم العرب المتنصرة يدلونهم على الطريق (قال) حدثني رفاعة عن ياسر بن الحصين قال بلغني ان أول من وصل الى تبوك كان يزيد بن أبي سفيان وربيعة بن عامر ومن معهما من المسلمين قبل وصول الروم بثلاثة أيام فلما كان في اليوم الرابع والمسلمون قد هموا بالرحيل الى الشام اذ أقبل جيش الروم فلما رآه المسلمون أخذوا على أنفسهم وكمن ربيعة بأصحابه الالف وأقبل يزيد بأصحابه الالف ووعظهم وذكر الله تعالى وقال لهم اعلموا ان الله وعدكم بالنصر وأيدكم بالملائكة وقال الله تعالى في كتابه العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقد قال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف وأنتم أول جند دخل الشام وتوجه لقتال بني الاصفر فكأنكم بجنود الشام واياكم أن تطمعوا العدو فيكم وانصروا والله ينصركم فبينما يزيد يعظ الناس واذا بطلائع الروم قد أقبلت وجيوشها قد ظهرت فلما رأوا قلة العرب طمعوا فيهم وظنوا أنه ليس

وراءهم

بعض علماء مصر لالاكانه طلب مني بعض الاخوان من أتباع ذلك الصدر الأعظم أن أجمع كتابا متضمنا لواقعة الحال المذكورة فأجبته الى ذلك مستعينا بعون القادر المالك وذكرت فيه ما يتعلق بمصر وحكامها من أول الزمان الى وقتنا هذا (وسميته) تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب

قوله بطارقة جمع بطريق ككبريت وهو كما في القاموس القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل اه

وراءهم أحد فمر بعضهم على بعض بالرومية وقالوا ونكم ومن يريد أخذ بلادكم واستنصروا بالصليب فانه ينصركم ثم حملوا وتلقاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهمم عالية وقلوب غير دانية ودار القتال بينهم وتكاثرت الروم عليهم وظنوا أنهم فى قبضتهم اذ خرج عليهم ربيعة بن عامر رضى الله عنه بالكمين وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وحملوا على الروم حملة صادقة فلما عاينت الروم من خرج عليهم انكسروا وألقى الله الرعب فى قلوبهم فتقهقروا الى ورائهم ونظر ربيعة بن عامر الى البطليق وهو يحرض قومه على القتال فعلم أنه طاغية الروم فحمل عليه وطعنه طعنة صادقة فوقعت فى خاصرته وخرجت من الناحية الاخرى فلما نظر الروم الى ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ونزل النصر على طائفة محمد المختار ﴿حدثنا﴾ سعد بن أوس عن السرية التى أنفذها أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع يزيد بن أبى سفيان وربيعة بن عامر قال قد اجتمعنا بعساكر الروم فى أرض تبوك مع البطليق وهزمهم الله تعالى على أيدينا وكان جملة من قتل منهم ألف ومائتان ومن قتل من المسلمين مائة وعشرون رجلا قال وان القوم لما انهزموا قال لهم جرجيس وهو أخو المقتول يا ويلكم بأى وجه ترجعون الى الملك وقد عملوا فينا عملا ذريعا وملؤا الارض من قتلانا ولا أرجع حتى آخذ بثار أخى أو ألحق به قال واجتمع القوم وسمعوا منه ذلك ورجع بعضهم الى بعض وعادوا الى القتال فلما استقروا فى خيامهم بعثوا رجلا من العرب المتنصرة اسمه القداح وقالوا له امض الى بنى عمك وقل لهم يبعثوا الينا رجلا من كبارهم وعقلائهم حتى ننظر ما يريدون منا قال فركب القداح جواده وأقبل نحو جيش المسلمين فلما رأوه مقبلا اليهم استقبله رجال من الاوس وقالوا له ماذا تريد قال لهم ان البطارقة يريدون رجالا من عقلائكم ليخاطبوهم فيما يريد الله به صلاح شأن الجمعين قال فأخبروا يزيد وربيعة بما قال المتنصر فقال ربيعة بن عامر أنا أسير الى القوم فقال يزيد يا ربيعة أنا أخاف عليك من القوم لانك قد قتلت كبيرهم بالامس فقال ربيعة قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وانى أوصيك والمسلمين أن تكونوا همتكم عندى فاذا رأيتم القوم غدر وابى فاحملوا عليهم ثم ركب جواده وسار حتى أتى جيش الروم وقرب من سرادق أميرهم فقال القداح عظم جيش الملك وانزل عن جوادك فقال ربيعة رضى الله عنه ما كنت بالذى أنتقل من العز الى الذل ولست أسلم جوادى لغيرى وما أنا بنازل الا على باب السرادق والا رجعت من حيث جئت لاننا ما بعثنا اليكم بل أنتم بعثتم الينا قال فأعلم القداح الروم بما تكلم به ربيعة ابن عامر فقال بعضهم لبعض صدق العربى فى قوله دعوه ينزل حيث أراد قال فنزل ربيعة على باب السرادق وجثا على ركبتيه وأمسك عنان جواده بيده وسلاحه معه فقال له جرجيس يا أخا العرب لم تكن أمة أضعف منكم عندنا وما كنا نحدث أنفسنا انكم تغزوننا وما الذى تريدون منا فقال ربيعة نريد منكم أن تدخلوا فى ديننا وأن تقولوا بقولنا وان أبيتم تعطونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون والا فالسيف بيننا وبينكم فقال جرجيس فما منعكم أن تقصدوا الفرس وتدعون الصداقة بيننا وبينكم فقال ربيعة بدأنا بكم لانكم أقرب الينا من الفرس وان الله تعالى أمر فى كتابه بذلك قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال جرجيس فهل لك أن تعقد الصلح بيننا وبينكم وأن نعطى كل رجل منكم دينارا من ذهب وعشرة أوسق من الطعام وتكتب بيننا وبينكم كتاب الصلح لا تغزون الينا ولا نغزوا اليكم قال ربيعة لا سبيل الى ذلك وما بيننا وبينكم الا السيف أو أداء الجزية أو الاسلام قال جرجيس أما ما ذكرت من دخولنا فى دينكم فلا سبيل الى ذلك ولو هلك عن آخرنا الا اننا لا نرى لديننا بدلا وأما اعطاء الجزية فان القتل عندنا أيسر من ذلك وما أنتم بأشهى منا الى القتال والحرب والنزال لان فينا البطارقة وأولاد الملوك رجال الحرب وأرباب الطعن والضرب قال جرجيس لاصحابه على بأنفس صقالبة حتى يناظروا هذا البدوى فى كلامه قال وكان الملك هرقل قد بعث معهم قسيسا عظيما عارفا بدينهم مجادلا عن شرعهم قال فأتى الحاجب به فلما استقر به الجلوس قال له جرجيس يا أبانا استخبر من هذا الرجل عن شريعتهم وعن دينهم فقال القسيس يا أخا العرب انا نجد فى علمنا أن الله تعالى يبعث من الحجاز نبيا عربيا هاشميا قرشيا علامته ان الله تعالى يسرى به الى السماء أكان ذلك أم لا قال نعم أسرى به وقد ذكره ربنا فى كتابه العزيز بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا قال القسيس انا نجد فى كتابنا أن ربنا يفرض على هذا النبى وأمته شهرا يصومونه يقال له شهر رمضان قال

ربيعة نعم وقد قرأنا في القرآن العظيم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان فقال القسيس انا وجدنا في كتابنا أن من أحسن حسنة تكتب بعشرة قال ربيعة
نعم قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قال
القسيس انا نجد في كتابنا أن الله يأمر أمته بالصلاة عليه قال ربيعة نعم وقد قال الله في كتابه العزيز ان الله
وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال فعجب القسيس من كلامه
وقال للبطارقة ان الحق مع هؤلاء القوم فقال بعض الحجاب ان هذا هو الذي قتل أخاك فلما سمع ذلك ازورت
عيناه وغضب غضبا شديدا وهم أن يثب على ربيعة ففهم ربيعة ذلك منه فوثب من مكانه أسرع من البرق
وضرب بيده الى قائم سيفه وعاجل جرجيس بضربة فجندله صريعا قتيلا ووثب على فرسه فركبها فأسرعت
البطارقة اليه وهو راكب فحمل فيهم ونظر يزيد بن أبي سفيان الى ذلك فقال للمسلمين ان أعداء الله قد غدروا
بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدونكم واياهم فحمل المسلمون على المشركين واختلط الجيش بالجيش
وصبرت الروم لقتال العرب فبينما هم في القتال اذ أشرفت جيوش المسلمين مع شرحبيل بن حسنة كاتب وحي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر المسلمون الى اخوانهم في القتال حملوا على القوم حملة صادقة وحكمت
سيوفهم في قمم الروم (قال الواقدي) لقد بلغني ان الثمانية آلاف المذكورة من الروم لم ينج منهم أحد لان
العرب التقطوهم بسبق الخيل وبعد الشام من تبوك ثم ان المسلمين أخذوا أموالهم وخيامهم ثم سلموا على
شرحبيل ومن معه وجمعوا المال والغنائم فقالوا نبعث الجميع الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فرضوا بذلك
وبعثوا الجميع الا العدة والسلاح وبعثوا مع الغنائم والاموال شداد بن أوس رضي الله عنه في خمسمائة فارس
ولما وصل بالمال الى المدينة المنورة وعاين المسلمون أموال المشركين رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وسمع الصديق بقدوم شداد بن أوس رضي الله عنه ومن
معه من المسلمين ففرح بذلك فرحا شديدا ثم أقبلوا الى الصديق وأعلموه بالفتح بعد أن سلموا عليه فسجد لله
عز وجل ثم كتب كتابا الى أهل مكة يستدعيهم فيه بالجهاد مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر الى أهل
مكة وسائر المؤمنين فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فاني قد
استنفرت المسلمين الى الجهاد وفتح بلاد الشام وقد كتبت اليكم والى المسلمين أن تسرعوا الى ما أمركم
به ربكم تبارك وتعالى اذ يقول الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وهذه الآية فيكم وأنتم أحق بها وأهلها وأول من صدق وقام بحكمها من ينصر
دين الله فالله ناصره ومن بخل استغنى الله عنه والله غني حميد فسارعوا الى جنة عالية قطوفها دانية أعدها
الله للمهاجرين والانصار فمن اتبع سبيلهم كتب من الاولياء الاخيار وحسبنا الله ونعم الوكيل قال وختم الكتاب
ودفعه الى عبد الله بن حذافة فأخذه وسار حتى وصل مكة وصرخ في أهلها فاجتمعوا اليه فدفع اليهم الكتاب
فقرؤه وعلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوه قام سهل بن عمرو والحرث بن هشام وعكرمة
ابن أبي جهل وقالوا أجبنا داعي الله وصدقنا قول نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأما عكرمة فانه قال الى متى
نبسط لانفسنا وقد سبقنا القوم الى الموطن وقد فاز من فاز بالصدق وان كنا تأخرنا عن السبق فاللحاق السباق
فلعلنا نكتب في الحال ثم خرج عكرمة بن أبي جهل في بني مخزوم وخرج الحرث بن هشام معهم وتلاحق أهل
مكة خمسمائة رجل وكتب أبو بكر للطائف فجاؤا بأربعمائة رجل (قال الواقدي) خرج بهم سعيد بن
خالد بن سعيد بن العاص وكان غلاما نجيبا وذلك أن سعيد بن خالد أتى الى الصديق رضي الله عنه فقال يا خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أردت أن تعقد لابي خالد راية ويكون قائدا من قواد جيشك فتكلم فيه
المتكلمون فعزلته حين رجع من بعثتك وقد حبس نفسه في سبيل الله عز وجل ولم أزل مجيبا داعيك في
بعثك فهل لك أن تقدمني على هذا الجيش فوالله لا يراني الله وانيا أبدا ولا عاجزا عن الحرب قال وكان سعيد
ابن خالد غلاما نجيبا أنجب من أبيه وأفرس فعقد له أبو بكر راية ودفعها اليه وأمره على ألفين من العرب قال
فلما سمع عمر بن الخطاب كلام سعيد بن خالد وانه خير من أن يكون أميرا كره له ذلك وأقبل على الصديق رضي
الله عنه وقال يا خليفة رسول الله عقدت الراية لسعيد بن خالد على من هو خير منه ولقد سمعته يقول عند
ما عقدتها على رغم الاعادي والله لتعلم انه ما يريد بالقول غيري والله ما تكلمت في أبيه قال الواقدي فثقل ذلك

ودولة الجراكسة
﴿الباب الثالث﴾
في دولة آل عثمان
المؤيدة بالنصر في كل
وقت وأوان أدام الله
بقاءها مادام الفرقدان
بجاه سيد ولد عدنان
وفيمن تصرف في مصر
من نوابهم وايراد
أخبارهم ومدة مقامهم
بالديار المصرية
وأحكامهم
﴿المقدمة في فضائل
مصر وما ورد فيها الى
آخر ما سبق﴾ اعلم أن
مصر قد ذكرت في
القرآن العزيز في أكثر
من ثلاثين موضعا كما
قاله السيوطي في كتابه
حسن المحاضرة في
أخبار مصر والقاهرة
بعضها بطريق

على أبي بكر وكره أيضا أن يخالف عمر لمحبته له ونصحه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم فوثب قائما ودخل على عائشة رضي الله عنها وأخبرها بخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما كان من كلامه فقالت عائشة قد علمت ان عمر ينصر الدين ويريد النصر لرب العالمين وما في قلب عمر بغض للمسلمين قال فقبل قول عائشة رضي الله عنها ثم دعا بازد الدوسي وقال له امض الى سعيد بن خالد وقل له رد علينا رايتك قال فردها وقال والله لاقاتلن تحت راية أبي بكر حيث كان فاني قد حبست نفسي في سبيل الله (قال الواقدي) ولقد بلغني أن الصديق حال تفكره فيمن يقدم طليعة الجيش قال فتقدم اليه سهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وهشام بن الحرث وقالوا اشهدوا انا قد حبسنا أنفسنا في سبيل الله فلا نرجع عن القتال أبدا فقال أبو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون ثم ان أبا بكر دعا عمرو بن العاص فسلم اليه الراية وقال قد وليتك على هذا الجيش يعني أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب فانصرف الى أرض فلسطين وكاتب أبا عبيدة وأنجده اذا أرادك ولا تقطع أمرا الا بمشورته امض بارك الله فيك وفيهم قال فأقبل عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له يا أبا حفص انت تعلم شدتي على العدو وصبري على الحرب فلو كلمت الخليفة أن يجعلني أميرا على أبي عبيدة وقد رأيت منزلتي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واني أرجو الله أن يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الاعداء قال عمر رضي الله عنه ما كنت بالذي كذبك وما كنت بالذي أكلمه في ذلك فانه ليس على أبي عبيدة أمير ولابو عبيدة عندنا أفضل منزلة منك وأقدم سابقة منك والنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه أبو عبيدة أمين الامة قال عمرو وما ينقص من منزلته اذا كنت واليا عليه قال عمر بن الخطاب ويلك يا عمرو وانك ماتطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ووجه الله تعالى فقال عمرو ابن العاص ان الامر كما ذكرت ثم أمر الناس بالمسير تحت رايته فسار وتقدم أهل مكة وتبعهم بنو كلاب وطيء وهوازن وثقيف وتخلف المهاجرون والانصار ليسير وامع أبي عبيدة بن الجراح وتقدم عمرو بن العاص وسار قال أبو الدرداء كنت مع عمرو بن العاص في جيشه فسمعت أبا بكر يقول وهو يوصيه اتق الله في سرك وعلانيتك واستحيه في خلواتك فانه يراك في عملك وقد رأيت تقدمتي لك على من هو أقدم منك سابقة وأقدم حرمة فكن من عمال الآخرة وأرد بعملك وجه الله وكن والدا لمن معك وارفق بهم في السير فان فيهم أهل ضعف والله ناصر دينه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد بن أبي سفيان وربيعة وشرحبيل بل اسلك طريق ايلياء حتى تنتهي الى أرض فلسطين وابعث عيونك يأتوك بأخبار أبي عبيدة فان كان ظافرا بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين وان كان يريد عسكرا فانفذ اليه جيشا في أثر جيش وقدم سهل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام وسعيد بن خالد واياك أن تكون وانيا عما ندبتك اليه واياك والوهن ان تقول جعلني ابن أبي قحافة في نحر العدو ولا قوة لي به وقد رأيت يا عمرو ونحن في مواطن كثيرة ونحن نلاقي ما نلاقي من جموع المشركين ونحن في قلة من عددنا ثم رأيت يوم حنين من نصرنا الله عليهم واعلم يا عمرو وان معك المهاجرين والانصار من أهل بدر فاكرمهم واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول انما ولاني أبو بكر لاني خيرهم واياك وخدائع النفس وكن كاحدهم وشاورهم فيما تريد من أمرك والصلاة ثم الصلاة أذن بها اذا دخل وقتها ولا تصل صلاة الا بأذان يسمعه أهل العسكر ثم أبرز وصل عن رغب في الصلاة معك فذلك أفضل له ومن صلاها وحده أجزأته صلاته واحذر من عدوك وأمر أصحابك بالحرس ولتكن أنت بعد ذلك مطلعا عليهم وأطل الجلوس بالليل على أصحابك وأقم بينهم واجلس معهم ولا تكشف أستار الناس واتق الله اذا لاقيت العدو واذا وعظت أصحابك فأوجز واصلح نفسك تصلح لك رعيتك فالامام ينفرد الى الله تعالى فيما عمله وما يفعله في رعيته واني قد وليتك على من قد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على حدتها وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق وتعاهد عسكرك في سيرك وقدم قبلك طلائعك فيكونوا أمامك وخلف على الناس من ترضاه واذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر فيكون ذلك منك فرارا والزم أصحابك قراءة القرآن وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها فان ذلك يورث العداوة بينهم واعرض عن زهرة الدنيا حتى تلتقي بمن مضى من سلفك وكن من الائمة الممدوحين في القرآن اذ يقول الله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين قال فكان أبو بكر رضي الله عنه يوصي عمرو بن العاص وأبو

الصراحة وبعضها
بطريق الكناية * قال
تعالى اهبطوا مصرا
* أن تبوآ لقومكما
بمصر بيوتا وقال الذى
اشتراه من مصر
ادخلوا مصر ان شاء
الله آمنين أليس لى
ملك مصر وقال نسوة
فى المدينة ودخل
المدينة على حين غفلة
من أهلها فاصبح فى
المدينة خائفا يترقب
وجاء رجل من أقصى
المدينة يسعى وجعلنا
ابن مريم وأمه آية
وآويناهما الى ربوة
ذات قرار ومعين وهى
مصر لان الربا لا تكون
الا بها قال اجعلنى
على خزائن الارض
وكذلك مكنا ليوسف
فى الارض فلن أبرح

عبيدة حاضر ثم قال سر على بركة الله تعالى وقاتلوا أعداء الله وأوصيكم بتقوى الله فان الله ناصر من ينصره
قال فسلم المسلمون عليه وودعوا وساروا في تسعة آلاف مع من ذكرنا يريدون أخذ فلسطين فلما كان بعدهم
بيوم واحد عقد العقود والرايات الى أبي عبيدة بن الجراح وأمره بأن يقصد بمن معه أرض الجابية وقال يا أمين
الامة قد سمعت ما أوصيت به عمرو بن العاص وودعه المسلمون فلما عاد أبو بكر والمسلمون دعا بخالد بن الوليد
وعقد له راية وكانت له راية النبي صلى الله عليه وسلم وأمره على لخم وجذام وضم له جيش الزحف وكانوا ثمانمائة
ما منهم الا من شهد الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا أبا سليمان قد وليتك على هذا الجيش فاقصد
به أرض العراق وفارس وأرجو الله أن ينصركم ثم انه ودعه وسار خالد بمن معه يطلب العراق (قال) حدثني
ربيعة بن قيس قال كنت في الجيش الذي وجهه أبو بكر الصديق مع عمرو بن العاص الى فلسطين وايلياء
وكان صاحب رايته سعد بن خالد قال وبعث أبو بكر مع كل جيش أميرا وهو يدعو لهم بالنصر وأخذه القلق
على المسلمين حتى عرف ذلك في وجهه فقال له عثمان بن عفان رضي الله عنه ما هذا الغم الذي نزل بك فقال
اغتممت على جيوش المسلمين وأرجو الله أن ينصرهم على عدوهم فقال عثمان والله ما خرج جيش سررت به
الا هذا الجيش الذي سار الى الشام وهذا الذي أوصى الله نبيه به وليس في قوله خلف وانا سنظهر على الروم
وفارس ولكن ما ندري متى يكون أفي هذا البعث أو غيره ولكن أحسن الظن بالله قال وبات الصديق فرأى
في منامه كأن عمرو بن العاص في وجهه طرمة هو وأصحابه ثم قصد عمرو أرضا خضرة سهلة وفرجة فحمل على
فرسه ثم أتبعه أصحابه فاذا هم في أرض واسعة فنزلوا واستراحوا قال وانتبه أبو بكر من منامه فرجاء ما رأى فقال
عثمان يدل على فتح الا أنه يوشك أن يلقى عمرو في قتال المشركين مشقة عظيمة ثم يخلص منها (قال الواقدي)
كانت الساقطة تنزل المدينة في الجاهلية والاسلام يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش وما يكون
في الشام فقدم بعض الساقطة الى المدينة وأبو بكر ينفذ الجيوش وسمعوا كلام أبي بكر لعمرو بن العاص
وهو يقول عليك بفلسطين وايلياء قال فساروا بالخبر الى الملك هرقل فلما سمع ذلك جمع أرباب دولته
وبطارقته وأعلمهم بالحديث الذي جرى وقال يا بني الاصفر هذا الذي كنت حذرتكم منه قديما وان أصحاب
هذا النبي لابد أن تملك ما تحت سريري هذا وقد قرب الوعد وان خليفة محمد قد أنفذ اليكم الجيوش وكأنكم
بهم وقد أتوكم وقصدوا نحوكم فخذروا أنفسكم وقاتلوا عن دينكم وعن حريمكم فان تهاونتم ملكت العرب بلادكم
وأموالكم قال فبكى القوم فقال لهم دعوا عنكم البكاء ثم قال وزيره أيها الملك قد اشتهينا أن تدعو بعض من
قدم بهذا الخبر عليك فأمر هرقل بعض حجابه أن يأتي برجل من المتنصرة ممن قدم عليه بالاخبار فأتي برجل
منهم فقال له الملك كم عهدك قال منذ خمسة وعشرين يوما قال فمن المتولي عليهم قال رجل يقال له أبو بكر
الصديق وجه جيوشه الى بلدك قال هل رأيت أبا بكر قال نعم وانه أخذ مني شملة بأربعة دراهم وجعلها على
كتفه وهو كواحد منهم وهو يمشي في ثوبين ويطوف بالاسواق ويدور على الناس يأخذ الحق من القوي
للضعيف قال هرقل صفه لي قال هو رجل آدم اللون خفيف العارضين فقال هرقل وحق ديني هو صاحب
أحمد الذي كنا نجد في كتبنا أنه يقوم بالامر من بعده ونجد في كتبنا أيضا ان بعد هذا الرجل رجلا آخر طويلا
كالاسد لو ثاب يكون على يديه الدمدمة والجلاء قال فشهق المتنصر من قول هرقل وقال ان هذا الذي وصفته
لي رأيته معه لا يفارقه قال هرقل هذا الامر والله قد صح وقد دعوت الروم الى الرشد والصلاح فأبوا أن
يطيعوني وان ملكي سوف ينهدم ثم عقد صليبا من الجوهر وأعطاه قائد جيشه روبيس وقال له قد وليتك
على الجيوش فسر وامنع العرب من فلسطين فانها بلد خصب كثيرة الخير وهي عزنا وجاهنا وتاجنا فتسلم
روبيس الصليب وسار من يومه الى أجنادين وأتبعه جيش الروم (قال الواقدي) لقد بلغني أن عمرو بن العاص
توجه الى ايلياء حتى وصل الى أرض فلسطين هو ومن معه قبل فلما نزل المسلمون فلسطين جمع عمرو المسلمين
من المهاجرين والانصار وشاورهم في أمرهم فبينما هم في المشورة اذ أقبل عليهم عدي بن عامر وكان من خيار
المسلمين وكان كثيرا ما يتوجه الى بلاد الشام وداس أرضهم وعرف مساكنها ومسالكها فلما أشرف على المؤمنين
داروا به وأوقفوه بين يدي عمرو بن العاص فقال عمرو بن العاص ما الذي وراءك يا ابن عامر قال ورائي المتنصرة
وجنودهم مثل النمل فقال له عمرو يا هذا لقد ملأت قلوب المسلمين رعبا وانا نستعين بالله عليهم فقال له

الارض حتى يأذن لي أبي
ان فرعون علا في الارض
ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونمكن لهم في الارض
ان تكون جبارا في الارض
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض
أو أن يظهر في الارض الفساد
أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
يريد أن يخرجكم من أرضكم

فلم حزرت القوم فقال أيها الامير انى قد علوت على شرف من الجبال عال فرأيت من الصلبان والرماح والاعلام ماقد ملأ الاجم وهو أعظم جبل بارض فلسطين وهم زيادة عن مائة ألف فارس وهذا ما عندى من الخبر قال فلما سمع عمرو ذلك قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أقبل على من حضر من كبار المسلمين وقال أيها الناس انا واياكم فى هذا الامر بالسواء فاستعينوا بالله على الاعداء وقاتلوا عن دينكم وشرعكم فمن قتل كان شهيدا ومن عاش كان سعيدا فماذا أنتم قائلون قال فتكلم كل رجل بما حضر عنده من الرأى فقالت طائفة منهم أيها الامير ارجع بنا الى البرية حتى نكون فى بطن البيداء فانهم لا يقدرون على فراق القرى والحصون فاذا جاءهم الخبر أننا توسطنا البرية يتفرق جمعهم وبعد ذلك نعطف عليهم وهم على غفلة فنهزمهم ان شاء الله تعالى فقال سهل بن عمرو ان هذه مشورة رجل عاجز فقال رجل من المهاجرين لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نهزم الجمع الكثير بالجمع القليل وقد وعدكم الله النصر وما وعد الصابرين الاخيرا وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قال سهل بن عمرو وأما أنا فلا رجعت عن قتال الكفرة ولارددت سيفى عنهم فمن شاء فلينهض ومن شاء فليرجع ومن نكص على عقبيه فانا وراءه بالمرصاد قال فلما سمع المسلمون انه وافقه على ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قالوا أحسنت يا أبا الفاروق قال ثم ان عمرو بن العاص عقد راية وأعطاها عبد الله بن عمر بن الخطاب وضم اليه ألف فارس فيهم رجال من الطائف ومن ثقيف وأمرهم بالمسير فسار عبد الله وجعل يجد السير بقية يومه الى الصباح واذا بغبرة القوم قد لاحت فقال عبد الله بن عمر وهذه غبرة عسكر واظنها طليعة القوم ثم وقف ووقف أمامه أصحابه فقال قوم من البادية اتركنا نرى ما هذه الغبرة فقال لا تتفرقوا عن بعضكم حتى نرى ما هى فوقف الناس واذا بالغبرة قد قربت وانكشفت عن عشرة آلاف من الروم وقد بعث معهم روبيس بطريقا من أصحابه وكانوا قد ساروا يكشفون خبر المسلمين فلما نظرهم عبد الله بن عمر قال لاصحابه لا تمهلوهم لانهم لابد لهم منكم والله ينصركم عليهم واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف قال فأعلن القوم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله ولما جهروا بها اجابهم الشجر والمدر والدواب والحجر وكان أول من حمل عكرمة بن أبى جهل وتبعه سهل بن عمرو والضحاك أيضا بالحملة وصاح فى رجاله وحمل المهاجرون والانصار معهم والتقى الجمعان وعمل السيف فى الفريقين قال عبد الله بن عمر وبينما أنا فى الوقعة اذ نظرت من القوم بطريقا عظيم الخلقة وهو كالحائر البليد وهو يركض يمينا وشمالا فقلت ان يكن لهذا الجيش عين فهذا عين الجيش وصاحب الطلائع وهو مرعوب من الحرب فلما حملت عليه ومددت قناتى اليه نفر فرسه من الرمح فقربت منه واوهمته انى أريد الانهزام ثم عطفت عليه وطعنته فوالله لقد خيل لى أنى ضربت بسيفى حجرا وسمعت طنين السيف حتى حسبت ان سيفى انفصل واذا هو صريع ثم عطفت عليه وأخذت لامته فلما رأى المشركون صاحبهم مجندلا داخلهم الفزع والهلع وصدمهم المسلمون فى الضرب والقتال فلله در الضحاك والحرث بن هشام لقد قاتلا قتالا شديدا ما عليه من مزيد فما كان غير قليل حتى انهزم الكفار من بين أيديهم هاربين قال فرجع المسلمون واجتمع بعضهم على بعض وجمعوا الغنائم والاموال وقال بعضهم لبعض ما فعل الله بعبد الله بن عمر قال قائل منهم الله خبير بحسن زهده وعبادته وقال آخرون قد أصبنا بابن عمر فما كان يساوى هذا الفتح شعرة من رأسه قال عبد الله بن عمر وأنا مع ذلك أسمع كلامهم خلف الراية فاعلنت بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهززت الراية فلما نظر المسلمون الراية سارعوا الى وقالوا أين كنت فقلت اشتغلت بقتال صاحبهم فقالوا أفلح والله وجهك فهذا والله فتح قد رزقنا الله اياه ببركتك قال عبد الله وبوجوهكم ثم حازوا الاموال والغنائم والخيل وثمانمائة أسير وقتل من المسلمين سبعة نفر فواروهم وصلى عليهم ابن عمر وانعطف الجيش الى عمرو بن العاص وحدثوه بما جرى ففرح وحمد الله تعالى ثم دعا بالاسرى واستنطق منهم بالعربية فما كان فيهم غير ثلاثة نفر من أنباط الشام فسألهم عن خبرهم وخبر أصحابهم فقالوا يا معشر العرب ان هذا روبيس قد أقبل فى مائة ألف فارس وقد أمره الملك أن لا يدع أحدا من العرب يصل ايلياء وانه بعث بهذا البطريق طليعة وقد قتل وكأنكم به فقال عمرو ان الله يقتله كما قتل صاحبكم ثم عرض عليهم الاسلام فما أحد منهم أسلم فقال عمرو للمسلمين كأنكم بصاحبهم وقد أتى بأخذ ثارهم وهؤلاء تركهم علينا بلاء ثم أمر بضرب أعناقهم وصاح بالمسلمين استعدوا فانى أظن ان القوم سائرون

فى الموضعين ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قيل المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس التى يجلس فيها الملوك كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم واقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق كمثل جنة بربوة ادخلوا الارض المقدسة قيل هى مصر أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو فجعل الشام بدوا وسمى مصر مصرا ومدينة وقد اشتهر

فان أتوا الينا فهم فى شدة وقوة وسنلقى منهم تعبا فى القتال وان سرنا اليهم نرجوا من الله النصر والظفر بهم كما ظفرنا بغيرهم وما عودنا الله الا خيرا قال أبو الدرداء وبتنا مكاننا فلما جاء الله بالصباح رحلنا فما بعدنا غير قليل حتى أشرفت علينا عشرة صلبان تحت كل صليب عشرة آلاف فارس فلما أشرف الجيش على الجيش أقبل عمرو ورتب أصحابه وجعل فى الميمنة الضحاك وفى الميسرة سعيدا وأقام على الساقة أبا الدرداء وثبت عمرو فى القلب ومعه أهل مكة وأمر الناس يقرؤن القرآن وقال لهم اصبروا على قضاء الله وارغبوا فى ثواب الله وجنته ثم انه جعل يصفهم ويعبيهم تعبية الحرب ونظر روبيس بطريق الروم الى عسكر المسلمين وقد صفهم عمرو بن العاص لا يخرج سنان عن سنان ولا عنان عن عنان ولا ركاب عن ركاب وهم كأنهم بنيان مرصوص وهم يقرؤن القرآن والنور يلمع من نواصى خيولهم فشم منهم رائحة النصر وتبين من نفسه الجزع وعلم أن كل من معه كذلك فوقف ينظر ما يكون من المسلمين وانكسرت حميته قال وكان أول من برز من جيش المسلمين سعيد بن خالد رضى الله عنه وهو أخو عمرو بن العاص من أمه فلما برز نادى برفيع صوته ابرزوا يا أهل الشرك ثم حمل على الميمنة فالجأها الى الميسرة وحمل على الميسرة فالجأها الى الميمنة وقتل رجالا وجندل أبطالا ثم اقتحم فيهم فشوشهم وزعزع جيشهم قال فاجتمعوا عليه فقتلوه رحمة الله عليه قال فحزن المسلمون على قتله حزنا عظيما وأكثرهم عمرو ابن العاص وقال واسعيداه لقد اشترى نفسه من الله عز وجل ثم قال يا فتيان من يحمل معى هذه الحملة حتى ننظر ما يكون من أمرها وأنظر حال سعيد قال فاسرع بالاجابة ذو الكلاع الحميرى وعكرمة بن أبى جهل والضحاك والحرث بن هشام ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين قال عبد الله وكنا سبعين رجلا وحملنا حتى دنونا من القوم وهم لا يفكرون من حملتنا الا أنهم جبال من حديد (قال الواقدى) رحمة الله عليه فلما رأى المسلمون ثبات الروم صاح بعضنا البعض ابعجوا دوابهم فاهلاكهم غير ذلك قال فبعجنا دوابهم بالاسنة فتنكسوا فبعد ان تنكسهم تفرق بعضهم عن بعض وحملوا علينا وحملنا عليهم وكنا فيهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود وكان شعارنا يوم فلسطين لا اله الا الله محمد رسول الله يا رب انصر أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو الدرداء فلقد شغلنى الحرب عن مناشدة الاشعار ولقد كان أحدنا لا يدرى أهو يضرب أخاه أو عدوه من كثرة القتام قال فثبت المسلمون مع قلتهم وفوضوا أمرهم الى الله عز وجل وما كان أحد من المسلمين يضرب الا وظهره ناطق بالدعاء يقول اللهم انصرنا على من يتخذ معك شريكا قال عبد الله بن عمر بن الخطاب فلم يزل الحرب بيننا الى وقت الزوال وهبت الرياح والناس فى القتام اذ نظرت الى السماء وقد انفرج فيها فرج وخرجت منها خيول شهب تحمل رايات خضرا أسنتها تلمع ومناد ينادى بالنصر ابشروا يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد أتاكم الله بالنصر قال فما كان غير قليل اذ نظرت الى الروم منهزمين والمسلمون فى أعقابهم لان خيل العرب أسبق من خيل الروم قال ابن عمر فقتلنا فى هذه الوقعة قريبا من خمسة عشر ألف فارس وأكثر ولم نزل فى آثارهم الى الليل وعمرو بن العاص قد فرح بالنصر وقلبه متعلق بالمسلمين لاسراعهم وراء العدو وقال عمرو بن غياث فنظرت الى عمرو بن العاص والراية فى يده وقد أوفى القناة على عاتقه وهو يعركها بيده ويقول من يرد الناس على رد الله عليه ضالته اذ نظرت العرب قد عطفت راجعة كعطفة الام على ولدها فاستقبلهم عمرو وهو يقول هنيأ لهذه الوجوه التى تعبت فى رضا الله تعالى أما كان لكم كفاية فى أن خولكم الله حتى اتبعتم العدو فقالوا ما أردنا الغنيمة بل القتال والجهاد قال ولما رجع المسلمون لم يكن لهم همة الا افتقاد بعضهم بعضا ففقد من المسلمين مائة وثلاثون رجلا ختم الله لهم بالسعادة منهم سيف بن عبادة ونوفل ابن دارم والاهيب بن شداد والباقى من اليمن ووادى المدينة قال فاغتم عمرو لفقدهم ثم راجع نفسه وقال قد نزل بهم خير وأنت يا عمرو تأبى ذلك ثم ندب الناس الى الصلاة كما أمره أبو بكر الصديق رضى الله عنه فصلى ما فاته كل صلاة باذان واقامة قال ابن عمر ما صلى خلفه الا قليل بل صلى الناس فى رحالهم من تعبهم ولم يجمعوا من الغنائم الا القليل وبات الناس فلما أصبح عمرو أذن وصلى بهم وأمر الناس بجمع الغنائم وأن يخرجوا اخوانهم المؤمنين من الروم ففعلوا ما يتقطونهم قال فاخرجوا مائة وثلاثين رجلا ووجدوا سعيد بن خالد فلما نظر عمرو الى ما نزل به بكى وقال رحمك الله فلقد نصحت لدين الله وأديت النصيحة ثم جعله فى جملة المسلمين وصلى عليهم وأمر بدفنهم وذلك قبل أن يخمس شيأ من الغنائم ثم بعد ذلك جمعها اليه وكتب الى أبى عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

على ألسنة كثير من الناس فى قوله تعالى سأريكم دار الفاسقين قال مصيرهم فصحفت بمصرهم (وقد ورد) فى مصر عدة أخبار منها ما روى عن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما (وفى صحيح مسلم) عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا افتتح

من

من عمرو بن العاص الى أمين الأمة أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانى قد وصلت الى أرض فلسطين ولقينا عساكر الروم مع بطريق يقال له روبيس فى مائة ألف فارس فمن الله بالنصر وقتل من الروم خمسة عشر ألف فارس وفتح الله على يدى فلسطين بعد أن قتل من المسلمين مائة وثلاثون رجلا فان احتجت الى سرت اليك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ودفع الكتاب الى أبى عامر الدوسى وأمره أن يسير الى أبى عبيدة قال فأسرع أبو عامر بالكتاب فوجد أبا عبيدة وهو نازل بأرض الشام وجاهر بالدخول اليها غير أنه أمره كما أمره أبو بكر قال فلما وصل أبو عامر قال له أبو عبيدة ما وراءك قال خير هذا كتاب من عمرو بن العاص يخبرك بما فتح الله على يديه ثم سلم اليه الكتاب فلما قرأه خر ساجدا فرحا بنصر الله ثم قال والله قتل من المسلمين رجال أخيار منهم سعيد بن خالد قال أبو عامر فكان خالد والده جالسا فلما سمع بأن ولده قد قتل قال واابناه وجعل يبكيه حتى بكى المسلمون لبكائه ثم ان خالدا أسرع الى فرسه فركبها وعزم الى أرض فلسطين لينظر الى قبر ولده فقال أبو عبيدة كيف تسير وتدعنا فقال انما أنظر قبر ولدى وأرجو الله أن يلحقنى به قال وكتب أبو عبيدة كتابا لعمرو بن العاص يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم انما أنت مأمور فان كان أبو بكر أمرك أن تكون معنا فسر الينا وان كان أمرك بالثبات فى موضعك فاثبت والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى خالد بن سعيد وسار مع أبى عامر الى أن أتيا الى جيش عمرو بن العاص فدفع له الكتاب وهو يبكى فوثب عمرو وصافح خالدا ورفع منزلته وعزاه فى ولده سعيد وعزاه المسلمون فقال خالد يا أيها الناس هل أروى سعيد رمحه وسيفه فى الكفار قالوا نعم لقد قاتل وما قصر ولقد جاهد فى الدين ونصر فقال أرونى قبره قال فأروه اياه فأقام على القبر وقال يا ولدى رزقنى الله الصبر عليك وألحقنى بك وانا لله وانا اليه راجعون والله ان مكننى الله لآخذن بثارك يا ولدى وعند الله احتسبتك ثم قال لعمرو بن العاص انى أريد أن أسرى بسرية فى طلب القوم فلعل أن أجد فيهم فرصة أو غنيمة وأكون قد أخذت بثار ولدى فقال عمرو ان الحرب أمامك يا ابن الام فاذا رأيت الروم فلا تبق عليهم فقال خالد والله لأسيرن اليهم ثم أخذ خالد أهبته للسير وعزم أن يسير وحده فركب معه ثلثمائة فارس من فتيان حمير فسار وايوهم ذلك أجمع وأرادوا النزول فى الاودية ليعلفوا دوابهم ويسير وافى ليلتهم اذ نظر خالد بن سعيد الى أشباح على ذروة جبل هنالك عال منيع فقال لأصحابه انى أرى أشباحا على ذروة هذا الجبل ونحن فى هذا الوادى ثم قال كونوا فى أماكنكم ثم نزل عن فرسه وتقلد سيفه والتحف بازاره وقال اعلموا أن القوم ما علموا بنا ولو نظروا الينا ما ثبتوا فى أماكنهم فمن منكم يبذل نفسه ويصنع كما أصنع قالوا كلنا لك قال فطافوا فى الجبل حتى أشرفوا على القوم وهم فى أماكنهم فعند ذلك قال خذوهم بارك الله فيكم فأسرع اليهم المسلمون فقتلوا منهم ثلاثين وأسروا أربعة فسألهم خالد بن سعيد عن حالهم واذاهم من أنباط الشام فقالوا نحن من أهل هذا البقيع والجابية وكفار القرية وقد عظم علينا دخول العرب الى بلادنا وقد فزعنا منهم فزعا عظيما وقد هرب أكثرنا الى الحصون والقلاع وقد اعتصمنا نحن بهذا الجبل لانه ليس فى الرستاق أحصن منه فملونا عليه وأنتم كسبتمونا قال خالد فما علمكم عن جيش الروم قالوا بأجنادين وهذا البطريق أقبل الينا ليأخذ الميرة والعلوفة وقد جمعوا له الدواب والبغال والحمير تحمل الميرة وهم مع ذلك خائفون أن تلحقهم خيل العرب وهذا خبر قومنا ولا شك أنهم رحلوا من يومهم قال فلما سمع خالد بن سعيد مقالتهم قال غنيمة للمسلمين ورب الكعبة ثم قال اللهم انصرنا عليهم ثم سأل على أى طريق سار القوم قالوا على هذه الطريق التى أنتم عليها الانها أوسع الطرق كلها وأما الميرة فانها مجموعة من حول البلاد فلما سمع خالد كلامهم قال لهم أسلموا فقالوا والله ما نعرف الا دين الصليب ونحن فلاحون قال فهم خالد بقتلهم فقال له رجل من أصحابه دعهم يدلونا على الطريق الى ميرة القوم فأجابوهم الى ذلك وساروا وهم يدلونهم الى تل عظيم قال فتوافق القوم وهم يحملون دوابهم حول التل ومعهم ستمائة لابس من القوم فلما نظر خالد الى ذلك قال لأصحابه اعلموا ان الله تعالى قد وعدكم بالنصر على عدوكم وفرض عليكم الجهاد وهذا جيش العدو أمامكم فارغبوا فى ثواب الله تعالى واسمعوا ما قال الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وها أنا أحمل فاحملوا ولا يخرج أحد عن صاحبه ثم ان خالدا حمل وحمل أصحابه قال فلما رأونا استقبلونا وانهزم من كان مع الدواب من الفلاحين وصبرت الخيل لقتالنا ساعة من النهار قال فبينما ذو الكلاع

الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال أبو بكر ولم يا رسول الله قال لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة (وأما حديث) ان مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها دارا فانه يساق اليها أقل الناس أعمارا فهو حديث منكر جدا وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ﴿ومن الآثار الموثوقة فى فضل مصر﴾ ما أخرجه ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو قال قبط مصر أكرم الاعاجم كلها وأسمحهم يدا وأفضلهم

الحميرى يشجع أصحابه ويقول يا أهل حمير أبواب الجنة قد فتحت والحور العين قد تزخرفت واذا بصاحب القوم قد
لقيه خالد فعرفه بلامته وحسن زيه قال فاستقبله وصرخ فيه فارعبه ثم قال يا لثار ولدى سعيد وطعنه طعنة صادقة
فخذله صريعا كأنه برج من حديد ومابقى أحد الا قتل من الروم قال فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا
الى الفرار وقتل منهم ثلثمائة وعشرون فارسا وولى الباقون منهزمين وتركوا الاثقال والمال والميرة وأخذ
المسلمون الجميع بعون الله تعالى قال وأطلق سبيل الفلاحين وعاد خالد ومن معه بالغنائم والميرة الى عمرو بن
العاص ففرح بسلامتهم وشكر فعلهم وكتب كتابا الى أبى بكر الصديق وذكر له ماجرى مع الروم وبعث الكتاب
مع أبى عامر الدوسى رضى الله عنه وأخذه وقدم به المدينة وأعطاه أبابكر الصديق رضى الله عنه فلما قرأه على
المسلمين فرحوا وضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم ان أبابكر استخبر عن أبى عبيدة فقال
له عامر انه قد أشرف على أوائل الشام ولم يجسر على الدخول اليها وانه سمع أن جيوش الملك قد اجتمعت من
حول أجنادين وهم أمم لاتحصى وقد خاف على المسلمين أن يتوسط بهم عدوهم فلما سمع أبو بكر ذلك علم أن أبا
عبيدة لين العريكة وغيره لايصلح لقتال الروم وعول أن يكتب الى خالد بن الوليد ليوليه على جيوش المسلمين
وقتال الروم قال واستشار المسلمين فى ذلك فقالوا الرأى ماتراه وكتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من
عبد الله عتيق بن أبى قحافة الى خالد بن الوليد سلام عليك أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانى قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم وأن تسارع الى مرضاة
الله عز وجل وقتال أعداء الله وكن ممن يجاهد فى الله حق جهاده ثم كتب يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على
تجارة تنجيكم من عذاب أليم الآية وقد جعلتك الامير على أبى عبيدة ومن معه وبعث الكتاب مع نجم بن مقدم
الكنانى فركب على مطيته وتوجه الى العراق فرأى خالدا رضى الله عنه قد أشرف على فتح القادسية فدفع اليه
الكتاب فلما قرأه قال السمع والطاعة لله ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتحل ليلا وأخذ طريقه عن
اليمين وكتب كتابا الى أبى عبيدة يخبره بعزله وبمسيره الى الشام وقد ولانى أبو بكر على جيوش المسلمين فلا
تبرح من مكانك حتى أقدم عليك والسلام وبعث الكتاب مع عامر بن الطفيل رضى الله عنه وكان أحد أبطال
المسلمين فأخذه وتوجه بطلب الشام وأما خالد فلما وصل الى أرض السماوة قال أيها الناس ان هذه الارض
لاتدخلونها الا بالماء الكثير لانها قليلة الماء ونحن فى جيش عظيم والماء معكم قليل فكيف يكون الامر فقال
له رافع بن عميرة الطائى رضى الله عنه أيها الامير انى أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع أرشدك الله بما تصنع
ووفقك الله ولا تأجل وعلى الخير قال فأخذ رافع ثلاثين جملا وعطشها سبعة أيام ثم أوردها الماء فلما رويت
خزم أفواهها ثم ركبوا المطايا وجنبوا الخيول وساروا فكانوا كلما نزلوا منزلا أخذوا عشرة من الابل يشقون
بطونها ويأخذون مايجدون من الماء فى بطونها فيجعلونه فى حياض الادم فاذا برد سقوه للخيل وأكلوا اللحم
ولم يزالوا كذلك حتى تمت الابل وفرغ الماء وقطعوا مرحلتين بلاماء وأشرف خالد ومن معه على الهلاك فقال
خالد لرافع بن عميرة يارافع قد أشرفنا على الهلاك والتلف أتعرف لنا ماء ننزل عليه (قال الواقدى) وكان رافع
رمدت عيناه فقال أيها الامير انى رمد كما ترى ولكن اذا أشرفتم على أرض سهلة فاعلمونى قال فلما أشرفوا
عليها أعلموا رافعا بذلك قال فرفع طرف عمامته عن عينيه وسار على راحلته يضرب يمينا وشمالا والناس من
ورائه الى أن أقبل على شجرة من الاراك فكبر وكبر المسلمون ثم قال احفروا هنا قال فحفرت العرب واذا الماء
قد طلع كالبحر فنزل الناس عليه وشكروا الله تعالى وأثنوا عليه وعلى رافع خيرا ثم وردوا الماء وسقوا خيلهم
وابلهم ثم جدوا فى طلب من انقطع من المسلمين ومعهم القرب بالماء قال فسقوهم فارتجعت قوتهم ثم لحقوا
بالجيش وأراحوا أنفسهم ثم فى ثانى يوم جدوا فى المسير الى أن بقى بينهم وبين أركة مرحلة واحدة فبينما هم
كذلك اذ أشرفوا على حلة عامرة وأغنام وابل قد سدت الفضاء والمستوى فأسرع المسلمون الى الحلة واذا
براع يشرب الخمر والى جانبه رجل من العرب مشدود قال فتبينه المسلمون واذا هو عامر بن الطفيل الذى
أرسله خالد قال فأقبل خالد بن الوليد مسرعا حتى وقف عليه فلما رآه تبسم وقال يا ابن الطفيل كيف كان سبب
أسرك قال عامر أيها الامير انى أشرفت على هؤلاء القوم فى هذه الحلة وقد أصابنى الحر والعطش فأتيت
الى هذا الراعى ليسقينى من اللبن فوجدته يشرب خمرا فقلت له يا عدو الله أتشرب الخمر وهى محرمة فقال لى

عنصرا وأقربهم رحما
بالعرب عامة وبقريش
خاصة ومن أراد أن ينظر
الفردوس أو ينظر الى
مثلها فى الدنيا فلينظر الى
أرض مصر حين تخضر
زروعها أو تنمو أثمارها
(وأخرج ابن عبد الحكم)
عن أبى رهم السماعى
الصحابى رضى الله عنه
قال كانت مصر قناطر
وجسورا بتقدير وتدبير
حتى ان الماء ليجرى تحت
منازلها وأفنيتها فيمسكونه
كيف شاؤا ويرسلونه كيف
شاؤا فذلك قوله تعالى
فيما حكى عن فرعون
أليس لى ملك مصر
وهذه الانهار تجرى

يامولاى انها ليست بخمر وانما هى ماء زلال فانزل كى تراه واستنشق مافى الجفنة فان كان خمرا فافعل مابدالك فلما سمعت كلامه أنخت المطية ونزلت عن كورها وجلست على ركبتى فى الجفنة واذا أنا بالعبد قد طلبنى بعصا كانت الى جانبه وضربنى على رأسى فشجنى شجة موضحة فانقلبت على جانبى فاسرع العبد الى وشدنى كتافا وأوثقنى رباطا وقال لى أظنك من أصحاب محمد بن عبد الله واستأذنك من بين يدى أو يقدم سيدى من عند الملك فقلت له ومن سيدك من العرب فقال القداح بن وائلة وانى عنده هذا العبد كلما شرب الخمر أحضرنى كما ترى والقى على فضلة من كأسه قال فلما سمع خالد بن الوليد كلام عامر بن الطفيل اشتد به الغضب ومال على العبد وضربه ضربة هائلة فجندل صريعا ونهب المسلمون المال والاغنام والابل وقلعوا الحلة بما فيها وأطلق عامرا وقال له أين رسالتى ياعامر فقال يامولاى هى فى طرف عمامتى لم يعلم بها العبد فقال خالد انطلق بها ياعامر على بركة الله تعالى قال فركب عامر وسار يطلب الشام وارتحل خالد من موضعه ذلك فنزل بأركة وهى رأس الامانة لمن يخرج من العراق وكانت الروم تسلك بها القوافل وكان عليها بطريق من قبل الملك فاغار خالد عليها وأخذ ما كان فيها وتحصن أهلها بحصنها وكان يسكن فيها حكيم من حكماء الروم وقد طالع الكتب القديمة والملاحم فلما رأى المسلمين وجيشهم انتقع لونه وقال اقترب الوقت وحق دينى فقال أهل أركة وكيف لك قال ان عندى ملحمة فيها ذكر هؤلاء القوم وان أول راية تشرف من خيلهم هى الراية المنصورة وقد دنا هلاك الروم فانظر وان كانت رايتهم سوداء وأميرهم عريض اللحية طويلا ضخما بعيد مابين المنكبين واسع الهيكل فى وجهه أثر جدرى فهو صاحب جيشهم فى الشام وعلى يديه يكون الفتح قال فنظر القوم واذا الراية على رأس خالد وهى كما قال حكيمهم قال واجتمعوا على بطريقهم وقالوا له أنت تعلم ان الحكيم سمعان لا ينطق الا بالحق والحكمة وقد قال كذا وكذا والذى وصفه لنا رأيناه عيانا ونرى من الرأى أن نعقد بيننا وبين العرب صلحا ونأمن على حريمنا وأنفسنا فلما سمع ذلك بطريقهم قال أخرونى الى غد لأرى من الرأى قال فانصرفوا من عنده وبات البطريق يحدث نفسه ويدبر أمره وكان عارفا عاقلا خبيرا بالامور وقال ان أنا خالفتهم خفت أن يسلمونى للعرب وقد تحقق أن زوبيس سار بجيش عظيم فهزمهم العرب ولم يزل يراود نفسه الى أن أصبح الصباح فدعا قومه وقال على ماذا عولتم قالوا عولنا على أننا نقيم الصلح بيننا وبين العرب فقال البطريق أنا واحد منكم مهما فعلتم لا أخالفكم قال فخرج مشايخ أركة الى خالد وكلموه فى الصلح فاجابهم الى الصلح والآن الكلام لهم وتلقاهم بالرحب والسعة لما سمع بذلك أهل السخنة ويلغ الخبر لاهل قدامة وكان الوالى عليهم بطريق اسمه كوكب فجمع رعيته وقال لهم بلغنى عن هؤلاء العرب انهم فتحوا أركة والسخنة وان قومنا يحدثون بعدلهم وحسن سيرتهم وانهم لا يطلبون الفساد وهذا حصن مانع لا سبيل لاحد علينا ولكن نخاف على نخلنا وزرعنا وما يضرنا أن نصالح العرب فان كان قومنا هم الغالبين فسخنا صلحهم وان كان العرب ظافرين كنا آمنين قال ففرح قومه بذلك وهيؤا العلوفة والضيافة حتى خرج خالد رضى الله عنه من أركة ونزل عليهم فخرجوا اليه بالخدمة وصالحهم على ثلثمائة أوقية من الذهب وكتب لهم كتابا بالصلح ثم ارتحل عنها الى حوران وبلغ عامر بن الطفيل كتاب خالد الى أبى عبيدة فلما قرأه تبسم وقال السمع والطاعة لله تعالى ولخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أعلم المسلمين بعزله وولاية خالد بن الوليد وكان أبو عبيدة وجه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بصرى فى أربعة آلاف فارس قال فسار على فنائها وكان على بصرى بطريق عظيم الشان والقدر عند الملك وعند الروم اسمه روماس وكان قد قرأ الكتب السالفة والاخبار الماضية وكان يجتمع اليه الروم من أقصى بلادها ينظرون الى عظيم خلقته ويسمعون ألفاظ حكمته وكانت آهلة بالخلائق عامرة بالناس وكان فيها ألف فارس وكان العرب يقصدونهم ببضائعهم وتجارتهم من أقصى اليمن وبلاد الحجاز فاذا كان فى أيام الموسم ينصب لبطريقهم كرسى ليجلس عليه ويجتمع الناس اليه ويستفيدون من علمه وحكمته فبينما هم قد اجتمعوا اليه اذ وقعت الضجة بقدوم شرحبيل بن حسنة وعسكره فبادر الى جواده فركبه وصاح فى قومه فأجابوه وقال لا تعجلوا حتى نسمع كلام القوم وما عندهم ثم سار حتى قرب من شرحبيل بن حسنة وجيشه ونادى يامعشر المسلمين انا روماس وانى أريد صاحبكم قال فخرج اليه شرحبيل فلما قرب منه قال البطريق من أنتم قال شرحبيل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم النبى الامى القرشى الهاشمى المنعوت

من تحتى أفلا تبصرون ولم يكن فى الارض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله الى آخره من الجانبين جميعا مابين أسوان الى رشيد سبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شئ والزرع مابين الجبلين من أول مصر الى آخرها وكان المسافر يسير من اسكندرية الى اسوان بلا زاد فى ظل وأشجار وفواكه الى أن يصل الى مدينة أسوان ﴿ وعن عبد

في التوراة والانجيل فقال رماس ما فعل الله به فقال شرحبيل قبضه الله اليه فقال البطريق فمن ولي الامر
بعده قال عتيق بن أبي قحافة بن بكر بن تيم بن مرة فقال رماس وحق ديني لقد أعلم بانكم على الحق ولابد لكم
أن تملكوا الشام والعراق وأنا أشفق عليكم اذ أنتم في جمع يسير ونحن في جمع كثير ولكن ارجعوا الى
بلادكم فانا لا نتعرض لكم واعلم يا أخا العرب ان أبا بكر هو صاحبي ورفيقي ولو كان حاضرا ما قاتلني فقال
شرحبيل لو كان ولده أو ابن عمه لما عفا عنه الا أن يكون من أهل ملته وليس له من الأمر شئ لانه مكلف وقد
أمره الله ان يجاهدكم ولسنا نبرح عنكم الا باحدى ثلاث اما أن تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية أو السيف
فقال رماس وحق ما أعتقده من ديني لو كان الامر الي ما قاتلكم لاني أعلم أنكم على الحق وهؤلاء طواغية
الروم وقوم مجتمعون واني أريد أن أرجع اليهم وأنظر ما عندهم فقال شرحبيل ارجع اليهم فلابد لكم مما
ذكرت قال فعاد رماس الى قومه وجمعهم وقال يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية ان الذي كنتم
تعتقدونه في كتبكم من الخروج من بلادكم ودياركم ونهب أموالكم قد قرب وهذا أوانه وزمانه وانتم باعظم
جيشا من روبيس سار الى شرذمة من العرب بأرض فلسطين فقتل وقتل من معه وانهزم الباقون ولقد بلغني
أن رجلا منهم خرج من أرض السماوة وصوب العراق اسمه خالد بن الوليد وقد فتح أركة والسخنة وتدمر وحوران
وهو عن قريب يحضر اليكم والصواب أن تؤدوا الجزية عن يد الى هؤلاء العرب وينصرفون عنكم قال فلما سمع
قومه ذلك غضبوا وشوشوا وهموا بقتله فقال رماس يا قوم انما أردت أن أختبركم وأرى حمية دينكم والآن دونكم
والقوم وانا في أولكم قال فرجعت الروم الى عددها وعديدها وتظاهروا بالدروع البيض وقادوا الجنائب
وتهيؤا للحملة فلما رأى شرحبيل بن حسنة ذلك وعظ أصحابه وقال اعلموا رحمكم الله أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الجنة تحت ظلال السيوف وأحب ما قرب الى الله قطرة دم في سبيل الله أو دمعة جرت في جوف الليل
من خشية الله قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم حمل وحمل المسلمون
على جيش بصرى قال عبد الله بن عدي واجتمع علينا العدو وطمعوا فينا وحملوا علينا في اثني عشر ألف فارس
من الروم ونحن فيهم كالشامة البيضاء في جلد البعير الاسود وصبرنا لهم صبر الكرام ولم يزل القتال بيننا وبينهم
الى أن توسطت الشمس في قبة الافلاك وقد طمع العدو فينا فرأيت شرحبيل بن حسنة قد رفع يديه الى السماء وهو
يقول يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام اللهم انصرنا على القوم الكافرين قال فوالله
ما استتم شرحبيل كلامه ودعاءه حتى جاء النصر من عند الله العزيز الحكيم وذلك أن القوم دار وابنا فرأينا
غبرة قد أشرفت علينا من صوب حوران فلما قربت لنا رأينا تحتها سوابق الخيل فلاحت لنا الاعلام
الاسلامية والرايات المحمدية وقد سبق الينا فارسان أحدهما ينادي ويصيح يا شرحبيل يا ابن حسنة أبشر
بالنصر لدين الله أنا الفارس الصنديد والبطل المجيد أنا خالد بن الوليد والآخر يصيح ويقول أنا عبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق وأشرفت العساكر من كل جانب قال وأشرفت راية العقاب يحملها رافع بن عميرة
الطائي (قال) حدثنا سالم بن عدي عن رفاعة بن حسان العامري عن ميسرة بن مسروق العبسي قال والله
لقد خمدت أصوات الروم عند صيحة خالد رضي الله عنه وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض وأقبل شرحبيل
ابن حسنة الى خالد بن الوليد وسلم عليه فقال خالد يا شرحبيل أما علمت أن هذه ميناء الشام والعراق وفيها عساكر
الروم وبطارقتهم فكيف غررت بنفسك وبمن معك من المسلمين قال كان بأمر أبي عبيدة فقال خالد أما أبو
عبيدة فانه رجل خالص النية وليس عنده غائلة الحرب ولا يعلم بواقعها ثم أمر الناس بالراحة فنزلوا واستراحوا
من أوزارهم فلما كان في اليوم الثاني زحفت جيوش بصرى على المسلمين فقال خالد ان الروم زحفوا اليكم
بتعبئتها وتهيبت خيولها فاركبوا بارك الله فيكم واحملوا على بركة الله تعالى قال فركب المسلمون وأخذوا أهبتهم
للحرب فجعل في الميمنة رافع بن عميرة الطائي وجعل في الميسرة ضرار بن الازور وكان غلاما فاتكا في الحرب
وجعل على الدرك عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ثم قسم جيش الزحف فجعل على شطره المسيب بن نجبة
الفزاري وعلى الشطر الآخر مذعور بن غانم الاشعري وأمرهم أن يبرزوا الخيل اذا حملت قال وبقي خالد
في الوسط وهو يعظ الناس ويوصيهم وقد عزموا على الحملة واذا بصفوف الروم قد انشقت وخرج من وسطها
فارس عظيم الخلقة كثير الزينة يلمع ما عليه من الذهب الاحمر والياقوت فلما توسط الجمعين نادى بلسان عربي

الله بن عمر رضي الله
عنهما) قال لما خلق الله
تعالى آدم مثل له الدنيا
شرقها وغربها وسهلها
وجبلها وأنهارها وبحارها
وبناءها وخرابها ومن
يسكنها من الامم ومن
يملكها من الملوك فلما رأى
مصر رأى أرضا سهلة
ذات نهر جار مادته من
الجنة تنحدر فيه البركة
وتمزجه الرحمة ورأى
جبلا من جبالها مكسوا
أنوارا لا يخلو من نظر
الرب اليه بالرحمة في سفحه
أشجار مثمرة فروعها في
الجنة تسقى بالرحمة فدعا
آدم في النيل بالبركة ودعا
في أرض مصر بالرحمة والبر

كأنه بدوى يامعشر العرب لايبرز لى الا أميركم فانا صاحب بصرى قال فخرج اليه خالد رضى الله عنه كالاسد الضرغام وقرب منه فقال له البطريق أنت أمير القوم قال كذلك يزعمون أنى أميرهم مادمت على طاعة الله ورسوله فان عصيته فلا امارة لى عليهم قال البطريق انى رجل عاقل من عقلاء الروم وملوكهم وان الحق لايخفى على ذى بصيرة واعلم أنى قرأت الكتب السابقة والاخبار الماضية فوجدت أن الله تعالى يبعث نبيا قرشيا واسمه محمد بن عبد الله قال خالد والله نبينا قال أنزل عليه الكتاب قال نعم القرآن قال روماس البطريق أحرم عليكم فيه الخمر قال خالد نعم من شرب بها حددناه ومن زنى جلدناه وان كان محصنا رجمناه قال أفرضت عليكم الصلوات قال نعم خمس صلوات فى اليوم والليلة قال أفرض عليكم الجهاد قال خالد ولولا ذلك ماجئنا كم نبغى قتالكم قال روماس والله لاعلم أنكم على الحق وانى أحبكم وقد حذرت قومى منكم وانى خائف منكم فأبوا فقال خالد فقل أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله يكن لك مالنا وعليك ماعلينا فقال انى أسلمت وأخاف أن يعجل هؤلاء بقتلى وسبى حريمى ولكن أنا أسير الى قومى وأرغبهم فلعل الله أن يهديهم فقال خالد وان رجعت الى قومك بغير قتال يكون بينى وبينك خفت عليك ولكن احمل على حتى لايتهموك وبعد ذلك اطلب قومك فحمل بعضهم على بعض وأرى خالد الفريقين أبوابا من الحرب حتى أبهر روماس فقال لخالد شدد على الحملة حتى يرى الدير جان فانى خائف عليك من بطريق بعث به الملك يقال له الدير جان فقال خالد ينصرنا الله عليه ثم شدد على روماس الحملة حتى انه انهزم من بين يديه الى قومه فلما وصل الى قومه قالوا ما الذى رأيت من العرب قال ان العرب أجلاد مالكم بقتالهم طاقة ولابد لهم أن يملكوا الشام وماتحت سرير هذا فادخلوا تحت طاعتهم وكونوا مثل أركة والسخنة قال فلما سمعوا كلامه زجروه وأرادوا قتله وقالوا له ادخل المدينة والزم قصرك ودعنا لقتال العرب فانصرف روماس وقال لعل الله ينصر خالدا ثم ان أهل بصرى ولوا عليهم الدير جان وقالوا اذا فرغنا من المسلمين سرنا معك الى الملك ونسأله أن ينزع روماس ويوليك علينا قال الدير جان وما الذى تريدون قالوا نحمل ونطلب قتال العرب قال فخرج الدير جان وطلب خالدا فقال عبد الرحمن لخالد يا أمير أنا أخرج اليه فقال دونك يا ابن الصديق فخرج عبد الرحمن وحمل على الدير جان فما شواغير ساعة وقد أحس الدير جان من نفسه بالتقصير فولى منهزما وراح الى قومه فلما رأوا ذلك منه نزل الرعب فى قلوبهم وعلم خالد ماعند القوم من الفزع فحمل وحمل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وحمل المسلمون فلما نظر أهل بصرى الى حملة المسلمين حملوا وتلاقى الفريقان وضجت الرهبان بكلمة كفرهم فقال شرحبيل بن حسنة اللهم ان هؤلاء الانجاس يتكلمون بكلمة كفرهم ويدعون معك الها آخر لا اله الا أنت ونحن نبتهل اليك بلا اله الا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك الا مانصرت هذا الدين على أعدائك المشركين ثم حملوا حملة واحدة فلم يكن للروم ثبات مع العرب فولى المشركون الادبار وركنوا الى الفرار فلما حطوا وادخلوا المدينة أغلقوا الابواب وتحصنوا بالاسوار ورفعوا الصلبان وعولوا أن يكتبوا للملك ليمدهم بالخيل والرجال قال عبد الله بن رافع فلما تحصنوا رجعنا عنهم وافتقدنا أصحابنا فوجدنا قد قتل منا مائة وثلاثون فارسا وقتل من الاعيان بدريان قال وغنم المسلمون الاموال وصلى خالد على الشهداء وأمر بدفنهم فلما كان الليل تولى الحرس عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ومعمر بن راشد ومائة من جيش الزحف فبينما هم يدورون حول العسكر واذا بروماس صاحب بصرى قد أقبل عليهم وقال لهم أين خالد بن الوليد فأخذوه وأتوا به الى خالد فلما رآه رحب به فقال أيها الامير بعد ان فارقتك طردنى قومى وقالوا الزم قصرك والا قتلناك فلزمت قصرى وهو ملاصق للسور ولما وقع لهم ماوقع وانهزموا وتحصنوا فلما جن الليل أمرت غلمانى بحفر السور وفتحوا فيه بابا فأتيتك فارسل معى من تعتمد عليه من أصحابك تستلمون المدينة فلما سمع خالد هذا الكلام أمر عبد الرحمن بن أبى بكر أن يأخذ مائة من المسلمين ويسير مع روماس قال ضرار ابن الازور وكنت ممن دخل المدينة فلما صرنا فى قصر روماس فتح لنا خزانة السلاح فلبسنا من سلاحهم وقسمنا اربعة أقسام كل جانب خمسة وعشرون رجلا وقال لنا عبد الرحمن اذا سمعتم التكبير فكبروا فلما سرنا حيث أمرنا أخذنا أنفسنا بالحملة على القوم * قال الواقدى بلغنى ممن أثق به من الرواة أن عبد الرحمن لما فارق أصحابه لبس سلاحه وسار هو وروماس يطلبون الدرج الذى عليه الدير جان وسار معهم ضرار ورافع وشرحبيل ابن حسنة فلما قرب عبد الرحمن من الدرج الذى فيه الدير جان قال الدير جان من أنتم فقال أنا روماس فقال

والتقوى وبارك فى سهلها وجبلها سبع مرات (عن عبد الله بن سلام) قال مصر أم البركات نعم بركتها من حج بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب وان الله تعالى يوحى الى نيلها فى كل عام مرتين عند جريانه يوحى اليه ان الله يأمرك أن تجرى فيجرى كما يؤمر ثم يوحى اليه ثانيا ان الله يأمرك أن تغيض حميدا فيغيض وان بلد مصر بلد معافاة وأهلها أهل عافية وهى آمنة ممن يقصدها بسوء من أرادها بسوء كبه الله على وجهه ونهرها نهر العسل ومادته من الجنة

لا أهلا ولا مرحبا بك ومن الذى معك قال معى صديق لك ومشتاق الى رؤياك قال ويحك ومن هو يا روماس قال هذا ابن أبى بكر الصديق فلما سمع الديرجان ذلك هم أن يقتله فلم تطاوعه نفسه فحمل عليه عبد الرحمن وهز سيفه فى وجهه وضربه على عاتقه فتجندل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار قال وكبر عبد الرحمن فاجابه روماس وسمع أصحابه التكبير فكبروا من جوانب بصرى قال وأجابتهم الاحجار والاشجار قال وكبر المسلمون من جوانب بصرى ووضعوا السيف فى الروم وسمع خالد التكبير فصرخوا واذا بغلمان روماس وأولاده فتحوا لهم الابواب فعبر خالد ومن معه من المسلمين فلما نظر أهل بصرى الى الابواب وقد فتحت بالسيف قهرا ضجوا بأجمعهم يقولون الامان الامان فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ارفعوا السيف عنهم وأقام خالد الى الصباح واجتمع اليه أهلها وقالوا يا أيها الامير لو صالحناك ما جرى شئ من ذلك ولكن نسألك بالذى أيدك ونصرك ما الذى فتح لك أبواب مدينتنا فاستحى خالد رضى الله عنه أن يقول فوثب روماس وقال أنا فعلت ذلك بأعداء الله وأعداء رسوله وما فعلته الا ابتغاء مرضاة الله وجهادا فيكم فقالوا أو لست منا فقال اللهم لا تجعلنى منهم رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالكعبة قبلة وبالقرآن اماما وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال ففرح خالد بذلك وأما أهل بصرى فغضبوا من كلامه وأضمروا له شرا وعلم بذلك روماس فقال لخالد أنا لا أريد المقام عندهم وانى أسير معك حيث سرت فاذا فتح الله على يديك الشام وصار لكم الامر ردونى الى الان الوطن عزيز (قال الواقدى) حدثنى معمر بن سالم عن جده قال كان روماس يجاهد معنا جهادا حسنا حتى فتح الله على أيدينا الشام فكان أبو عبيدة يكاتب به عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أيامه فولاه على بصرى فلم يلبث الا يسيرا حتى توفى رحمه الله وخلف عقبا يذكر به قال وأمر خالد رجالا يعينونه على اخراج رحله وماله من المدينة ففعلوا ذلك واذا بزوجته تخاصمه وتطلب فراقه فقال لها المسلمون ما الذى تريدين قالت أريد أمير جيشكم يحكم بيننا فجاؤا بها الى خالد فقالت له أنا أستغيث بك من روماس فقال لها خالد وكيف ذلك فقالت انى كنت البارحة نائمة اذ رأيت شخصا ما رأيت أحسن منه وجها كأن البدر يطلع من بين عينيه وكأنه يقول ان المدينة فتحت على يد هؤلاء القوم والشام والعراق فقلت له ومن أنت يا سيدى قال محمد رسول الله ثم دعانى الى الاسلام فأسلمت ثم علمنى سورتين من القرآن قال فحدث الترجمان خالدا بما كان منها فقال ان هذا لعجيب ثم قال خالد للترجمان قل لها تقرأ السورتين فقرأت الفاتحة وقل هو الله أحد ثم جددت اسلامها على يد خالد بن الوليد وقالت يا أيها الامير اما أن يسلم روماس والا يتركنى أعيش بين المسلمين قال فضحك خالد من قولها وقال سبحان الله الذى وفقهما جميعا ثم قال للترجمان قل لها ان روماس أسلم قبلها ففرحت بذلك ثم ان خالدا أحضر أهل بصرى وقررهم على أداء الجزية وولى عليهم من اتفق رأيه عليه ثم كتب الى أبى عبيدة كتابا يبشره بالفتح ويقول له يا صاحب رسول الله قد ارتحلنا الى دمشق فالحقنا اليها ثم كتب كتابا آخر الى أبى بكر الصديق يخبره برحيله ويقول له يوم كتبت اليك هذا الكتاب ارتحلت الى دمشق فادع لنا بالنصر والسلام عليك ومن معك ورحمة الله وبركاته ثم بعث الكتابين كلاهما ثم ارتحل خالد الى نحو دمشق حتى أشرف على موضع يقال له الثنية فوقف هناك وركز راية العقاب فسميت بذلك ثنية العقاب ثم ارتحل منها الى الدير المعروف الآن بدير خالد وكان أهل السواد قد التجؤا الى دمشق وقد اجتمعت خلائق وأمم لا تحصى من الرجال وأما أصحاب الخيل فكانوا اثنى عشر ألفا وقد زينوا أسوارهم بالطوارق والبيارق والصلبان وأقام خالد على الدير ينتظر قدوم المسلمين (قال الواقدى) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل وما فتح خالد من الشام وكيف قدم على دمشق فغضب وجمع البطارقة وقال يا بنى الاصفر قد قلت لكم وحذرتكم فأبيتم وهؤلاء العرب قد فتحوا أركة وتدمر والسخنة وبصرى وقد توجهوا الى الربوة ففتحوها فوا كرباه لان دمشق جنة الشام وقد سارت اليها الجيوش وهم أضعاف العرب ثم قال أيكم يتوجه الى قتال العرب ويكفينى أمرهم فان هزمهم أعطيته ما فتحوه ملكا فقال بطريق من البطارقة اسمه كلوس بن حنا وكان من فرسانهم وقد عرفت شجاعته فى عساكر الروم والفرس أيها الملك أنا أكفيك وأردهم على أعقابهم منهزمين قال فلما سمع الملك قوله سلم اليه صليبا من الذهب وقدمه على خمسة آلاف فارس وقال له قدم صليبك أمامك فانه ينصرك قال فأخذه كلوس وسار من يومه من انطاكية الى أن وصل حمص فوجدها مزينة بالسلاح

وكفى بالعسل طعاما وشرابا * وعن كعب قال فى التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلها من أرادها بسوء قصمه الله وعن عقبة ابن مسلم يرفعه ان الله يقول يوم القيامة لساكنى مصر يعدد عليهم النعم أما أسكنتكم مصر فكنتم تشبعون من خبزها وتروون من مائها وقال أبو الربيع السائح نعم البلد مصر يحج منها بدينارين ويغزى منها بدرهمين يريد الحج من بحر القلزم والغزو الى الاسكندرية وسائر سواحل مصر وقيل ان يوسف عليه السلام لما دخل مصر وأقام

فلما بلغ أهلها قدومه خرجوا الى لقائه وقد خرجت القسس والرهبان واستقبلوه ودعوا له بالنصر وأقام بحمص يوما وليلة ثم ارتحل الى مدينة بعلبك فخرج اليه النساء لاطمات الخدود وقلن أيها السيد ان العرب قصدوا اركة وحوران وبصرى فقال لهن كيف قدرت العرب على حوران وبصرى فقلن أيها السيد ان الذين ذكرتم لم يبرحوا من أماكنهم وان هذا الرجل قد أقبل من العراق وهو الذى فتح أركة فقال وما اسمه قلن خالد بن الوليد قال فكم يكون من العساكر قلن فى ألف وخمسمائة فارس فقال وحق المسيح لاجعلن رأسه على رأس سنانى ثم رحل فلم ينزل الا بدمشق وكان واليها بطريق من قبل الملك هرقل اسمه عزازير فلما قدم كلوس اجتمع عليه عزازير وأصحابه وقرؤا عليه منشور الملك ثم قال لهم أتريدون انى أقاتل عدوكم وأصده عن بلادكم قالوا نعم فقال أخرجوا عزازير عنكم حتى أكون وحدى فى هذا الامر فقالوا أيها السيد وكيف ينبغى أن نخرج صاحبنا من بلدنا وهذا العدو قاصدا الينا قال فغضب عزازير فى وجه كلوس من كلامه وقد اتفق رأيهم على أن كل واحد يقاتل العرب يوما فثبتت عداوة عزازير فى قلب كلوس (قال الواقدى) ولقد بلغنى انهم كانوا يخرجون كل يوم من باب الجابية مقدار فرسخ ينظرون قدوم أبى عبيدة بن الجراح فلم يشعروا حتى قدم اليهم خالد بن الوليد من نحو الثنية ﴿قال حدثنا﴾ يسار بن محمد قال أخبرنا رفاعة بن مسلم قال كنت فى جيش خالد بن الوليد لما نزل على الدير المعروف به واذا بجيش الروم قد زحف علينا وهو كالجراد المنتشر فلما نظر خالد ذلك تدرع بدرع مسلمة ثم صرخ فى وجه المسلمين وقال هذا يوم ما بعده يوم وهذا العدو قد زحف بخيله فدونكم والجهاد فانصروا الله ينصركم وكونوا ممن باع نفسه لله عز وجل وكأنكم باخوانكم المسلمين قدموا عليكم مع أبى عبيدة بن الجراح ثم بعد ذلك استقبل الجيش وصرخ بأعلى رأسه فارعب المشركين من صرخته وحمل شرحبيل بن حسنة وعبد الرحمن بن أبى بكر وضرار بن الازور وحمل ضرار لم يول عنهم بل قتل من الميمنة خمسة فرسان ومن الميسرة كذلك ثم حمل ثانى مرة فقتل منهم ستة فرسان ولولا سهام القوم لما رد عن قتالهم فشكره خالد بن الوليد وقال لعبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه احمل بارك الله فيك قال فحمل عبد الرحمن وفعل كما فعل ضرار بن الازور وقاتل قتالا شديدا ثم حمل من بعده خالد بن الوليد ورفع رمحه وأرى العسكر من أمور الحرب حتى جزع الروم من شجاعته فلما نظر اليه البطريق كلوس علم أنه أمير الجيش وعلم أنه يقصده فتأخر كلوس الى ورائه من مخافته فلما نظر خالد الى قهقرة كلوس الى ورائه حمل عليه ليرده فوقعت عليه البطارقة ورموه بالسهام فلم يلتفت اليهم خالد ولم يعبأ بهم ولم يرجع حتى قتل عشرين ثم انثنى بجواده بين الصفين وجال بجواده بين الفريقين وطلب البراز فلم يجبه أحد وقالوا أخرجوا غيره منكم فقال ويلكم ها أنا رجل واحد من العرب وكلنا فى الحرب سواء فما منهم من فهم كلامه فاقبل عزازير على كلوس وقال أليس الملك قد قدمك على جيشه وبعثك الى قتال العرب فدونك حام عن بلدك ورعيتك فقال كلوس أنت أحق منى بذلك لانك أقدم منى وقد زعمت أنك لا تخرج الا باذن الملك هرقل فاياك لا تخرج الى قتال أمير العرب فقال لهما العساكر تقارعا فمن وقعت عليه القرعة فلينزل الى قتال أمير العرب فقال كلوس لا بل نحمل جميعا فهو أهيب لنا قال وخاف كلوس أن يبلغ الملك ذلك فيطرده من عنده أو يقتله قال فتقارعا فوقعت القرعة على كلوس فقال عزازير اخرج وبين شجاعتك فقال كلوس لاصحابه أريد أن تكون هممكم عندى فان رأيتم منى تقصيرا فاحملوا وخلصونى فقال أصحابه هذا كلام عاجز لا يفلح أبدا فقال يا قوم ان الرجل بدوى ولغته غير لغتى فخرج معه رجل اسمه جرجيس وقال له أنا أترجم لك فسار معه فقال كلوس اعلم يا جرجيس ان هذا رجل ذو شجاعة فان رأيته غلبنى فاحمل أنت عليه حتى نقضى يومنا معه ويخرج له غدا عزازير فيقتله ونستريح منه واتخذك أنا صديق فقال له ما أنا أهل حرب وانما أخوفه بالكلام قال فسكت وسارا حتى قربا من خالد فنظر اليهما قال فهم أن يخرج اليهما رافع بن عميرة فصاح فيه خالد وقال مكانك لا تبرح فانى كفء لهما فلما دنوا من خالد قال كلوس لصاحبه قل له من أنت وما تريد وخوفه من سطواتنا فقرب جرجيس من خالد وقال له يا أخا العرب أنا أضرب لك مثلا ان مثلكم ومثلنا كمثل رجل له غنم فسلمها الى راع وكان الراعى قليل الجراءة على الوحوش فاقبل عليه سبع عظيم فجعل يلتقط منه كل ليلة رأسا الى ان انقضت الاغنام والسبع ضار عليها ولم يجد له مانعا عنها فلما نظر صاحب الغنم ما حل بغنمه علم أنه لم يؤت الا من الراعى فانتدب لغنمه غلاما نجيبا

بها قال اللهم انى غريب فحببها الى كل غريب فضمنت دعوته فليس يدخلها غريب الا أحب المقام بها وكان بها من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب عدة منهم أفلاطون وبطليموس وسقراط وارسطاطاليس وجالينوس وكان فى الازمنة الاول يذهب الى مصر أرباب العلوم والحكم ليكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وولد بها عدة من الانبياء وهم موسى وأخوه هرون ويوشع بن نون ودخل اليها عيسى وتوجه الى

فسلمه الغنم فكان كل ليلة يكثر الطوفان حول الغنم فبينما الغلام كذلك اذ أقبل عليه السبع على عادته الاصلية واخترق الغنم فهجم الغلام على السبع وبيده منجل فضربه فقتله ولم يقرب الغنم وحش بعدها وكذلك أنتم تتهاونون بأمركم لانه ما كان أضعف منكم لانكم جياع مساكين ضعفاء وتعودتم أكل الذرة والشعير ومص النوى فلما خرجتم الى بلادنا وأكلتم طعامنا وفعلتم ما فعلتم وقد بعث اليكم الملك رجالا لا تقاس بالرجال ولا تكثرت بالابطال ولا سيما هذا الرجل الذى بجانبي فاحذر منه أن ينزل بك ما أنزل الغلام بالاسد وقد سألني ان أخرج اليك وألاطف بك فى الكلام فاخبرني ما الذى تريد قبل أن يهجم عليك هذا الفارس فلما سمع خالد منه ذلك قال يا عدو الله والله لا نحسبكم عندنا فى الحرب الا كقابض الطير بشبكة وقد قبضها يمينا وشمالا فلم يخرج الا ما انفلت منها وأما ما ذكرت من بلادنا وأنها بلاد قحط وجوع فالامر كذلك الا أن الله تعالى أبدلنا ما هو خير منه فأبدلنا بدل الذرة الحنطة والفواكه والسمن والعسل وهذا كله قد رضيه لنا ربنا ووعدنا به على لسان نبيه وأما قولك ما الذى تريدونه منا فنريد منكم احدى ثلاث خصال اما أن تدخلوا فى ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما قولك ان هذا الرجل الذليل الذى هو عندكم مسكين فهو عندنا أقل القليل وان يكن هو ركن الملك فانا ركن الاسلام أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد أنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ❊ قال الواقدى رحمه الله تعالى فلما سمع جرجيس كلام خالد تأخر الى ورائه وقد تغير لونه فقال له كاوس يا ويلك رأيتك فى بدايتك تهيم كالسبع فما لك قد تأخرت فقال وحق المسيح ما أعلم انه الفارس الجحجاح وبطلهم الصفاح هذا صاحب القوم الذى ملأ الشام شرا فقال كاوس يا جرجيس اسأله ان تؤخر الحرب بيننا الى غد فالتفت الى خالد وقال له يا سيد قومك هذا صاحبي يريد أن يرجع الى قومه ليشاورهم فقال خالد ويحك أتريد أن تخدعني بالكلام وأقبل برمحه فى وجه جرجيس فلما نظر جرجيس ذلك انعقد لسانه وولى هاربا فلما رأى خالد ذلك طلب كاوس وحمل عليه وتطاعنا واحترز البطريق من طعنات خالد فلما نظر خالد احتراز البطريق حط يده فى أطواقه وجذبه فقلعه من سرجه فلما نظر المسلمون فعل خالد كبروا بأجمعهم وتسابق الفرسان الى خالد فلما قربوا منه رمى لهم البطريق وقال أوثقوه كتافا فصار يبربر بلسانه فاتى له المسلمون بروماس صاحب بصرى وقالوا له اسمع ماذا يقول فقال لهم يقول لكم لا تقتلوني فانى أجبت صاحبكم فى المال والجزية فقال خالد استوثقوا منه ثم نزل عن جواده وركب جوادا أهداه له صاحب تدمر وعزم أن يهجم على الروم فقال ضرار بن الازور أيها الامير دعني أنا أحمل على القوم حتى تستريح أنت فقال يا ضرار الراحة فى الجنة غدا ثم عوّل خالد على الحملة فصاح به البطريق كاوس وقال وحق دينك ونبيك الامار جعت الى حتى أخاطبك فرجع خالد اليه وقال لروماس اسأله ما يريد فقال أعلمه أنى صاحب الملك وقد بعثني اليكم فى خمسة آلاف فارس لاردكم عن بلاده وأهله ورعيته وقد تحاججت أنا وعزازير متولى دمشق وقدم الى معه كذا وكذا وأنا أسألك بحق دينك اذا خرج اليك فاقتله وان لم يخرج اليك فاستدعه واقتله فانه رأس القوم فان قتلته فقد ملكت دمشق فقال خالد لروماس قل له انا لا نبقى عليك ولا عليه ولا على من أشرك بالله تعالى ثم انه بعد ذلك الكلام حمل وهو ينشد ويقول

لك الحمد مولانا على كل نعمة ❊ وشكرا لما أوليت من سابغ النعم ❊ مننت علينا بعد كفر وظلمة

وأنقذتنا من حندس الظلم والظلم ❊ وأكرمتنا بالهاشمى محمد ❊ وكشفت عنا ما نلاقى من الغمم

فتمم اله العرش ما قد نرومه ❊ وعجل لاهل الشرك بالبؤس والنقم

وألقهم ربى سريعا بجمعهم ❊ بحق نبى سيد العرب والعجم

❊(قال الواقدى)❊ لقد بلغنى ممن أثق به أنه لما ولى جرجيس هاربا من بين يدى خالد الى أصحابه رأوه يرتعد من الفزع فقالوا له ما وراءك فقال يا قوم ورائى الموت الذى لا يقاتل والليث الذى لا ينازل وهو أمير القوم وقد آلى على نفسه أن يطلبنا أينما كنا وما خلصت روحى الا بالجهد فصالحوا الرجل قبل أن يحمل عليكم بأصحابه فلا يبقى منكم أحدا فقالوا له ما يكفيك انك انهزمت وقد هموا بقتله فبينما هم كذلك اذ أقبل أصحاب كاوس على عزازير وهم خمسة آلاف وصاحوا به وقالوا له ما أنت عند الملك أعز من صاحبنا وقد كان بيننا وبينك شرط فاخرج أنت الى خالد واقتله أو ائسره وخلص لنا صاحبنا والا وحق المسيح والمذبح والذبيح شننا عليك

الصعيد ثم أقام بقرية هناك تسمى اهناس ودخلها أيضا ابراهيم الخليل ويعقوب ويوسف والاسباط وأرميا ودانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام ودفن بها من الصحابة والتابعين جماعة كثيرة وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذى أثنى عليه الله فى كتابه وكذا آسية امرأة فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا فى ساعة واحدة مع كثرتهم وقال المسعودى ان كل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة على انفرادها وقال القضاعى لم يكن فى الارض أعظم من

الحرب فقال عزازير وقد رجع به مكره ودهاؤه يا ويلكم أتظنون أنى جزعت من الخروج الى هذا البدوى من اول مرة ولكنى ما تأخرت عن الخروج اليه وتقاعدت عن قتاله حتى يتبين عجز صاحبكم وسوف ينظر الفريقان أينا أفرس واشجع وأثبت فى مقام القتال اذا نحن تشابكنا بالنصال ثم انه فى الحال ترجل عن جواده ولبس لامته وركب جوادا يصلح للجولان وخرج الى قتال سيدنا خالد بن الوليد الفارس الصنديد رضى الله عنه فلما اقرب منه قال يا أخا العرب ادن منى حتى أسألك وكان الملعون يعرف العربية فلما سمع خالد ذلك قال يا عدو الله ادن أنت على أم رأسك ثم هم أن يحمل عليه فقال على رسلك يا أخا العرب أنا أدنو منك فعلم خالد أن الخوف داخله فامسك عنه حتى قرب منه فقال يا أخا العرب ما حملك أن تحمل أنت بنفسك أما تخشى الهلاك فلو قتلت بقيت أصحابك بلا مقدم فقال خالد يا عدو الله قد رأيت ما فعل الرجلان من أصحابى لو تركتهم لهزموا أصحابك بعون الله تعالى وأغاميى رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما ثم قال له خالد من أنت فقال أوما سمعت باسمى أنا فارس الشام أنا قاتل الروم والفرس أنا كاسر عساكر الترك فقال خالد ما اسمك فقال أنا الذى تسميت باسم ملك الموت اسمى عزرائيل ﴿قال الواقدى﴾ فضحك خالد من كلامه وقال يا عدو الله تخوفنى ان الذى تسميت باسمه هو طالبك ومشتاق اليك ليرديك الى الهاوية فقال له البطريق ما فعلت بأسيرك كلوس فقال هو موثق بالقيود والاغلال فقال له عزازير وما منعك من قتله وهو داهية من دواهى الروم فقال خالد منعنى من ذلك أنى أريد قتلكما جميعا فقال عزازير هل لك أن تأخذ ألف مثقال من الذهب وعشرة أثواب من الديباج وخمسة رؤس من الخيل وتقتله وتأتينى برأسه فقال له خالد هذه ديته فما الذى تعطينى أنت عن نفسك قال فغضب عدو الله من ذلك وقال ما الذى تأخذ منى قال الجزية وأنت صاغر ذليل فقال عزازير كلما زدنا فى كرامتكم زدتم فى اهانتنا فخذ الآن لنفسك الحذر فانى قاتلك ولا أبالى فلما سمع خالد كلام عزازير حمل عليه حملة عظيمة كأنه شعلة نار فاستقبله البطريق وقد أخذ حذره وكان عزازير ممن يعرف بالشجاعة فى بلاد الشام فلما نظر خالد الى عدو الله أظهر شجاعته وبراعته وتبسم فقال عزازير وحق المسيح لو أردت الوصول اليك لقدرت على ذلك ولكنى أبقيت عليك لانى أريد أن أستأسرك ليعلم الناس انك أسيرى وبعد ذلك أطلق سبيلك على شرط أنك ترحل من بلادنا وتسلم لنا ما أخذت من بلاد الشام فلما سمع خالد كلام عزازير قال له يا عدو الله قد داخلك الطمع فينا وهذه العصابة قد ملكوا تدمر وحوران وبصرى وهم ممن باعوا أنفسهم بالجنة واختاروا دار البقاء على دار الفناء وستعلم أينا من يملك صاحبه ويذل جانبه ثم ان خالدا أرى البطريق أبواب الحرب قال فندم عزازير على ما كان منه من الكلام وقال يا أخا العرب أما تعرف الملاعبة فقال خالد ملاعبتى الضرب فى طاعة الرب ثم ان الملعون هاجم خالدا ولوح اليه بسيفه وضربه به فلم يقطع شيأ فذهل عدو الله من جولان خالد وثباته وعلم أنه لا يقدر عليه ولا على ملاقاته فولى هاربا وكان جواده أسبق من جواد خالد قال عامر بن الطفيل رضى الله عنه وكنت يوم حرب دمشق فى القلب وشاهدنا ما جرى بين خالد وعزازير لما ولى هاربا وقصر جواد خالد عن طلبه فوقع فى قلبه الطمع وقال كان البدوى خاف منى ومالى الآن أقف حتى يلحقنى وآخذه أسيرا ولعل المسيح ينصرنى عليه فلما وقع ذلك فى نفسه وقف حتى لحق به خالد وقد جال فرسه العرق فلما اقرب منه صاح عزازير وقال يا عربى لا تظن انى هارب خوفا منك وانما أبقيت عليك خوفا على شبابك فارحم نفسك وان أردت الموت أسوقه اليك أنا قابض الارواح أنا ملك الموت فعند ذلك ترجل عن جواده وسحب السيف وسار اليه كأنه الاسد الضارى فلما نظر عزازير الى ذلك والى ترجل خالد زاد طمعه فيه وحام حوله وهم اليه يريد أن يعلو رأسه بالسيف فراغ خالد عنها وصاح فيه وضرب قوائم فرسه بضربة عظيمة فقطعها فسقط عدو الله على الارض ثم ولى هاربا يريد أصحابه فسبقه خالد وقال يا عدو الله ان الذى تسميت باسمه قد غضب عليك واشتاق اليك وها هو قد أقبل عليك يقبض روحك ليؤديك الى جهنم ثم هجم عليه وهم أن يجلد به الارض ونظرت الروم الى صاحبها وهو فى يد خالد فهموا أن يحملوا على خالد ويخلصوه من يده اذ قد أقبلت جيوش المسلمين وأبطال الموحدين مع الامير أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وكان قد سار من بصرى فوجدوه وقد أخذ عزازير فى تلك الساعة فلما نظرت عساكر دمشق الى جيوش المسلمين قد أقبلت داخلهم الجزع والفزع فوقفوا عن الحملة * قال حدثنى عمرو بن قيس عن شعيب عن عبد الله عن هلال القشعمى قال لما قدم الامير أبو عبيدة سأل عن خالد

ملك مصر فانها لو زرعت جميع الوقت بخراج الدنيا باسرها ويوجد فى مصر فى كل شهر نوع من المأكول أو المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه ورمبس أى خروف أمشير وابن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى والسبع زهرات التى تجتمع فى أواخر الشتاء فى وقت واحد ولا تجتمع فى غيرها من البلاد وهى النرجس والبنفسج والورد النصيبى والجبلى و زهر النارنج والياسمين والنسرين

فقالوا انه فى ميدان الحرب وقد أسر بطريق الروم فدنا أبو عبيدة اليه وهم أن يترجل فاقسم عليه خالد أن لا يفعل وأقبل عليه وصافحه وكان أبو عبيدة يحب خالدا لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان لقد فرحت بكتاب أبى بكر الصديق حين قدمك علىّ وأمرك علىّ وما حقدت فى قلبى عليك لانى أعلم مواقفك فى الحرب فقال خالد والله لا فعلت أمرا الا بمشورتك والله لولا أمر الامام طاعة لما فعلت ذلك أبدا لانك أقدم منى فى دين الاسلام وأنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت قال فيك أبو عبيدة أمين هذه الامة فشكره أبو عبيدة وقدم لخالد جواده فركبه وقال خالد لابى عبيدة اعلم أيها الامير ان القوم قد خذلوا ووقع الرعب فى قلوبهم وأهينوا اذ أخذ كلوس وعزازير قال وسار مع أبى عبيدة يحدثه بما صار من البطريقين وكيف نصره الله عليهما الى أن أتيا الدير فنزلا هنالك وأقبل المسلمون يسلم بعضهم على بعض فلما كان الغد ركب الناس وتزينت المواكب وزحف أهل دمشق للقتال وقد أمروا عليهم قوما ظهر الملك هرقل ولما أقبلوا قال خالد لابى عبيدة ان القوم قد انخذلوا ووقع الرعب فى قلوبهم فاحمل بنا على القوم قال أبو عبيدة أفعل قال فحمل خالد وحمل أبو عبيدة وحمل المسلمون على عساكر الروم حملة عظيمة وكبروا بأجمعهم فارتجت الارض من تكبيرهم ووقع القتل فى الروم وجاهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا عظيما وذهلت منهم الكفار قال عامر بن الطفيل لقد كان الواحد منا يهزم من الروم العشرة والمائة قال فما ثبتوا معنا ساعة واحدة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وأقبلنا نقتل فيهم من الدير الى الباب الشرقى فلما نظر أهل دمشق الى انهزام جيشهم أغلقوا الابواب فى وجه من بقى منهم قال قيس بن هبيرة رضى الله عنه فمنهم من قتلناه ومنهم من أسرناه فلما رجع خالد عنهم قال لابى عبيدة ان من الرأى ان أنزل أنا على الباب الشرقى وتنزل أنت على باب الجابية فقال أبو عبيدة هذا هو الرأى السديد ❊(قال حدثنا)❊ سهل بن عبد الله عن أويس بن الخطاب أن الذى قدم مع الامير أبى عبيدة من المسلمين من أهل الحجاز واليمن وحضرموت وساحل عمان والطائف وما حول مكة كان سبعة وثلاثين ألف فارس من الشجعان وكان مع عمرو بن العاص تسعة آلاف فارس والذى قدم بهم خالد بن الوليد رضى الله عنه من العراق ألف فارس وخمسمائة فارس فكان جملة ذلك سبعة وأربعين ألفا وخمسمائة غير ما جهز عمر بن الخطاب فى خلافته وسنذكر ذلك اذا وصلنا اليه ان شاء الله تعالى هذا وان خالدا نزل بنصف المسلمين على الباب الشرقى ونزل أبو عبيدة بالنصف الثانى على باب الجابية فلما نظر أهل دمشق الى ذلك نزل الرعب فى قلوبهم ثم ان خالدا أحضر البطريقين بين يديه وهما كلوس وعزازير فعرض عليهما الاسلام فأبيا فأمر ضرار بن الازور أن يضرب عنقيهما ففعل قال فلما نظر أهل دمشق ما فعلوا بالبطريقين كتبوا الى الملك كتابا يخبرونه بما جرى على كلوس وعزازير وقد نزلت العرب على الباب الشرقى وباب الجابية وقد نزلوا بشبانهم وأولادهم وقد قطعوا أرض البلقاء وأرض السواد ووصفوا له ما ملك العرب من البلاد فأدركنا والا سلمنا اليهم البلد ثم سلموا الكتاب الى رجل منهم وأعطوه أوفى أجرة وأدلوه بالحبل من أعلى الاسوار فى ظلمة الاعتكار (قال الواقدى) وان الرجل وصل الى الملك هرقل وهو بأرض انطاكية فاستأذن اليه فأمر له بالدخول فلما دخل سلم الكتاب اليه فلما قرأه الملك رماه من يده وبكى ثم انه جمع البطارقة وقال لهم يا بنى الاصفر لقد حذرتكم من هؤلاء العرب وأخبرتكم انهم سوف يملكون ما تحت سريرى هذا فاتخذتم كلامى هزؤا وأردتم قتلى وهؤلاء العرب خرجوا من بلاد الجدب والقحط وأكل الذرة والشعير الى بلاد خصبة كثيرة الاشجار والثمار والفواكه فاستحسنوا ما نظروه من بلادنا وخصبنا وليس يزجرهم شئ لما هم فيه من العزم والقوة وشدة الحرب ولولا انه عار على لتركت الشام ورحلت الى القسطنطينية العظمى ولكن ها أنا أخرج اليهم وأقاتلهم عن أهلى ودينى فقالوا أيها الملك ما بلغ من شأن العرب أن تخرج اليهم بنفسك وقعودك أهيب قال الملك هرقل نبعث اليهم قالوا عليك أيها الملك بوردان صاحب حمص لانه ليس فينا مثله فى القوة وملاقاة الرجال ولقد بين لنا شجاعته فى عساكر الفرس لما قصدونا قال فأمر الملك باحضاره فلما حضر وردان قال له الملك انما قدمتك لانك سيفى القاطع وسندى المانع فاخرج من وقتك وساعتك ولا تتأخر فقد قدمتك على اثنى عشر ألفا فاذا وصلت الى بعلبك فانفذ الى من بأجنادين بأن يتفرقوا فى أرض البلقاء وجبال السواد فيكونوا هنالك ولا تتركوا أحدا من العرب يلحق

وان أهل مصر الغالب عليهم الافراح واتباع الشهوات والانهماك فى اللذات وتصديق المحالات وفى أخلاقهم رقة وعندهم بشاشة وملقة ومكر وخداع ولا ينظرون فى عواقب الامور وعندهم قلة الصبر على الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالامور المستقبلة قبل ان تقع ويقال مصر بأموالها ذكر ذلك فى جواهر البحور ❊(وأول من سكن مصر)❊ شيث بن آدم عليهما السلام وذلك ان أباه آدم أوصى له فكان فيه وفى بنيه النبوة

بأصحابه يعني عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال وردان السمع والطاعة لك أيها الملك وسوف يبلغك الخبر
أني لا أعود الا برأس خالد بن الوليد ومن معه أهزمهم جميعا وبعد ذلك أدخل الحجاز ولا أخرج حتى أهدم الكعبة
ومكة والمدينة قال فلما سمع الملك هرقل قوله قال وحق الانجيل لئن أنت فعلت ذلك ووفيت بقولك لأعطينك
ما فتحوه حرثا وخراجا وكتبت كتاب العهد أنك الملك من بعدي ثم سوره وتوجه وأعطاه صليبا من الذهب وفي
جوانبه أربع يواقيت لا يعادلها شيء وقال اذا لاقيت العرب فقدمه أمامك فهو ينصرك قال فلما تسلم وردان
الصليب من وقته دخل الكنيسة وانغمر في ماء المعمودية وبخروه ببخور الكنائس وصلى عليه الرهبان وخرج
من وقته فضرب خيامه خارج المدينة قال وأخذت الروم على أنفسهم بالرحيل فلما تكاملوا ركب الملك هرقل
وسار لوداعهم وصحبته أرباب دولته فوصل معهم الى جسر الحديد بها فودعه الملك وسار الى أن وصل الى حماة
فنزل بها وأنفذ من وقته كتابا الى من بأجنادين من جيوش الروم ويأمرهم ان يتفرقوا في سائر الطرقات ليمنعوا
عمرو بن العاص ومن معه أن يصلوا الى خالد فلما سار الرسل بالكتاب جمع وردان اليه البطارقة وقال لهم اني
أريد أن أسير على حين غفلة على طريق مارس حتى أكبس على القوم لكيلا ينجو منهم أحد فلما كان الليل
رحل على طريق وادي الحياة (قال حدثني شداد بن أوس) قال لما دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد قتل
البطريقين أمر المسلمين أن يزحفوا الى دمشق قال فزحف منا الرجال من العرب وبأيديهم الجحف يتلقون
بها الحجارة والسهام فلما نظر أهل دمشق الينا ونحن قد زحفنا اليهم رمونا بالسهام والحجارة من أعلى الاسوار
وضيقنا عليهم في الحصار وأيقن القوم بالدمار قال شداد بن أوس فأقمنا على حصارهم عشرين يوما فلما كان بعد
ذلك جاءنا ناوي بن مرة وأخبرنا عن جموع الروم بأجنادين وكثرة عددهم فركب خالد نحو باب الجابية الى أبي
عبيدة يخبره بذلك ويستشيره وقال يا أمين الامة اني رأيت أن نرحل من دمشق الى أجنادين ونلتقي من هناك من
الروم فاذا نصرنا الله عليهم عدنا الى قتال هؤلاء القوم قال أبو عبيدة ليس هذا برأي قال خالد ولم ذلك قال أبو
عبيدة اذا رحلنا يخرج أهل المدينة فيملكون مواضعنا فلما سمع خالد ذلك من أبي عبيدة قال يا أمين الامة اني
أعرف رجلا لا يخاف الموت خبيرا بلقاء الرجال قد مات أبوه وجده في القتال قال ومن هذا الرجل يا أبا سليمان
قال هو ضرار بن الازور بن طارق قال أبو عبيدة والله لقد صدقت ووصفت رجلا بأذلا معروفا فافعل قال فرجع
خالد الى بابه واستدعى بضرار بن الازور فجاء اليه وسلم عليه فقال يا ابن الازور اني أريد أن أقدمك على خمسة
آلاف قد باعوا أنفسهم لله عز وجل واختار وا دار البقاء والآخرة على الاولى وتسير وا الى لقاء العدو هؤلاء
القوم الذين وردوا علينا فان رأيت لك فيهم مطمعا فقاتلهم وان رأيت أنك لا تقدر عليهم فابعث الينا رسولك
فقال ضرار بن الازور وافرحتاه والله يا ابن الوليد ما دخل قلبي مسرة أعظم من هذه فاتركني أسير وحدي قال
خالد لعمري انك ضرار ولكن لا تلق نفسك الى الهلاك وسر بما ندب معك من المسلمين قال فقام ضرار رضي
الله عنه مسرعا فقال خالد ارفق بنفسك حتى يجتمع عليك الجيش فقال والله لا وقفت ومن علم الله فيه خيرا
أدركني ثم ركب ضرار وأسرع الى أن وصل الى بيت لهيا وهو الموضع الذي كان يصنع فيه الاصنام فوقف هنالك
حتى لحق به أصحابه فلما تكاملوا نظر ضرار واذا بجيش الروم ينحدر كأنه الجراد المنتشر وهم غائصون
في الدروع وقد أشرقت الشمس على لاماتهم وطوارقهم فلما نظر اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا لضرار أما والله ان هذا الجيش عرمرم والصواب اننا نرجع فقال ضرار والله لا زلت أضرب بسيفي
في سبيل الله واتبع سبيل من أناب الى الله ولا يراني الله منهزما ولا أولي الدبر لان الله تعالى يقول فلا تولوهم
الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وتكلم رافع بن عميرة
الطائي وقال يا قوم وما الخليفة من هؤلاء العلوج أما نصركم الله في مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر
ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة والجموع اليسيرة فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين وقولوا
كما قال قوم طالوت عند لقائهم جالوت ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فلما
سمع ضرار كلامهم وأنهم اشتروا الآخرة بالاولى كمن بهم عند بيت لهيا وأخفى أمره وجلس عاري الجسد
بسراويله على فرس له عربي بغير سلاح وبيده قناة كاملة الطول وهو يوصي القوم (قال الواقدي) هكذا
حدثني تميم بن أوس عن جده عمرو بن دارم قال كنت يوم بيت لهيا من صحب ضرار بن الازور رضي الله عنه

والدين وأنزل الله عليه
تسعا وعشرين صحيفة
وجاء الى أرض مصر
وكانت تدعى بابلون فنزلها
هو وأولاد أخيه قابيل
فسكن شيث فوق الجبل
وسكن أولاد أخيه قابيل
أسفل الوادي (واستخلف
شيث) ولده أنوش
(واستخلف أنوش) ابنه
قينان (واستخلف قينان)
ابنه مهلاييل (واستخلف
مهلاييل) ابنه يزد ودفع
الوصية اليه وعلمه جميع
العلوم وأخبره بما يحدث
في العالم ونظر في النجوم
وفي الكتاب الذي نزل
على آدم (وولد يزد
أخنوخ) وهو هرمس أي

وهو بهذه الصفة رغبة منه فى الشهادة فلما قارب العدو كان أول من برز وكبر ضرار بن الازور وقبل فأجابه المسلمون بتكبيرة واحدة رعبت منها قلوب المشركين وفاجؤهم بالحملة ونظروا الى ضرار بن الازور وهو فى أول القوم وهو فى حالته التى وصفناها فهالهم أمره وكان وردان فى المقدمة والاعلام والصلبان مشتبكة على رأسه قال فما طلب ضرار غيره لانه علم أنه صاحبهم فحمل عليه غير مكترث به وطعن فارسا كان فى يده العلم فتجندل من على فرسه قتيلا ثم انه طعن آخر فى الميمنة فارداه وحمل يريد القلب وكان قد عاين وردان والصليب على رأسه يحمله فارس من الروم والجواهر تلمع من أربع جوانبه فعارضه ضرار وطعن حامله طعنة عظيمة فخرج السنان يلمع من خاصرته قال فسقط الصليب منكسا الى الارض فلما نظر وردان الى الصليب أيقن بالهلاك وهم أن يترجل لاخذه أو يميل فى ركابه ليأخذه فما وجد لذلك سبيلا لما قد أحدق به وترجل عليه قوم من المسلمين ليأخذوه وقد اشتغل كل عن نفسه ونظر ضرار الى من ترجل لاخذ الصليب فقال معاشر المسلمين ان الصليب لى دونكم وأنا صاحبه فلا تطمعوا فانى اليه راجع اذا فرغت من كلب الروم قال فسمع ذلك وردان وكان يعرف العربية فعطف من القلب يريد الهرب فقالت البطارقة الى أين أيها السيد أتفر من الشيطان فما رأينا أدنى من منظره ولا أهول من مخبره ونظر اليه ضرار وقد عطف راجعا فعلم أنه قد عزم على الهرب فصاح بقومه ثم اقتحم فى أثره وهدر رمحه وهمز جواده فتصارخت به الروم وعطفت عليه المواكب من كل جانب فأنشد يقول

الموت حق أين لى منه المفر * وجنة الفردوس خير المستقر

هذا قتالى فاشهدوا يا من حضر * وكل هذا فى رضا رب البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم وحمل المسلمون فى أثره فاحدقوا بهم من كل مكان ونظروا الى ضرار وقد قصده وردان صاحب حمص عندما علم انه اخترق القوم فدا اليه رمحه وقد أحدقت به بطارقته وضرار يمانع عن نفسه يمينا وشمالا فما طعن أحدا الا أباده الى أن قتل من القوم خلقا كثيرا وهو يصرخ بقومه ويقول ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قال وأكبت عليه جيوش الروم من كل جانب ومكان واشتعل الحرب بينهم ووصل همدان بن وردان الى ضرار بن الازور ورماه بسهم فأصاب عضده الايمن فوصل السهم اليه فأوهنه وأحس ضرار بالالم فحمل على همدان وصمم عليه برمحه وطعنه فأصاب بالطعنة فؤاده فوصل السنان الى ظهره فجذب الرمح منه فلم يخرج واذا به قد اشتبك فى عظم ظهره فخرج الرمح من غير سنان فطمعوا فيه وحملوا عليه وأخذوه أسيرا فنظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ضرار وهو أسير فعظم الامر عليهم وقاتلوا قتالا شديدا ليخلصوه فما وجدوا الى ذلك سبيلا وأرادوا الهرب فقال رافع بن عميرة الطائى يا أهل القرآن الى أين تريدون أما علمتم أن من ولى ظهره لعدوه فقد باء بغضب من الله وان الجنة لها أبواب لا تفتح الا للمجاهدين الصبر الصبر الجنة الجنة يا أهل الكتاب كروا على الكفار عباد الصلبان وها أنا معكم فى أوائلكم فان كان صاحبكم أسر أو قتل فان الله حى لا يموت وهو يراكم بعينه التى لا تنام فرجعوا وحملوا معه قال ووصل الخبر الى خالد أن ضرارا قد أسر بيد الروم وانه قتل من الروم خلقا كثيرا فعظم ذلك على خالد وقال فى كم العدو قالوا فى اثنى عشر ألف فارس فقال والله ما ظننت الا أنهم فى عدد يسير ولقد غررت بقومى ثم سأل عن مقدمهم من يكون قيل وردان صاحب حمص وقد قتل ضرار ولده همدان فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم أرسل الى أبى عبيدة يستشيره فبعث اليه أبو عبيدة يقول له اترك على الباب الشرقى من تثق به وسر اليهم فانك تطحنهم باذن الله تعالى فلما وصل الجواب الى خالد قال والله ما أنا ممن يبخل بنفسه فى سبيل الله ثم أوقف بالمكان ميسرة بن مسروق العبسى رضى الله عنه ومعه ألف فارس وقال له احذر أن تنفذ من مكانك فقال ميسرة حبا وكرامة وعطف خالد بالناس وقال لهم أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة فاذا أشرفتم على العدو فاحملوا حملة واحدة لعلنا نخلص فيها ضرارا ان شاء الله تعالى ان كانوا أبقوا عليه والله ان كانوا عجلوا عليه لنأخذن بثاره ان شاء الله تعالى وأرجو الله أن لا يفجعنا به ثم تقدم أمام القوم وجعل يقول

اليوم يوم فاز فيه من صدق * لا أرهب الموت اذا الموت طرق
لأروين الرمح من ذوى الحدق * لأهتكن البيض هتكا والدرق
عسى أرى غدا مقام من صدق * فى جنة الخلد والتقى من سبق

فبينما خالد يترنم بهذه الابيات اذ نظر الى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل وهو لا يبين منه الا الحدق

ادريس عليه السلام (وكان) الملك فى ذلك الوقت بيلبل ونبئ ادريس عليه السلام وهو ابن أربعين سنة وأراده الملك بسوء فقصمه الله وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ودفع اليه أبوه وصية جده والعلوم التى عنده وولد بمصر وخرج منها وطاف الارض كلها ورجع ودعا الخلق الى الله تعالى فاجابوه وأطاعه ملك مصر وآمن به فنظر فى تدبير أمرها وكان النيل يأتيهم سيحا فيحازون عن مسيله الى أعالى الجبال والاراضى العالية حتى ينقص فينزلون ويزرعون

والفروسية تلوح من شمائله وعليه ثياب سود وقد تظاهر بها من فوق لامته وقد حزم وسطه بعمامة خضراء
وسحبها على صدره ومن ورائه وقد سبق أمام الناس كأنه نار فلما نظره خالد قال ليت شعرى من هذا الفارس
وايم الله انه لفارس شجاع ثم اتبعه خالد والناس وكان هذا الفارس أسبق الناس الى المشركين قال وكان رافع
ابن عميرة الطائى رضى الله عنه فى قتال المشركين وقد صبر لهم هو ومن معه اذ نظر خالد وقد أنجده هو ومن معه
من المسلمين ونظر الى الفارس الذى وصفناه وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم
وحطم مواكبهم ثم غاب فى وسطهم فما كانت الا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم وقد
قتل رجالا وجندل أبطالا وقد عرض نفسه للهلاك ثم اخترق القوم غير مكترث بهم ولا خائف وعطف على
كراديس الروم فى الناس وكثر قلقهم عليه فأما رافع بن عميرة ومن معه فظنوا الا أنه خالد وقالوا ما هذه الحملات
الا لخالد فهم على ذلك اذ أشرف عليهم رضى الله عنه وهو فى كبكبة من الخيل فقال رافع بن عميرة من الفارس
الذى تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته فقال خالد والله اننى أشد انكارا منكم له ولقد أعجبنى ما ظهر منه ومن
شمائله فقال رافع أيها الامير انه منغمس فى عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا فقال خالد معاشر المسلمين احملوا
بأجمعكم وساعدوا المحامى عن دين الله قال فأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة والتصق بعضهم ببعض وخالد امامهم
اذ نظر الى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار والخيل فى أثره وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل
فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس المذكور الى جيش المسلمين كان فتأملوه فرأوه قد تخضب
بالدماء فصاح خالد والمسلمون لله درك من فارس بذل مهجته فى سبيل الله وأظهر شجاعته على الاعداء
اكشف لنا عن لثامك قال فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس فى الروم فتصايحت به الروم من كل جانب وكذلك
المسلمون وقالوا أيها الرجل الكريم أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد
تعظيما فلم يرد عليهم جوابا فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه وقال له ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبى
بفعلك من أنت قال فلما ألح عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث وقال اننى يا أمير لم أعرض
عنك الا حياء منك لانك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وانما حملنى على ذلك أنى محرقة
الكبد زائدة الكمد فقال لها من أنت قالت أنا خولة بنت الازور المأسور بيد المشركين أخى وهو ضرار وانى
كنت مع بنات العرب وقد أتانى الساعى بأن ضرارا أسير فركبت وفعلت ما فعلت قال خالد نحمل بأجمعنا
ونرجو من الله أن نصل الى أخيك فنفكه قال عامر بن الطفيل كنت عن يمين خالد بن الوليد حين حملوا وحملت
خولة أمامه وحمل المسلمون وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الازور وقالوا ان كان القوم كلهم مثل
هذا الفارس فمالنا بهم من طاقة ولما حمل خالد ومن معه اذا بالروم قد اضطربت جيوشهم ونظر وردان اليهم
فقال لهم اثبتوا للقوم فاذا رأوا ثباتكم ولوا عنكم ويخرج أهل دمشق يعينونكم على قتالهم قال فثبت المسلمون
لقتال الروم وحمل خالد بالناس حملة منكرة وفرق القوم يمينا وشمالا وقصد خالد مكان صاحبهم وردان عند
اشتباك الاعلام والصلبان واذا حوله أصحاب الحديد والزرد النضيد وهم محدقون به فحمل خالد عليهم حملة
منكرة واشتبك المسلمون بقتال الروم وكل فرقة مشغولة بقتال صاحبها وأما خولة بنت الازور فانها جعلت
تجول يمينا وشمالا وهى لا تطلب الا أخاها وهى لا ترى له أثرا ولا وقفت له على خبر الى وقت الظهر وافترق القوم
بعضهم عن بعض وقد أظهر الله المسلمين على الكافرين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة قال وتراجعت كل فرقة الى
مكانها وقد كمدت أفئدة الروم مما ظهر لهم من المسلمين وقد هموا بالهزيمة وما مسكهم الا الخوف من صاحبهم وردان
فلما رجع القوم الى مكانهم أقبلت خولة بنت الازور على المسلمين وجعلت تسألهم رجلا رجلا عن أخيها فلم
تر من المسلمين من يخبرها انه نظره أو رآه أسيرا أو قتيلا فلما أيست منه بكت بكاء شديدا وجعلت تقول يا ابن
أمى ليت شعرى فى أى البيداء طرحوك أم بأى سنان طعنوك أم بالحسام قتلوك يا أخى أختك لك الفداء لو
أنى أراك أنقذتك من أيدى الاعداء ليت شعرى أترى انى أراك بعدها أبدا فقد تركت يا ابن أمى فى قلب
أختك جمرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ ليت شعرى لحقت بأبيك المقتول بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فعليك
منى السلام الى يوم اللقاء قال فبكى الناس من قولها وبكى خالد وهم أن يعاود بالحملة اذ نظر الى كردوس من
الروم قد خرج من ميمنة العقبان فتأهب الناس لحربهم وتقدم خالد وحوله أبطال المسلمين فلما قربوا من القوم

حيثما وجدوا فى الارض
تربة وكان يأتى فى وقت
الزراعة وفى غير وقتها فلما
جاء ادريس جمع أهل
مصر وصعد بهم الى أول
مسيل النيل ودبر وزن
الارض ووزن الماء على
الارض وأمرهم باصلاح
ما أراد من خفض المرتفع
ورفع المنخفض وغير ذلك
مما رأى فى علم النجوم
والهندسة والهيئة وكان
أول من تكلم فى هذه
العلوم وأخرجها من
القوة الى الفعل ووضع
فيها الكتب ورسم فيها
التعاليم ثم سار الى بلاد
الحبشة والنوبة
وغيرها وجمع أهلها وزاد

رموا ما معهم من أيديهم والسيوف وترجلوا ونادوا بالامان فقال خالد اقبلوا امانهم وائتونى بهم فأتوا اليه فقال خالد من أنتم فقالوا نحن من جند هذا الرجل وردان ومقامنا بحمص وقد تحقق عندنا انه ما يطيقكم ولا يستطيع حربكم فاعطونا الامان واجعلونا من جملة من صالحتم من سائر المدن حتى نؤدى لكم المال الذى أردتم فى كل سنة فكل من فى حمص يرضى بقولنا فقال خالد اذا وصلت الى بلادكم يكون الصلح ان شاء الله تعالى ان كان لكم فيه أرب ولكن نحن ههنا الانصالحكم ولكن كونوا معنا الى أن يقضى الله ما هو قاض ثم ان خالدا قال لهم هل عندكم علم من صاحبنا الذى قتل ابن صاحبكم قالوا لعله عارى الجسد الذى قتل منا مقتلة عظيمة وفجع صاحبنا فى ولده قال خالد عنه سألتكم قالوا ابعثه وردان عندنا أسيرا على بغل ووكل به مائة فارس وانفذه الى حمص ليرسله الى الملك ويخبره بما فعل قال ففرح خالد بقولهم ثم دعا برافع بن عميرة الطائى وقال يا رافع ما أعلم أحدا أخبر منك بالمسالك وأنت الذى قطعت بنا المفازة من أرض السماوة وأعطشت الابل وأوردتها الماء وأوردتنا أركه وما وطئها جيش قبلنا لمفازتها وأنت أوحد أهل الارض فى الحيل والتدبير فخذ معك من أحببت واتبع أثر القوم فلعلك أن تلحق بهم وتخلص صاحبنا من أيديهم فلئن فعلت ذلك لتكونن الفرحة الكبرى فقال رافع ابن عميرة حبا وكرامة ثم انه فى الحال انتخب مائة فارس شدادا من المسلمين وعزم على المسير فاتت البشارة الى خولة بمسير رافع بن عميرة ومن معه فى طلب أخيها ضرار فتهلل وجهها فرحا وأسرعت الى لبس سلاحها وركبت جوادها وأتت الى خالد بن الوليد ثم قالت له أيها الامير سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر الا ما سرحتنى مع من سرحت فلعلى أن أكون مشاهدة لهم فقال خالد لرافع أنت تعلم شجاعتها فخذها معك فقال له رافع السمع والطاعة وارتحل رافع ومن معه وسارت خولة فى أثر القوم ولم تختلط بهم وسار الى أن قرب من سليمة قال فنظر رافع فلم يجد للقوم أثرا فقال لاصحابه ابشروا فان القوم لم يصلوا الى ههنا ثم انه كمن بهم فى وادى الحياة فبينما هم كامنون اذا بغبرة قد لاحت فقال رافع لاصحابه أيقظوا خواطركم وانتبهوا فأيقظ القوم هممهم وبقوا فى انتظار العدو واذا بهم قد أتوا وهم محدقون بضرار فلما رأى رافع ذلك كبر وكبر المسلمون معه وحملوا عليهم فلم يكن غير ساعة حتى خلص الله ضرارا وقتلوهم جميعا وأخذوا سلبهم قال واذا بعساكر الروم قد أقبلت منهزمة وأولهم لا يلتفت الى آخرهم فعلم رافع ان القوم انهزموا فأقبل يلتقطهم بمن معه قال وكان خالد لما أرسل رافع ابن عميرة فى طلب ضرار ليخلصه ومعه المائة فارس صدم وردان صدمة من يحب الشهادة ويبتغى دار السعادة وصدم المسلمون الروم فما لبثوا أن ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وكان أولهم وردان واتبعهم المسلمون وأخذوا أسلابهم وأموالهم ولم يزالوا فى طلبهم الى وادى الحياة فاجتمع المسلمون برافع بن عميرة الطائى وضرار بن الازور وسلموا عليهم وفرحوا بضرار رضى الله عنه وهنوه بالسلامة قال وأثنى خالد على رافع خيرا ورجعوا الى دمشق وفرح المسلمون بالنصر واتصل الخبر الى الملك هرقل وان وردان قد انهزم وقتل ولده حمدان قال فأيقن بزوال ملكه من الشام فكتب الى وردان كتابا يقول فيه أما بعد فانى قد بلغنى ان جياع الاكباد عراة الاجساد قد هزموك وقتلوا ولدك رحمه المسيح ورحمك ولولا انى اعلم انك فارس الحرب ومجيد الطعن والضرب وليث النصر آتيك لحل عليك سخطى والآن مضى ما مضى وقد بعثت الى اجنادين تسعين ألفا وقد أمرتك عليهم فسر نحوهم وأنجد أهل دمشق وانفذ بعضهم ليمنعوا من فى فلسطين من العرب وحل بينهم وبين أصحابهم وانصر دينك وصاحبك قال وانفذ اليه الكتاب مع خيل البريد فلما ورد عليه الكتاب وقرأه سرى عنه بعض ما كان يجده وأخذ الاهبة الى أجنادين فسار فوجد الروم قد تجمعوا واظهروا العدد والزرد وخرجوا الى لقائه وسلموا عليه وتقدموا بين يديه وعزوه فى ولده فلما استقر قراره قرأ عليهم منشور الملك فاجابوه بالسمع والطاعة وأخذوا على أنفسهم (قال حدثنى) روح بن طريف قال كنت مع خالد بن الوليد على باب شرقى حين رجعنا من هزيمة وردان واذ قد ورد علينا عباد بن سعد الحضرمى وكان قد بعثه شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصرى يعلم خالدا بمسير الروم اليه من أجنادين فى تسعين ألف فارس فخذ أهبتك للقائهم قال فلما سمع خالد ذلك ركب الى أبى عبيدة وقال له يا أمين الامة هذا عباد بن سعد الحضرمى قد بعث به شرحبيل بن حسنة يخبران طاغية الروم هرقل قد ولى وردان على من تجمع بأجنادين من الروم وهم تسعون ألفا فما ترى من الرأى يا صاحب رسول الله فقال أبو عبيدة اعلم يا أبا سليمان أن أصحاب رسول الله

فى مسافة مجرى النيل ومات ادريس بمصر ذكر ذلك فى حسن المحاضرة وقيل رفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة وعشرين وقيل وستين سنة وقد ملك مصر بعده أربعة وثلاثون فرعونا اقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم أعتى ولا أشر من فرعون موسى ٭ قال وهب بن منبه كان فرعون موسى قصيرا قيل كان طوله ستة أشبار وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر ذراع وقال قتادة الفراعنة ثلاثة أولهم سنان ابن الاشل صاحب سارة كان فى زمن

صلى الله عليه وسلم متفرقون مثل شرحبيل بن حسنة بارض بصرى ومعاذ بن جبل بحوران ويزيد بن أبي سفيان بالبلقاء والنعمان بن المغيرة بأرض تدمر وأركة وعمرو بن العاص بأرض فلسطين والصواب ان تكتب اليهم ليقصدونا حتى نقصد العدو ومن الله نطلب المعونة والنصر قال فكتب خالد الى عمرو بن العاص كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان اخوانكم المسلمين قد عولوا على المسير الى اجنادين فان هناك تسعين ألفا من الروم يريدون المسير الينا يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فاذا وصل اليك كتابي هذا فاقدم علينا بمن معك الى أجنادين تجدنا هناك ان شاء الله تعالى والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وكتب نسخة الكتاب الى جميع الامراء الذين ذكرناهم ثم أمر الناس بالرحيل فرفعت القباب والهوادج على ظهور الجمال وساقوا الغنائم والاموال فقال خالد لابي عبيدة قد رأيت رأيا ان أكون على الساقة مع الغنائم والاموال والبنين والولدان وكن أنت على المقدمة مع خاصة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة بل أكون أنا على الساقة وأنت على المقدمة مع الجيش فان وصل اليك جيش الروم مع وردان يجدوك على أهبة فتمنعهم من الوصول الى الحريم والاولاد فلا يصلون الينا الا وأنت قتلت فيهم والا كنت أنا ومن معي غنيمة لهم اذا أنا في المقدمة فقال خالد است أخالفك فيما ذكرت ثم ان خالدا قال أيها الناس انكم سائرون الى جيش عظيم فايقظوا هممكم وان الله وعدكم النصر وقرأ عليهم قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم ان خالدا أخذ الجيش وسار في المقدمة وبقي أبو عبيدة في ألف من المسلمين ونظر الى ذلك أهل دمشق فعطفوا عليهم وأقبلوا يسيرون وهم يظنون أنهم منهزمون لاجل ما بلغهم من الجيش العظيم الذي هو باجنادين فقال لهم عقلاؤهم ان كانوا سائرين على طريق بعلبك فانهم يريدون فتحها وفتح حمص وان كانوا على طريق مرج راهط فالقوم لا شك هاربون الى الحجاز ويتركون ما أخذوا من البلاد قال وكان بدمشق بطريق يقال له بولص وكان عظيما عند النصرانية وكان اذا قدم على الملك يعظمه وكان الملعون فارسا وذلك أنهم كان عندهم شجرة فرماها بسهم فغاص السهم في الشجرة من قوة ساعده ثم ان من تجربه كتب عليها ان كل من يدعي الشجاعة فليرم بسهمه الى جانب سهمي وكان قد شاع ذكره بذلك ولم يحضر قتال المسلمين منذ دخلوا دمشق فلما اجتمعوا عليه قال لهم بولص ما الذي حل بكم فاعلموه بما جرى عليهم من المسلمين وقالوا له ان كنت تريد حياة الابد عند الملك وعند المسيح وعند أهل دين النصرانية فدونك والمسلمين فاخرج اليهم واخطف كل من تخلف منهم وان رأيت لنا فيهم مطمعا قاتلناهم فقال بولص انما كان سبب تخلفي عن نصرتكم لانكم قليلوا الهمة لقتال عدوكم فتخلفت عنكم والآن لا حاجة لي في قتال العرب فقالوا وحق المسيح والانجيل الصحيح ائن سرت في مقدمتنا لنثبتن معك ومامنا من يولي عنك وقد حكمناك فيمن ينهزم أن تضرب عنقه ولا يعارضك في ذلك أحد قال فلما استوثق منهم دخل الى منزله ولبس لامته فقالت له زوجته الى أين عزمت قال أخرج في أثر العرب فقد ولى أهل دمشق عليهم فقالت لا تفعل والزم بيتك ولا تطلب ما ليس لك به حاجة فاني رأيت لك في المنام رؤيا فقال لها وما الذي رأيت قالت رأيتك كانك قابض قوسك وأنت ترمي طيورا وقد سقط بعضها على بعض ثم عادت صاعدة فبينما أنا متعجبة اذ أقبلت نحوك سحابة من الجو فانقضت عليك من الهواء وعلى من معك فجعلت تضربها مناقيرها ثم وليتم هاربين ورأيتها لا تضرب أحدا الا صرعته ثم اني انتبهت وأنا مذعورة باكية العين عليك فقال لها ومع ذلك رأيتني فيمن صرع قالت نعم وقد صرعك فارس عظيم قال فلطم وجهها وقال لا بشرك المسيح بخير لقد دخل رعب العرب في قلبك حتى صرت تحلمين بهم في النوم ولا بد أن أجعل لك أميرهم خادما وأجعل أصحابه رعاة الغنم والخنازير فقالت له زوجته افعل ما تريد فقد نصحتك قال فلم يلتفت الى كلامها وخرج من عندها وركب وسار معه من كان في دمشق من الروم بعدهم فاذا هم ستة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل من أهل النجدة والحمية وسار يطلب القوم وكان خالد في المقدمة وأبو عبيدة يمشي مع الاموال والاغنام والجمال اذ نظر رجل من أصحابه وهو يتأمل الغبرة من ورائهم فسأله أبو عبيدة عن ذلك فقال أظنها غبرة القوم فقال أبو عبيدة ان أهل الشام قد طمعوا فينا وهذا العدو قاصد الينا فما استتم كلامه حتى بدت الخيل كانها السيل وبولص في أوائلهم فلما نظر الى أبي عبيدة قصده ومعه الفرسان وأخوه بطرس قصد الحريم والمال فاقتطعوا منها قطعة فلما احتوى عليها رجع بها

اندليل بمصر الثاني الريان ابن الوليد وهو فرعون يوسف الثالث الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى وهو عات وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة اه وكان من جملة الفراعنة الذين ملكوا مصر سبعة من الكهان لهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الاول) اسمه صيلم وهو أول من اتخذ مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وأنثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر أحد العقابين فان

بطرس نحو دمشق فلما بعد بها جاس هناك لينظر ما يكون من أمر أخيه وأما أبو عبيدة فانه لما نظر الى ما فاجاه من الروم قال والله لقد كان الصواب مع خالد لما قال دعنى فى الساقة فلم أدعه وانه قد وصل اليه بولص وقصده والاعلام والصلبان على رأسه مشتبكة والنساء يولولن والصبيان يصيحون والالاف من المسلمين قد اشتغلوا بالقتال وقد قصد عدو الله بولص أبا عبيدة واشتد بينهم الحرب ووقع القتال من اصحابه ومن الروم وارتفعت الغبرة عليهم وهم فى كر وفر على أرض سحورا قال وقد بلى أبو عبيدة بالقتال وصبر صبر الكرام قال سهل بن صباح وكان تحتى جواد محجل من خيل اليمن شهدت عليه اليمامة فقومت السنان وأطلقت العنان فخرج كأنه الريح العاصف فما كان غير بعيد حتى لحقت بخالد بن الوليد والمسلمين فاندات اليهم صارخا وقلت ايها الامير أدرك الاموال والحريم فقال خالد ما وراءك يا ابن الصباح فقلت أيها الامير الحق أبا عبيدة والحريم فان نفير دمشق قد لحق بهم وقد قطعوا قطعة من النسوان والولدان وقد بلى أبو عبيدة بما لا طاقة له به قال فلما سمع خالد ذلك الكلام من سهيل بن صباح قال انا لله وانا اليه راجعون قد قلت لابى عبيدة دعنى أكون على الساقة فما طاوعنى ليقضى الله أمرا كان مفعولا ثم أمر رافع بن عميرة على ألف من الخيل وقال له كن فى المقدمة وأمر عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق على ألفين وقال له أدرك العدو وسار خالد فى أثره ببقية الجيش قال فبينما أبو عبيدة فى القتال مع بولص لعنه الله اذ لاحقت به جيوش المسلمين وحملوا على أعداء الله وداروا بهم من كل مكان فعند ذلك تنكست الصلبان وأيقن الروم بالهوان وتقدم الامير ضرار بن الازور كأنه شعلة نار وقصد نحو بولص فلما رآه عدو الله تبلبل خاطره ووقعت الرعدة فى فرائصه وقال لابى عبيدة يا عربى وحق دينك الا ما قلت لهذا الشيطان يبعد عنى وكان بولص قد سمع به ورآه من سور دمشق وما صنع بعسكر كلوس وعزازير وسمع بفعاله فى بيت لهيا فلما رآه مقبلا اليه عرفه فقال لابى عبيدة قل لهذا الشيطان لا يقربنى فسمعه ضرار رضى الله عنه فقال له أنا شيطان ان قصرت عن طلبك ثم انه فاجأه بطعنة فلما رأى بولص ان الطعنة واصلة اليه رمى نفسه عن جواده وطلب الهرب نحو اصحابه فسار ضرار فى طلبه وقال له اين تروح من الشيطان وهو فى طلبك ولحقه وهم ان يعلوه بسيفه فقال بولص يا بدوى ابق على فى بقائى بقاء أولادكم وامواكم قال فلما سمع ضرار قوله أمسك عن قتله وأخذه أسيرا هذا والمسلمون قد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة (قال حدثنى) أسلم بن مالك اليربوعى عن أبى رفاعة بن قيس قال كنت يوم وقعة سحورا مع المسلمين وكنت فى خيل عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال فدرنا بالروم من كل جانب وبذلنا أسيافنا فى القوم وكانوا ستة كتائب فى كل كتيبة ألف فارس قال رفاعة بن قيس فوالله لقد حملنا يوم فتح دمشق وانه ما رجع منهم فرق المائة ووجه خبر ضرار أن خولة مع النسوان المأسورات فعظم ذلك عليه وأقبل على خالد وأعلمه بذلك فقال له خالد لا تجزع فقد أسرنا منهم خلقا كثيرا وقد أسرت أنت بولص صاحبهم وسوف نخلص من أسر من حريمنا ولا بد لنا من دمشق فى طلبهم ثم أمر خالد أن يسيروا بالناس على مهل حتى ننظر ما يكون من أمر حريمنا ثم انه سار فى ألف فارس جريدة وبعث العسكر كله الى أبى عبيدة مخافة أن يلحقهم وردان بجيوشه فسار القوم وتوجه خالد بمن معه فى طلب المأسورات وقد قدم أمامه رافع بن عميرة الطائى وميسرة بن مسروق العبسى وضرار بن الازور (قال حدثنى) سعيد بن عمر عن سنان بن عامر اليربوعى قال سمعت حبيب بن مصعب يقول لما اقتطعوا من ذكرنا من نساء العرب سار بهم بطرس أخو بولص الى أن نزل بهم الى النهر الذى ذكرناه ثم قال بطرس أنا لا أبرح من ههنا حتى أنظر ما يكون من أمر أخى ثم انه عرض عليه النساء المأسورات فلم يعجبه منهن الا خولة بنت الازور وأخت ضرار قال بطرس هذه لى وانا لها لا يعارضنى فيها أحد فقال له أصحابه هى لك وأنت لها قال وكل من سبق الى واحدة يقول هى لى حتى قسموا الغنيمة على ذلك ووقفوا ينتظرون ما يكون من أمر بولص وأصحابه وكان فى النساء عجائز من حمير وتبع من نسل العمالقة والتبابعة وكن قد اعتدن ركوب الخيل وخوضات الليل والهجوم على القبائل قال فاجتمعت النساء بعضهن على بعض فقالت لهن خولة بنت الازور يا بنات حمير وبقية تبع أترضين لانفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لاهل الشرك فاين شجاعتكن وبراعتكن التى تحدث بها عنكن فى أحياء العرب ومحاضر الحضر ولا أراكن الا بمعزل عن ذلك وانى أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب ومانزل

كان الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا (الكاهن الثانى) اسمه اعشامش من أعماله العجيبة أنه عمل ميزانا فى هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتها فصوصا فاذا احضر الظالم والمظلوم أخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما فى كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم (الكاهن الثالث) عمل مرآة من المعادن ينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب منها وما أجدب وما حدث من الحوادث

بكن من خدمة الروم الكلاب فقالت عفرة بنت غفار الحميرية صدقت والله يا بنت الازور نحن فى الشجاعة كما ذكرت وفى البراعة كما وصفت لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير ان السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت واغتادهمنا العدو على حين غفلة وما نحن الا كالغنم فقالت خولة يا بنات التبابعة والعمالقة خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الاطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معرة العرب فقالت عفرة بنت غفار والله ما دعوت الا ما هو أحب الينا مما ذكرت ثم تناولت كل واحدة عمودا من أعمدة الخيام وصحن صيحة واحدة وألقت خولة على عاتقها عمود الخيمة وسعت من ورائها عفرة وام أبان بنت عتبة وسلمة بنت زارع ولبنى بنت حازم ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت النعمان ومثل هؤلاء رضى الله عنهن فقالت لهن خولة لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت واحطمن رماح القوم واكسرن سيوفهن قال فهجمت خولة أمامهن فأول ما ضربت رجلا من القوم على هامته بالعمود فتجندل صريعا والتفت الروم ينظرون ما الخبر فاذا هم بالنسوة وقد أقبلن والعمد بأيديهن فصاح بهن بطريق يا ويلكن ما هذا فقالت عفرة هذه فعالنا فلنضربن القوم بهذه الاعمدة ولابد من قطع أعماركم وانصرام آجالكم يا أهل الكفر قال فجاء بطرس وقال تفرقوا عن النسوة ولا تبذلوا فيهن السيوف ولا أحد منكم يقتل واحدة منهن وخذوهن أسارى ومن وقع منكم صاحبتى فلا ينالها بمكر وه فتفرق القوم عليهن وأحدقوا بهن من كل جانب وراموا الوصول اليهن فلم يجدوا الى ذلك سبيلا ولم تزل النساء لا يدنو اليهن أحد من الروم الاضربن قوائم فرسه فاذا تنكس عن جواده بادرت النساء بالاعمدة فيقتلنه ويأخذن سلاحه (قال الواقدى) ولقد بلغنى أن النسوة قتلن ثلاثين فارسا من الروم فلما نظر بطرس الى ذلك غضب غضبا شديدا وترجل وترجلت أصحابه نحو النساء والنساء يحرض بعضهن بعضا ويقلن متن كراما ولا تمتن لئاما وأظهر بطرس بأسه وتأسفه عند ما نظر الى فعلهن ونظر الى خولة بنت الازور وهى تجول كالاسد وتقول شعرا

نحن بنات تبع وحمير * وضربنا فى القوم ليس ينكر
لاننا فى الحرب نار تسعر * اليوم تسقون العذاب الاكبر

قال فلما سمع بطرس ذلك من قولها ورأى حسنها وجمالها قال لها يا عربية اقصرى عن فعالك فانى مكرمك بكل ما يسرك أما ترضين أن أكون أنا مولاك وأنا الذى تهابنى أهل النصرانية ولى ضياع ورساتيق وأموال ومواش ومنزلة عند الملك هرقل وجميع ما أنا فيه مردود اليك أما ترضين أن تكونى سيدة أهل دمشق فلا تقتلى نفسك فقالت له يا ملعون ويا ابن ألف ملعون والله لئن ظفرت بك لاقطعن رأسك والله ما أرضى بك أن ترعى لى الابل فكيف أرضاك أن تكون لى كفؤا قال فلما سمع كلامها حرض أصحابه على القتال وقال أترون عارا أكبر من هذا فى بلاد الشام ان النسوة غلبنكم فاتقوا غضب الملك وغضب المسيح بن مريم قال فاسترق القوم وحملوا حملة عظيمة وصبرا النساء لهم صبر الكرام فبينما هم على ذلك اذ أقبل عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه ومن معه من المسلمين ونظروا الى الغبار وبريق السيوف فقال لاصحابه من يأتينى بخبر القوم فقال رافع بن عميرة الطائى أنا آتيك به قال ثم أطلق جواده حتى أشرف على النسوة وهن يقاتلن قتال الموت قال فرجع وأخبر خالدا بما رأى فقال خالد لا أعجب من ذلك انهن من بنات العمالقة ونسل التبابعة وما بينهن وبين تبع الاقرن واحد وتبع بن بكر بن حسان الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وشهد له بالرسالة قبل أن يبعث وقال

شهدت لاحمد أنه رسول * من الله بارئ كل النسم * وأمته سميت فى الزبور
بأمة أحمد خير الامم * فلو مد عمرى الى عصره * لكنت وزيرا له وابن عم

(قال الواقدى) قال خالد لا تعجب يا رافع واعلم ان هؤلاء النسوة لهن الحروب المذكورات والمواقف المشهورات وان يكن فعلهن ما ذكرت فلقد سدن على نساء العرب الى آخر الابد وأزلن عنهن العار فتهللت وجوه الناس فرحا وثبت ضرار بن الازور وعند ما سمع كلام رافع فقال خالد مهلا يا ضرار لا تعجل فانه من تأنى نال ما تمنى فقال ضرار أيها الامير لا صبر لى عن نصرة بنت أبى وامى فقال خالد قد قرب الفرج ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا وثب

وعمل فى وسط المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كأنها ترضعه فان امرأة أصابها وجع فى جسمها ومسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة تبرأ من ساعتها (الكاهن الرابع) عمل شجرة أغصانها من حديد بخطاطيف اذا قرب منها الظالم خطفته وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلمه وعمل صنما من كذان اسود وسماه عبد زحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينتصف من نفسه ولو أقام سنين (الكاهن الخامس) عمل شجرة من

ووثبت أصحابه وقال معاشر الناس اذا وصلتم الى القوم فتفرقوا عليهم واحملوا عليهم فعسى ان نخلص حريمنا
فقاتلوا احتسابا وكرامة ثم تقدم خالد قال فبينما القوم فى قتال شديد مع الفئة واذا أشرفت عليهم المواكب والكتائب
والاعلام والرايات فصاحت خولة يا بنات التبابعة قد جاءكم الفرج ورب الكعبة ونظر بطرس الى الكتائب
المحمدية وقد أشرفت فخفق فؤادى وارتعدت فرائصى وأقبل القوم ينظر بعضهم بعضا قال فصاح بطرس
يا معاشر النسوة ان الشفقة والرحمة قد دخلت فى قلبى لان لنا أخوات وبنات وأمهات وقد وهبتكن للصليب
فاذا قدم رجالكن فاخبرنهم بذلك ثم عطف يريد العرب اذ نظر الى فارسين قد خرجا من قلب العسكر أحدهما
قد تكمى فى سلاحه والآخر عارى الجسد وقد أطلقا عنانهما كأنهما أسدان وكانا خالدا وضرارا فلما رأت خولة
أخاها قالت له الى أين يا ابن أمى أقبل فصاح بها بطرس انطلقى الى أخيك فقد وهبتك له ثم ولى يطلب الحرب
فقالت له خولة وهى تهزأ به ليس هذا من شيم الكرام تظهر لنا المحبة والقرب ثم تظهر الساعة الجفاء
والتباعد وخطت نحوه فقال قد زال عنى ما كنت أجده من محبتك فقالت له خولة لا بد لى منك على كل حال ثم
أسرعت اليه وقد قصده ضرار فقال له بطرس خذ أختك عنى فهى مباركة عليك وهى هدية منى اليك فقال له
الامير ضرار قد قبلت هديتك وشكرتك وانى لا أجد مكافأة لك على ذلك الاسنان رمحى فخذ هذه منى اليك ثم
حمل عليه ضرار وهو يقول واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ثم همهم اليه بالطعنة ووصلت اليه
خولة فضربت قوائم فرسه فكبا به الجواد ووقع عدو الله الى الارض فادركه ضرار قبل سقوطه وطعنه فى
خاصرته فاطلع السنان من الجانب الآخر فجندل صريعا الى الارض فصاح به خالد لله درك يا ضرار هذه طعنة
لا يخيب طاعنها ثم حملوا فى أعراض القوم وجميع المسلمين معهم فما كانت الا جولة جائل حتى قتل من الروم
ثلاثة آلاف رجل قال حامد بن عامر اليربوعى لقد عددت لضرار بن الازور فى ذلك اليوم ثلاثين قتيلا وقتلت
خولة خمسة وعفراء بنت غفار الحميرية أربعة قال وانهزم بقية القوم ولم يزالوا فى أدبارهم والمسلمون على أثرهم
الى أن وصلوا الى دمشق فلم يخرج اليهم أحد بل زاد فزعهم واشتد الامر عليهم ورجع المسلمون وجمعوا
الغنائم والخيل والسلاح والاموال ثم أقبل خالد ليلحقوا بأبى عبيدة لئلا يكون وردان وجيوشه قد لحقوا به فسار
ضرار والقوم وقد جعل ضرار رأس البطريق على سنان رمحه ولم يزل القوم سائرين الى أن لحقوا بأبى عبيدة
فى مرج الصفر وقد تخلف أبو عبيدة حتى أشرف المسلمون عليه فكبر وكبر خالد بن الوليد رضى الله عنه ومعه
المسلمون فلما اجتمع الناس سلم بعضهم على بعض ورأوا المأسورات وقد خلصن وأخبر خالد أبا عبيدة بما فعلت
خولة وعفرة وغيرهن من الصحابة فاستبشر بنصر الله وعلموا أن الشام لهم ثم دعا خالد برواص فقال له أسلم والا
فعلت بك كما فعلت بأخيك فقال له وما الذى صنعت بأخى قال قتلته وهذه رأسه ورماه ضرار قدامه فلما رأى
رأس أخيه بكى وقال له لا بقاء لى بعده حيا فالحقونى به قال فقام اليه المسيب بن يحيى الفزارى رضى الله عنه
فضرب عنقه بأمر خالد ثم رحل القوم (قال الواقدى) حدثنا سعيد بن مالك قال لما بعث خالد الكتب الى
شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى يزيد بن أبى سفيان والى عمرو بن العاص قرأ
كل واحد من الامراء كتابه قال فسار وا بأجمعهم الى أجنادين يلحقون اخوانهم وجاؤا بعددهم وعديدهم قال
سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت فى خيل معاذ بن جبل فلما أشرفنا بأجمعنا على أجنادين وكنا
كلنا على سيارة واحدة فى يوم واحد وذلك فى شهر صفر سنة ٢٠ من الهجرة وتبادر المسلمون يسلم بعضهم على
بعض قال ورأينا جيوش الروم فى عدد لا يحصى فلما أشرفنا عليهم أظهروا النار بينهم وعددهم واصطفوا
مواكب وكتائب ومدوا صفوفهم فكانوا ستين صفا فى كل صف ألف فارس قال الضحاك بن عروة والله لقد
دخلنا العراق ورأينا جنود كسرى فما رأينا أكثر من جنود الروم ولا أكثر من عددهم وسلاحهم قال فنزلنا
بازائهم قال فلما كان من الغد بادرت الروم نحونا قال الضحاك فلما رأيناهم وقد ركبوا أخذنا على أنفسنا
وتأهبنا وان خالدا ركب وجعل يتخلل الصفوف ويقول اعلموا أنكم لستم ترون جيشا مثل هذا اليوم فان
هزمهم الله على أيديكم فما يقوم لهم بعده قائمة أبدا فاصدقوا فى الجهاد وعليكم بنصر دينكم واياكم ان تولوا
الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار واقرنوا المواكب ومكنوا المضارب ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة وأيقظوا
هممكم (قال الواقدى) ولقد بلغنى ممن أثق به ان وردان لما رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد

نحاس فكل وحش وصل
اليه لم يستطع الحركة
حتى يؤخذ فشبعت
الناس لحما فى أيامه وعمل
على باب المدينة صنمين
صنما عن يمين الباب
وصنما عن يساره فاذا
دخل أحد فان كان من
أهل الخير ضحك الصنم
الذى عن يمين الباب وان
كان من أهل الشر بكى
الصنم الذى عن يسار
الباب (الكاهن
السادس) عمل درهما اذا
ابتاع صاحبه شيأ اشترط
على البائع أن يزن له
بزنته من النوع الذى
يشتريه فاذا وضع فى
الميزان ووضع فى
مقابلته كل ما وجد
من الصنف الذى يريد

اجتمعوا وعولوا على حربهم جمع اليه الملوك والبطارقة وقال لهم يا بنى الاصفر اعلموا ان الملك يعول عليكم واذا انكسرتم لاتقوم لكم بعده قائمة أبدا وتملك العرب بلادكم وتسبى حريمكم فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم واحدة ولاتتفرقوا واعلموا أن كل ثلاثة منا بواحد منهم واستعينوا بالصليب ينصركم فهذا ما كان من هؤلاء * وأما خالد رضى الله عنه فانه مشى على أصحابه وقال معاشر المسلمين من فيكم يحذر لنا القوم وينذرهم فقال ضرار بن الازور أنا أيها الامير فقال خالد أنت لها والله ولكن يا ضرار اذا أشرفت على القوم فاياك أن تحمل نفسك مالا تطيق وأن تغرر بنفسك وتحمل على القوم فما أمرك الله بذلك فقد قال الله تعالى ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة قال فاطلق ضرار عنان جواده حتى أشرف على جيش الروم فرأى اثاثهم وخيامهم وشعاع البيض والطوارق والرايات كاجنحة الطيور قال وكان وردان ينظر الى نحو جيش المسلمين اذ نظر الى ضرار وهو مشرف على القوم فقال للبطارقة انى أرى فارسا قد أقبل ولست أشك انه طليعة للقوم فايكم يأتينى به فانتدب من القوم ثلاثين فارسا وطلبوا ضرارا فلما نظر اليهم ضرار ولى من بين أيديهم فتبعوه وظنوا أنه قد انهزم منهم وانما أراد بذلك ان يبعدهم عن أصحابهم فلما بعدوا وعلم أنه تمكن منهم لوى رأس جواده اليهم وصوب السنان عليهم فأول ماطعن فارسا من القوم أرداه وثنى على الآخر فاعدمه الحياة وصال فيهم صولة الاسد على الغنم ودخل رعبه فى قلوبهم فولوا منهزمين فتبعهم وهو يصرع منهم فارسا بعد فارس الى أن صرع منهم تسعة عشر فارسا فلما رأوا ذلك وقرب هو من جيوش الروم لوى راجعا الى خالد ومعه أسلابهم وخيولهم وأعلمه بما كان فقال له خالد ألم أقل لك لاتغرر بنفسك ولاتحمل عليهم فقال ان القوم طلبونى فخفت أن يرانى الله منهزما فجاهدت باخلاص ولاجرم ان الله نصرنا عليهم والله لولا خوفى من ملامك لاحملن على الجميع واعلم ان القوم غنيمة لنا قال فرتب خالد عسكره ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل فى القلب معاذ بن جبل وفى الميمنة عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وفى الميسرة سعيد بن عامر وفى الجناح الايسر شرحبيل بن حسنة وفى الساقة يزيد بن أبى سفيان فى اربعة آلاف فارس حول الحريم والبنات والاولاد ثم التفت الى النسوة وهن عفراء بنت غفار الحميرية وأم أبان ابنة عتبة وكانت عروسا قد تزوج بها فى هذا اليوم أبان بن سعيد بن العاص والخضاب فى يدها والعطر فى رأسها وخولة بنت الازور ومزروعة بنت عملوق وسلمة بنت زارع وغيرهن من النسوة ممن عرفن بالشجاعة والبراعة فقال لهن خالد يا بنات العمالقة وبقية التبابعة قد فعلتن فعلا أرضيتن به الله تعالى والمسلمين وقد بقى لكن الذكر الجميل وهذه أبواب الجنة قد فتحت لكن وأبواب النار قد اغلقت عنكن وفتحت لاعدائكن واعلمن انى واثق بكن فان حملت طائفة من الروم عليكن فقاتلن عن أنفسكن وان رأيتن احدا من المسلمين قد ولى هاربا فدونكن واياه بالاعمدة وارمين بولده وقلن له الى أين تولى عن أهلك ومالك وولدك وحريمك فانكن ترضين بذلك الله تعالى فقالت عفراء بنت غفار أيها الامير والله لا يفرحنا الا أن نموت أمامك فلنضربن وجوه الروم ولنقاتلن الى أن لاتبقى لنا عين تطرف والله مانبالى اذا رمينا الروم كله قال فجزاهن خيرا ثم عاد الى الصفوف فجعل يطوف بينهم بفرسه ويحرض الناس على القتال وهو ينادى برفيع صوته يا معاشر المسلمين انصروا الله ينصركم وقاتلوا فى سبيل الله واحتسبوا نفوسكم فى سبيل الله ولاتحملوا حتى آمركم بالحملة ولتكن السهام اذا خرجت من أكباد القسى كانها من قوس واحد فاذا تلاصقت السهام رشقا كالجراد لم يخل أن يكون منها سهم صائب واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا انكم لم تلقوا بعد هذا عدوا مثله وان هذا فئة جلتهم وأبطالهم وملوكهم فجردوا السيوف وأوتروا القسى وفوقوا السهام ثم ان خالدا أقبل ووقف فى القلب مع عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة وذى الكلاع الحميرى وربيعة بن عامر ونظائرهم قال فلما نظر وردان الى جيش المسلمين قد زحف زحفوا وكانوا ملء تلك الارض فى الطول والعرض من كثرتهم فتراءى الجمعان وتلاقى الفريقان وقد أظهر أعداء الله الصلبان والاعلام ورفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فلما اقترب القوم بعضهم من بعض خرج من علوج الروم شيخ كبير وعليه قلنسوة سوداء فلما اقترب من المسلمين نادى بلسان عربى أيكم المقدم فليخاطبنى وليخرج الى وعليه أمان قال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له القس أنت أمير القوم فقال خالد كذلك يزعمون مادمت على طاعة الله وسنة رسوله وان أنا غيرت أو بدلت فلا امارة لى عليهم

شراءه لايعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية (الكاهن السابع) كان يعمل أعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس فى السحاب فى صورة انسان عظيم فأقام مدة ثم غاب فأقاموا بلا ملك الى أن رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فاعلمهم انه لايعود اليهم وان يولوا فلانا بعده * وسبب تولية الوليد بن مصعب الذى هو فرعون موسى على مصر كما أخرجه ابن عبد الحكم ان ملك مصر لما توفى تنازع الملك جماعة من أبناء الملوك ولم يكن للملك عهد لاحد ولما اشتد الامر بينهم تداعوا الى الصلح

ولا طاعة قال القس بهذا نصرتم علينا ثم قال اعلم انك توسطت بلادا ما جسر ملك من الملوك أن يتعرض لها ولا يدخلها وان الفرس دخلوها ورجعوا خائبين وان التبابعة أتوها وأفنوا أنفسهم عليها وما بلغوا ما أرادوا ولكنكم أنتم نصرتم علينا وان النصر لا يدوم لكم وصاحبي وردان قد أشفق عليكم وقد بعثني اليكم وقال انه يعطي كل واحد منكم دينارا وثوبا وعمامة ولك أنت مائة دينار ومائة ثوب ومائة عمامة وارحل عنا بجيشكم فان جيشنا على عدد الذر ولا تظن ان هؤلاء مثل من لقيت من جموعنا فان الملك ما أنفذ في هذا الجيش الا عظماء البطارقة والاساقفة قال خالد والله ما نرجع الا باحدى ثلاث خصال اما أن تدخلوا في ديننا أو تؤدوا الجزية أو القتال وأما ما ذكرت من أنكم عدد الذر فان الله تعالى قد وعدنا النصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل ذلك في كتابه العزيز وأما ما ذكرت من أن صاحبكم يعطي كل واحد منا دينارا وعمامة وثوبا فعن قريب ان شاء الله نرى ثيابكم وبلادكم وعمائمكم كل ذلك في ملكنا وبأيدينا فقال الراهب اني راجع الى صاحبي أخبره بجوابك ثم لوى راجعا وأخبر وردان بما كان من جواب خالد فقال وردان أيظن انا مثل من لقيه من قبل وانما هؤلاء لحقهم الطمع اذ تقاصرنا عن قتالهم والملك قد أرسل اليهم أكابر البطارقة وما بيننا وبينهم الا جولة الجائل ثم نزل كهم صرعى ثم رتب أصحابه وزحف وقدم أمامه الرجالة صفا أمام القوم والخيالة وبأيديهم المزاريق والقسي قال فصاح معاذ بن جبل معاشر الناس ان الجنة قد زخرفت لكم والنار قد فتحت لاعدائكم والملائكة عليكم قد أقبلت والحور العين قد تزينت للقائكم فابشروا بالجنة السرمدية ثم قرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة بارك الله فيكم احملوا فقال خالد مهلا يا معاذ حتى أوصي الناس ومشى في الصفوف ورتبها وقال اعلموا أن هؤلاء أضعافكم فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة تنزل فيها النصر واياكم أن تولوا الادبار فيراكم الله منهزمين ازحفوا على بركة الله تعالى فلما تقارب الجمعان رمت الروم سهامهم رمية واحدة قال فقتلوا رجالا وجرحوا أناسا وخالد قد منع الناس من الحملة فقال ضرار ابن الازور ما للنا والوقوف والحق سبحانه وتعالى قد تجلى علينا والله ما نظن أعداء الله الا أنا قد فشلنا عنهم وجزعنا فأمرنا بالحملة حتى نحمل معك قال فأنت لها يا ضرار فخرج ضرار بن الازور وقال والله ما من شئ أشهى الى قلبي من ذلك ثم حمل ضرار وقد تدرع بدرع كان لبطرس اخي بولص وألقى الزرد على وجهه وركب جواده وكان عليه يومئذ جبتان من جلود الفيلة كان قد أخذهما أيضا من بطرس وقد أخفى نفسه عن الروم بلباسه ذلك وقد أطلق عنانه وقوم سنانه وحمل في صفوف الروم فرشقوه بالسهام فلم يصل اليه منهم أذى وهو يخترق صفوفهم فما كان قدر ساعة حتى قتل من الروم عشرين فارسا ومثلها رجالة قال عثمان بن عوف النجبي كنت ممن يعد قتلى ضرار بن الازور وكنت كلما قتل فارسا من الروم أعده فكان جملة من قتل ضرار في حملته هذه فرسانا ورجالا ثلاثين فارسا (قال عمر بن سالم) هكذا حدثني نوفل بن زياد ثم انه رمى البيضة عن رأسه والزرد عن وجهه ونادى بأعلى صوته أنا الموت الاصفر أنا ضرار بن الازور أنا صاحبكم أنا قاتل همدان بن وردان أنا البلاء المسلط عليكم وعلى من أشرك بالرحمن قال فلما سمعت الروم كلامه عرفوه وتقهقروا الى ورائهم قال فطمع فيهم وحمل على اثرهم فعند ذلك انطبقت عليه الروم فقال وردان من هذا البدوي فقالوا أيها الملك هذا الذي بقي طول عمره عاري الجسد ومرة برمح ومرة بنبل فلما سمع ذلك وبذكر ضرار بن الازور وتنفس الصعداء وقال هذا قاتل ولدي واقد اشتهيت من يأخذ منه بثاري وله مني ما يريد قال فبرز اليه بطريق وكان صاحب طبرية وقال لوردان أنا آخذ لك بالثار ثم لوى عنانه وحمل على ضرار فما لا أكثر من ساعة ثم طعنه ضرار طعنة صادقة خرق بها كبده وقلبه فتجندل صريعا فقال وردان لهم ما أتى به ولو أتى به عيانا ما صدقته فان هذا لا تطيق الانس أن تقاتله وأنا ما أرى لهذا غيري ثم ترجل وغير لامته وألقى عليه درعا وحمل على رأسه التاج وركب جوادا من الخيول العربية فرهم أن يخرج الى ضرار بن الازور وتقدم اليه بطريق اسمه اصطفان وهو صاحب عمان قال وباس ركاب وردان وقال أيها السيد ان أخذت بثارك عن هذا الذميم أو أسرته لك أتزوجني ابنتك فقال له وردان هي لك وأشهد عليه من حضر من ملوك الشام فلما سمع اصطفان بذلك خرج كانه شعلة نار وحمل على ضرار وقال له ويلك قد نزل بك ما لا قدرة لك به قال فلم يدر ضرار ما يقول غير انه أخذ حذره منه وقد أخرج اصطفان صليبا من الذهب وجعله في عنقه في

فاصطلحوا على ان يحكم بينهم أول من يطلع من سفح الجبل فطلع فرعون بين عدلي نطرون على حمار أقبل بهما اليهم فاستوقفوه وقالوا انا جعلناك حكما بيننا فيما تشاجرنا فيه من الملك وآتوه مواثيقهم على الرضا فلما استوثق منهم قال اني رأيت ان أملك نفسي عليكم فهو أذهب لضغائنكم وأجمع لاموركم والامر من بعدي اليكم فأمروه عليهم وأقعدوه في دار الملك عنف فارسل الى صاحب أمر كل رجل منهم فوعده ومناه أن يملكه على ملك صاحبه ليلة يقتل فيها

سلسلة من الفضة وجعل يقبله ويرفعه على رأسه فعلم ضرار انه يستنصر به عليه فقال ضرار رضى الله عنه ان
كنت تستنصر على به فأنا أستنصر عليك بالقريب المجيب الذى هو ممن دعاه قريب ثم حمل عليه وأرى الناس
أبوابا من الحرب حتى ضج الناس من قتالهما فصاح خالد يا ابن الازور ما هذا التكاسل والتغافل والجنة قد
فتحت لك والنار قد فتحت لأعدائك واياك والكسل فان الله عز وجل يعينك قال فأيقظ ضرار نفسه وانقض
من سرجه وحمل على خصمه وتصايحت الروم بصاحبها تشجعه وكلاهما فى ضرب عظيم وقد حميت الشمس
وتعب الجوادان فأشار البطريق الى ضرار أن ترجل حتى نتقاتل ففهم ضرار أن يترجل شفقة على الجواد واذا
بصفوف الروم قد خرجت ورجل يقود جنيبا أمامهم وكان ذلك غلام البطريق فلما نظر اليه ضرار صاح فى
جواده وقال له تجالد معى ساعة والا شكوتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحمحم الجواد وشمر أجنحته
جر باواسة حمل ضرار غلام البطريق بطعنة فقتله وأخذ الجنيب فركبه وأطلق جواده نحو عساكر المسلمين
فتناولوه وعاد ضرار نحو البطريق فلما رآه أقبل اليه بعدما قتل غلامه وركب جواده فأيقن عدو الله بالهلاك
وعلم أنه ان ولى قتله بلا محالة وان وقف أهلكه فلما نظر ضرار الى عدو الله علم ما عنده فهجم عليه اذ نظر الى
الروم وقد خرج منهم كردوس وذلك أن وردان لما نظر الى صاحبه وقد أشرف على الموت علم أنه ان لم يدركه
هلك فقال لقومه يا قوم ان هذا الشيطان قد أكل من كبدى قطعة واذا لم أقتله قتلت نفسى ولابد لى من الخروج
اليه قال فخرج فى عشرة من البطارقة وهم مدرعون وفى أرجلهم أخفاف من الحديد وسواعد من الحديد
وبأيديهم أعمدة من الحديد ووردان قد لبس لامته وعلى رأسه تاج عظيم فخرجوا ووردان أمامهم كأنه شعلة
نار ونظر اصطفان الى من خرج فصاح بضرار فلم يلتفت الى من خرج اليه الا أنه تأهب فبينما هم كذلك اذ
نظر خالد الى القوم وخروجهم ونظر الى التاج وهو يلمع على رأس صاحبهم فقال ان التاج لا يكون الا على رأس
الملك ولا شك انه صاحب القوم وقد خرج الى صاحبنا فما الذى يقعدنا عن نصرته ثم قال لأصحابه لا يخرج الا
عشرة حتى نساوى القوم فخرج خالد فى عشرة من أصحابه وأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة قال ووصل الروم
الى ضرار فاستقبلهم بقلب أقوى من الحجر الجلمد قال فناداه خالد أبشر يا ضرار فقد أسعدك الجبار ولا تجزع
من الكفار فقال ضرار رضى الله عنه ما أقرب النصر من الله وجاء خالد ومن معه والتقت الرجال بالرجال
وانفرد كل واحد بصاحبه وطلب خالد وردان ولم يبرح ضرار عن خصمه اصطفان وقد كل ساعده وارتعدت
فرائصه عندما نظر الى خالد ومن معه فنظر يمينا وشمالا يطلب الهرب فعلم ضرار منه ذلك فهجم عليه بسنانه
فلما أيقن بالموت ألقى نفسه الى الارض وولى هاربا فبادر اليه ضرار وألقى نفسه عن جواده وطلب عدو الله
حتى لحقه وتقابضا على وجه الارض وكان عدو الله كالصخر الجلمود وكان ضرار نحيف الجسم غير أن
الله تعالى أعطاه قوة الايمان فلما طال بهم العراك ضرب بيده الى مراق بطنه وقلعه من الارض وحمله
وجلد به الارض فصاح عدو الله وجعل يستنجد بوردان وقال بالرومية أيها السيد أنجدنى مما أنا فيه فقد
هلكت فصاح وردان يا ويلك ومن ينقذنى أنا من هؤلاء السباع الكاسرة فسمع خالد ذلك فطمع فيه وحمل
وردان وهم ضرار بخصمه ونظر اليهما الفريقان وأقبل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار فلم يمهل على
خصمه دون أن برك على صدره وذبحه مثل البعير وكل مشتغل عن نصرة صاحبه قال فأخذ ضرار رأس عدو
الله وهو ملطخ بالدماء وركب جواده وحملت الروم على المسلمين ونادى سعيد بن زيد يا معشر الناس اذكروا
الوقوف بين يدى الله الملك الجبار فاياكم ان تولوا الادبار فتستوجبوا دخول النار يا أهل الايمان يا حملة القرآن
اصبروا قال فزاد الناس بقوله نشاطا وتزاحم الفريقان قال وجاء وقت العصر فافترقوا وقد قتل
من الروم ثلاثة آلاف وعشرة من ملوكهم ومنهم رومان صاحب الامير ودمر صاحب نوى وكوكب صاحب
أرض البلقاء ولاوى بن حنا صاحب غزة قال ثم افترق القوم ورجع وردان الى مكانه وقد امتلأ قلبه رعبا
مما ظهر له من المسلمين من شدة صبرهم وقتالهم فجمع البطارقة وقال يا أهل دين النصرانية ما تقولون
فى هؤلاء العرب فانى أراهم غالبين علينا وقد رأيت أسيافهم قاطعة وخيلهم صابرة وسواعدكم بليدة وان القوم
أطوع منكم لربهم وما خذلتم الا بالظلم والجور والغدر وما مرادى منكم الان تتوبوا الى ربكم فان فعلتم
ذلك ترجون لكم النصر من عدوكم وان لم تفعلوا ذلك فأذنوا بحرب من المسيح وبهلاك أنفسكم فان الله عاقبكم

كل رجل منهم صاحبه
ففعلوا ودان له أولئك
بالربوبية فملكهم نحوا من
خمسمائة سنة وقيل
أربعمائة لم يصدع له رأس
وكان ملكه ما بين مصر
الى افريقية من بلاد
المغرب وقيل كان عطارا
باصبهان فافلس وركبته
الديون فخرج هاربا الى
الشام فلم يستقم حاله فجاء
الى مصر فرأى ملكها
مشتغلا بلهوه فتوصل اليه
بحيلة وخرج الى المقابر
وسمى نفسه عامل الاموات
وصار يأخذ من كل ميت
جعلا حتى بلغ الملك خبره
فاحضره وكلمه وأعجبه عقله
ورتبه فاستوزره ثم

أشد عقوبة اذا سلط عليكم أقوام الا نفكر بهم ولا نعدهم لان أكثرهم جياع وعبيد وعراة ومساكين أخرجهم الينا قحط الحجاز وجوعه وشدة الضرر والبلاء والآن قد أكلوا من خبز بلادنا وفواكه أرضنا وأكلوا العسل والتين والعنب وأعظم ذلك سبى نسائكم وأموالكم (قال الواقدى) فلما سمع القوم ذلك بكوا وقالوا انقتل عن آخرنا ولا يصل الينا هؤلاء القوم وانا نرى أن نقاتلهم بالرماح قال فلما سمع وردان ذلك منهم صاح بالبطارقة وقال لهم ما عندكم من الرأى فقال رجل منهم يا وردان اعلم انك قد بليت بقوم لا تقوم لقتالهم وقد رأيت الواحد منهم يحمل على عسكرنا ولا يبالى من أحد ولا يرجع حتى يقتل منهم وقد قال لهم نبيهم ان من قتل منكم صار الى الجنة ومن قتل من الروم صار الى النار والموت والحياة عندهم سواء وما أرى لكم من القوم مطمعا الا أن تحيل على صاحبهم فتقتله فان قتلتموه تنهزم القوم وانك لا تصل اليه الا بحيلة توقعه فيها فقال وردان وأى حيلة ندخل بها على القوم والحيل والخداع والمكر منهم فقال له البطريق أنا أقول لك شيأ ان صنعته وصلت به الى أمير العرب من حيث لا يصل اليك شئ ولا أذى وذلك أنك تنتخب عشرة من الفرسان من ذوى الشدة والبأس ويكمنون فى مكمن من جهة العسكر قبل خروجك اليه وبعد ذلك تخرج اليه وتشاغله بالحديث ثم اهجم عليه وأخرج قومك يبادروا اليك من المكمن ويقطعونه اربا اربا وتستريح منه وبعد ذلك تتفرق أصحابه ولا يجتمع منهم أحد قال فلما سمع وردان ذلك من البطريق فرح فرحا عظيما وقال ما هذا الا رأى سديد فنعم ما أشرت به وقد أصبت فيما ذكرت غير أن هذا الامر يعمل فى جنح الليل ولا يأتى الصباح الا وقد فرغنا مما نريد ثم ان وردان دعا برجل من العرب المتنصرة اسمه داود وكان فى سكنه وقال له يا داود أنا أعلم أنك فصيح اللسان وانى أريد أن تخرج الى هؤلاء العرب وتسألهم أن يقطعوا الحرب بيننا وبينهم وقل لهم لا يخرجون لنا بكرة النهار حتى أخرج بنفسى اليهم منفردا عن قومى لعلنا نصطلح مع العرب فقال داود ويحك وتخالف أمر الملك هرقل فيما أمرك به من الحرب وتصطلح انت والعرب فان الملك ينسبك الى الجزع والفزع وما كنت بالذى أخاطب العرب فى ذلك أبدا فيبلغ الملك انى كنت السبب فى ذلك فيقتلنى فقال له وردان يا ويلك انما دبرت حيلة على أمير العرب حتى أصل اليه بها فاقتله وتتفرق هؤلاء العرب عنا ثم انه حدثه بما عزم عليه من المكر بخالد بن الوليد فقال لوردان ان الباغى مخذول فى كل فعل فالق الجمع بالجمع واترك ما عزمت عليه فقال وردان وقد غضب ويلك أنت تعاندنى فيما أمرتك به دع عنك المحاججة فقال حبا وكرامة ثم انه مضى وقال فى نفسه ان وردان قد عزم ان يلحق بولده ثم أقبل حتى انه وقف قريبا من المسلمين ونادى برفيع صوته وقال يا معاشر العرب حسبكم من القتل وسفك الدماء فان الله تعالى يسألكم عن سفكها وأريد أن يخرج الى أمير العرب حتى أخاطبه بما أرسلت به قال فما استتم كلامه حتى خرج اليه خالد رضى الله عنه وهو كأنه شعلة نار فلما نظر اليه داود النصرانى قال له يا عربى على رسلك فما خرجت أحارب ولا أنا من رجال الحرب وما أنا الا رسول فلما سمع خالد مقالته قرب منه وقال اذكر رسالتك واستعمل الصدق تنج فمن صدق نجا ومن كذب هلك فقال صدقت يا عربى ان أميرنا وردان كاره سفك الدماء وقد رأى شدتكم ولا يريد حربكم وقد نظر الى من قتل من جماعته فكره أن يحاربكم وقد رأى أن يدفع لكم مالا ويحقن به دماء الناس لكن بشرط أن يكون بينك وبينه كتاب وتشهد عليك كبراء قومك أنك لا تتعرض له ولا لاحد من أصحابه ولا لحصن من حصونه فان فعلت ذلك وثق بقولك وهو يسألك أن تقطع الحرب بقية يومك فاذا أصبحت فاخرج بنفسك ولا يكن معك أحد ويخرج هو أيضا منفردا فتنظران ما تتفقان عليه عسى أن تحقنا دماء الناس بيننا وبينكم قال فلما سمع خالد ما نطق به داود قال له ان كان ما أخبر به صاحبكم يريد به حيلة أو مكيدة فنحن والله جرثومة الخداع وما مثلنا يأتى بحيلة ولا بخديعة فان كان ذلك ضميره واعتقاده فما هو الاقرب أجله وانقطاع عمره وهلاك جموعكم والانفصال بيننا وبينكم وان كان ذلك حقا من قوله فلست أصالحه الا اذا أدى الجزية عن جماعته وأما المال فلست براغب فيه الا على ما ذكرته لكم وعن قريب نأخذ أموالكم وغلال بلادكم فقال داود وقد عظم عليه كلام خالد ما يكون الامر الا كما ذكرت فاذا توافقتم ن الانفصال بينكم ها أنا راجع فاذكر له ما ذكرت ثم لوى راجعا وقدامته لا قلبه رعبا من خالد وفزع منه فزعا شديدا ثم قال فى نفسه صدق والله أمير العرب وأنا أعلم والله ان وردان أول مقتول ونحن من بعده ومالى الان أصدق

قتل الوزير فصار له فى الناس سيرة حسنة وكان عدلا شجاعا يقضى بالحق ولو على نفسه فأحبه الناس لكثرة عدله فتوفى الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قروز وهو باق فطر وتجبر وبغى فقال أنا ربكم الأعلى فاستخف قومه فأطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون جحدك مائتى سنة فكيف أمهلته فأوحى الله تعالى اليه انه عمر بلادى وأحسن الى عبادى ومن جملة احسانه ان هامان وزيره لما ابتدأ حفر خليج سردوس أتاه

أمير العرب وآخذ لي ولأهلي منه أمانا ثم رجع الى خالد وقال له يا أمير اني قد أضمرت على سر وأريد أن أبديه
لك لاني أعلم أن البلاد لكم وان وردان قد نوى على شيء فقال خالد وما هو فقال خذ لنفسك الحذر وكن مستيقظا
فانه قد أضمر لك كيدا ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها ثم قال خالد أريد منك الامان لي ولأهلي فقال خالد
الامان لك ولأهلك ولأولادك ان أنت لم تخبر القوم ولم تغدر قال داود لو أردت أن أغدر لما حدثتك فقال خالد
وأين كمين القوم قال عند كثيب عن يمين عسكرهم ثم انه خلاه ورجع وأعلم وردان ففرح وقال الآن أرجو
أن يظفرني الصليب بهم ثم انه دعا بعشرة من الابطال وقال لهم امضوا رجالة واكمنوا وأمرهم أن يفعلوا ما دبروه
وأما خالد فانه رجع فلقيه أمين الامة أبو عبيدة فرآه ضاحكا فقال يا أبا سليمان أضحك الله سنك ما الخبر فحدثه
بما جرى فقال أبو عبيدة على ماذا عزمت قال عزمت أن أخرج الى القوم وحدي فقال يا أبا سليمان لعمرك
انك الكفء ولكن ما أمرك الله أن تلقي بنفسك الى التهلكة والله تعالى يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقد أعد لك عشرة وهو حادي عشر وما آمن عليك من اللعين
ولكن انتدب له رجالة كما ندب لك رجالة ويكمنون قريبا من القوم فاذا صرخ اللعين بقومه فاصرخ أنت بقومك
ونكون نحن متأهبين على خيولنا فاذا فرغت من عدو الله حملنا جميعا ونرجو من الله النصر ثم قال والمسلمون
هم رافع بن عميرة الطائي ومعاذ بن جبل وضرار بن الازور وسعيد بن زيد وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق
العبسي وعدي بن حاتم حتى استتم العشرة وأخبرهم خالد بما قد عزم عليه الروم من الحيلة والمكيدة التي قد
دبرها وردان وقال اخرجوا رجالة بحيث لا يدري بكم أحد حتى انكم تأتون الكثيب الذي عن يمين العسكر
فاكمنوا هنالك فاذا صرخت بكم فبادروا وانفروا الى القوم كل واحد لواحد ولا تتركوني لعدو الله فاني ان شاء الله
تعالى كفء له فقال ضرار أيها الامير أخاف ان يكثر عليك الجمع الكثير فلا نأمن أن يصلوا بشرهم اليك وقد
كنت أدبر لك حيلة انا نسير من وقتنا هذا الى مكمن القوم فاذا وجدناهم رقودا قتلناهم وفرغنا منهم قبل
الصباح ونكمن نحن في مواضعهم فاذا خلوت أنت بعدو الله خرجنا عليكم بغير مقالة فقال خالد افعل يا أبا
الازور ما ذكرت ان وجدت الى ذلك سبيلا وخذ معك هؤلاء الذين ندبتهم وأنت الامير عليهم وأرجو ان الله
يبلغك ما تطلبه فان فعلت ذلك فهي الفرحة الكاملة فقال ضرار أرجو من الله الوصول اليهم وخرج هو
وأصحابه في جنح الليل رجالة وفي أيديهم أسلحتهم وودعوا الناس وكان وقت خروجهم قد مضى ثلث الليل ثم
سار ضرار حتى وصل الكثيب فأوقف أصحابه وقال على رسلكم حتى أستخبر لكم خبر القوم فلما أشرف عليهم من
بعيد سمع غطيطهم وهم نيام سكرى وقد غرقوا في النوم لما نالهم من التعب والنصب وأمنوا من أحد ينظرهم
فقال ضرار في نفسه ان أنا دنوت من القوم لاقتلهم خشية أن يوقظ بعضهم بعضا قال فرجع الى أصحابه وقال
لهم أبشروا فقد أتاكم الله بما تريدون وأذهب عنكم ما تحذرون تجردوا سيوفكم وسيروا الى القوم فاقتلوهم
كيف شئتم ثم تقدم ضرار أمامهم وهم في أثره الى أن وصل بهم اليهم فوجدوهم نياما كل واحد منهم سلاحه عند
رأسه فانفرد كل واحد منهم بواحد فلم يلبثوا الا وقد فرغوا منهم عن آخرهم وأخذ كل واحد سلاح غريمه
وأخذوا كل ما معهم من الزاد وغيره فقال لهم ضرار أبشروا فان هذا أول النصر ان شاء الله تعالى وأقبلوا بقية
ليلتهم يصلون ويدعون الله أن ينصرهم على عدوهم ولم يزل كل واحد منهم في مصلاه الى ان أضاء الفجر فصلوا
صلاة الفجر فلما فرغوا من الصلاة لبس كل واحد ثياب غريمه ولباسه وغيبوا القتلى مخافة أن يرسل اليهم وردان
(قال الواقدي) فلما أصبح الصباح صلى خالد بالناس ورتب أصحابه لأهبة الحرب فبينما هم كذلك
اذ خرج من القلب فارس وقال يا معاشر العرب أريد أميركم ليخرج الى صاحبنا وردان لننظر ما يتفقان عليه
من أمر الجيشين وحقن الدماء بينهما قال فخرج اليه خالد بن الوليد فقال له الفارس ان وردان يريد أن تنتظره
حتى تتكلم معه فقال خالد السمع والطاعة ارجع وأخبره فعند ذلك خرج وردان وقد تزين بقلادة جوهر
وعلى رأسه تاج فقال خالد عندما رآه هذه غنيمة للمسلمين ان شاء الله تعالى قال فلما نظر عدو الله الى خالد ترجل
عن جواده وكذلك خالد وجلس كلاهما وقد جعل عدو الله سيفه على فخذه فقال له خالد قل ما تشاء واستعمل
الصدق والزم طريق الحق واعلم انك جالس بين يدي رجل لا يعرف الحيل فقال ما تريد فقال وردان يا خالد
اذكر لي ما الذي تريدون وقرب الامر بيني وبينكم فان كنت تطلب منا شيأ فلا نبخل به عليك صدقة منا

أهل قرية يسألونه أن
يخرج الخليج اليهم تحت
قريتهم ويعطونه مالا
فاجتمع له من ذلك مائة
ألف دينار ولا يعلم بمصر
خليج أكثر عطوفا منه الا
أهل هامان بحفره ولما
أخبر فرعون بما أخذه
من الاموال قال له ويحك
ينبغي للسيد أن يعطف
على عبيده ويفيض عليهم
ولا يرغب فيما بأيديهم رد
على أهل كل قرية
ما أخذت منهم فرده
كله على أهله وكان خراج
مصر في زمنه في كل سنة
اثنين وسبعين ألف ألف
دينار أخذ فرعون
من ذلك الربع خالصا
لنفسه يصنع فيه

عليكم لانه ليس عندنا أمة أضعف منكم وقد علمنا انكم كنتم فى بلاد قحط وجوع تموتون جوعا فاقنع منا بالقليل وارحل عنا فلما سمع منه خالد هذا الكلام قال له يا كلب النصرانية ان الله عز وجل أغنانا عن صدقاتكم وأموالكم وجعل أموالكم نتقاسمها بيننا وأحل لنا نساءكم وأولادكم الا ان تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله وان أبيتم فالحرب بيننا وبينكم أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون والله ينصر من يشاء منا ومنكم ومالكم عندنا الا السيف ان أبيتم الاسلام وبالله أقسم ان الحرب أشهى لنا من الصلح وأما قولك يا عدو الله لم تكن أمة أضعف منا عندكم فانتم عندنا بمنزلة الكلاب وان الواحد منا يلقى ألفا منكم بعون الله تعالى وما هذا خطاب من يطلب الصلح فان كنت ترجو ان تصل الى بانفرادى عن قومى وقومك فدونك وما تريد قال فلما سمع وردان مقالات خالد وثب من مكانه من غير أن يجرد سيفه وتشابكا وتقابضا وتعانقا قال فصاح عدو الله عند ما وثق من خالد وقال لأصحابه بادروا الان الصليب قد مكننى من أمير العرب قال فما استتم كلامه حتى بادر اليه الصحابة كانهم عقبان ومقدمهم ضرار بن الازور وقد رموا النشاب عنهم وجردوا سيوفهم وضرار عارى الجسد بسراويله قابض على سيفه وهو يزأر كالاسد وأصحابه من ورائه فالتفت عدو الله ونظر الى القوم وهم يتسابقون اليه وهو يظن أنهم قومه حتى انهم وصلوا اليه ونظر فى أوائلهم ضرار بن الازور فقال لخالد أسألك بحق معبودك أن تقتلنى أنت بيدك ولا تدع هذا الشيطان يقتلنى فقال خالد هو قاتلك لا محالة فهز ضرار سيفه وقال يا عدو الله اين خديعتك من خديعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد صبرا يا ضرار حتى آمرك بقتله ثم وصل اليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزوا سيوفهم فى وجهه ومرادهم أن يقتلوه ونظر عدو الله الى ما دهمه فوقع على الارض وهو يشير باصبعه الامان الامان فقال خالد يا عدو الله لا نعطى الأمان الا لأهل الامان وأنت أظهرت لنا المكر والخديعة والله خير الماكرين فلما سمع ضرار كلام خالد لم يمهله دون أن ضربه على عاتقه فخرج السيف يلمع من علائقه ثم أخذ التاج من على رأسه وقال من سبق الى شئ كان أولى به وقد أدركته سيوف المجاهدين فقطعوه اربا اربا وتبادروا الى سيفه فأخذوه ثم ان خالدا قال لاصحابه انى أريد أن تحملوا على الروم لانهم مشتاقون الى أصحابهم قال فأخذوا رأس عدو الله وردان وتوجهوا نحو عسكر الروم فلما وصل خالد الصفوف نادى يا أعداء الله هذا رأس صاحبكم وردان أنا خالد ابن الوليد أنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه رمى الرأس وحمل عليهم وحمل المسلمون وحمل أبو عبيدة وقال احملوا يا أهل القرآن وحفاظ الدين وحماة المسلمين فلما رأى الروم رأس وردان ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولم يزل السيف يعمل فيهم من وقت الصباح الى الغروب قال عامر بن الطفيل الدوسى كنت مع أبى عبيدة ونحن نتبع المنهزمين الى طريق غزة اذ أشرف علينا خيل فظننا انها نجدة من عند الملك هرقل فأخذنا على أنفسنا واذا بالغبرة قد قربت منا فاذا هى عسكر قد أرسلها أبو بكر الصديق وما رأوا أحدا من المنهزمين الا قتلوه ونهبوا جميع ما معه (قال الواقدى) وكان الروم باجنادين تسعين ألفا فقتل منهم فى ذلك اليوم خمسون ألفا وتفرق من بقى منهم فمنهم من انهزم الى دمشق ومنهم من انهزم الى قيسارية وغنم المسلمون منهم غنيمة لم يغنم مثلها وأخذوا منهم صلبان الذهب والفضة فجمع خالد ذلك كله مع تاج وردان الى وقت القسمة وقال خالد لست أقسم عليكم شيأ الا بعد فتح دمشق ان شاء الله تعالى وكانت الوقعة باجنادين ليلة ست خلت من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية وذلك قبل وفاة أبى بكر بثلاث وعشرين ليلة ثم ان خالدا رضى الله عنه كتب كتابا الى أبى بكر يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد المخزومى الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك أما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأزيد حمدا وشكرا على المسلمين ودمارا على المتكبرين المشركين وانصداع بيعتهم وانا لقينا جموعهم باجنادين وقد رفعوا صلبانهم وتقاسموا بدينهم أن لا يفروا ولا ينهزموا فخرجنا اليهم واستعنا بالله عز وجل متوكلين على الله خالقنا ورزقنا الله الصبر والنصر وكتب الله على أعدائنا القهر فقاتلناهم فى كل واد وسبسب وجملة من أحصيناهم ممن قتل من المشركين خمسون ألفا وقتل من المسلمين فى اليوم الاول والثانى أربعمائة وخمسون رجلا ختم الله لهم بالشهادة منهم عشرون رجلا من الانصار ومن أهل مكة ثلاثون رجلا ومن حمير عشرون والباقى من اخلاط الناس ويوم كتبت لك الكتاب كان يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة

ما يريد والربع الثانى لجنده وما يتقوى به على محاربه وجباية خراجه ودفع عدوه والربع الثالث فى مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسور وخلج وقناطر ولقوة المزارعين على زروعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يدفن فى الارض فيؤخذ ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك فيها لنائبة تنزل أو جائحة تطرأ لاهل القرية وهذا الربع الذى يدفن فى كل قرية هو كنوز فرعون التى يتحدث الناس انها ستظهر فيطلبها من يتتبع الكنوز وكان

ونحن راجعون الى دمشق ان شاء الله تعالى فادع لنا بالنصر والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الرحمن بن حميد وامره بالمسير الى المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام وسار خالد بالمسلمين طالب دمشق (قال الواقدى) رحمة الله عليه واقد بلغني ان أبا بكر الصديق كان يخرج كل يوم بعد صلاة الفجر اذ أقبل عبد الرحمن بن حميد فلما رآه تسابقت اليه أصحابه وقالوا له من أين أقبلت قال من الشام وان الله قد نصر المسلمين فسجد أبو بكر الصديق لله شكرا وأقبل عبد الرحمن بن حميد الى أبي بكر وقال يا خليفة رسول الله ارفع رأسك فقد أقر الله عينك بالمسلمين فرفع أبو بكر رأسه وقرأ الكتاب سرا فلما فهم ما فيه قرأه على المسلمين جهرا فتزاحم الناس يسمعون قراءة الكتاب فشاع الخبر في المدينة فهرعت الناس من كل مكان فقرأه أبو بكر ثاني مرة وتسامع الناس من أهل مكة والحجاز واليمن بما فتح الله على أيدي المسلمين وما ملكوا من أموال الروم فتسابقوا بالخروج الى الشام ورغبوا في الثواب والاجر وأقبل الى المدينة من أهل مكة وأكابرهم بالخيل والرماح وفي أوائلهم أبو سفيان والغيداق بن وائل وأقبلوا يستأذنون أبا بكر في الخروج الى الشام فكره عمر بن الخطاب خروجهم الى الشام وقال لابي بكر لا تأذن للقوم فان في قلوبهم حقائد وضغائن والحمد لله الذي كانت كلمته هي العليا وكلمتهم هي السفلى وهم على كفرهم وأرادوا أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ونحن مع ذلك نقول ليس مع الله غالب فلما أن أعز الله ديننا ونصر شريعتنا أسلموا خوفا من السيف فلما سمعوا أن جند الله قد نصروا على الروم أتونا لنبعث بهم الى الاعداء ليقاسموا السابقين الاولين والصواب أن لا تقربهم فقال أبو بكر لا أخالف لك قولا ولا أعصى لك أمرا فلما بلغ أهل مكة ما تكلم به عمر بن الخطاب فأقبلوا بجمعهم الى أبي بكر الصديق في المسجد فوجدوا حوله جماعة من المسلمين وهم يتذاكرون ما فتح الله على المسلمين وعمر بن الخطاب عن يساره وعلي بن أبي طالب عن يمينه والناس حوله فاقبلت قريش الى أبي بكر فسلموا عليه وجلسوا بين يديه وتشاوروا فيمن يكون أولهم كلاما فكان أول من تكلم أبو سفيان بن حرب فاقبل على عمر بن الخطاب وقال يا عمر كنت لنا مبغضا في الجاهلية فلما هدانا الله تعالى الى الاسلام هدمنا ما كان لك في قلوبنا لان الايمان يهدم الشرك وأنت بعد اليوم تبغضنا فما هذه العداوة يا ابن الخطاب قديما وحديثا أما آن لك أن تغسل ما بقلبك من الحقد والتنافر وانا لنعلم انك أفضل منا وأسبق في الايمان والجهاد ونحن عارفون بمرتبتكم غير منكرين قال فسكت عمر رضي الله عنه واستحى من هذا الكلام فقال أبو سفيان انى أشهدكم انى قد حبست نفسي في سبيل الله وكذلك تكلم سادات مكة فقال أبو بكر اللهم بلغهم أفضل ما يؤملون واجزهم بأحسن ما يعملون وارزقهم النصر على عدوهم ولا تمكن عدوهم منهم انك على كل شئ قدير (قال الواقدى) فأقمت أياما قلائل حتى جاء جمع من اليمن وعليهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي رضي الله عنه يريد الشام فما لبثوا حتى أقبل مالك بن الاشتر النخعي رضي الله عنه فنزل عند الامام علي رضي الله عنه بأهله وكان مالك يحب سيدنا عليا وقد شهد معه الوقائع وخاض المعامع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عزم على الخروج مع الناس الى الشام (قال الواقدى) واجتمع بالمدينة نحو من تسعة آلاف فلما تم أمرهم كتب أبو بكر كتابا الى خالد بن الوليد يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله الى خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأوصيكم وآمركم بتقوى الله في السر والعلانية وقد فرحت بما أفاء الله على المسلمين من النصر وهلاك الكافرين وأخبرك أن تنزل الى دمشق الى أن يأذن الله بفتحها على يدك فاذا تم لك ذلك فسر الى حمص وانطاكية والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته وقد تقدم اليك أبطال اليمن وأبطال مكة ويكفيك ابن معد يكرب الزبيدي ومالك بن الاشتر وانزل على المدينة العظمى انطاكية فان بها الملك هرقل فان صالحك فصالحه وان حاربك فحاربه ولا تدخل الدروب وأقول قولي هذا وان الاجل قد قرب ثم كتب كل نفس ذائقة الموت ثم ختم الكتاب وطواه ودفعه الى عبد الرحمن وقال له أنت كنت الرسول من الشام وأنت ترد الجواب فأخذه عبد الرحمن وسار على مطيته يطوي المنازل والمناهل الى ان وصل الى دمشق (قال حدثني) نافع بن عميرة قال لما بعث خالد بن الوليد الكتاب الى أبي بكر الصديق ارتحل يريد دمشق وكان أهلها قد سمعوا بقتل بطريقهم وأبطالهم وانهزام جيوشهم ومن أرسلهم الملك بأجنادين فخافوا وتحصنوا بدمشق

فرعون اذا أكمل الزرع في كل سنة يرسل مع قائدين من قواده أردب قمح فيذهب أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائدان في كل قرية فان وجد أحد القائدين موضعا بائرا قد أغفل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه باسم العامل على تلك الجهة فاذا بلغ فرعون ذلك أمر بضرب عنق ذلك العامل وأخذ ماله فربما رجع القائدان ولم يجدا موضعا لبذر الاردب لتكامل العمارة واستظهار الزراع ولما أراد الله هلاك فرعون خرج في طلب

وأعدوا آلة الحصار ورفعوا السيوف والطوارق وعلوا على الاسوار ونشروا الاعلام والصلبان فلما أخذوا على أنفسهم أشرف عليهم الامير خالد بن الوليد والجيش قد زاد عمرو بن العاص في تسعة آلاف ويزيد بن أبي سفيان في ألفين وشرحبيل بن حسنة وعامر بن ربيعة في ألفين وأقبل السواد من وراءهم معاذ بن جبل في ألفين فلما رأى أهل دمشق عسكر المسلمين مثل البحر الزاخر أيقنوا بالهلاك وأقبل خالد في جيش الزحف فنزل على الدير المعروف به وبينه وبين المدينة أقل من ميل فلما نزل هناك دعا بالامراء فأحضرهم فقال لابي عبيدة أنت تعلم ما ظهر لنا من غدر هؤلاء القوم عند انصرافنا عنهم وخروجهم في أثرنا فامض بمن معك من أصحابك وانزل بهم على باب الجابية ولا تسمح للقوم بالامان فيأخذوك بمكرهم ولتكن متباعدا عن الباب وابعث اليهم فوجا بعد فوج واجعل قتال الناس دولا ولا يضق صدرك من كثرة المقام ولا تبرح من مكانك واحذر من القوم الكافرين فقال أبو عبيدة حبا وكرامة ثم انه خرج حتى انه نزل بباب الجابية ونصب له بيتا من الشعر بالبعد من الباب (قال الواقدي حدثني مسلمة بن عوف عن سالم بن عبد الله عن حجاج الانصاري قال قلت لجدي رفاعة بن عاصم وكان ممن قاتل بدمشق وكان في خيل أبي عبيدة فقلت يا جداه ما منع أبا عبيدة أن ينصب له قبة من بعض قبب الروم مما أخذه من أجنادين ومن بصرى ممن كان عندهم ألوف من ذلك فقال يا بني منعهم من ذلك التواضع ولم يتنافسوا في زينة الدنيا وملكها حتى ينظر الروم أنهم لا يقاتلون طلبا للملك وانما يقاتلون رجاء ثواب الله تعالى وطلب الآخرة ونصرة للدين ولقد كنا ننزل فننصب خيامنا وخيام الروم بالبعد قال فلما نزل أبو عبيدة على باب الجابية أمر أصحابه بالقتال ثم ان خالدا استدعى بيزيد بن أبي سفيان وقال له يا يزيد خذ صاحبك وانزل على الباب الصغير واحفظ قومك وان خرج اليك أحد لا يكون لك به طاقة فابعث الي حتى أنجدك ان شاء الله تعالى ثم استدعى بشرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له انزل على باب توما ثم وجه بقومه واستدعى بعمرو بن العاص وأمره أن يسير الى باب الفراديس ثم استدعى بعده بقيس بن هبيرة وقال له اذهب بقومك الى باب الفرج ثم نزل خالد على الباب الشرقي ودعا بضرار بن الازور رضي الله عنه وضم اليه ألفي فارس وقال له تطوف حول المدينة بعسكرك وان دهمك أمر أو لاحت لك عيون القوم فارسل الينا قال ثم سار ضرار واتبعه قومه وبقي خالد على الباب الشرقي ثم قدم عبد الرحمن بن حميد من المدينة بكتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعدل الى ناحية خالد بن الوليد على الباب الشرقي وقد تقدم للقتال طائفة من أصحابه مع رافع بن عميرة فلما رفع اليه الكتاب فرح به بعد أن قرأه على المسلمين واستبشر بقدوم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وأبي سفيان بن حرب قال وشاع الخبر عند جميع الناس وبعث خالد كتاب أبي بكر الى كل باب فقرئ على الناس وبات الناس متأهبين للحرب يتحارسون الى الصباح وضرار يطوف حولهم ولا يقف في مكان واحد مخافة أن يكبس بهم العدو (قال الواقدي) ولقد بلغني ان أهل دمشق اجتمعوا الى كبارهم من البلد وتشاوروا فيما بينهم فقال بعضهم ما لنا الا الصلح ونعطي العرب جميع ما طلبوه منا وقال آخرون ما نحن بأكثر من جموع أجنادين فقال لهم بطريق من الروم اطلبوا الناصح الملك توما نتشاور في هذا الامر لنسمع ما يقول ونطلب منه أن يكشف عنا ما نحن فيه فاما أن يصالحهم واما أن يحامي عنا قال فمضى القوم الى توما وعليه رجاله وكانوا بالسلاح فقالوا لهم ما الذي تريدون فقالوا نريد صهر الملك توما نشاوره في هذا الامر قال فاذنوا لهم فدخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ما الذي تريدون فقالوا أيها السيد انظر ما نزل ببلادنا وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به فاما أن نصالح العرب على ما طلبوا واما أن ترسل الى الملك فيجدنا أو يمانع عنا فقد أشرفنا على الهلاك فلما سمع ذلك منهم تبسم ضاحكا وقال يا ويلكم أطمعتم العرب فيكم وحق رأس الملك ما أرى القوم أهلا للقتال ولا هم خاطرون لي على بال فلو فتح لهم الباب ما جسروا أن يدخلوا فقالوا أيها السيد ان أكبرهم وأصغرهم يقاتل العشرة والمائة وصاحبهم داهية لا تطاق فان كان ولا بد فاخرج بنا لقتالهم فقال لهم توما انكم أكثر منهم ومدينتنا حصينة ولكم مثل هذا العدد والسلاح وأما القوم فهم حفاة عراة فقالوا له أيها السيد ان معهم من عددنا وأسلحتنا كثيرا مما أخذوه من واقعة فلسطين ومما أخذوه من بصرى ومن يوم لقائهم بكلوس وعزازير ومما أخذوه من أجنادين وأيضا ان نبيهم قال لهم ان من قتل منا صار الى الجنة فلاجل ذلك يلقون عراة الاجساد ليصلوا الى ما قال لهم نبيهم قال فضحك من قولهم وقال لهم لاجل ذلك أطمعتم العرب فينا ولو صدقتم

موسى عليه السلام وفي طلب بني اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان في ألف ألف وستمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من عمره فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان في عسكره ذلك اليوم سبعون ألف أدهم وقيل مائة ألف حصان أدهم فلما انتهى موسى ومن معه من بني اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال

فى الحرب والصدام اقتلتموهم لانكم أضعافهم مرارا فقالوا أيها السيد اكفنا مؤنتهم كيف شئت واعلم انك ان
لم تمنعهم عنا فتحنا لهم الابواب وصالحناهم فلما سمع توما كلامهم فكر طويلا وخشى ان تفعل القوم ذلك فقال
أنا أصرف عنكم هؤلاء العرب وأقتل أميرهم وأريد منكم ان تقاتلوا معى قالوا نحن معك وبين يديك نقاتل
حتى نهلك عن آخرنا فقال لهم باكروا القوم بالقتال فانصرفوا عنه وهم له شاكرون ولامره منتظرون وباتوا
بقية ليلتهم على الحصن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواضعهم ولهم ضجة بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير وخالد بن الوليد عند الدير ومعه النساء والعيال والأموال والغنائم التى غنموها
من أعدائهم ورافع بن عميرة على الباب الشرقى فى عسكر الزحف وغيرهم ولم يزل الناس فى الحرس الى أن برق
الصباح وصلى كل أمير بمن معه من قومه وصلى أبو عبيدة بمن معه ثم أمر أصحابه بالزحف وقال لهم لا تخلوا عن
القتال واركبوا الخيل (حدثنى) رفاعة بن قيس قال سألت والدى قيسا وكان ممن حضر فتوح دمشق الشام
فقلت له أكنتم تقاتلون فى دمشق خيالة أو رجالة يوم حصار المسلمين فقال ما كان أحد منا فارسا الا زهاء من ألفى
فارس مع ضرار بن الازور وهو يطوف بهم حول العسكر وحول المدينة وكلما أتى بابا من الابواب وقف عنده
وحرض أهله على القتال وهو يقول صبرا صبرا الأعداء الله قال وأقبل توما صهر الملك هرقل من بابه الذى يدعى
باسمه وكان عندهم عابدا راهبا ولم يكن فى بلاد الشرك أعبد منه ولا أزهد فى دينهم وكان معظما عند الروم فخرج
ذلك اليوم من قصره والصليب الاعظم على رأسه وعلا به فوق البرج وأوقف البطارقة حوله والانجيل تحمله ذو
والمعرفة قال ونصبوه بالقرب من الصليب ورفع القوم أصواتهم وتقدم توما ووضع يده على أسطر من الانجيل
وقال اللهم ان كنا على الحق فانصرنا ولا تسلمنا لأعدائنا واخذل الظالم منا فانك به عليم اللهم انا نتقرب اليك
بالصليب ومن صلب على دينه وأظهر الآيات الربانية والافعال اللاهوتية انصرنا على هؤلاء الظالمين قال وأمن
الناس على دعائه قال رفاعة بن قيس هكذا حدثنى شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى فسر لنا هذا الكلام روماس صاحب بصرى وكان فى جيش شرحبيل بن حسنة يقاتل على باب توما وكلما
قال الروم شيأ بلغتهم فسره لنا قال ونهض شرحبيل وقصد الباب بحملته وقد عظم عليه قول توما اللعين وقال له
يا لعين لقد كذبت ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب أحياه متى شاء ورفعه متى شاء ثم ان روماس
ناوشه بالقتال فقاتل الملعون توما قتالا شديدا وهشم الناس بالحجارة ورمى النشاب رميا متداركا فجرح رجالا
وكان ممن جرح أبان بن سعيد بن العاص أصابته نشابة وكانت مسمومة فاحس بلهيب السم فى بدنه فتأخر وحمله
اخوانه الى أن أتوا به الى العسكر فارادوا حل العمامة فقال لا تحلوها فان حللتم جرحى تبعتها روحى أما والله لقد
رزقنى الله ما كنت أتمناه قال فلم يسمعوا قوله وحلوا عمامته فلما حلوها شخص الى السماء وصار يشير باصبعه أشهد
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فما استتمها حتى توفى الى رحمة الله تعالى
وكانت زوجته بنت عمه وكان قد تزوجها باجنادين وكانت قريبة العهد من العرس ولم يكن الخضاب ذهب
من يدها ولا العطر من رأسها وكانت من المترجلات البازلات من أهل بيت الشجاعة والبراعة فلما سمعت
بموت بعلها أتته تتعثر فى أذيالها الى أن وقفت عليه فلما نظرته صبرت واحتسبت ولم يسمع منها غير قولها هنئت
بما أعطيت ومضيت الى جوار ربك الذى جمع بيننا ثم فرق ولأجهدن حتى ألحق بك فانى لمشوقة اليك حرام
على أن يمسنى بعدك أحد وانى قد حبست نفسى فى سبيل الله عسى أن ألحق بك وأرجو أن يكون ذلك عاجلا
ثم حفر له ودفن مكانه فقبره معروف وصلى عليه خالد بن الوليد فلما غيب فى التراب لم تقف على قبره دون أن أتت
الى سلاحه ولحقت الجيش من غير أن تعلم خالدا بذلك وكانت على أى باب قتل بعلها فقيل لها على باب توما والذى
قتله هو صهر الملك قال فسارت الى أصحاب شرحبيل بن حسنة فاختلطت بهم وقاتلت مع الناس قتالا لم ير مثله
وكانت أرمى الناس بالنبل وكان قد جعل لها قوس وكنانة قال شرحبيل بن حسنة رأيت يوم حصار دمشق
رجلا على باب توما يحمل الصليب وهو أمام توما وهو يشير اليه اللهم انصر هذا الصليب ومن لاذ به اللهم اظهر له
نصرته وأعل درجته قال شرحبيل بن حسنة وأنا دائما أنظر اليه اذ رمته زوجة أبان بنبلة فلم تخطئ رميتها واذا
بالصليب قد سقط من يده وهوى الينا وكأنى أنظر لمعان الجوهر من جوانبه فما فينا الا من بادر اليه ليأخذه
وقد استتر بالدرق وتزاحم بعضنا على بعض كل منا يسبق اليه ليأخذه ونظر عدو الله توما الى ذلك من تنكس

يوشع بن نون يا كليم الله اين
أمرت فقد غشينا فرعون
من ورائنا والبحر أمامنا
فقال موسى عليه السلام
الى هنا فخاض يوشع الماء
وقال الذى يكتم ايمانه وهو
حزقيل مؤمن آل فرعون
يا كليم الله أين أمرت فقال
ههنا فكبح حزقيل فرسه
أى نخسها باللجام حتى طار
الزبد من شدقيها ثم
أدخلها فارتسبت فى الماء
أى غارت فذهب قوم
موسى يفعلون مثل ذلك
فلم يقدروا فجعل موسى
عليه السلام لا يدرى كيف
يصنع فاوحى الله اليه
أن اضرب بعصاك البحر

الصليب الاعظم واهوائه الى المسلمين فعند ذلك كفر وعظم عليه الامر وقال يبلغ الملك أن الصليب الاعظم أخذ مني وملكته العرب لا كان ذلك أبدا ثم انه حزم وسطه وأخذ سيفه وقال من شاء منكم فليتبعني ومن شاء فليقعد فلا بد لي من القوم عسى أن أشفي صدري ثم انحدر مسرعا وأمر بفتح الباب وكان هو أول مبادر فلما نظرت الروم الى ذلك لم يكن فيهم الا من انحدر في أثره لما يعلمون من شجاعته وخرجوا كالجراد المنتشر هذا والمسلمون محيطون بالصليب فلما خرج الروم ووقع صياحهم حذر الناس بعضهم بعضا فلما نظر المسلمون الى الروم سلموا الصليب الى شرحبيل بن حسنة وانفردوا الاعدائهم وحملوا في اعراضهم وأخذهم النشاب والحجارة من كل مكان من أعلى الباب فصاح شرحبيل بن حسنة معاشر المسلمين تقهقروا الى ورائكم لتأمنوا النشاب من أعداء الله العالين على الباب قال فتقهقر الناس الى ورائهم الى أن أمنوا من ضرب النشاب فاتبعهم عدو الله توما وهو يضرب يمينا وشمالا وحوله أبطال المشركين من قومه وهو يهدر كالجمل فلما نظر شرحبيل بن حسنة ذلك صرخ بقومه وقال معاشر الناس كونوا آيسين من آجالكم طالبين جنة ربكم وارضوا خالقكم بفعلكم فانه لا يرضى منكم بالفرار ولا أن تولوا الادبار فاحملوا عليهم واقربوا اليهم بارك الله فيكم قال فحمل الناس حملة منكرة واختلط الناس بعضهم ببعض وعملت بينهم السيوف وتراموا بالنبل وتسامع أهل دمشق أن توما خرج الى العرب من بابه وان صليبه الاعظم سقط اليهم من كف حامله فجعلوا يهرعون الى أن تزايد أمرهم وجعل عدو الله ينظر يمينا وشمالا وينظر الصليب فحانت منه التفاتة فنظر فرآه مع شرحبيل بن حسنة فلما نظر اليه لم يكن له صبر دون أن حمل وصاح هات الصليب لا أم لك فقد لقيت بوائقه قال ونظر شرحبيل بن حسنة الى عدو الله وهو مقبل فرمى الصليب من يده وصادمه فلما رأى عدو الله الصليب مرميا على الارض صرخ بأصحابه صرخة هائلة ونظرت زوجة أبان بن سعيد الى حملة عدو الله على شرحبيل فقالت من هذا قيل هو صهر الملك وهو قاتل بعلك أبان بن سعيد فلما سمعت ذلك منهم حملت حملة منكرة الى أن قاربته ورمته بنبلة وكان الروم أرهبوها فلم تلتفت اليهم دون أن حققت نبلتها على صاحبها وقالت بسم الله وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أطلقتها وكان عدو الله واصلا الى شرحبيل اذ جاءته النبلة فأصابت عينه اليمنى فسكنت النبلة فيها فتقهقر الى ورائه صارخا وهمت أن ترميه بأخرى فتبادرت اليها الرجال واستتروا بالطوارق وتبادر اليها قوم من المسلمين يحامون عنها ولما أمنت من شر الاعداء أخذت ترمي بالنبل ثم انها رمت علجا من الروم فاصابت صدره فسقط هاويا الى الارض وكان عدو الله أول من تقهقر ذلك اليوم هاربا من شدة حرارة النبلة وصرخ صرخة عظيمة الى أن دخل الباب ونظر شرحبيل الى ذلك فصرخ بأصحابه ياويلكم دونكم وكلاب الروم احملوا على الكلاب عسى أن تدركوا عدو الله قال فحمل الناس على الروم الى أن أوصلوهم الى الباب فحماهم قومهم من أعلى الباب بالحجارة والنشاب قال فتراجع الناس الى مواضعهم وقد قتلوا من الروم مقتلة عظيمة وأخذوا أسلابهم وأموالهم وصلبهم ودخل عدو الله توما الى المدينة وأغلقوا الابواب وجاءه الحكماء يعالجون في قلع النبلة من عينه فلم تطاوع فجذبوها فلم تنجذب وهو يضج بالصراخ فلما طال على القوم ذلك ولم يجدوا حيلة في اخراجها نشروها وبقي النصل في عينه ولم تزل في مكانها وسألوه المسير الى منزله فأبى وجلس داخل الباب الى أن سكن ما به وخف عنه الالم فقالوا له عد الى منزلك بقية ليلتك فقد نكبنا في يومنا هذا نكبتين نكبة الصليب ونكبة عينك كل هذا مما وصل الينا من النبال وقد علمنا أن القوم لا يصطلى لهم بنار وقد سألناك أن تصالح القوم على ما طلبوه منا قال فغضب توما من قولهم وقال ياويلكم يؤخذ الصليب الاعظم وأصاب بعيني وأغفل عن هذا ويبلغ الملك عني ذلك فينسبني للوهن والعجز ولا بد من طلبهم على كل حال وآخذ صليبي وآخذ في عيني ألف عين منهم وسأوقع حيلة أصل بها الى كبيرهم وآخذ جميع ما غنموه وبعد ذلك أسير الى صاحبهم الذي هو في الحجاز وأقطع آثاره وأخرب دياره وأهدم مساكنه وأجعل بلده مسكنا للوحوش ثم ان الملعون سار الى أعلى السور وهو معصوب العين وصار يحرض الناس لكي يزيل عن قلوبهم الرعب وأقبل يقول لهم لا تفزعوا ولا تجزعوا مما ظهر لكم من العرب ولا بد للصليب أن يرميهم وأنا الضامن لكم قال فثبت القوم من قوله وحاربوا حربا شديدا وبعث شرحبيل بن حسنة الى خالد بن الوليد يخبره بما صنع مع القوم فقال الرسول ان عدو الله توما قد ظهر لنا منه ما لم يكن في الحساب ونطلب منك رجالا لان الحرب عندنا أكثر من كل باب فلما سمع خالد ذلك الخبر حمد الله وقال

فضربه فانفلق فاذا هو مؤمن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثنى عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم بينها مسالك فدخل كل سبط مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه في أثرهم فلما استقروا جميعا أطبق الله البحر عليهم فاغرقوا جميعا ولما أراد موسى أن يسير ببني اسرائيل ضل عنه الطريق فقال ما هذا فقال علماء بني اسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه

كيف أخذتم الصليب من الروم فقال الرسول كان يحمل صليب الروم رجل وهو امام توما صهر الملك فرمته
زوجة أبان بنبلة فوقع الصليب الينا وخرج عدو الله فرمته زوجة أبان بنبلة فاشتبكت فى عين توما اليمنى فقال
خالد ان توما عند الملك معظم وهو الذى يمنعهم عن الصلح ونرجو من الله أن يكفينا شره ثم قال للرسول عد الى
شرحبيل وقل له كن حافظا ما أمرتك به فكل فرقة مشغولة عنك ولم تؤت من قبلهم وأنا بالقرب منك وهذا
ضرار بن الازور يطوف حول المدينة وكل وقت عندك قال فرجع الرسول فاخبره بذلك فصبر وقاتل بقية يومه
ووصل الخبر الى أبى عبيدة بما نزل بشرحبيل بن حسنة من توما وبما غنم من صليبه فسر بذلك قال ولما أصبح
الصباح بعث توما الى أكابر دمشق وأبطالهم فلما حضروا بين يديه قال لهم يا أهل دين النصرانية انه قد طاف
عليكم قوم لا أمان لهم ولا عهد لهم وقد أتوا يسكنون بلادكم فكيف صبركم على ذلك وعلى هتك الحريم وسبي
الاولاد وتكون نساؤكم جوارى لهم وأولادكم عبيدا لهم وما وقع الصليب الا غضبا عليكم مما أضمرتم لهذا الدين
من مصالحة المسلمين واذلالكم للصليب وأنا قد خرجت ولولا انى أصبت بعينى لما قعدت حتى أفرغ منهم ولابد
من أخذ ثارى وان أقلع ألف عين من العرب ثم لابد ان أصل الى الصليب وأطالبهم به عن قريب فلما سمعوا
كلامه قالوا ها نحن بين يديك وقد رضيناك بما رضيت لنفسك فان أمرتنا بالخروج خرجنا معك وان
أمرتنا بالقتال قاتلنا فقال توما اعلموا أن من خاض الحروب لم يخف من شئ وانى قد عزمت على أن أهجم
هذه الليلة وأكبسهم فى أماكنهم فان الليل مهيب وأنتم أخبر بالبلد من غيركم فلم يبق الليلة منكم أحد حتى
يتأهب للحرب ويخرج من الباب وارجو أن لا أعود حتى تنقضى الاشغال فاذا فرغت من القوم أخذت
أميرهم أسيرا وأحمله الى الملك يأمر فيه بأمره فقالوا حبا وكرامة فعند ذلك فرق القوم على الباب الشرقى فرقة
وعلى باب الجابية فرقة وعلى كل باب جماعة وقال لهم لا تجزعوا فان أمير القوم متباعد عنكم وليس هنالك الا
الاراذل والموالى فاطحنوهم طحن الحصيد قال ودعا بفرقة أخرى الى باب الفراديس الى عمرو بن العاص وخرج
توما من بابه وأخذ معه أبطال القوم ولم يترك بطلا يعرف بالشجاعة الا أخذه معه ورتب على الباب ناقوسا وقال
لهم اذا سمعتم الناقوس فهى العلامة التى بيننا فافتحوا الابواب واخرجوا مسرعين الى أعدائكم ولا تجدوا رجالا
نياما الا وتضعون السيف فيهم فان فعلتم ذلك فرقتم جمعهم فى هذه الليلة وانكسروا كسرة لا يجبرون بعدها
أبدا قال ففرح القوم بذلك وخرجوا الى حيث أمرهم وقعدت كل فرقة على بابها وأقاموا ينتظرون صوت
الناقوس ليبادروا الى المسلمين قال ودعا توما برجل من النصارى وقال له خذ ناقوسا واعل به على الباب فاذا
رأيتنا قد فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة خفيفة يسمعها قومنا وقد سار توما بقطعة من جيشه عليهم الدروع
وبايديهم السيوف وتوما فى أوائلهم وبيده صفيحة هندية وألقى على رأسه بيضة كسروية كان هرقل قد أهداها له
وكانت لا تعمل فيها السيوف القواطع حتى وصل الى الباب ثم وقف حتى تكامل القوم فلما نظر اليهم قال يا قوم
اذا فتحنا لكم الباب فاسرعوا الى عدوكم وجدوا فى سعيكم الى أن تصلوا الى القوم فاذا وصلتم اليهم فاحملوا ومكنوا
السيوف فيهم ومن صاح منهم بالامان فلا تبقوا عليه الا أن يكون أمير القوم ومن أبصر منكم الصليب فليأخذوه
فقالوا حبا وكرامة ثم أمر رجلا من أصحابه أن يسير الى الذى بيده الناقوس ويأمره أن يضربه ضربة خفيفة ثم
فتح الباب وتبادر الرجال الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم فى غفلة عما دبر القوم لهم الا انهم فى يقظة
فلما سمعوا الصوت أيقظ بعضهم بعضا وتواثبت الرجال من أماكنهم كالاسد الضارية فلم يصل اليهم العدو الا وهم
على حذر وحملوا عليهم وهم فى غير ترتيب فتقاتل القوم فى جنح الظلام وعمل السيف وسمع خالد بن الوليد فقام
ذاهل العقل مما سمع من الزعقات فصاح واغوثاه واسلاماه كيد قومى رب الكعبة اللهم انظر لهم بعينك التى
لا تنام وانصرهم يا أرحم الراحمين وسار خالد ومن معه وهم أربعمائة فارس من أصحابه وهو بغير درع قد لبس ثوب
كتان من عمل الشام مكشوف الراس ثم جد فى المسير والاربعمائة فارس معه كأنهم الليوث العوابس الى أن وصلوا
الى الباب الشرقى واذا بالفرقة التى هناك قد هاجمت أصحاب رافع بن عميرة الطائى قال وأصوات المسلمين عالية
بالتهليل والتكبير والقوم من أعلى الاسوار قد أشرفوا وتصايحوا عندما استيقظ لهم المسلمون فحمل خالد بن
الوليد على الروم ونادى برفيع صوته أبشروا يا معاشر المسلمين أتاكم الغوث من رب العالمين أنا الفارس الصنديد
أنا خالد بن الوليد وحمل فى أوساط الناس بمن معه فجندل أبطالا وقتل رجالا وهو مع ذلك مشتغل القلب

منها فقال موسى أيكم
يدرى مكان قبره فلم يكن
علم قبره الا عند عجوز عمياء
فدلتهم عليه بعد ان
اشترطت على موسى رد
بصرها وشبابها وكونها
رفيقته فى الجنة فأجابها الى
ذلك فنقلوا تابوت يوسف
بعد ان مات بنحو من ثلاثين
سنة ودفن ببيت المقدس
وغرق مع فرعون من
أشراف أهل مصر
وأكابرهم أكثر من ألفى
ألف فبقيت مصر بعد
غرقهم ليس فيها من
أشراف أهلها أحد ولم يبق
بها الا العبيد والاجراء
والنساء فاجمع رأيهن على
ان يولين امرأة منهن
يقال لها دلوكة ذات عقل

على أبي عبيدة والمسلمين الذين على الابواب وهو يسمع أصواتهم وزعقاتهم قال وتصايح الروم والنصارى واليهود (قال سنان بن عوف) قلت لابن عمي قيس هل كانت اليهود تقاتلكم قال نعم يقاتلوننا من أعلى الاسوار ويرموننا بالسهام وخشي خالد على شرحبيل بن حسنة مما وصل اليه من عدو الله توما لانه ملازم الباب قال ولقي شرحبيل ابن حسنة من عدو الله توما أمرا عظيما لم يلق أحد مثله وذلك أنه هجم عليه توما في تلك الليلة وكان أول من وصل الى المسلمين عدو الله توما قال فصبروا له صبر الكرام وقاتل عدو الله قتالا شديدا وهو ينادي أين أميركم الذميم الذي أصابني أنا ركن الملك الرحيم أنا ناصر الصليب قال فلما سمع شرحبيل صوته قصد جهته وقد جرح رجالا من المسلمين وقال له ها أنا صاحبك وغريمك أنا مبيد جمعكم وآخذ صليبكم أنا كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعطف عليه توما عطفة الاسد ورأى من شرحبيل بن حسنة أمرا هائلا ولم يزالوا كذلك الى أن زال من الليل شطره وكل قرن مع قرنه وكانت زوجة أبان مع شرحبيل وكانت في تلك الليلة أحسن الناس صبرا ورمت بنبالها وكانت لا تقع نبلة من نبالها الا في رجل من المشركين الى أن قتلت من الروم مقتلة عظيمة بالنبال والروم يتحايدون عنها الى أن لاح رجل من الروم فرمته بنبلة فبقيت النبلة معلقة في نحره قال فصرخ بالروم فهاجوها وأخذوها أسيرة ومات عدو الله الذي رمته قال ولقي شرحبيل من الروم ما لا يلقاه أحد وانه ضرب توما ضربة هائلة فتلقاها الملعون بدرقته فانكسر سيف شرحبيل فطمع عدو الله فيه وحمل عليه وظن انه يأخذه أسيرا واذا بفارسين قد أشرفا من ورائهما مع كبكبة من الفرسان فهجموا على الروم ونظروا واذا بزوجة أبان قد خلصت وهجمت على الروم وهتفت فلحقها فارسان فبرزا لهما عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فقتلا الرجلين ورجع عدو الله توما هاربا الى المدينة (قال حدثني) تميم بن عدي وكان ممن شهد الفتوحات قال كنت في خيمة أبي عبيدة وذلك أن أبا عبيدة كان يصلي فيها اذا سمع الصياح فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم لبس سلاحه ورتب قومه ودنا من القوم فنظر اليهم وهم في المجمعة والحرب وعدل عنهم ميسرة وميمنة الى أن جاوزهم وعطف نحو الباب وكبر وكبر المسلمون فلما سمع المشركون تكبيرهم ظنوا أن المسلمين قد دهموهم من ورائهم في جمع كثير فولوا راجعين فتلقاهم أبو عبيدة وقومه وأخذوا عليهم المجاز وبذل أبو عبيدة السيف فيهم (قال الواقدي) ولقد بلغني انه ما سلم من الروم تلك الليلة أحد من الذين هم غرماء أبي عبيدة ولقد قتلوا عن آخرهم فبينما هم في القتال اذ أشرف عليهم ضرار بن الازور وهو ملطخ بالدماء فقال له خالد ما وراءك يا ضرار فقال أبشر أيها الملك الامير ما جئتك حتى قتلت في ليلتي هذه مائة وخمسين رجلا وقتل قومي ما لا يعد ولا يحصى وقد كفيتكم مؤنة من خرج من الباب الصغير الى يزيد بن أبي سفيان ثم عطفت الى سائر الابواب فقتلت خلقا كثيرا قال فسر بذلك خالد بن الوليد ثم سار واجميعا حتى أتوا شرحبيل بن حسنة وشكر وافعله وكانت ليلة مقمرة لم يلق مثلها الناس فقتلوا في تلك الليلة ألوفا من الروم قال فاجتمع كبار أهل دمشق الى توما وقالوا له أيها السيد انا قد نصحناك فلم تسمع لقولنا وقد قتل منا أكثر الناس وهذا أمير لا يطاق يعني خالد بن الوليد فصالح فهو أصلح لك ولنا وان لم تصالح صالحنا وأنت وشأنك فقال يا قوم امهلوني حتى أكتب الى الملك وأعلمه بما نزل بنا فكتب من وقته وساعته كتابا يقول فيه الى الملك الرحيم من صهرك توما أما بعد فان العرب محدقون بنا كاحداق البياض بسواد العين وقد قتلوا أهل أجنادين ورجعوا الينا وقد قتلوا منا مقتلة عظيمة وقد خرجت اليهم وأصيبت عيني وقد عزمت على الصلح ودفع الجزية للعرب فاما أن تسير بنفسك واما أن ترسل الينا عسكرا تنجدنا بهم واما أن تأمرنا بالصلح مع القوم فقد تزايد الامر علينا ثم طوى الكتاب وختمه وبعث به قبل الصباح فلما أصبح الصباح باكرهم المسلمون بالقتال وبعث خالد لكل أمير أن يزحف من مكانه فركب أبو عبيدة ووقع القتال واشتد الامر على أهل دمشق فبعثوا الى خالد أن أمهلنا فأبى خالد الا القتال ولم يزل كذلك الى أن ضاق بهم الحصار وهم ينتظرون أمر الملك واجتمع أهل البلد وقالوا لبعضهم ما لنا صبر على ما نحن فيه من الأمر وان هؤلاء ان قاتلناهم نصروا علينا وان تركناهم أضر بنا الحصار فاطلبوا من القوم صلحا على ما طلبوه منكم فقال لهم شيخ كبير من الروم وقد قرأ الكتب السالفة يا قوم والله اني أعلم أنه لو أتى الملك في جيشه جميعا لما منعوا عنكم هؤلاء لما قرأت في الكتاب أن صاحبهم محمدا خاتم المرسلين سيظهر دينه على كل دين فأطيعوا القوم وأعطوهم

ومعرفة وتجارب فخافت أن يطمع الملوك في البلاد فبنت سورا أحاط بجميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وجعلت على كل ثلاثة أميال محرسا ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغارا على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من أي وجه كان في ساعة واحدة فمنعت بذلك مصر ممن أرادها

ما طلبوا منكم فهو أوفق لكم فلما سمع القوم مقالات الشيخ ركنوا اليه لما يعلمون من علمه ومعرفته بالاخبار
والملاحم فقالوا كيف الرأى عندك فنحن نعلم ان هذا الامير الذى على باب شرقى رجل سفاك للدماء فقال لهم
ان أردتم تقارب الامر فامضوا الى الذى على باب الجابية وليتكلم رجل يعرف بالعربية ويقول بصوت رفيع
يا معاشر العرب الامان حتى ننزل اليكم ونتكلم مع صاحبكم قال أبو هريرة رضى الله عنه وكان أبو عبيدة قد أنفذ
رجالا من المسلمين مكثوا بالقرب من الباب مخافة الكبسة مثل الليلة التى خلت وكانت النوبة تلك الليلة
لبنى دوس والامير عليها عامر بن الطفيل الدوسى قال فبينما نحن جلوس فى مواضعنا من الباب اذ سمعنا
أصوات القوم وهم ينادون قال أبو هريرة فلما سمعت بادرت الى أبى عبيدة قال وبشرته بذلك فاستبشر
وقال امض وكلم القوم وقل لهم لكم الامان قال فأتيت القوم وبشرتهم بالامان فقالوا من أنت فقلت أنا أبو
هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أن عبيدنا أعطوكم الامان والذمام ونحن فى الجاهلية
ما غدرنا فكيف وقد هدانا الله الى دين الاسلام قال فنزل القوم وفتحوا الباب واذاهم مائة رجل من
كبرائهم وعلمائهم فلما قربوا من عسكر أبى عبيدة تبادر اليهم المسلمون وأزالوا عنهم الصلبان الى أن وصلوا
خيمة أبى عبيدة فرحب بهم وأجلسهم وقال ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال اذا أتاكم عزيز قوم
فاكرموه وتكلموا فى أمر الصلح وقالوا انا نريد منكم أن تتركوا كنائسنا ولا تنقضوا علينا منها كنيسة
وهى الجامع الآن بدمشق فقال لهم أبو عبيدة جميع الكنائس لا يؤمر بهدمها قال وكان فى دمشق كنائس
واحدة تسمى كنيسة مريم وكنيسة حنا وكنيسة سوق الليل وكنيسة أنذار وهى عند دار عبد الرحمن ذرة
فكتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح والامان ولم يسم فيه اسمه ولا أثبت شهودا وذلك لانه لم يكن أمير المؤمنين
فلما كتب لهم الكتاب تسلموه منه وقالوا له قم معنا الى البلد قال فقام أبو عبيدة وركب معه أبو هريرة
ومعاذ بن جبل ونعيم بن عمرو وعبد الله بن عمر والدوسى وذو الكلاع الحميرى وحسان بن النعمان وجرير
ابن نوفل الحميرى وسيف بن سلمة ومعمر بن خليفة وربيعة بن مالك والمغيرة بن شعبة وأبو لبابة بن المنذر
وعوف بن ساعدة وعامر بن قيس وعبادة بن عتبة وبشر بن عامر وعبد الله بن قرط الاسدى وجملتهم
خمسة وثلاثون صحابيا من أعيان الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين وخمسة وستون من أخلاط الناس
فلما ركبوا وتقدموا نحو الباب قال أبو عبيدة أريد منكم رهائن حتى ندخل معكم فأتوه برهائن وقيل ان أبا
عبيدة رأى فى منامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تفتح المدينة ان شاء الله تعالى فى هذه الليلة
فقلت يا رسول الله أراك على عجل قال لأحضر جنازة أبى بكر الصديق قال فاستيقظت من المنام (قال
الواقدى) وقد بلغنى أن أبا عبيدة لما دخل دمشق باصحابه سارت القسوس والرهبان بين يديه على مسرح
الشعر وقد رفعوا الانجيل والمباخر بالند والعود ودخل أبو عبيدة من باب الجابية ولم يعلم خالد بن الوليد بذلك
لانه شد عليهم بالقتال قال وكان هناك قسيس من قسوس الروم اسمه يونس بن مرقص وكانت داره ملاصقة
للسور مما يلى باب شرقى الذى عنده خالد وكان عنده ملاحم دانيال عليه السلام وكان فيها ان الله تعالى يفتح
البلاد على يد الصحابة ويملكونهم على كل دين فلما كانت تلك الليلة نقب يونس من داره وحفر موضعا وخرج
على حين غفلة من أهله وأولاده وقصد خالدا وحدثه أنه خرج من داره وحفر موضعا والآن أريد أمانا لى ولاهلى
ولاولادى قال فأخذ خالد عهده على ذلك وأنفذ معه مائة رجل من المسلمين أكثرهم من حمير وقال لهم اذا
وصلتم المدينة فارفعوا أصواتكم بأجمعكم واقصدوا الباب واكسروا الاقفال وازيلوا السلاسل حتى تدخلوا
ان شاء الله تعالى قال ففعل القوم ما أمرهم به خالد رضى الله عنه وساروا ومضى أمامهم يونس بن مرقص حتى
دخل بهم من حيث خرج فلما حطوا فى داره تدرعوا واحترسوا ثم خرجوا وقصدوا الباب وأعلنوا بالتكبير
قال فلما سمع المشركون التكبير ذهلوا وعلموا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حطوا معهم فى المدينة
وان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قصدوا الباب وكسروا الاقفال وقطعوا السلاسل ودخل خالد بن
الوليد ومن معه من المسلمين ووضعوا السيف فى الروم وهم مختافون بين يديه الى أن وصل الى كنيسة مريم
وخالد بن الوليد يأسر ويقتل (قال الواقدى) والتقى الجمعان عند الكنيسة جيش خالد وجيش أبى عبيدة
وأصحابه سائرون والرهبان سائرون بين أيديهم وما أحد من أصحاب أبى عبيدة جرد سيفه فلما نظر خالد اليهم

وفرغت من بنائه فى ستة
أشهر ويقال له جدار
العجوز وقد ثبت بالصعيد
منه بقايا ولكتهم دلوكة
عشرين سنة حتى بلغ من
أبناء أكابرهم وأشرافهم
رجل ملكوه عليهم واستمر
الملك للرجال ولم تزل مصر
ممتنعة بتدبير تلك العجوز
نحو أربعمائة سنة وجملة
من ملك منهم من الرجال
عشرة الى أن ظهر بختنصر
على بيت المقدس وسبى
بنى اسرائيل ورجع بهم
الى أرض بابل ثم ملك
مصر واستولى عليها
وأخذها من أيدى القبط
وقتل من قتل وخرب مدائن
مصر وقراها ولم يترك منها

ورأى أن لا أحد منهم جرد سيفه بهت وجعل ينظر اليهم متعجبا قال فنظر اليه أبو عبيدة وعرف فى وجهه الانكار فقال يا أبا سليمان قد فتح الله على يدى المدينة صلحا وكفى الله المؤمنين القتال (قال الواقدى) ما خاطب أبو عبيدة خالدا يوم الفتح بدمشق الا بالامارة فقال أيها الامير قد تم الصلح فقال خالد وما الصلح لا أصلح الله بالهم وأنى لهم الصلح وقد فتحتها بالسيف وقد خضبت سيوف المسلمين من دمائهم وأخذت الاولاد عبيدا وقد نهبت الاموال فقال أبو عبيدة أيها الامير اعلم انى ما دخلتها الا بالصلح فقال له خالد بن الوليد انك لم تزل مغفلا وأنا ما دخلتها الا بالسيف عنوة وما بقى لهم حماية فكيف صالحتهم قال أبو عبيدة اتق الله أيها الامير والله لقد صالحت القوم ونفذ السهم بما هو فيه وكتب لهم الكتاب وهو مع القوم فقال خالد وكيف صالحتهم من غير أمرى وأنا صاحب رايتك والامير عليك ولا أرفع السيف عنهم حتى أفنيهم عن آخرهم فقال أبو عبيدة والله ما ظننت أن تخالفنى اذا عقدت عقدا ورأيت رأيا فالله الله فى أمرى فوالله لقد حقنت دماء القوم عن آخرهم وأعطيتهم الامان من الله جل جلاله وأمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رضى من معى من المسلمين والغدر ليس من شيمنا قال وارتفع الصياح بينهما وقد شخص الناس اليهما وخالد مع ذلك لا يرجع عن مراده ونظر أبو عبيدة الى ذلك فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد وهم جيش البوادى من العرب مشتبكون على قتال الروم ونهب أموالهم قال فنادى أبو عبيدة واثكلاه خفرت والله ونقضت عهدى وجعل يحرك جواده ويشير الى العرب مرة يمينا ومرة شمالا وينادى معاشر المسلمين أقسمت عليكم برسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تمدوا أيديكم نحو الطريق الذى جئت منه حتى نرى ما نتفق أنا وخالد عليه فلما دعاهم بذلك سكتوا عن القتل والنهب واجتمع اليهما فرسان المسلمين والامراء وأصحاب الرايات مثل معاذ بن جبل رضى الله عنه ويزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه وعمرو بن العاص رضى الله عنه وشرحبيل بن حسنة رضى الله عنه وربيعة ابن عامر رضى الله عنه وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين ونظرائهم والتقوا عند الكنائس واجتمع هنالك فرسان للشورة والمناظرة فقالت طائفة من المسلمين منهم معاذ بن جبل ويزيد بن أبى سفيان الرأى ان تمضى الى ما أمضاه أبو عبيدة بن الجراح وتكفوا عن القتال للقوم فان مدن الشام لم تفتح أبدا وهرقل فى انطاكية كما تعلمون وان علم أهل المدن أنكم صالحتم وغدرتم لم تفتح لكم مدينة صلحا ولأن تجعلوا هؤلاء الروم فى صلحكم خير من قتلهم ثم قالوا لخالد امسك عليك ما فتحت بالسيف ويمسك أبو عبيدة بجانبه واكتبا الى الخليفة وتحاكما اليه فكل ما أمر به فعلناه فقال لهم خالد بن الوليد قد أجبت الى ذلك وقبلت مشورتكم فأما أهل دمشق فقد أمنتهم الا هذين اللعينين توما وهربيس وكان هربيس المؤمر على نصف البلد ولاه توما حين رجع الامر اليه فقال أبو عبيدة ان هذين أول من دخل فى صلحى فلا تخفر ذمتى رحمك الله تعالى فقال خالد والله لولا ذمامك لقتلتهما جميعا ولكن يخرجان من المدينة فلعنهما الله حيث سارا قال أبو عبيدة وعلى هذا وصالحتهما قال ونظر توما وهربيس الى خالد وهو يتنازع مع أبى عبيدة فخافا الهلاك فأقبلا على أبى عبيدة ومعهما من يترجم عنهما وقالا له ما يقول هذا يعنى خالدا قال الترجمان لأبى عبيدة ما تقول أنت وصاحبك فيه من المشاورة ان صاحبك هذا يريد غدرنا نحن وأهل المدينة دخلنا فى عهدكم ونقض العهد ما هو من شيمكم وانى أسألكم أن تدعونى أن أخرج أنا وأصحابى وأسلك أى طريق أردت فقال أنت فى ذمتنا فاسلك أى طريق شئت فاذا صرت فى أرض تملكونها فقد خرجت من ذمتنا أنت ومن معك فقال توما وهربيس نحن فى ذمتكم وجواركم ثلاثة أيام أى طريق سلكنا فاذا كان بعد ثلاثة أيام فلا ذمة لنا عندكم فمن لقينا منكم بعد ثلاثة أيام وظفر بنا فنحن لهم عبيد ان شاء أسرنا وان شاء قتلنا فقال خالد قد أجبناك الى ذلك لكن لا تحملوا معكم من هذه البلد الا الزاد الذى تتقوتون به قال أبو عبيدة لخالد هذا كلام داع لنقض العهد والصلح انما وقع بيننا أنهم يخرجون برجالهم وأموالهم فقال خالد سمحت لهم بذلك الا الحلقة يعنى السلاح فانى لا أطلق لهم شيأ من ذلك فقال توما لابد لنا من السلاح نمنع به عن أنفسنا فى طريقنا ان طرقنا طارق حتى نصل الى بلدنا والا فنحن بين أيديكم فاحكموا فينا بما أردتم فقال أبو عبيدة أطلق لكل واحد قطعة من السلاح ان أخذ سيفا فلا يأخذ رمحا وان أخذ رمحا فلا يأخذ سيفا وان أخذ قوسا فلا يأخذ سكينا فقال توما لما سمع منهم ذلك الكلام قد رضينا بذلك وما يريد كل واحد منا الا قطعة من السلاح لا غير ثم قال توما لأبى عبيدة انى خائف من هذا الرجل

أحدا حتى بقيت مصر أربعين سنة خرابا ليس بها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به أحد ثم زدهم اليها من بعد الاربعين سنة فعمروها فلم تزل مصر مقهورة من يومئذ ثم ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك الذين فى وسط الارض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين يحاصرونهم ويصابرونهم القتال فى البر والبحر فلما رأى ذلك أهل مصر صالحوا الروم فلما غلبت فارس على الشام رغبوا فى مصر وطمعوا فيها فامتنع أهل مصر وأعانتهم الروم وقامت دونهم فلما ألحت

أعنى خالد بن الوليد فليكتب لى بذلك قال أبو عبيدة ثكلتك أمك انا معاشر العرب لا نغدر ولا نكذب وان الامير أبا سليمان قوله قول وعهده عهد ولا يقول الا الصدق قال فانطلق توما وهربيس يجمعان قومهما و يأمرانهم بالخروج قال وكان الملك له خزانة ديباج فى دمشق فيها زهاء من ثلثمائة حمل ديباج وحلل مذهبة فعزم على اخراجها وأمر توما فضربت له خيمة من القرظ اهر دمشق وأقبلت الروم تخرج الامتعة والاموال والاحمال حتى أخرجوا شيأ عظيما فنظر خالد بن الوليد الى كثرة أحمالهم فقال ما أعظم رحالهم ثم قرأ قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الآية ثم نظر خالد الى القوم كانهم حمر مستنفرة ولم يلتفت أحد الى أخيه من شدة عجلتهم فلما نظر خالد الى ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم اجعله لنا وملكنا اياه واجعل هذه الامتعة قوة للمسلمين آمين انك سميع الدعاء ثم أقبل على أصحابه وقال لهم انى رأيت أنا رأيا فهل أنتم تتبعونى عليه فقالوا نتبعك ولا نخالف لك أمرا فقال خالد قوموا بخيولكم حق القيام وأحسنوا اليها ما استطعتم وانجزوا سلاحكم فانى أسير بكم بعد ثلاثة أيام فى طلب هؤلاء القوم وأرجو من الله ان يغنمناه هذه الغنيمة والاموال التى رأيتموها وان نفسى تحدثنى ان القوم ما تركوا فى دمشق متاعا ولا ثوبا حسنا الا وقد أخذوه معهم فقالوا افعل ما تريد فما نخالف لك أمرا ثم أخذوا فى اصلاح شأنهم وتوما وهربيس قد جمعوا أموال الرساتيق وجميع المال فلما جمعوه جاؤا به الى أبى عبيدة فقال لهم وفيتم بما عليكم فسيروا حيث شئتم فلكم الامان منا ثلاثة أيام قال يزيد بن طريف فلما سلموا المال لابى عبيدة ارتحلوا سائرين كانهم سواد مظلم وكان قد خرج مع القوم خلق كثير من أهل دمشق بأولادهم وكرهوا أن يكونوا فى جوار المسلمين قال واشتغل خالد عن اتباعهم بخلاف ما وقع بينهم وبين أهل دمشق فى حنطة وشعير وجدوا فى المدينة منه شيأ كثيرا فقال أبو عبيدة هو للقوم دخل فى صلحهم فكادت الفتنة أن تثور بين أصحاب خالد وبين أصحاب أبى عبيدة واتفق رأيهم أن يكتبوا كتابا الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى ذلك وليس عندهم خبر انه مات يوم دخولهم دمشق (قال عطية بن عامر) كنت واقفا على باب دمشق فى اليوم الذى سارت فيه الروم مع توما وهربيس ومعهم ابنة الملك هرقل قال فنظرت الى ضرار بن الازور وهو ينظر الى القوم شزرا ويتحسر على ما فاته منهم فقلت له يا ابن الازور مالى أراك كالمتحسر أما عند الله أكثر من ذلك فقال والله ما أعنى مالا وانما أنا متأسف على بقائهم وانفلاتهم منا ولقد أساء أبو عبيدة فيما فعل بالمسلمين فقلت يا ابن الازور وما أراد أمين الامة الا خيرا للمسلمين وان تحقن دماؤهم وأراحهم من تعب القتال فان حرمة رجل واحد خير مما طلعت عليه الشمس وان الله سبحانه وتعالى أسكن الرحمة فى قلوب المؤمنين وان الرب يقول فى بعض الكتب المنزلة ان الرب لا يرحم من لا يرحم وقال تعالى والصلح خير فقال ضرار لعمرى انك لصادق ولكن اشهدوا على انى لا أرحم من يجعل له زوجة وولدا (قال حدثنى) عمرو بن عيسى عن عبد الواحد بن عبد الله البصرى عن واثلة بن الاسقع قال كنت مع خالد بن الوليد فى جيش دمشق وكان قد جعلنى مع ضرار بن الازور فى الخيل التى تجول من باب شرقى الى باب توما الى باب السلامة الى باب الجابية الى باب الصغير الى باب كيسان اذ سمعنا صرير الباب وذلك قبل فتوح الشام واذا به قد خرج منه فارس فتركناه حتى قرب منا فاخذناه قبضا بالكف وقلنا ان تكلمت قتلناك فسكت واذا قد خرج فارس آخر قام على الباب وجعل ينادى بالذى قد أخذناه فقلنا له كلمه حتى يأتى قال فرطن له بالرومية ان الطير فى الشبكة فعلم انه قد أسر فرجع وأغلق الباب قال فأردنا قتله فقال بعضنا لا تقتلوه حتى نمضى به الى خالد الامير قال فأتينا به خالدا فلما نظر اليه قال له من أنت قال له انا من الروم وانى تزوجت بجارية من قومى قبل نزولكم عليهم وكنت أحبها فلما طال علينا حصاركم سألت أهلها أن يزفوها على فأبوا ذلك وقالوا ان بنا شغلا عن زفافك وكنت أحب أن ألقاها ولنا فى المدينة ملاعب نلعب فيها فوعدتها أن تخرج الى الملاعب فخرجت وتحدثنا فسألتنى أن أخرج بها الى خارج المدينة ففتحنا الباب وخرجت أنظر أخباركم فأخذنى أصحابك فنادتنى فقلت ان الطير وقع فى الشبكة أحذرها منكم مخافة عليها ولو كان غيرها لهان على ذلك فقال خالد ما تقول فى الاسلام فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فكان يقاتل معنا قتالا شديدا فلما دخلنا المدينة صلحا أقبل يطلب زوجته فقيل له انها لبست ثياب الرهبانية فأقبل اليها وهى لا تعرفه فقال لها ما حملك على الرهبانية قالت حملنى على ذلك انى

فارس على أهل مصر وخشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارس على أن يكون ما صالحوا به الروم بين الروم وفارس فرضيت الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها وأقامت مصر بين الروم وفارس نصفين سبع سنين ثم استجاشت الروم أى ضعفت وظهرت فارس والحت بالقتال والمدد حتى ظهروا عليهم وخربوا مصانعهم وديارهم التى بالشام ومصر وكان ذلك فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه نزلت الم غلبت الروم الآية ثم غلبت الروم فارس فصار الشام كلها وصلح أهل

غررت بزوجي حتى أخذته العرب وترهبت حزنا عليه قال أنا زوجك وقد دخلت في دين العرب قال فلما سمعت ذلك قالت وما تريد قال أن تكوني في الذمة فقالت وحق المسيح لا كان ذلك أبدا ومالي الى ذلك سبيل وخرجت مع البطريق توما فلما نظر الى امتناعها أقبل الى خالد بن الوليد فشكا له حاله فقال له خالد ان أبا عبيدة فتح المدينة صلحا ولا سبيل لك اليها واعلم ان خالدا يسير وراء القوم فقال أسير معه لعلي أقع بها وأقام خالد بدمشق الى اليوم الرابع ثم أقبل اليه يونس الدمشقي زوج الجارية وقال أيها الامير قد عزمت على المسير في طلب هذين اللعينين توما وهربيس وآخذ ما معهما قال بلى فقال له وما الذي أقعدك عن ذلك قال بعد القوم فبيننا وبينهم أربعة أيام بلياليها وهم يسيرون سير الخوف وما يمكن اللحوق بهم فقال يونس ان كان تخلفك لبعد المسافة بيننا وبينهم فأنا أعرف الديار واسلك طريقا فنفاجئهم ان شاء الله تعالى ولكن البسوا زي لخم وجذام وهم العرب المتنصرة وخذوا الزاد وسيروا قال فسار خالد وأخذ عساكر الزحف وهم أربعة آلاف فارس فأمرهم أن يسيروا ويخففوا حمل الزاد ففعلوا ذلك وخالد ومن معه قد ساروا ويونس الدليل أمامهم وهو يتبع آثار القوم وقد أوصى خالد أبا عبيدة على المدينة والمسلمين قال زيد بن طريف وكان يونس دليلنا قال فرأى آثار القوم وانهم اذا سقط منهم حمل جمل تركوه وسار خالد ومن معه كلما دخلوا بلدا من بلاد الروم يظنون انهم من العرب المتنصرة من لخم وجذام حتى أشرف بهم الدليل على ساحل البحر ونوى أن يطلب الاثر واذا بالقوم قد عدوا عن انطاكية ولم يدخلوها خيفة الملك قال فوقع للدليل عند ذلك حيرة في أمره فعدل الى قرية هناك وسأل بعضا من الناس فاخبروه ان الخبر قد اتصل الى الملك بأن توما وهربيس قد سلما دمشق للعرب فنقم عليهما ولم يدعهما اتيان اليه وذلك أنه جمع الجيوش وأرسلها الى اليرموك فخاف أن يحدثوا بشجاعة العرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتضعف قلوبهم فبعث الى توما ومن معه ان يسير والى القسطنطينية فلما علم يونس ان القوم عدلوا وأخذوا في طلب التحير فكر في ذلك وغاب عن المسلمين فوقف خالد وصلى بالناس واذا بيونس قد أقبل وقال أيها الامير اني والله قد غررت بكم وبلغت الغاية في الطلب قال خالد وكيف الامر قال أيها الامير تبعت آثارهم في هذا المكان رجاء أن ألحقهم وان الملك منعهم من الدخول الى انطاكية لئلا يرعبوا عسكره وأمرهم أن يطلبوا القسطنطينية وقد قطع بينكم وبينهم هذا الجبل العظيم وأنتم في جبل هرقل وهو يجمع عسكره ويسير الى حربكم واني خائف عليكم ان تركتم هذا الجبل خلف ظهوركم هلكتم وبعد هذا فالامر اليك وكل ما أمرتني به فعلت قال ضرار بن الازور فرأيت خالدا وقد انتقع لونه كالخضاب وكان ذلك منه جزعا وما عهدت به ذلك فقلت يا أمير على ماذا عولت فقال يا ضرار والله ما فزعت من الموت ولا من القتل وانما خفت أن يؤتى المسلمون من قبلي واني رأيت قبل فتح دمشق مناما أفزعني وأنا منتظر تأويله وارجو أن يجعله الله لنا خيرا وينصرنا على عدونا فقال ضرار خيرا رأيت وخيرا يكون ان شاء الله تعالى فما الذي رأيت قال رأيت المسلمين في برية قفرة ونحن سائرون فبينما نحن كذلك واذا بقطيع من حمر الوحش كثيرة عظيمة أجسامها مهزولة أخفافها وهي لا تكدم برماحنا ونحن نضربها بأسيافنا وهي لا تكترث فيما نزل بها من الاذى ولا تهلع مما ينزل فلم نزل مثل ذلك حتى اجتهدنا واجتهدت خيولنا وكأني أقبلت على أصحابي وفرقتهم عليها من أربعة جوانب البرية وحملت عليهم فجفلت من أيدينا الى مضايق وتلال وأودية خصبة فلم نأخذ منها الا اليسير فبينما نحن نطبخ ونشوي من أطايب لحومها واذا هي قد رجعت تطلب الحرب منا فلما نظرت اليها وقد طرحت المضايق والآجام صحت بالمسلمين اركبوا في طلبها بارك الله فيكم فاستوى المسلمون على خيولهم وركبت معهم وطلبناها حتى وقعت بها وتصيدت منها بعيرا عظيما فقتلته فجعل المسلمون يقتلون ويتصيدون فما بقي منها الا اليسير فبينما أنا فرح وأنا أريد الرجوع بالمسلمين الى وطنهم اذ عثرت فرسي فطارت عمامتي من على رأسي فهويت لآخذها فانتبهت من منامي وأنا فزع مرعوب فهل فيكم أحد يفسره فاني أقول الرؤيا مانحن فيه قال فصعب ذلك على القوم وجعل خالد يراود نفسه على الرجوع فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أما تفسير الوحوش فهؤلاء الاعاجم الذين نحن في طلبهم وأما سقوطك عن فرسك فانه أمر تنحط عليه من رفعة الى خفضة وأما سقوط العمامة عن رأسك فالعمائم تيجان العرب وهي معرة تلحقك فقال خالد أسأل الله العظيم ان كان تأويل ما رأيته أن يجعله من أمر الدنيا ولا يجعله من أمر الآخرة وبالله أستعين

مصر كانت خالصة للروم وليس لفارس منه شئ وذلك في زمن الحديبية سنة ست من الهجرة وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميرا عليها وجعل اليه حرب وجباية خراجها فنزل الاسكندرية فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله على المسلمين وكان من دأب المقوقس أن يصيف بمصر ويشتي بالاسكندرية واستمر حاكما بمصر من طرف هرقل احدى وثلاثين سنة حتى افتتح عمرو بن العاص رضي الله عنه الديار المصرية في سنة عشرين من الهجرة



وعليه أتوكل فى كل الامور قال ثم سار خالد والدليل أمامهم حتى قطعوا الجبل فلما كانت الليلة التى أردنا أن نصبح فيها القوم أتى مطر كأفواه القرب وكان من توفيق الله عز وجل انه حبس القوم عن المسير قال روح بن طريف رضى الله عنه ولقد رأيتنا ونحن نسير والمطر ينزل علينا كأفواه القرب طول ليلتنا فلما أصبح الصباح وطلعت الشمس قال يونس أيها الامير قف حتى أنظر القوم لانهم لا شك بالقرب منا وقد سمعت صياحهم فقال له خالد بن الوليد أحقا سمعت صياحهم يا يونس قال نعم أيها الامير وأريد منك ان تأذن لى بالمسير اليهم وآتيك بخبرهم قال فعند ذلك التفت خالد بن الوليد الى رجل اسمه المفرط بن جعدة وقال له يا مفرط سر مع يونس وكن له مؤنسا واحذر أن يأخذ خبركما القوم فقال المفرط السمع والطاعة لله ولك أيها الامير ثم انطلقا الى أن صعدا على جبل يقال له الابرش والروم تسميه جبل باردة قال المفرط فلما علونا عليه وجدنا مرجا واسعا كثير الجنبات كثير النبات وفيه خضرة عظيمة وان القوم قد أصابهم المطر حتى بل رحالهم وقد حميت عليهم الشمس فخافوا اتلافها فأخرجوها وأخرجوا الديباج ونشروها فى طول المرج وقد نام أكثرهم من شدة السير والتعب والمطر الذى أصابهم قال المفرط بن جعدة فلما رأيت ذلك فرحت فرحا شديدا ورجعت الى خالد بن الوليد وتركت صاحبى يونس فلما رآنى خالد وحدى أسرع الى وظن أن صاحبى كيد فقال ما وراءك يا ابن جعدة أخبرنى وعجل بالخبر فقلت الخير والغنيمة يا أمير وان القوم خلف هذا الجبل وقد أصابهم المطر وقد وجدوا الراحة بطلوع الشمس وقد نشروا أمتعتهم فقال بشرك الله بالخير ثم ظهر لى من وجهه الخير والفرح والسرور فبينما نحن كذلك واذا بيونس قد أقبل فقال له خالد خيرا فقال له أبشر أيها الامير فان القوم أمنوا على أنفسهم ولكن أوص أصحابك أن كل من وقع بزوجتى فليحفظها فما أريد من الغنيمة سواها فقال له خالد هى لك ان شاء الله تعالى ثم ان خالدا قسم أصحابه أربع فرق فأمر ضرار بن الازور على ألف فارس وعلى الالف الثانى رافع بن عميرة الطائى وعلى الالف الثالث عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وبقى هو فى الفرقة الرابعة وقال سيروا على بركة الله تعالى واياكم أن تخرجوا اليهم دفعة واحدة بل يخرج كل أمير منكم بينه وبين صاحبه قدر ساعة ثم افترق القوم وحمل ضرار بن الازور والروم مطمئنون وحمل من بعده رافع بن عميرة الطائى ثم عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ثم خالد بن الوليد سار فى آخر القوم حتى وصلوا المرج قال عبيد بن سعيد والله لقد كدنا أن نفتتن من حسن منظره فزعق فينا خالد بن الوليد وقال عليكم بأعداء الله ولا تشتغلوا بالغنائم ولا بالنظر الى المرج فانها لكم ان شاء الله تعالى ثم عطف خالد بن الوليد رضى الله عنه على الروم وقد نظرت الروم الى الخيل وقد خرجت عليهم وخالد أمامهم فعلموا أنها خيول المسلمين فبادروا الى السلاح وركبوا الخيل وقال بعضهم لبعض انها خيل قليلة ساقها المسيح اليكم وجعلها غنيمة لكم فبادروا اليها قال فتبادر الروم وهم يظنون ان ليس وراء خالد أحد واذا بضرار بن الازور وقد خرج عليهم فى ألف فارس وطلع رافع بن عميرة الطائى بعده وطلع عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق بعدهم وطلبت كل كتيبة فرقة من الروم وتفرقوا من حولهم وطلبوا ما فى أيديهم وقد رفعوا أصواتهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وانصبت خيل المسلمين على الروم كأنها السيل المنحدر ونادى اللعين هربيس برجاله قاتلوا عن نعمكم فما لهؤلاء القوم حيلة ولا يخلصون من هذا المكان أبدا فانقسمت الروم طائفة معه وطائفة مع اللعين توما فكان من طلب خالد توما وقد أحدق به خمسمائة فارس وقد رفع بين عينيه صليبا من الجوهر مرصعا بالذهب الاحمر فعدل خالد وحمل عليه وقال يا عدو الله أظننتم أنكم تفلتون منا والله تعالى يطوى لنا البلاد وكان توما أعور اعورته امرأة ابان قال فحمل عليه وطعنه فى عينه الاخرى ففقأها وأرداه عن جواده وحمل أصحابه على رحال توما وقد وقع الصليب ولله در عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانه لما نظر الى توما وقد سقط عن جواده نزل وجلس على صدره واحتز رأسه ورفعها على السنان ونادى قد قتل والله توما اللعين فاطلبوا هربيس (قال الواقدى) ففرح المسلمون بذلك قال رافع بن عميرة الطائى كنت فى الميمنة مع خالد بن الوليد اذ نظر الى فارس زيه زى الروم وقد نزل عن جواده وهو يقاتل علجة من نساء الروم وهى تظهر عليه مرة فدنوت أنظرها فاذا هو يونس الدليل وهو يقاتل زوجته ويصارعها صراع الاسد قال رافع فدنوت ان أتقدم اليهما فأعينه فقصد الى عشرة من النساء يرمين قوسى بالحجارة فخرج حجر كبير من امرأة حسناء عليها ثياب الديباج قال فوقع الحجر فى جبهة جوادى فانكب على رأسه وكان جوادا شهدت عليه

النبوية فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أتى مصر حاصرها ثلاثة أشهر وكان المقوقس بقصر الشمع على بحر النيل وكانت السفن تجرى تحته فلما رأى العرب أشرفوا على أخذ البلد نزل فى مركب كانت راسية على باب قصره ثم توجه هاربا الى نحو الاسكندرية وكان يعلم أن العرب لابد لهم أن يملكوا مصر وذلك أنه كان بالاسكندرية باب مغلق عليه أربعة وعشرون قفلا عزم على قصر المقوقس فنهبه القسس والرهبان وقالوا له كل من تقدم من الملوك

اليمامة فسقط الجواد ميتا قال فأسرعت فى طلبها فهربت من بين يدى كأنها ظبية القناص وهربت النساء من
ورائها فلحقتهن وقصدت قتالهن وزعقت عليهن وكنت أريد قتلهن ومالى قصد الا الجارية التى قتلت حصانى
فدنوت منها وعلوت بالسيف على رأسها فجعلت تقول الغوث الغوث فرجعت عن قتلها وأقبلت اليها واذا عليها
ثياب الديباج وعلى رأسها شبكة من اللؤلؤ فأخذتها أسيرة من النساء وأوثقتها كتافا ورجعت على أثرى فركبت
جوادا من خيل الروم ثم قلت والله لأمضين وأنظر ما كان من أمر يونس فوجدته وهو جالس وزوجته بجانبه
وقد تلطخت بدمائها وهو يبكى عليها فلما رأيتها قالت لها اسلمى فقالت لا وحق المسيح لا اجتمعت أنا وأنتم أبدا ثم
أخرجت سكينا كانت معها فقتلت بها نفسها فقلت ان الله عز وجل أبدلك ما هى أعظم منها وعليها ثياب
الديباج وشبكة من اللؤلؤ وهى كأنها القمر فخذها لك بدلا عن زوجتك فقال أين هى فقلت ها هى معى قال فلما
نظر اليها والى ما عليها من الحلى والزينة وتبين حسنها وجمالها راطنها بالرومية وسألها عن أمرها فرطنت عليه
وهى تبكى فالتفت الى وقال لى أتدرى من هذه قلت لا فقال هذه ابنة الملك هرقل زوجة توما وما مثلى يصلح لها
ولا بد لهرقل من طلبها ويفديها بماله قال وافتقد المسلمون خالدا فلم يجدوا له أثرا فقلقوا عليه قلقا عظيما وخالد رضى
الله عنه غائص فى المعركة وقصد اللعين هربيس بعد قتل توما فبينما هو يحمل يمينا وشمالا اذ نظر علجا من علوج
الروم عظيم الخلقة أحمر اللون فظن خالد أنه اللعين فأطلق جواده نحوه وطلبه طلبا شديدا فلما نظر اليه
العلج والى حملته فر هاربا من بين يديه فوكزه خالد بالرمح واذا هو واقع على الارض على أم رأسه وانقض عليه
خالد كالاسد وهو يقول ويلك يا هربيس أظننت انك تفوتنى وذلك العلج يعرف بالعربية فقال يا عربى ما أنا
هربيس فابق على ولا تقتلنى فقال خالد ما لك من يدى خلاص الا اذا كنت تدلنى على هربيس فاذا دللتنى
عليه أطلقتك فقال له العلج أئذا دللتك عليه تطلقنى فقال خالد نعم لك ذلك فقال العلج يا أخا العرب قم من على
صدرى حتى أدلك عليه فقام خالد من على صدره فوثب العلج يمينا وشمالا ثم قال لخالد أترى هذا الجبل وهذه
الخيل الصاعدة اقصدها فان هربيس فيها قال فوكل خالد بالعلج واحدا وهو وابن جابر ثم أطلق خالد عنانه حتى
لحق بهم وصرخ عليهم وقال يا ويلكم أنى لكم منى خلاص فلما سمع هربيس ذلك ظنه من بعض العرب ففزع
فيه ورجع ورجعت البطارقة بالسلاح فقال لهم خالد يا ويلكم ظننتم ان الله لا يمكننا منكم أنا الفارس الصنديد
انا خالد بن الوليد ثم طعن فارسا فرماه وآخر فأرداه فلما سمع هربيس كلام خالد قال لاصحابه يا ويلكم هذا
الذى قلب الشام على أصحابه هذا صاحب بصرى وحوران ودمشق وأجنادين دونكم واياه قال فطمع القوم
فيه لانفراده عن أصحابه وكان المسلمون فى قتال الروم ونهب الاموال وكل منهم مشتغل بنفسه قال فترجلت
البطارقة حول خالد لانهم فى جبل كثير الوعر وأحاطوا بخالد بن الوليد فعندها ترجل عن جواده وأخذ
سيفه وحجفته وصبر لقتالهم قال حدثنى شداد بن اوس وكان ممن حضر وقعة مرج الديباج وقال خالد قد صحت
الرؤيا فلما ترجل أقبل يقاتل بنفسه وأقبل اليه هربيس وهو مشتغل بالقتال وأتاه من ورائه وضرب خالدا
بالسيف فوقع السيف على البيضة فقدها وقد عمامته وانقض السيف من يد هربيس وخاف خالد أن يلتفت
الى ورائه فتهجم عليه الروم وخاف ان يفلت هربيس من بين يديه فعند ذلك صاح بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير كأنه مستبشر بشئ أغاثه أو أدركه وذلك خديعة منه وحيلة يريد بها أن يتمكن من
الاعلاج فبينما هو كذلك اذ سمع من المسلمين زعقات وقد أخذت الروم من ورائهم وهم يصيحون بالتهليل
والتكبير وقائل يقول لا اله الا الله محمد رسول الله أتاك النصر من رب العالمين أنا عبد الرحمن بن أبى بكر
الصديق فلما سمع خالد صوته لم يلتفت الى عبد الرحمن ولا الى من معه دون أن فرق الاعلاج ذات اليمين وذات
الشمال ولما أن سمع اللعين هربيس أصوات المسلمين أراد الهرب فلحقه سيدنا خالد وضربه ضربة فأرداه
قتيلا وعجل الله بروحه الى النار واستطال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحاب هربيس ونزلوا
فيهم بالسيف حتى أبادوهم عن آخرهم وكان أكثرهم قتلا من يد ضرار بن الازور فلما انكشف الكرب عن
خالد ونظر الى ما فعل ضرار قال أفلح والله وجهك يا ابن الازور وفازات مباركا فى كل أفعالك أنجح الله أعمالك
وأصلح ربى حالك ثم سلم على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعلى المسلمين وقال من أين علمتم
مكانى هذا فقال عبد الرحمن يا أمير بينما نحن فى قتال الروم وقد نصرنا الله عليهم والمسلمون قد اشتغلوا بالغنائم

لم يفضه ويضع عليه قفلا وأنت الآخر اجعل عليه قفلا ونحن نعطيك ما حضر لك من المال الذى ظننت أنه فيه فامتنع وفتحه ودخل فلم يجد فيه شيأ من المال لكن رأى منقوشا على حيطانه تصاوير العرب راكبين خيولا وعلى رؤسهم عمائم وسيوف متقلدين بها وكتابة فى صدر المكان تملك العرب المدينة فى هذه السنة (ولما فتح عمرو بن العاص مصر) واستقر بها قصد التوجه الى مدينة الاسكندرية فلما وصل اليها وحاصرها حصارا شديدا حتى أشرف على أخذها أرسل اليه

اذ سمعناها تفامن الهواء يقول اشتغلتم بالغنائم وخالد قد أحاطت به الروم فلما سمعنا ذلك لم ندر أى مكان أنت فيه
وفقدنا شخصك فدلنا عليك علج كان بيد رجل من أصحابك وقال ان صاحبكم أنا الذى دللته على هربيس
وانه معه فى هذا الجبل فسرنا اليك فقال خالد لقد دلنا على عدونا ودل علينا المسلمين وقد وجب له الحق علينا
ورجع خالد وأصحابه الى المسلمين فلما رأوه بادروا وسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم ان خالدا رضى الله عنه
دعا بذلك العلج الذى دله على هربيس وقال انك وفيت لنا ونريد أن نوفى لك بما وعدناك لانك نصحت لنا
فهل لك أن تكون من أصحاب دين الصلاة والصيام وملة محمد عليه السلام فتكون من أهل الجنة فقال ما اريد
بدينى بدلا فأطلق خالد سبيله قال نوفل بن عمرو فرأيته قد استوى على ظهر جواده يطلب بلاد الروم وحده ثم
ان خالدا رضى الله عنه أمر بجمع الغنائم والاسارى فجمع ذلك اليه فلما رأى كثرتها حمد الله تعالى وشكره
وأثنى عليه ودعا بدليل يونس النجيب ثم قال له ما فعلت بزوجتك فحدثه بحديثه معها وما كان من أمرها فعجب
من ذلك فقال رافع بن عميرة أيها الامير انى أسرت ابنة الملك هرقل وقد سلمتها اليه بدلا من زوجته فقال خالد
وأين ابنة الملك هرقل فمثلت بين يديه فنظر الى حسنها وجمالها وما منحها الله به من الجمال فصرف وجهه عنها
وقال سبحانك اللهم وبحمدك تخلق ما تشاء وتختار ثم قرأ قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ثم قال ليونس
أتريدها بدلا من زوجتك قال نعم ولكنى أعلم أن الملك هرقل لابد له أن يفديها بالاموال أو يخلصها بالقتال
فقال خالد خذها لك الآن فان لم يطلبها فهى لك وان طلبها فالله يعوضك خيرا منها فقال يونس أيها الامير انك
فى مكان ضيق وموضع صعب فاعزم على الخروج قبل أن يلحقك نفير القوم فقال خالد الله لنا ومعنا وعطف
راجعا يجد فى مسيره والغنائم امامه والمسلمون فى أثره فرحين بالغنيمة والسلامة والنصر (قال روح بن عطية)
فقطعنا الطريق كلها وما عرض لنا من الروم أحد ونحن نخوض فى وسط ديار القوم خوضا فلما وصلنا مرج
الصفير عند قنطرة أم حكيم نظرنا الى غبرة من ورائنا فلما عايناها أنكرنا ذلك فأسرع رجال من المسلمين الى
خالد يخبرونه بالغبرة قال أيكم يأتينى بخبرها فبادر بالاجابة رجل من غفار يقال له صعصعة بن يزيد الغفارى
قال أنا أيها الامير ثم نزل عن جواده وكان بجريته يسبق الفرس الجواد لقوة عزمه فورد الغبرة واختبرها
ورجع على عقبه وهو ينادى أيها الامير أدركتنا الصلبان من ورائنا وهم مصفدون فى الحديد لم يبن منهم غير
حماليق الحدق فدعا خالد بيونس الدليل عندما قاربته الخيل وقال يا يونس اقصد نحو الخيل وانظر ما يريدون
فقال السمع والطاعة ثم دنا من الخيل وقاربهم ثم رجع الى خالد وقال له ألم اقل لك أيها الامير ان هرقل لا يغفل
عن طلب ابنته وقد أنفذ هذه الخيل يريدون أن يأخذوا الغنيمة من أيدى المسلمين فلم الحقوك ههنا قريبا من
دمشق بعثوا رسولا يسألك فى الجارية اما بيعها واما هدية فبينما خالد يتحدث اذ أقبل اليه شيخ عليه لبس
المسوح فأقبل حتى دنا من المسلمين فأوقفوه أمام خالد وقال له قل ما تشاء فقال الشيخ أنا رسول الملك هرقل
وانه يقول لك بلغنى ما فعلت برجالى وقتلت توماز وج ابنتى وهتكت حرمتى وقد ظفرت وسلمت فلا تفرط فيمن
معك والآن اما أن تبيع ابنتى أو تهديها الى فالكرم شيمتكم وطبعكم ولا يرحم من لا يرحم وانى أرجو أن يقع بيننا
الصلح فلما سمع خالد ذلك قال للشيخ قل لصاحبك والله لارجعت عنه وعن أهل ملته حتى أملك سريره وما
تحت قدميه كما فى علمك وأما ابقاؤك علينا فلو وجدت الى ذلك من سبيل ما قصرت وأما ابنتك فهى لك هدية
منا ثم ان خالدا أطلق ابنة الملك هرقل وسلمها للشيخ ولم يأخذ فى فدائها شيأ فلما بلغ ذلك الرسول الى الملك
هرقل كال لعظماء الروم هذا الذى أشرت عليكم فلم تقبلوه وأردتم قتلى وسيكون الامر أعظم ولكن ليس هذا
منكم بل هو من رب السماء (قال الواقدى) فبكت الروم بكاء شديدا وسار خالد حتى أتى دمشق وكان المسلمون
وأبو عبيدة قد أيسوا من خالد ومن معه فهم فى أعظم القلق والاياس اذ قدم عليهم خالد رضى الله عنه والمسلمون
فخرجوا الى لقائه وهنؤه بالسلامة وسلم المسلمون بعضهم على بعض ووجد خالد فى دمشق عمرو بن معديكرب
الزبيدى ومالك بن الاشتر النخعى ومن كان معهما وأقبل خالد الى جانب أبى عبيدة وهو يحدثه بما لاقى فى غزوته
وأبو عبيدة يتعجب من شجاعته وجسارته فلما استقر بخالد مكانه أخرج الخمس من الغنائم وفرق الباقى على
المسلمين ثم ان خالدا أعطى من ماله ليونس وقال خذ هذا المال فتزوج به أو اشتر به جارية لك من بنات الروم
قال يونس والله لا أتزوج فى هذه الدار أى دار الدنيا زوجة أبدا ولا أريد الا أن أتزوج فى الآخرة بعينا من الحور

المقوقس يسألهم فى
الصلح وأن يجعل لهم عليه
الجزية فأتى الى عمرو بن
العاص رجل بواب على
الاسكندرية وقال له
أتؤمننى على نفسى وعيالى
وأنا أفتح لك الباب
فأجابه عمرو لذلك ففتح
له الباب ودخل هو ومن
معه من المسلمين فملكوها
وأسروا المقوقس وكان
ذلك يوم الجمعة بعد العصر
أول جمادى الآخرة سنة
عشرين من الهجرة وقيل
سنة اثنتين وعشرين ثم
رجع عمرو الى مصر
وأراد أن يبنى مدينة
الفسطاط وسبب تسميتها
بذلك أنه لما وصل الى مصر
نصب له خيمة تسمى

اليمين قال رافع بن عميرة الطائي فشهد معنا القتال الى يوم اليرموك فما كنت أراه في حرب الا ويجاهد جهادا عظيما وقد أبلى في الروم بلاء حسنا فأتاه سهم في لبته فخر ميتا رحمه الله تعالى قال رافع فحزنت عليه وأكثرت من الترحم عليه فرأيته في النوم وعليه حلل تلمع وفي رجليه نعلان من الذهب وهو يجول في روضة خضراء فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي وأعطاني بدلا من زوجتي سبعين حوراء لو بدت واحدة منهن في الدنيا لكف ضوء وجهها نور الشمس والقمر فجزاكم الله خيرا فقصصت الرؤيا على خالد فقال ليس والله سوى الشهادة طوبى لمن رزقها (قال الواقدي) ولقد بلغني ان خالدا رضي الله عنه لما رجع من غزوته ومسيره غاظه ان الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه حين لم يقبض فهم ان يكتب له كتابا بالفتح والبشارة وما غنم من الروم وأبو عبيدة لا يخبره بذلك ولا يعلم ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعا خالد بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من عامله على الشام خالد بن الوليد أما بعد سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انا لم نزل في مكابدة العدو وعلى حرب دمشق حتى أنزل الله علينا نصره وقهر عدوه وفتحت دمشق عنوة بالسيف من باب شرقي وكان أبو عبيدة على باب الجابية فخدعته الروم وصالحوه على الباب الآخر ومنعني أن أسبي وأقتل ولقيناه على كنيسة يقال لها كنيسة مريم وامامه القسوس والرهبان ومعهم كتاب الصلح وان صهر الملك توما وآخر يقال له هربيس خرجا من المدينة بمال عظيم وأحمال جسيمة فسرت خلفهما في عساكر الزحف وانتزعت الغنيمة من أيديهما وقتلت الملعونين وأسرت ابنة الملك هرقل ثم أهديتها اليه ورجعت سالما وأنا منتظر أمرك والسلام عليك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ودعا برجل من العرب يقال له عبد الله بن قرط فدفع اليه الكتاب وسار الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوردها والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ عنوان الكتاب واذا هو من خالد الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر أما عرف المسلمون وفاة أبي بكر رضي الله عنه فقال لا يا أمير المؤمنين فقال قد وجهت بذلك كتابا الى أبي عبيدة وأمرته على المسلمين وعزلت خالدا وما أظن ان أبا عبيدة يريد الخلافة لنفسه فسكت وقرأ الكتاب وقال أصحاب السير في حديثهم ممن تقدم ذكرهم واسنادهم في أول الكتاب ممن روى فتوح الشام ونقلوها عن الثقات منهم محمد بن اسحق وسيف بن عمر وأبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي رضي الله عنهم كل حدث بما رواه وسمعه ثقة عن ثقة قالوا جميعا في أخبارهم انه لما قبض أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وولي الامر بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه وله من العمر اثنتان وخمسون سنة فبايعه الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة تامة ولم يتخلف عن مبايعته أحد لا صغير ولا كبير وانقطع في امارته الشقاق والنفاق وانحسم الباطل وقام الحق وقوي السلطان في امارته وضعف كيد الشيطان وظهر أمر الله وهم كارهون ومن أمره ان يجلس مع الفقير ويتلطف بالناس والمساكين ويرحم الصغير ويوقر الكبير ويعطف على اليتيم وينصف المظلوم من الظالم حتى يرد الحق الى أهله ولا تأخذه في الله لومة لائم وكان في امارته يدور في أسواق المدينة وعليه مرقعته وبيده درته وكانت درته أهيب من سيف الملوك وسيوفكم هذه وكان قوته في كل يوم خبز الشعير وادامه الملح الجريش وربما أكل خبزه بغير ملح تزهدا واحتياطا او ترفقا على المسلمين ورأفة ورحمة لا يريد بذلك الا الثواب من الله سبحانه وتعالى ولا يشغله شاغل عن أداء الفريضة وما أوجب الله عليه من حقوقه وسنة نبيه محمد عليه السلام قالت عائشة رضي الله عنها ولقد تولى والله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الخلافة فجد في التشمير وترك عن نفسه التكبر ولقد كان أحوته خبز الشعير والملح وأراد أكل الزيت واليابس من التمر وربما أخذ شيأ من السمن ويقول أكلت الزيت وخبز الشعير والملح والجوع أهون غدا من نار جهنم من حل بها لم يمت ولم يجد فيها راحة أبدا قرارها بعيد وعذابها شديد وشرابها الصديد لا يؤذن لهم فيعتذرون جند الجنود في امارته وبعث العساكر وفتح الفتوحات ومصر الامصار وكان يخاف عذاب النار رضي الله تعالى عنه (قال الواقدي) رحمه الله تعالى ولقد بلغني أن هرقل لما بلغه ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد ولي الامر من بعد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جمع الملوك والبطارقة وأرباب دولته وقام فيهم خطيبا على منبر قد نصب له في كنيسة القسيسين وقال يا بني الاصفر هذا الذي كنت أحذركم منه فلم تسمعوا مني وقد اشتد الامر عليكم بولاية هذا الرجل الاسمر وقد

الفسطاط فلما توجه الى الاسكندرية أمر بازالة تلك الخيمة وجد فيها عشا فيه يمامة قد فرخت فيه فترك الخيمة لاجلها اشفقة على فراخ اليمامة فلما توجه الى الاسكندرية ورجع منها قيل له تنزل في أي مكان قال مكان الخيمة التي تركتها وعليها اليمامة فسميت مصر الفسطاط وصارت مدينة عظيمة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر وكانت جديدة على ساحل البحر ولم تزل عامرة الى الدولة الفاطمية فخربت بسبب الافرنج ومجيئهم الى ديار مصر وبني عمرو بن

مابعد لولايه صاحب الفتوح المشبه بنوح والله ثم والله لابد أن يملك ماتحت سريرى هذا الحذر ثم الحذر قبل
وقوع الامر ونزول الضرر وهدم القصور وقتل القسوس وتعطيل الناقوس هذا صاحب الحرب والجالب
على الروم والفرس الكرب هذا الزاهد فى دنياه وهذا الغليظ على من اتبع فى غير ملته هواه وانى أرجوالكم
النصران أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وتركتم الظلم واتبعتم المسيح فى أداء المفروضات ولزوم الطاعات
وترك الزنا وأنواع الخطايا وان أبيتم الا الفساد والفسوق والعصيان والركون الى شهوات الدنيا يسلط الله
عليكم عدوكم و يبلوكم بما لا طاقة لكم به واقد أعلم أن دين هؤلاء سيظهر على كل دين لا يزال أهله بخير مالم يغيروا
و يبدلوا فاما أن ترجعوا اليه واما أن تصالحوا القوم على أداء الجزية فلما سمع القوم ذلك نفروا و بادروا اليه
وهموا بقتله فسكن غضبهم بلين كلامه ولاطفهم وقال لهم انما أردت أن أرى حميتكم لدينكم وهل تمكن خوف
العرب من قلوبكم أم لا ثم استدعى برجل من المتنصرة يقال له طليعة بن ماران وضمن له مالا وقال له انطلق من
من وقتك هذا الى يثرب وانظر كيف تقتل عمر بن الخطاب فقال له طليعة نعم أيها الملك ثم تجهز وسار حتى ورد
مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكمن حولها واذا بعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج يشرف على
أموال اليتامى و يتفقد حدائقهم فصعد المتنصر الى شجرة ملتفة الاغصان فاستتر بأوراقها واذا بعمر رضى
الله عنه قد أقبل الى أن قرب من الشجرة التى عليها المتنصر ونام على ظهره وتوسد بحجر فلما نام هم المتنصر
أن ينزل اليه ليقتله واذا بسبع قد أقبل من البرية فطاف حوله وأقبل يلحس قدميه واذا بهاتف يقول يا عمر
عدلت فامنت فلما استيقظ عمر رضى الله عنه ذهب السبع ونزل المتنصر وترامى على عمر رضى الله تعالى عنه
فقبل يديه وقال بأبى أنت وأمى أفدى من الكائنات من السباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم أعلمه
بما كان منه وأسلم على يديه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه كتب كتابا الى أبى عبيدة
ابن الجراح يقول فيه قد وليتك على الشام و جعلتك أميرا على المسلمين وعزلت خالد بن الوليد والسلام ثم سلم
الكتاب الى عبد الله بن قرط وأكام قلقا على مايرد عليه من أمور المسلمين وصرف همته الى الشام (قال الواقدى)
حدثنى رافع بن عميرة الطائى قال حدثنى يونس بن عبد الاعلى وقد قرأت عليه بجامع الكوفة قال حدثنى
عبد الله بن سالم الثقفى عن أشياخه الثقات قال لما كانت الليلة التى مات فيها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى
عنه رأى عبد الرحمن بن عوف الزهرى رضى الله تعالى عنه رؤيا قصها على عمر رضى الله تعالى عنه وكانت تلك
الليلة بعينها قال رأيت دمشق والمسلمون حولها وكانى أسمع تكبيرهم فى أذنى وعند تكبيرهم و زحفهم رأيت
حصنها قد ساخ فى الارض حتى لم أر منه شيأ ورأيت خالدا وقد دخلها بالسيف وكأن نارا أمامه وكأنه وقع على
النار فانطفأت فقال الامام على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنهم أجمعين أبشر فقد فتح الشام هذه الليلة
أوقال يومك هذا ان شاء الله تعالى فبعد أيام قدم عقبة بن عامر الجهنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتاب الفتح فلما رآه قال يا ابن عامر كم عهدك قال قلت يوم الجمعة قال مامعك من الخبر فقلت خير و بشارة
وانى سأذكرها بين يدى الصديق رضى الله تعالى عنه فقال قبض والله حميدا وصار الى رب كريم وقلدها
عمر الضعيف فى جسمه فان عدل فيها نجا وان ترك أوخلط هلك قال عقبة بن عامر فبكيت وترحمت على أبى
بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأخرجت الكتاب فدفعته اليه فلما قرأه نظر فيه وكتم الامر الى وقت صلاة
الجمعة فلما خطب وصلى رقى المنبر واجتمع المسلمون اليه وقرأ عليهم كتاب الفتح فضج المسلمون بالتهليل
والتكبير وفرحوا ثم نزل عن المنبر وكتب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه بتوليته وعزل خالد ثم سلمنى
الكتاب وأمرنى بالرجوع قال فرجعت الى دمشق فوجدت خالدا قد سار خلف توما وهربيس فدفعت الكتاب
الى أبى عبيدة فقرأه سرا ولم يخبر أحدا بموت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم كتم أمره وكتم عزل خالد
وتوليته على المسلمين حتى ورد خالد من السرية فكتب الكتاب بفتح دمشق ونصرهم على عدوهم و بما ملكوا
من مرج الديباج واطلاق بنت الملك هرقل وسلم الكتاب الى عبد الله بن قرط فلما ورد به على عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه وقرأ عنوان الكتاب من خالد بن الوليد الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنكر
الامر ورجعت حمرته الى البياض وقال يا ابن قرط أما علم الناس بموت أبى بكر رضى الله عنه وتوليتى أبا عبيدة
ابن الجراح قال عبد الله بن قرط قلت لا فغضب و جمع الناس اليه وقام على المنبر ثم قال يامعاشر الناس انى

العاص بها جامعه الكبير
و وقف على قبلته سبعون
من الصحابة رضى الله عنهم
أجمعين وهو أول جامع بنى
فى الاسلام بمصر المحروسة
وهو جامع مبارك
يستجاب فيه الدعاء
وحررت مساحة مصر
بعد أن تلاشى أمرها
بالنسبة الى زمن فرعون
فكانت مساحتها مائة ألف
ألف فدان تزرع غير
البور وكان فيها فى الزمن
الاول مائة وخمسون
كورة مدينة وثلاثمائة
وستون قرية فلما ملكها
بختنصر وخربها أعيدت
بعد ذلك وصار بها خمس
وثمانون كورة مدينة ثم
تناقصت حتى صارت فى

أمرت أبا عبيدة الرجل الامين وقد رأيته لذلك أهلا وقد عزلت خالدا عن امارته فقال رجل من بني مخزوم أتعزل
رجلا قد أشهر الله بيده سيفا قاطعا ونصر به دينه وان الله لا يعذرك في ذلك ولا المسلمين ان أنت أغمدت سيفا
وعزلت أميرا أمره الله لقد قطعت الرحم ثم سكت الرجل فنظر عمر رضي الله تعالى عنه الى الرجل المخزومي
فرآه غلاما حدث السن فقال شاب حدث السن غضب لابن عمه ثم نزل عن المنبر وأخذ الكتاب وجعله تحت
رأسه وجعل يؤامر نفسه في عزل خالد فلما كان من الغد صلى صلاة الفجر وقام فرقي المنبر خطيبا فحمد الله
وأثنى عليه وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى عليه وترحم على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم قال
أيها الناس اني حملت أمانة عظيمة اني راع وكل راع مسؤل عن رعيته وقد جئت لاصلاحكم والنظر في معايشكم
وما يقربكم الى ربكم أنتم ومن حضر في هذا البلد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صبر على
أذاها وشرها كنت له شفيعا يوم القيامة وبلادكم بلاد لازرع فيها ولاضرع ولاماء أو قربه الابل الامن مسيرة
شهر وقد وعدنا الله مغانم كثيرة واني أريدها للخاصة والعامة لأؤدي الامانة والتوقير للمسلمين ولست أني
كرهت ولاية خالد على المسلمين الالان خالدا فيه تبذير المال يعطي الشاعر اذا مدحه ويعطي للمجد والفارس
بين يديه فوق ما يستحقه من حقه ولا يبقي لفقراء المسلمين ولا لضعفائهم شيأ واني أريد عزله وولاية أبي عبيدة
مكانه والله يعلم أني ما وليته الا أمينا فلا يقول قائلكم عزل الرجل الشديد وولى الامين اللين للمسلمين فان الله
معه يسدده ويعينه ثم نزل عن المنبر وأخذ اداما ومنشورا وكتب الى أبي عبيدة كتابا فيه بسم الله الرحمن
الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله
الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبعد فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحي فان الله
لا يستحي من الحق واني أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه والذي استخرجك من الكفر الى
الايمان ومن الضلال الى الهدى وقد استعملتك على جند ما هالك مع خالد فاقبض جنده واعزله عن امارته
ولا تنفذ المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ولا تنفذ سرية الى جمع كثير ولا تقل اني أرجو لكم النصر فان النصر
انما يكون مع اليقين والثقة بالله واياك والتغرير بالقاء المسلمين الى الهلكة وغض عن الدنيا عينيك واله عنها
قلبك واياك أن تهلك كما هلك من كان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبرت سرائرهم وانما بينك وبين الآخرة
ستر الخمار وقد تقدم فيها سلفك وأنت كانك منتظر سفرا ورحيلا من دار قد مضت نضرتها وذهبت زهرتها
فاحزم الناس فيها الراحل منها الى غيرها ويكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت وأما الحنطة والشعير
الذي وجدت بدمشق وكثرت في ذلك مشاجرتكم فهو للمسلمين وأما الذهب والفضة ففيهما الخمس والسهام
وأما اختصامك أنت وخالد في الصلح أو القتال فانت الولي وصاحب الامر وان صلحك جرى على الحقيقة انها
للروم فسلم اليهم ذلك والسلام ورحمة الله وبركاته عليك وعلى جميع المسلمين وأما هدية ابنة الملك هرقل
فهديتها الى أبيها بعد أمرها انفريط وقد كان يأخذ في فديتها مالا كثيرا يرجع به على الضعفاء من المسلمين
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتمه ثم دعا بعامر بن أبي وقاص أخي سعد ودفع
الكتاب اليه وقال له انطلق الى دمشق وسلم كتابي هذا الى أبي عبيدة وأمره أن يجمع الناس اليه واقرأه
أنت على الناس يا عامر وأخبره بموت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم دعا عمر رضي الله تعالى عنه
بشداد بن أوس فصافحه وقال له امض أنت وعامر الى الشام فاذا قرأ أبو عبيدة الكتاب فأمر الناس
يبايعونك لتكون بيعتك بيعتي (قال الواقدي) فانطلقا يجدان في السير الى أن وصلا الى دمشق والناس
مقيمون بها ينتظرون ما يأتيهم من خبر أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وما يأمرهم به فأشرف صاحبا عمر
رضي الله تعالى عنه على المسلمين وقد طالت أعناقهم اليهما وفرحوا بقدومهما فأقبلا حتى نزلا في خيمة خالد
رضي الله عنه وقال له عامر بن أبي وقاص تركته يعني عمر بخير ومعي كتاب وانه أمرني أن أقرأه على الناس
بالاجتماع فاستنكر خالد ذلك واستراب الامر وجمع المسلمين اليه فقام عامر بن أبي وقاص فقرأ الكتاب فلما
انتهى الى وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ارتفع للناس ضجة عظيمة بالبكاء والنحيب وبكى خالد
رضي الله تعالى عنه وقال ان كان أبو بكر قد قبض وقد استخلف عمر فالسمع والطاعة لامر ومابه أمر وقرأ
عامر الكتاب الى آخره فلما سمع الناس بما فيه من أمر المبايعة لشداد بن أوس بايعوه وكانت المبايعة

دولة عمرو بن العاص
أربعين كورة وعدة قراها
ألفان وثلاثمائة وخمسة
وسبعون قرية دون الكنوز
وكان خراجها في زمن
عمرو بن العاص اثني
عشر ألف ألف دينار ثم
تغيرت أحوال مصر في
دولة الاسلام الى الغاية
وخرب غالب قراها وانحط
خراجها ولم يزل عمرو بن
العاص واليا على مصر الى
ان توفي عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وولي عثمان
ابن عفان فعزله وولى بدله
عبد الله بن أبي سرح فلما
أتى الى مصر ارتحل عمرو
الى المدينة الشريفة
فجبى عبد الله بن

بدمشق لثلاث خلت من شهر شعبان سنة ثلاث عشرة من الهجرة (قال الواقدي) رحمه الله تعالى قد بلغني أنه كان على العدو بعد عزله أشد فظاعة وأصعب جهاداً لاسيما في حصن أبي القدس

﴿ذكر حديث وقعة أبي القدس﴾

(قال الواقدي) رحمه الله تعالى سألت من حدث بهذا الحديث عن حصن أبي القدس قال ما بين عرقا وطرابلس مرج يقال له مرج السلسلة وكان بازائه دير فيه صوامع وفي صومعة راهب عالم بدين النصرانية وقد قرأ الكتب السالفة وأخبار الامم الماضية المتقدمة وكانت تقصده الروم وتقتبس من علمه وله من العمر ما ينوف عن مائة سنة وكان في كل سنة يقوم عند ديره عيد آخر صيام الروم وهو عيد الشعانين فتجتمع الروم والنصارى وغيرهم من جميع النواحي والسواحل ومن قبط مصر ويحدقون به فيطلع عليهم من ذروته فيعلمهم ويوصيهم بوصايا الانجيل وكان يقوم في ذلك العيد سوق عظيم من السنة الى السنة وكان يحمل له الامتعة والذهب والفضة ويبيعون ويشترون ثلاثة أيام وما كان المسلمون يعلمون بذلك ولا يعرفونه حتى دلهم عليه رجل نصراني من المعاهدين وقد اصطفاه وأمنه وأهله فلما ولي أبو عبيدة أمر المسلمين أراد ذلك المعاهد أن يتقرب الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فعسى أن يكون فتح الدير والسوق على يديه فاقبل اليه وأبو عبيدة قد أطال الفكر فيما يصنع وأي بلد من بلاد الروم يقصد فمرة يقول أسير الى بيت المقدس بالجيش فانها أشرف بلادهم وكرسي مملكة الروم بها قيام دينهم ووقتاً يقول أسير الى انطاكية وأقصد هرقل وأفرغ منه وبينما هو يفكر في أمره وقد جمع المسلمين اذ أقبل ذلك المعاهد وكان من نصارى الشام فقال أيها الامير انك قد أحسنت الي وأمنتني ووهبتني أهلي ومالي وولدي وقد أتيتك ببشارة وغنيمة تغنمها المسلمون ساقها الله اليهم فان أظفرهم الله بها استغنوا غنى لا فقر بعده فقال أبو عبيدة أخبرنا ما هذه الغنيمة وأين تكون فما علمتك الا ناصحاً فقال أيها الامير انها بازائك على دير الساحل وهو حصن يعرف بأبي القدس وبازائه دير فيه راهب تعظمه النصرانية ويتبركون بدعائه ويقتبسون من علمه وله في كل سنة عيد يجتمعون اليه من كل النواحي والقرى والامصار والضياع والأديرة ويقوم عنده سوق عظيم يظهرون فيه فاخر ثيابهم من الديباج والذهب والفضة يقيمون عنده ثلاثة أيام أو سبعة وقد قرب وقت قيام السوق فتأخذون جميع ما فيه وتقتلون الرجال وتسبون النساء والذراري وهذه غنيمة يفرح بها المسلمون ويوهن لها عدوكم (قال الواقدي) فلما سمع أبو عبيدة ما قاله المعاهد فرح رجاء أن يكون ما قاله المعاهد غنيمة للمسلمين فقال للمعاهد كم بيننا وبين هذا الدير قال عشرة فراسخ للجد السائر قال أبو عبيدة وكم بقي الى قيام السوق قال أيام قلائل قال أبو عبيدة فهل يكون لهم حامية يلي أمرهم ويصد عنهم قال المعاهد لسنا نعرف ما ذكرت في بلاد الملك لانه لا يصيب بعضنا بعضاً الهيبة هرقل في قلوبهم فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال هل بالقرب منه شيء من مدائن الشام قال نعم بالقرب من السوق مدينة تسمى طرابلس وهي مينا الشام اليها تقدم المراكب من كل مكان وفيها بطريق عظيم كثير التجبر وقد أقطعه الملك اياها من تجبره وهو يحضر السوق وما كنت أعهد ان لهذا السوق حامية من الروم الا أن يكون الآن لخوفهم منكم ولو سار الى الدير والسوق أدنى المسلمين لرجوت لهم الفتح ان شاء الله تعالى فقال أبو عبيدة أيها الناس أيكم يهب نفسه لله تعالى وينطلق مع جيش أبعثه فتحاً للمسلمين فسكت الناس ولم يتكلم أحد فنادى أبو عبيدة ثانية واغتاظ يريد خالداً بقوله واستحى أن يواجهه في ذلك لاجل عزله فقام من وسط الناس غلام شاب نبت شعر عارضيه واخضر شاربه وكان ذلك الشاب عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنه وكانت أمه أسماء بنت عميس الخثعمية وكان أبو جعفر رضي الله تعالى عنه قد مات في غزوة تبوك وخلف ولده عبد الله صغيراً فتزوجها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما كبر وترعرع كان يقول لامه يا أماه ما فعل بأبي فتقول يا ولدي قتله الروم وكان يقول لئن عشت لآخذن بثاره فلما مات أبو بكر وتولى عمر رضي الله تعالى عنهما جاء عبد الله الى الشام في بعث بعثه عمر مع عبد الله بن أنيس الجهني وكان فيه مشابهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلقه وخلقه وهو أحد أصحاب الاسخياء فلما قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه أيها الناس من ينطلق الى هذا الدير وثب عبد الله بن جعفر الطيار رضي الله تعالى عنهما فقال أنا أول من يسير مع هذا البعث يا أمين الامة ففرح أبو عبيدة وجعل ينذب له رجالاً من المسلمين وفرسان الموحدين وقال له أنت الامير عليهم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقد له راية سوداء وسلمها اليه وكان على الخيل

أبي سرح خراج مصر في تلك السنة أربعة عشر ألف ألف دينار فلما وصل ذلك الى عثمان بالمدينة نظر الى عمرو بن العاص وقال له قد درت اللقحة يا عمرو فقال له نعم ولكن جاعت أولادها فان هذه الزيادة التي أخذها عبد الله بن أبي سرح اغتالها على الجماجم فانه أخذ من كل رأس ديناراً خارجاً عن الخراج وحصل لاهل مصر بسبب ذلك ضرر شديد وهي أول ثلمة حلت بهم ثم أعيد عمرو بن العاص الى ولاية مصر في زمن معاوية وأقام أميراً بها الى أن مات

خمسمائة فارس منهم رجال من أهل بدر وكان من جملة من سيره مع عبد الله أبو ذر الغفارى وعبد الله بن أبى أوفى
وعامر بن ربيعة وعبد الله بن أنيس وعبد الله بن ثعلبة وعقبة بن عبد الله السلمى وواثلة بن الاسقع وسهل بن سعد
وعبد الله بن بشر والسائب بن يزيد ومثل هؤلاء السادات رضى الله تعالى عنهم أجمعين (قال الواقدى) ولما أن
اجتمعت الخمسمائة فارس تحت راية عبد الله بن جعفر وما منهم الا من شهد الوقائع وخاض المعامع لا يولون الادبار
ولا يركنون الى الفرار عولوا على المسير وقال أبو عبيدة لعبد الله بن جعفر يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقدم على القوم الا فى أول قيام السوق ثم انه ودعهم وساروا (قال الواقدى) وكان فى هذه السرية مع عبد الله
ابن جعفر واثلة بن الاسقع وكان خروجهم من أرض الشام وهى دمشق الى دير أبى القدس فى ليلة النصف من
شعبان وكان القمر زائد النور قال وأنا الى جانب عبد الله بن جعفر فقال لى يا ابن الاسقع ما أحسن قمر هذه
الليلة وأنوره فقلت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه ليلة النصف من شعبان وهى ليلة مباركة عظيمة
وفى هذه تكتب الارزاق والآجال وتغفر فيها الذنوب والسيئات وكنت أردت أن أقومها فقلت ان سيرنا فى
سبيل الله خير من قيامها والله جزيل العطاء فقال صدقت ثم انا سرنا ليلتنا فبينما نحن سائرون اذ أشرفنا على
صومعة راهب وعليه برنس اسود فجعل يتأملنا وينظر فى وجوهنا فتفقدنا واحدا بعد واحد ثم جعل يطيل
النظر فى وجه عبد الله ثم قال أهذا الفتى ابن نبيكم فقلنا لا قال ان نور النبوة يلوح بين عينيه فهل يلحق به فقلنا
هو ابن عمه فقال الراهب هو من الورقة والورقة من الشجرة فقال عبد الله أيها الراهب وهل تعرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال وكيف لا أعرفه واسمه وصفته فى التوراة والانجيل والزبور وانه صاحب الجمل الاحمر والسيف
المشهر فقال عبد الله فلم لم تؤمن به وتصدقه فرفع يده الى السماء وقال حتى يشاء صاحب هذه الخضراء فأعجبنا
كلامه وسرنا والدليل بين أيدينا اذ أتى بنا الى واد كثير الشجر والماء أمرنا أن نكمن فيه ثم قال لعبد الله بن
جعفر انى ذاهب أجس لكم الخبر فقال له عبد الله أسرع فى مسيرك وعد الينا بالخبر قال فانطلق مسرعا وأقام
عبد الله بن جعفر يحرس المسلمين بنفسه الى الصباح فلما أصبحنا صلينا صلاة الصبح وجلسنا ننتظر رجوع
الرسول فلم يأت وأبطأ خبره علينا فقلق المسلمون عليه لاحتباسه وخافوا من المكيدة ووسوس لهم الشيطان
وساءت بالدليل الظنون فما من المسلمين الا من ظن بالمعاهد شرا الا أبا ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فانه قال
ظنوا بصاحبكم خيرا ولا تخافوا منه كيدا ولا مكرا ان له شأنا ستعلمونه قال فسكت الناس بعد ذلك واذا بصاحبهم
قد أقبل قال واثلة بن الاسقع فلما رأيناه فرحنا به وظننا أنه يأمر بالنهوض الى العدو فأقبل حتى وقف وسط
المسلمين وقال يا أصحاب محمد وحق المسيح بن مريم انى لا أكذبكم فيما أحدثكم به وانى رجوت لكم
الغنيمة وقد حال بينكم وبينها ماء فقال له عبد الله رضى الله تعالى عنه وكيف حيل بيننا وبينها قال حال بينكم
وبينها بحر عجاج وذلك انى أشرفت على السوق وقد قام فيه البيع والشراء فاجتمع فيه أهل دين النصرانية
وقد دار أكثرهم بالدير دير أبى القدس واجتمع اليه القسس والرهبان والملوك والبطارقة فلما نظرت
الى ذلك لم أرجع حتى اختبرت ما السبب الذى تجمعت له الخلائق زيادة على كل سنة وذلك أنى مضيت
واختلطت بالقوم واذا بصاحب طرابلس قد زوج ابنته ملكا من ملوك الروم وقد أتوا بالجارية الى الدير
ليأخذوا لها من راهبهم قربانا وقد دار بها فرسان الروم المتنصرة فى عددهم وعديدهم كل ذلك خوفا منكم
لانهم يعلمون أنكم بأرض الشام يا معاشر المسلمين وما أرى لكم صوابا أن تصلوا الى القوم لانهم خلق كثير
وجم غفير وجمع غزير فقال عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنه فى كم يكون القوم وكم حزرتهم فقال
أما السوق ففيه أكثر من عشرين ألفا من عوام الروم والأرمن والنصارى والقبط واليهود ومن مصر
والشام وأهل السواد والبطارقة والمتنصرة وأما المستعدون للحرب فخمسة آلاف فارس فما لكم بالقوم طاقة
وان وقع صايح فى بلادهم انضاف اليهم أمثالهم فان بلادهم متصلة بهم وأما أنتم فعددكم يسير والعرب
منكم بعيد (قال الواقدى) فصعب ذلك على عبد الله بن جعفر وعلى المسلمين وسقط فى أيديهم وهموا
بالرجوع فقال عبد الله بن جعفر معاشر المسلمين ما الذى تقولون فى هذا الامر فقالوا نرى أن لا نلقى بأيدينا الى
التهلكة كما أمرنا فى كتابه العزيز ونرجع الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنه والله لا يضيع أجرنا قال فلما
سمع عبد الله قولهم قال أما أنا فأخاف ان فعلت ذلك أن يكتبنى الله من الفارين وما أرجع وأبدى عذرا عند

بها ليلة عيد الفطر سنة
ثلاث وأربعين على
المشهور ودفن بالمقطم
وهو جبل الجيوشى من
ناحية الفج وكان طريق
الناس يومئذ الى الحجاز
فأحب أن يدعو له من مر
به من الناس وهو أول
أمير مات بمصر
(الباب الاول فى خلافة
الخلفاء الاربعة ومن ولى
بعدهم وهو الحسن بن على
وفى دولة بنى أمية والدولة
العباسية ومن ولى مصر
من النواب والخلفاء
الراشدين والدولتين
المذكورتين ومن دخل فى
ذلك بالتغلب من ابن
طولون والاخشيدية)

الله تعالى فمن ساعدنى فقد وقع أجره على الله ومن رجع فلا عتب عليه فلما سمعوا ذلك من عبد الله بن جعفر أميرهم و بذل مهجته استحيوا منه وأجابوه بأجمعهم وقالوا افعل ماتريد فما ينفع حذر من قدر ففرح باجابتهم ثم عمد الى درعه فافرغه عليه و وضع على رأسه بيضة وشد وسطه بمنطقة وتقلد بسيف أبيه واستوى على متن جواده وأخذ الراية بيده وأمر الناس بأخذ الأهبة فلبسوا دروعهم واشتملوا بسلاحهم وركبوا خيولهم وقالوا للدليل سر بنا نحو القوم فسنعاين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا قال واثلة بن الاسقع فرأيت الدليل قد اصفر وجهه وتغير لونه وقال سيروا وأنتم برأيكم وما على من أمركم وخرج قال أبو ذر الغفارى فرأيت عبد الله بن جعفر يتلطف به حتى سار بين يديه يدله على القوم ساعة ثم وقف وقال امسكوا عليكم فانكم قد قربتم من القوم فكونوا فى مواضعكم كامنين الى وقت السحر ثم أغيروا على القوم قال واثلة بن الاسقع فبتنا ليلتنا حيث أمرنا ونحن نطلب النصر من الله تعالى على الاعداء فلما أصبح النهار صلى بهم عبد الله بن جعفر صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم قال ماترون فى الغارة فقال عامر بن عميرة بن ربيعة أدلكم على أمر تصنعونه كالواقل قال اتركوا القوم فى بيعهم وشرائهم واظهار أمتعتهم ثم اكبسوا عليهم على حين غفلة وغرة من أمرهم فصوب الناس رأيه وصبروا الى وقت قيام السوق ثم أظهروا السيوف من أغمادها وأوتروا القسى وشرعوا الاماتهم وعبد الله بن جعفر أمامهم والراية بيده فلما طلعت الشمس عمد عبد الله الى المسلمين فجعلهم خمسة كراديس كل كردوس مائة فارس وجعل على كل مائة نقيبا وقال تأخذ كل مائة منكم قطرا من أقطار سوقهم ولا تشتغلوا بنهب ولا غارة ولكن ضعوا السيوف فى المفارق والعواتق وتقدم عبد الله بن جعفر بالراية وطلع على القوم فنظر الى الروم متفرقين فى الارض كالنمل لكثرتهم وقد أحدق منهم بدير الراهب خلق كثير والراهب قد أخرج رأسه من الدير وهو يعظ الناس و يوصيهم و يعلمهم معالم ملتهم وهم اليه شخوص بأبصارهم وابنة البطريق عنده فى الدير والبطارقة وأبناؤهم عليهم الديباج المثقل بالذهب ومن فوقهم دروع وجواشن تلمع وبيض وهم ينظرون صيحة بين أيديهم أوطارقا يطرقهم من خلفهم ونظر عبد الله الى الدير والى ما أحدق به والى الراهب وما حول صومعته فهاله ذلك من أمرهم وصاح فيهم قبل الحملة وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احملوا بارك الله فيكم فان كان غنيمة وسرور فالفتح والسلامة و يكون الاجتماع تحت صومعة الراهب وان كان غير ذلك فهو وعدنا الجنة ونلتقى عند حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة قال وطلب عبد الله الجم العظيم فغاص فيهم وجعل يضرب بسيفه و يطعن برمحه و يحمل المسلمون من ورائه وسمع الروم أصوات المسلمين مرتفعة بالتهليل والتكبير فتيقنوا أن جيوش المسلمين قد أدركتهم وكانوا لذلك منتظرين وعلى يقظة من أمرهم فأما السوقة فانهم تبادروا الى أسلحتهم والمنع عن أنفسهم وأموالهم وأخرجوا السيوف من الاغمدة وانعطفوا على قتال المسلمين عطفة الاسد الضارى وطلبوا صاحب الراية ولم يكن مع المسلمين راية غيرها فاحدقوا بالراية من كل جانب ومكان وقامت الحرب على ساق وثار الغبار وانعقد وأحدق الروم بالمسلمين فما كان المسلمون فيهم الا كشامة بيضاء فى جلد بعير اسود وما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير وكل أحد مشتغل بنفسه عن غيره وقال أبو سبرة ابراهيم بن عبد العزيز بن أبى قيس وكان من السابقين المتقدمين بايمانهم فى الاسلام وصاحب الهجرتين جميعا قال شهدت قتال الحبشة مع جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وشهدت المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدر وفى أحد وفى حنين وقلت انى لا أشهد مثلها فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنت عليه ولم أستطع أن أقيم بالمدينة بعد فقده فقدمت مكة فأقمت بها فعوتبت فى منامى على التخلف عن الجهاد فخرجت الى الشام وشهدت أجنادين والشام وسرية خالد خلف توما وهربيس وشهدت سرية عبد الله بن جعفر وكنت معه على دير أبى القدس فانستنى وقعتها ماشهدت قبلها من الوقائع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنى نظرت الى الروم حين حملنا عليهم فى كثرتهم وعددهم وقلنا ماثم غيرهم وليس لهم كمين فخرج لهم كمين عظيم قال فرأينا أجسادهم هائلة وعليهم الدروع وما يبين منهم الا حماليق الحدق لهم طقطقة وزمجرة عندما يحملون حتى نظرت الى المسلمين قد غابوا فى أوساطهم ولا أسمع منهم الا الاصوات تارة يجهرون بها وتارة أقول هلكوا ثم أنظر الى الراية بيد عبد الله

ولنقدم على ذلك نبذة مما يتعلق به صلى الله عليه وسلم تبركا به فنقول هو محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بفتح الطاء المشددة وكسر اللام ابن هاشم بوزن اسم الفاعل ابن عبد مناف بفتح الميم ابن قصى بضم القاف ابن كلاب بكسر الكاف على صيغة الجمع ابن مرة بضم الميم ابن كعب بفتح أوله ابن لؤى بضم أوله وفتح الهمزة وتشديد التحتية ابن غالب بوزن اسم الفاعل ابن فهر بكسر أوله ابن مالك بن النضر بفتح أوله ابن كنانة بكسر أوله ابن خزيمة بن مدركة

ابن جعفر رضي الله تعالى عنه مرفوعة فأفرح بذلك وعبد الله يقاتل بالراية ويكر على المشركين ولا ينثني
ويجاهد على صغر سنه ولم نزل الحرب بيننا كلما طال مكثها اشتد ضرامها وعلا قتامها والتهبت نارها وصار عبد
الله في وسط القوم وهم حوله كالحلقة الدائرة والروم يحدقون به فجعل كلما حمل يمينا حملت يمينا وان حمل شمالا
حملت شمالا ولم نزل في الحرب والقتال حتى كلت منا السواعد وخدرت منا المناكب قال وعظم الامر علينا
وهالنا الصبر وتثلم سيف عبد الله في يده وكادت تقع فرسه من تحته فالتجأ بأصحابه في موضع فاجتمع أصحابه
اليه فنظر المسلمون الى رايته فقصدوها وما منهم الا مكلوم من المشركين فضاق لذلك ذرعه وما نزل به في نفسه
مثل ما نزل بالمسلمين فالتجأ الى الله تعالى أمره وفوض الى صاحب السماء شأنه ورفع يده الى السماء وقال في
دعائه يا من خلق خلقه وأبلى بعضهم ببعض وجعل ذلك محنة لهم أسألك بجاه محمد النبي صلى الله عليه وسلم الا
ما جعلت لنا من أمرنا فرجا ومخرجا ثم عاد الى القتال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلون معه تحت
رايته فلله در أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه فانه نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهد بين يديه
قال عمرو بن ساعدة فلقد رأيته مع كبر سنه يضرب بسيفه ضربا شديدا في الروم وينتمي الى قومه ويذكر عند
حملاته اسمه ويقول أنا أبو ذر والمسلمون يفعلون كفعله الى أن بلغت القلوب الحناجر وظنوا أن في ذلك الموضع
قبورهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عبد الله بن أنيس الجهني قال كنت أحب جعفرا وأحب من
أولاده عبد الله فلما قبض أبو بكر رضي الله تعالى عنه وكان قائما مقام أبيه نظرت الى أمه أسماء بنت عميس حزينة
فكرهت أن أنظر اليها في ذلك الحزن وأيضا ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان يحب عبد الله حبا شديدا
فاستأذن عبد الله بن جعفر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في المسير الى الشام وقال لي يا ابن أنيس الجهني
أشتهي أن ألحق بالشام ومعنا عشرون فارسا أكون مجاهدا أفتصحبني فقلت نعم فودع عمه عليا رضي الله تعالى
عنهما وودع عمر رضي الله تعالى عنه وسار يريد الشام ومعنا عشرون فارسا حتى أتينا تبوك فقال يا ابن أنيس
أتدري موضع قبر أبي فقلت نعم فقال أشتهي أن أرى الموضع قال فسرنا حتى أتينا الموضع فأريته موضع مصرع
أبيه وموضع الوقعة وقبر أبيه جعفر رحمه الله تعالى وعليه حجارة فلما نظر اليه نزل ونزلنا معه وبكى وترحم فأقمنا
عنده الى صبيحة اليوم الثاني فلما رحلنا رأيت عبد الله يبكي ووجهه مثل الزعفران فسألته عن ذلك فقال
رأيت أبي البارحة في النوم وعليه حلتان خضراوتان وتاج وله جناحان وبيده سيف مسلول أخضر فسلمه الي
وقال يا بني قاتل به أعداءك فاوصلت الى ما ترى الا بالجهاد فكأني أقاتل بالسيف حتى تثلم قال عبد الله بن أنيس
وسرنا حتى أتينا عسكر أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه بدمشق فبعثه أميرا تلك السرية الى دير أبي القدس قال
عبد الله بن أنيس فلما رأيت الوقعة بينه وبين الروم قلت يوشك أن يذهب عبد الله فسرت كالبرق ورجعت
الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فلما رآني قال أبشارة يا ابن أنيس أم لا فقلت أنجد المسلمين الى نصرة عبد
الله بن جعفر ومن معه ثم حدثته بالقصة فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه انا لله وانا اليه راجعون أصاب
عبد الله بن جعفر ومن معه تحت رايتك يا أبا عبيدة وهي أول امارتك (قال الواقدي) ثم التفت الى خالد بن
الوليد رضي الله تعالى عنه فقال له يا أبا سليمان سألتك بالله الحق عبد الله بن جعفر فانت المعد لها فقال خالد أنا
لها ان شاء الله تعالى وما كنت أنتظر الا أن تأمرني فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه استحييت منك يا أبا
سليمان فقال والله لو أمر على طفل صغير لأطيعن له فكيف أخالفك وأنت أقدم مني ايمانا وأسبق اسلاما سبقت
باسلامك مع السابقين وسارعت بايمانك مع المسارعين وسماك رسول الله بالامين فكيف ألحقك أو أنال
درجتك والآن أشهدك أني قد جعلت نفسي حبسا في سبيل الله تعالى ولا أخالفك أبدا ولا وليت امارة بعدها
أبدا (قال الواقدي) فاستحسن المسلمون قوله فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يا أبا سليمان الحق اخوانك
رحمك الله قال فوثب خالد رضي الله عنه كأنه الاسد وسار الى رحله فافرغ عليه درع مسيلمة الكذاب
الذي سلبه منه يوم اليمامة وألقى بيضة على رأسه وأردفها قلنسوة وتقلد بحسامه وانصب في سرجه كأنه
السيل ونادى بجيش الزحف هلموا الى حرب السيوف فأجابوه مسرعين كأنهم العقبان وبادروا الى طاعة
الرحمن وأخذ خالد الراية بيده وهزها على ركابه ودار به عسكر الزحف من كل جانب وودع المسلمون بعضهم
بعضا وسار وسار خالد وعبد الله بن أنيس يدلهم على الطريق قال رافع بن عميرة الطائي كنت يومئذ من

بضم أولهما ابن الياس بكسر الهمزة وسكون اللام قبل المثناة التحتية ابن مضر بضم أوله ابن نزار بكسر أوله وفتح الزاي قبل الالف ابن معد بفتح أوله وتشديد ثالثه ابن عدنان بوزن فعلان وهذا هو النسب المتفق عليه وليس مما وراءه طريق صحيح ولما نفخ الروح في آدم كان نور نسمة محمد صلى الله عليه وسلم يلمع في جبهته كالشمس المشرقة ثم انتقل ذلك النور من صلب آدم عليه السلام الى رحم حواء ومنها الى صلب شيث ولم يزل ينتقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام

أصحاب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ولم يزل مجدا فى السير والله عز وجل يطوى لنا البعيد فلما كان عند غروب الشمس أشرفنا على القوم والروم كالجراد المنتشر قد غرق المسلمون فى كثرتهم فقال خالد يا ابن أنيس فى أى جانب أطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له انه واعد أصحابه ان يلتقوا عند دير الراهب أوموعدهم الجنة (قال الواقدى) فنظر خالد نحو الدير الراية الاسلامية وهى بيد عبد الله بن جعفر وما من المسلمين الا من أصيب بجرح وقد أيسوا من الحياة الفانية وطمعوا فى الحياة السرمدية والروم تناوشهم بالحرب وتكثر الطعن والضرب وعبد الله بن جعفر يقول لاصحابه دونكم والمشركين واصبروا لقتال المارقين واعلموا أنه قد تجلى عليكم أرحم الراحمين ثم قرأ الآية قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فلما نظر خالد رضى الله تعالى عنه الى صبرهم وتجلدهم على قتال أعدائهم لم يطق الصبر دون أن حمل عليهم وهز رايته وقال لاصحابه دونكم القوم القباح فاروو امن دمائهم السلاح وابشروا بالنجاح يا أهل حى على الفلاح (قال الواقدى) رحمه الله تعالى فبينما أصحاب عبد الله بن جعفر فى أشد ما يكونون فيه اذ خرجت عليهم خيل المسلمين وكتائب الموحدين كأنهم الطيور وعليها الرجال كأنهم العقبان الكاسرة والليوث الضارية وهم غائصون فى الحديد وقد ارتفع لهم الضجيج وبخيلهم العجيج فلما نظر عبد الله وأصحابه الى ذلك ظنوا أنها نجدة الاعداء فأيقنوا بالهلاك والفناء وجعلوا ينظرون الى الخيل التى رأوها واذا هى قاصدة اليهم ففزعوا وجزعوا وظنوا أن كمينا من الروم قد خرج لقتالهم فعظم عليهم الامر وقل منهم الصبر وأخذهم البهر وقد لحق بالمشركين الدمار وأثارهم حرب مثل النار والسيوف تلمع والرؤس من الرجال تقطع والارض قد امتلأت قتلى وهم فى أيدى المشركين كالاسرى والقوم فى أشد القتال والسيف يعمل فى الرجال اذ نادى فيهم مناد وهتف بهم هاتف خذل الآمن ونصر الخائف يا حملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن ونصرتم على عبدة الصلبان وقد بلغت القلوب الحناجر وعملت المرهفات البواتر واذا بفارس على المقدمة كأنه الاسد الزائر أو الليث الهادر ويده تشرق بالانوار كاشراق القمر فنادى الفارس بأعلى صوته أبشروا يا معاشر حملة القرآن بالنصر المشيد أنا خالد بن الوليد فلما نظر المسلمون الراية وسمعوا صوت خالد رضى الله تعالى عنه كأنهم كانوا فى لجة وأخرجهم فأجابوه بالتهليل والتكبير وكانت أصواتهم كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم حمل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بجيش الزحف الذى لا يفارقه ووضع السيف فى الروم قال عامر بن سراقة فما شبهت حملته الا حملة الاسد فى الغنم ففرقهم يمينا وشمالا قال فثبت المسلمون وكل علج من الروم شديد هو يمانع عن نفسه وخالد يطلب أن يصل الى عبد الله بن جعفر ولما نظر المسلمون الى الخيل المقبلة عليهم ولم يعلموا ما هى حتى سمعوا صوت خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فقال يا أيها الناس دونكم الاعداء فقد جاءكم النصر من رب السماء ثم حمل وحملت المسلمون معه قال واثلة بن الاسقع لقد كنا أيسنا من أنفسنا وأيقنا بالهلاك حتى أتتنا المعونة والنصر من الله عز وجل فحملنا بحملة اخواننا قال فما اختلط الظلام حتى نظرت الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه والراية بيده وهو يسوق المشركين بين يديه سوق الغنم الى الراعى والمسلمون يقتلون ويأسرون فلله در أبى ذر الغفارى وضرار بن الازور والمسيب بن نجية الفزارى لقد قربوا المواكب وهزوا المضارب وقتلوا الروم من كل جانب والتقى ضرار بعبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما فنظر اليه والدم على أكمام درعه كأكباد الابل فقال شكر الله تعالى لك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انك لقد أخذت بثار أبيك وشفيت غليلك فقال عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما من الرجل المخاطب لى وكان الظلام قد اعتكر وضرار ملتثم لا يبين منه الا الحدق فلم يعرفه عبد الله فقال أنا ضرار بن الازور صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بطلعتك وبأخ منا عدل الينا وقام لنصرتنا قال عبد الله بن أنيس فبينما هم على ذلك اذ أقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وجيش الزحف فقال شكر لك الله وأحسن جزاءك ثم قال عبد الله يا أبا ضرار اعلم أن حامية الروم والبطارقة عند الدير لاجل ابنة صاحب طرابلس وما معها من الاموال وقد أحاط بها كل فارس من الروم فهل لك يا ابن الازور أن تحمل معى فقال وأين هم فقال أما تنظر اليهم فمد عينه واذا بحامية الروم وبطريق طرابلس وقد أحدقوا بالدير يمنعون عن الجارية والنيران مشتعلة والصلبان تلمع كضوء النار وكانهم سد من حديد فقال أرشدك الله للخيرات فنعم المرشد أنت

الطاهرات وهو معنى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وكان كل جد من أجداده من لدن آدم يأخذ العهد والميثاق أن لا يوضع ذلك النور الا فى الطاهرات فاول من أخذ العهد آدم أخذه على شيث وشيث على أنوش وأنوش على قنن وهكذا الى أن وصلت النوبة الى عبد الله ابن عبد المطلب فلما أودع ذلك فى صلبه لمع ذلك النور من جبهته فظهر له جمال وبهجة فكانت نساء قريش يرغبن فى نكاحه وقد لقى فى زمانه مالقى يوسف عليه السلام من امرأة العزيز وقد

احمل حتى أحمل معك بحملتك قال فحمل عبد الله بن جعفر من جهته وحمل ضرار بن الازور من جهته وتبعهما الرجال وزعقوا فى الروم وحماة المشركين وهم يمانعون عن أنفسهم وكان أشدهم منعة بطريقهم فبرز أمام القوم وهو يهدر كالبعير ويزأر زئير الاسد يصيح بكلمة الكفر ويحمل حملات الشجعان فقصده ضرار بن الازور وباطشه فى الضرب والتقت الاقران ونظر ضرار الى العلج وعظم خلقته وتمكنه فى سرجه وشدة ضربه وحسن احترازه فاخذ ضرار منه حذره واحترز منه البطريق وطلبه أشد الطلب وكل واحد منهما طامع فى صاحبه فانفرد ضرار بن الازور مع صاحب القوم وكل قرن مع قرنه وليس مع ضرار أحد من المسلمين فانبسط ضرار بين أيديهم ليكر بهم وطلبه البطريق وأصحابه وقصدوه بحملتهم فلما نظر ضرار الى ذلك قصد موضعا يصلح لمجال الخيل فاعترضه واد فى ظلمة الليل فكبا به الجواد فسقط الى الارض هاويا ثم سار من سقطته يروم أخذ الفرس فلم يجد الى ذلك سبيلا فوقف مكانه وسيفه وحجفته بيده وجعل يجاهدهم بسيفه وصبر لهم صبر الكرام ولم يأخذه فى الله لومة لائم فخفق عليه بطريق الروم وأقبل يضرب بعموده فلما لازمه ورمى اليه ودعليه زاغ ضرار عن الضربة ثم وثب اليه وثبة الاسد وضربه ضربة أزعجت فرس البطريق من تحته وقام على رجليه وشبك بيديه وضربه الثانية فوقعت ضربة ضرار فى عين جواده فانتكس الجواد الى الارض ووقع العلج على ظهره ولم يقدر أن يقوم لانه مزرد فى سرجه فعاجله ضرار قبل وصول غلمانه اليه وضربه على حبل عاتقه فنبا سيفه ولم يعمل شيأ فناهضه العلج وقد أيقن بالهلاك وقبض عليه وكان كالجبل العظيم فرماه ضرار تحته وملك صدره واستوى على نحره وكان مع ضرار سكين من صنعة اليمن لا تفارقه فاستلها من غمدها وضرب صدر عدو الله الى سرته فسقط عدو الله قتيلا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم وثب ضرار وملك جواد عدو الله واستوى فى سرجه وكان على الجواد كثير من الذهب والفضة والفصوص التى تساوى ثمنا كثيرا فلما صار على ظهر الجواد حمل وكبر على المشركين ففرقهم يمينا وشمالا وكان ضرار لما انبسط أمام القوم ملك عبد الله بن جعفر الدير ومن فيه هو ومن معه من المسلمين واحدقوا به ولم يأخذوا منه شيأ حتى رجع خالد رضى الله تعالى عنه من اتباع الروم وذلك ان خالدا اتبعهم الى نهر عظيم كان بينهم وبين طرابلس الشام والروم يعرفون مخاوضه فوقف خالد ورجع الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم قد ملكوا الدير وقتلوا العلج وانتشرت الناس فى جميع الغنائم وما كان فى السوق من المتاع والفراش والقماش والثياب والطعام وغيره قال واثلة بن الاسقع فجعلنا نجمعه ونأكل من الخيرات وأخرجوا ما كان فى الدير من آنية الذهب والفضة والستور والمراتب وأخرجوا ابنة البطريق ومعها أربعون جارية لهن حلى وحلل والمال على البراذين والبغال والحمير فانقلب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنيمة والاموال الجسيمة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فنسبت تلك السرية لثلاث عبد الله بن جعفر صاحبها وعبد الله بن أنيس مدركها وخالد بن الوليد منجدها ولقى خالد فيها مشقة وجراحا مؤلمة فلما سار وأقبل خالد الى الدير صاح بصاحبه يا راهب فلم يكلمه فهتف به مرة أخرى وهدده فاطلع عليه وقال ما تشاء وحق المسيح ايطا الملك صاحب هذه الخضراء بدماء من قتلت فقال خالد كيف يطالبنا وقد أمرنا أن نقاتلكم ونجاهدكم ووعدنا على ذلك الثواب والله لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نتعرض لكم لا تركتك فى صومعتك بل كنت قتلتك أشر قتلة فسكت الراهب عنه ولم يجبه وانقلب خالد والمسلمون بالغنائم الى دمشق وأبو عبيدة رضى الله عنه فيها فشكرهم وسلم على خالد وعلى عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهم ورجع الى مكانه فخمس الغنيمة وقسمها على الناس فدفع لضرار بن الازور فرس البطريق وسرجه وما عليه من حلى الذهب والفضة والجواهر والفصوص فأتى به ضرار الى أخته السيدة خولة رضى الله تعالى عنها قال فرأيتها تنزع فصوص الجوهر فتفرقها على نساء المسلمين وان الفص منها ليساوى الثمن الكثير قال وعرض السبى على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وفى الجملة ابنة البطريق فقال عبد الله بن جعفر أريدها قال أبو عبيدة حتى أستأذن أمير المؤمنين فى ذلك فكتب اليه يعلمه بها وبمسئلة عبد الله بن جعفر فكتب عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه هى له فأخذها عبد الله وأقامت زمانا عنده وعلمها الطبخ وكانت من قبل تعرف طبخ الفرس والروم وأقامت عنده الى أيام يزيد فاخبر بها فاستهداها منه فاهداها له وكانت عنده وقال عامر بن ربيعة أصابنى من غنيمة سوق الدير أثواب ديباج حرير فيها صور الروم وكان فى كل ثوب منها صورة

روى الترمذى عن العباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وجعلنى من خيارهم ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى فى خير بيت فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أى ذاتا وأصلا وأخرج ابن جرير فى تفسير قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام * عن مجاهد قال استجاب الله تعالى دعوة سيدنا ابراهيم فى ولده فلم يعبد أحد منهم صنما بعد دعوته وجعل من ذريته

حسنة وهى صورة مريم وعيسى عليهما السلام فحملت الثياب الى اليمن فبيعت بثمن كثير وكتب الى عمى وأنا مع أبى عبيدة ياابن أخى ابعث لى من هذه الثياب وأكثر منها فانها تنفق (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما رجع جيش المسلمين غانما كتب أبو عبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتابا يخبره بما فتح الله على يديه وما غنم المسلمون من دير أبى القدس ويمدح خالدا ويشكره ويثنى عليه ويخبره بما قال فيه وما تكلم به وسأله فى كتابه أن يكتب الى خالد يستشيره فى المسير الى هرقل أو الى بيت المقدس وكتب اليه أيضا أن بعض المسلمين يشربون الخمر قال عاصم بن ذؤيب العامرى وكان ممن شهد قتال الروم بالشام وفتح دمشق العرب الوافدون من اليمن فأخذوا فى الشرب واستطابوا ذلك فانكر ذلك الامير أبو عبيدة فقال رجل من العرب أظنه سراقة بن عامر يامعاشر المسلمين خلوا شرب الخمر فانها تزيل العقول وتكسب الاثم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر حتى لعن حاملها والمحمولة اليه (وحدثنى) أسامة بن زيد الليثى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الغفارى قال كنت مع أبى عبيدة بالشام فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يخبره بفتح الشام وفى الكتاب ان المسلمين يشربون الخمر واستقلوا الحد فقدمت المدينة فوجدت عمر رضى الله تعالى عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وعنده نفر من الصحابة وهم عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف يتحدثون فدفعت الكتاب اليه فلما قرأه جعل يفكر فى ذلك ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالد فى شربها ثم سأل عمر عليا رضى الله تعالى عنهما فى ذلك وقال ما ترى فى هذا فقال على رضى الله تعالى عنه ان السكران اذا سكر هذى واذا هذى افترى فكتب اليه عمر ان من شرب الخمر فعليه ثمانون جلدة ولعمرى ما يصلح لهم الا الشدة والفقر ولقد كان حقهم أن يراقبوا ربهم عز وجل ويعبدوه ويؤمنوا به ويشكروه فمن عاد فأقم عليه الحد (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما ورد كتاب عمر رضى الله تعالى عنه على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقرأه نادى فى المسلمين من كان فى نفسه حد فليحط ذلك من نفسه وليتب الى الله عز وجل ففعل ذلك كثير من الناس ممن كان شرب الخمر وأعطى الحد من نفسه ثم قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه انى عزمت على المسير الى انطاكية وقصد كلب الروم لعل الله تعالى يفتحها على أيدينا فقال المسلمون سر حيث شئت فنحن تبع لك نقاتل أعداءك فسر بقولهم وقال تأهبوا للرحيل فانى سائر بكم الى حلب فاذا فتحناها توجهنا منها ان شاء الله تعالى الى انطاكية فأسرع المسلمون فى اصلاح شأنهم وأخذوا أهبتهم فلما فرغ أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه من جميع شغله أمر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أن يأخذ راية العقاب التى عقدها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأمره أن يسير أمام الجيش بعسكر الزحف فسار خالد على المقدمة ومعه ضرار بن الازور ورافع بن عميرة الطائى والمسيب بن نجية الفزارى والناس يتبع بعضهم بعضا وترك على دمشق صفوان بن عامر السلمى وترك عنده خمسمائة رجل وسار أبو عبيدة بالمسلمين ومعه ناس من اليمن ومضر

﴿ذكر فتح حمص﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار أبو عبيدة على طريق البقاع واللبوة فلما وصل الى هناك بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه الى حمص وقال يا أبا سليمان انهض على بركة الله تعالى وعونه ونازل القوم وشن الغارة على أرض العواصم وقنسرين وأنا أسير الى بعلبك ولعل الله أن يسهل علينا فتحها ثم ودعه وسار خالد رضى الله تعالى عنه بمن معه الى حمص وتوجه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى بعلبك اذ ورد بطريق جوسية ومعه الهدايا والتحف وصالح المسلمين سنة كاملة وقال ان تحتم بعلبك فانا بين أيديكم ولا نخالف لكم قولا فصالحهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على أربعة آلاف درهم وخمسين ثوبا من الديباج فلما انبرم الصلح سار أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يطلب بعلبك فلما بعد من اللبوة الا وقد أشرف عليه راكب نجيب فاذا هو أسامة بن زيد الطائى فقال يا أسامة من أين أقبلت فاناخ نجيبه وسلم على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وعلى المسلمين وقال أتيت من المدينة وسلم اليه كتابا من عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ففضه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه واذا فيه لا اله الا الله محمد رسول الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أمين الامة سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فلا مرد لقضاء الله وقدره ومن كتب

من يقيم الصلاة قال السيوطى رحمه الله تعالى وهذه الاوصاف كانت لاجداده صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية ابراهيم عليه السلام وكل ما ذكر عن ذرية سيدنا ابراهيم من المحاسن فان أولى الناس به سلسلة الاجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل اليهم نور النبوة واحدا بعد واحد ولم يدخل ولد اسحق عليه السلام وبقية ذرية ابراهيم لانه دعا لاهل هذه البلد ألا تراه قال رب اجعل هذا البلد آمنا وعقبه بقوله واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام فلم

فى اللوح المحفوظ كافرا فلا ايمان له وذلك أن جبلة بن الايهم الغسانى كان قدم علينا ببنى عمه وسراة قومه فانزلتهم وأحسنت اليهم وأسلموا على يدى وفرحت بذلك اذ شد الله عضد الاسلام والمسلمين بهم ولم أعلم ما كمن فى الغيب وانا سرنا الى مكة حرسها الله تعالى وعظمها انطلب الحج فطاف جبلة بالبيت أسبوعا فوطئ رجل من فزارة ازاره فسقط ازاره عن كتفه فالتفت الى الفزارى وقال يا ويلك كشفتنى فى حرم الله تعالى فقال والله ما تعمدتك فلطم جبلة بن الايهم الفزارى لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه الاربع فأقبل الفزارى الى مستعديا على جبلة فامرت باحضاره وقلت له ما حملك على أن لطمت أخاك فى الاسلام وكسرت ثناياه الاربع وهشمت أنفه فقال جبلة انه وطئ ازارى برجله فحله والله لولا حرمة هذا البيت لقتلته فقلت له قد أقررت على نفسك فاما أن يعفو عنك واما أن آخذ له منك القصاص فقال أيقتص منى وأنا ملك وهو من السوقة قلت قد شملك واياه الاسلام فما تفضله الا بالعافية فقال أتتركنى الى غد أو تقتص منى فقلت للفزارى أتتركه الى غد قال نعم فلما كان الليل ركب فى بنى عمه وتوجه الى الشام الى كلب الطاغية وأرجو أن الله تعالى يظفرك به فانزل على حمص ولا تنفذ عنها فان صالحك أهلها فصالحهم وان أبوا فقاتلهم وابعث عيونك الى انطاكية وكن على حذر من المتنصرة والسلام عليك ورحمة الله وعلى جميع المسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب فى سره جهر به مرة أخرى ثم لوى يطلب حمص وكان خالد رضى الله تعالى عنه سبقه اليها بثاث الجيش فنزل عليها يوم الجمعة من شوّال سنة أربع عشرة من الهجرة النبوية وكان عليها واليا بطريق من قبل هرقل اسمه اقليطا وكان قد مات قبل نزول خالد والمسلمين رضى الله تعالى عنهم أجمعين فاجتمع المشركون فى كنيستهم العظمى وقال كبيرهم اعلموا أن صاحب الملك قد مات وليس عند الملك خبر من هؤلاء العرب وقد نزلوا علينا وما ظننا ذلك ولقد حسبنا أنهم لا ينزلون علينا حتى يفتحوا جوسية وبعلبك وان أنتم قاتلتموهم وكاتبتم الملك أن يسير اليكم واليها جيشا فان العرب لا تمكن أحدا من جنود الملك أن يسير اليكم ولا يصل اليكم وليس عندكم طعام يقوم بكم للحصار فقالوا أيها السيد فما الذى ترى قال تصالحون القوم على ما أرادوا وتقولون نحن اليكم وبين أيديكم ان فتحتم حلب وقنسرين وهزمتم جيش الملك فاذا توجه القوم عنا بعثنا الى الملك أن يمدنا بجيش عرمرم ويولى من أراد علينا ويستوثق انا من الطعام والعدد وبعد ذلك نقاتلهم فاستصوب القوم رأيه وقالوا دبرنا بحسن رأيك وتدبيرك فبعث البطريق الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه جاثليقا كان عندهم معظما ليعقد الصلح بينهم وبين المسلمين فخرج الجاثليق ووصل الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وتكلم فى الصلح معه بما تحدث به البطريق من أمر سير المسلمين الى حلب وقنسرين والعواصم وانطاكية فاجابهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى ذلك وصالح القوم زهم أهل حمص على عشرة آلاف دينار ومائتى ثوب من الديباج وعقد الصلح مع القوم سنة كاملة أولها ذو القعدة وآخرها شوال سنة أربع عشرة من الهجرة قال وانبرم الصلح وخرجت السوقة من حمص الى عسكر المسلمين فباعوا واشتروا ورأى أهل حمص سماحة العرب من بيعهم وشرائهم وربحوا منهم ربحا وافيا

﴿ذكر حديث سرية خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ان أبا عبيدة دعا بخالد وضم اليه أربعة آلاف فارس من لخم وجذام وطى ونبهان وكهلان وسنبس وخولان وقال يا أبا سليمان شن الغارة بهذه الكتيبة واقصد بها المعرة واقرب من معرة حلب وشن بها الغارة على بلدة العواصم وارجع على أثرك وانفذ عيونك وانظر ان كان للقوم نجدة أو ناصر من قومهم أم لا فاجابه خالد الى ذلك وأخذ الراية وتقدم أمام الكتيبة وجعل ينشد ويقول

اخذتها والملك العظيم * وانى بحملها زعيم * لاننى كبش بنى مخزوم

وصاحب لاحمد الكريم * أسير مثل الاسد الغشوم * يارب فارزقنى قتال الروم

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى شيزر ونزل على النهر المقلوب ودعا بمصعب بن محارب اليشكرى وضم اليه خمسمائة فارس وأمره أن يشن الغارة على العواصم وقنسرين وسار خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى كفرطاب والمارة والى دير سمعان وجعلت خيل المسلمين تغير يمينا وشمالا على القرى والرساتيق ويأخذون الغنائم والاسارى فرجعوا الى خالد بن الوليد بالاسارى فسار بهم الى أبى

نزل ناس من ذرية ابراهيم عليه السلام على الفطرة يعبدون الله تبارك وتعالى ويدل له قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه فان الكلمة الباقية هى التوحيد وعقب ابراهيم عليه السلام هم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونسله وآباؤه الكرام فأبواه ناجيان منعمان فى أعلى درجات الجنان لانهما ماتا فى زمن الفترة وأهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام على الراجح الا من أخبر صلى الله عليه وسلم بعدم نجاتهم كامرئ القيس واضرابه وقد حفظ الله نسبه الشريف

عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما نظر الى خالد وما معه من الغنائم والاموال فرح فرحا شديدا واذا خلف خالد سواد عظيم قد ارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ما هؤلاء يا أبا سليمان فقال خالد يا أمير المؤمنين هذا مصعب بن محارب اليشكرى وقد عقدت له راية على خمسمائة فارس من قومه ومن أهل اليمن وانه أغار بهم على العواصم وقنسرين وقد أتى بالغنائم والسبى والاموال فالتفت الامير أبو عبيدة فنظر الى سرح عظيم من البقر والغنم وبراذين عليها رجال ونساء وصبيان ولهم دوى عظيم وبكاء شديد فقصدهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه واذا برجال مقرونين في الحبال وهم يبكون على عيالهم ونهب أموالهم وخراب ديارهم فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الترجمانه قل لهم ما بالكم تبكون ولم لا تدخلون في دين الاسلام وتطلبون الامان والذمام لتأمنوا على أنفسكم وأموالكم فقال لهم الترجمان ذلك فقالوا أيها الامير نحن كنا بالبعد منكم وكانت أخباركم تأتينا وما ظننا أنكم تبلغون الينا فما شعرنا حتى أشرف علينا أصحابكم فنهبوا أموالنا وأولادنا وساقونا في الحبال كما ترى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكانت الاعلاج زهاء من أربعمائة علج فقال لهم الاميران منا عليكم وأطلقنا كم من أسركم ورددنا عليكم أموالكم وأهاليكم فهل تكونون في طاعتنا تؤدون الجزية الينا والخراج فقالوا أوف لنا بذلك ونحن نفعل جميع ما شرطته علينا فعند ذلك أقبل أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى المسلمين وقال لهم قد رأيت من الرأى أن أؤمن هؤلاء من القتل وأرد عليهم أموالهم وعيالهم فيكونوا عبيدا لنا ويعمروا الارض والبلاد ونأخذ خراجهم وجزيتهم فما أنتم قائلون فما كنت بالذى أقطع أمرا الا بمشورتكم فقالوا الرأى رأيك في ذلك أيها الاميران رأيت صلاحا للمسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ففرض على كل واحد أربعة دنانير وبذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فعند ذلك رد عليهم أموالهم وأولادهم وأقرهم على بلادهم وكتب أسماءهم وأمرهم بالرجوع الى أوطانهم فلما استقروا في خيامهم أخبروا من كان بالقرب منهم بحسن سيرة العرب وما عاملوهم به من الجميل وقالوا لقد ظننا أنهم يقتلوننا ويستعبدون أولادنا والآن قد رحمونا وأقرونا في بلادنا على أداء الجزية والخراج (قال الواقدى) فسمعت الروم ذلك فأقبلوا الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه في طلب الامان وأداء الجزية والخراج

﴿ذكر فتح قنسرين﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وبلغ الخبر الى أهل قنسرين أن الامير أبا عبيدة يعطى الامان من قصده فأحبوا أن يأخذوا الامان من أبى عبيدة رضى الله عنه وأجمعوا رأيهم على ذلك وان ينفذوا رسولا من غير علم بطريقهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان على قنسرين والعواصم بطريق من بطارقة الملك من أهل الشدة والبأس وكان أهل قنسرين يخافون منه وكان اسمه لوقا وصاحب حلب عسكره مثل عسكره وسطوته مثل سطوته وكان الملك هرقل قد عاهدهما اليه فقالا له أيها الملك ما كنا نترك ما لك من غير أن نقاتل قتالا شديدا فشكرهما الملك هرقل على ذلك ووعدهما أن يبعث اليهما جيشا عرمرما وكانا منتظرين ذلك من وعد الملك لهما وكان مع كل واحد منهما عشرة آلاف فارس الا أنهما لا يجتمعان في موضع واحد قال فلما سمع صاحب قنسرين ما قد عزم عليه أهل قنسرين من الصلح مع أبى عبيدة غضب غضبا شديدا وعزم أن يمكر بهم فجمع أهل قنسرين اليه وقال لهم يا بنى الاصفر ما تريدون أن أصنع مع هؤلاء العرب وكأنكم بهم وقد أقبلوا الينا يقصدون بلادنا كما فعلوا أكثر بلاد الشام فقالوا أيها السيد قد بلغنا أنهم أصحاب وفاء وذمة وقد فتحوا أكثر البلاد بالصلح والعدل ومن قاتلهم قاتلوه واستعبدوا أهله وأولاده ومن دخل تحت طاعتهم أقروه في بلده وكان آمنا من سطوتهم والرأى عندنا أن نصالح القوم ونكون آمنين على أنفسنا وأموالنا فقال لهم البطريق لقد أشرتم بالصواب والامر الذى لا يعاب لان هؤلاء العرب قوم منصورون على من قاتلهم وها أنا أعقد لكم الصلح معهم سنة كاملة الى أن توافينا جيوش الملك هرقل ونعطف عليهم وهم آمنون فنبيدهم عن آخرهم فقالوا افعل ما فيه الصلاح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واتفق أهل قنسرين والبطريق على صلح المسلمين وفى قلوبهم الغدر قال وان لوقا البطريق دعا برجل من أصحابه اسمه اصطخر وكان قسيسا عالما بدين النصرانية فصيح اللسان قوى الجنان يعرف العربية والرومية وقد عرف الدينين اليهودية والنصرانية فقال لوقا يا أبانا

من سفاح الجاهلية ٭ قال محمد بن السائب كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة جدة فما وجدت فيهم سفاحا ولا شيأ مما كان في أمر الجاهلية فان بعض أهل الجاهلية كان اذا أراد النكاح يقول الزوج خطب ويقول ولى نكاح المرأة نكح وهذا عندهم عبارة عن العقد وأما نكاح عبد الله آمنة فكان عقدا موافقا لما عليه شريعة الاسلام مشتملا على ثلاث الشروط المعتبرة وان لم تكن بشرع بل بتوفيق من الله تعالى وكذا في بقية أجداده عليه الصلاة والسلام ولما قرب وجوده صلى الله

سر الى العرب وقل لهم يصالحونا سنة كاملة حتى نرد القوم بالحيلة والخداع ثم كتب الكتاب الى الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فقال بعد كلمة كفره أما بعد يا معاشر العرب ان بلدنا بلد منيع كثير العدد والرجال فما أتونا من قبله ولو أقمتم علينا مائة سنة ما قدرتم علينا وان الملك هرقل قد استنجد عليكم من حد الخليج الى رومية الكبرى ونحن قد بعثنا اليكم نصالحكم سنة كاملة حتى نرى لمن تكون البلاد ونحن نريد منكم أن تجعلوا بيننا وبينكم علامة من حد أرض قنسرين والعواصم حتى اذا همت العرب بالغارة بدت العلامة تريكم حد أرضنا ونحن نصالحكم خفية من الملك هرقل لئلا يعلم فيقتلنا والسلام ثم خلع على اصطخر خلعة سنية وأعطاه بغلة من مراكبه وعشرة غلمان وسار حتى وصل الى حمص فرأى الامير أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه يصلي بالمسلمين صلاة العصر فوقف اصطخر ينظر ما يفعلون ويعجب من ذلك فلما افرغوا من صلاتهم ونظر والى القسيس وثبوا اليه وقالوا له من أنت ومن أين أقبلت فقال أنا رسول ومعي كتاب فدلوه بين يدي أبي عبيدة فهم القسيس بالسجود له فمنعه أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه من ذلك وقال له نحن عبيد الله عز وجل فمنا شقي ومنا سعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض فلما سمع اصطخر ذلك بهت وبقي لا يرد جوابا وهو متعجب مما تكلم به الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه فناداه خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقال له ما شأنك أيها الرجل ورسول من أنت فقال اصطخر أأنت أمير القوم فقال خالد لا بل هذا أميرنا وأشار الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فقال اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين والعواصم ثم أخرج الكتاب ودفعه الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فأخذه وقرأه على المسلمين فلما سمع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ما في الكتاب من صفة مدينتهم وكثرة عددهم ورجالهم وزادهم وتهديدهم بجيوش الملك هرقل حرك رأسه وقال لأبي عبيدة وحق من أيدنا بالنصر وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الطاهر ان هذا الكتاب من عند رجل لا يريد الصلح بل يريد حربنا ثم قال لاصطخر تريدون أن تخدعونا حتى اذا جاءت جنود صاحبكم ورأيتم القوم وقد جاءتكم نقضتم صلحنا وكنتم أول من يقاتلنا وان رأيتم الغلبة لنا هربتم الى طاغيتكم هرقل فان أردتم ذلك فنواعدكم الحرب مواعدة من غير أن يكون صلحنا سنة كاملة فان لحق بكم جيش هذه السنة من الملك هرقل فلا بد من قتاله فمن أقام في المدينة ولم يقاتل مع الجيش فهو على صلحنا لا نتعرض له قال اصطخر قد أجبناكم الى ذلك فاكتبوا لنا كتابا بذلك فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه أيها الامير اكتب لهم كتابا بمواعدة الحرب سنة كاملة أولها مستهل شهر ذي القعدة سنة أربع عشرة من الهجرة النبوية قال فكتب له أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بذلك فلما افرغ من الكتاب قال له اصطخر أيها الامير حد بلادنا معروف وبازائنا صاحب حلب وبلاده بحد بلادنا ونريد أن تجعل لنا علامة فيما بيننا وبينكم حتى اذا طلب أصحابكم الغارة لا يتجاوزون ذلك (قال الواقدي) فرضي أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بذلك وقال أنا ابعث من يحدد لكم ذلك قال اصطخر أيها الامير ما نريد معنا أحدا من أصحابك نحن نصنع عمودا وننصبه ويكون عليه صورة الملك هرقل فاذا رآه أصحابك لا يجاوزونه فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه افعل ذلك ثم دفع اليه الكتاب ونادى في عساكر المسلمين وأصحاب الغارات من نظر الى عمود فلا يتعداه ولا يتجاوزه بل يشن الغارة على أرض حلب وحدها ولا يتجاوز العمود فليبلغ الشاهد الغائب (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ورجع اصطخر الى بطريق قنسرين وأعلمه بما جرى له مع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ودفع له الكتاب ففرح بذلك وقصد الى عمود عظيم وصنع عليه صورة الملك هرقل كأنه جالس على كرسي مملكته (قال الواقدي) وكانت خيل المسلمين تضرب غارتها الى أقصى بلاد حلب والعمق وانطاكية ويحيدون عن حد قنسرين والعواصم ولا يقربون العمود قال عمرو بن عبد الله الغبري عن سالم بن قيس عن أبيه سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه قال كان صلح المسلمين لأهل قنسرين والعواصم على أربعة آلاف دينار ملكية ومائة أوقية من الفضة وألف ثوب من متاع حلب وألف وسق من طعام (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثنا عامر قال كنا في بعض الغارات اذ نظرنا الى العمود وعليه صورة الملك هرقل فجئنا عنده وجعلنا نجول حوله بخيولنا ونعلمها الكر والفر وكان بيد أبي جندلة قناة تامة فقرب به الجواد من الصورة وهو غير متعمد ذلك ففقأ عين الصورة وكان عندها قوم من الروم وهم غلمان صاحب قنسرين يحفظون العمود فرجعوا الى البطريق وأعلموه بذلك فغضب

عليه وسلم رأى عبد المطلب وهو نائم في الحجر مناما هائلا فانتبه فزعا مرعوبا وأتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يسود أهل السماء والارض فتزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ من نسل النضر وأمها صخرة بنت عبد الله بن عمران من نسل النضر أيضا فحملت بعبد الله الذبيح وقصته في الذبح مشهورة وسبب تسميته بذلك أن عمرو الجرهمي لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله تعالى لهم من أخرجهم

غضبا شديدا ودفع صليبا من الذهب الى بعض أصحابه وضم اليه ألف فارس من أعلاج الروم وعليهم الديباج الرومى وعليهم المناطق المجوفة وأمر اصطخر أن يسير معهم وقال له ارجع الى أمير العرب وقل له غدرتم بنا ولم توفوا بذمامكم ومن غدر خذل فأخذ اصطخر الصليب وسار مع ألف فارس من الروم حتى أشرف على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فلما نظر المسلمون الى الصليب وهو مرفوع أسرعوا اليه ونكسوه فاستقبل أبو عبيدة القوم وقال من أنتم قال اصطخر أنا رسول صاحب قنسرين اليك وهو يقول لك غدرتم ونقضتم العهد الذى بيننا وبينكم فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بذلك وسوف أسأل عنه ثم نادى يا معاشر الناس من فقأ عين التمثال فليخبرنا بذلك فقال أيها الامير أبو جندلة وسهل بن عمرو وصنعا ذلك من غير أن يتعمداه فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لاصطخر ان صاحبنا فعل ذلك من غير أن يتعمد فما الذى يرضيك منا فقالت الاعلاج لا نرضى حتى نفقأ عين ملككم يريدون بذلك ان يتطرقوا الى رقاب المسلمين فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ها أنا فاصنعوا بى مثل ما صنع بصورتكم قالوا لا نرضى بذلك الا بعين ملككم الاكبر الذى يلى أمر العرب كلها فقال ان عين ملكنا تمنع من ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وغضب المسلمون حين ذكر الاعلاج عين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهموا بقتل الاعلاج فنهاهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه عن ذلك فقالت المسلمون أيها الامير نحن دون امامنا فنفديه بانفسنا ونفقأ أعيننا دون عينه فقال اصطخر عندما نظر الى المسلمين وقد هموا بقتله وقتل من معه من الاعلاج لا نفقأ عين عمر ولا عيونكم ولكن نصور صورة أميركم على عمود ونصنع به مثل ما صنعتم بصورة ملكنا فقالت المسلمون ان صاحبنا فعل ذلك من غير تعمد وأنتم تريدون العمد فقال أبو عبيدة رضى الله عنه مهلا يا قوم فاذا رضى القوم بصورتى فقد أجبتهم الى ذلك ولا يتحدث القوم عنا اننا عاهدنا وغدرنا فان هؤلاء القوم لا عهد لهم ولا عقل ثم أجابهم الى ذلك (قال الواقدى) فصوروا صورة أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه على عمود وجعلوا له عينين من زجاج وأقبل فارس منهم حتى فقأ عين الصورة ثم رجع اصطخر الى صاحب قنسرين وأخبره بذلك فقال لقومه بهذا نالهم ما يريدون قال وأقام أبو عبيدة على حمص بغير عيناوشما لا ينتظر خروج السنة لينظر ما بعد ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وابطأ خبر أبى عبيدة على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ولم يرد عليه شئ من الكتب والفتح فانكر عمر ذلك وظن به الظنون وحسب أنه قد داخله خبر وقد ركن الى القعود عن الجهاد فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى أمين الامة أبى عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وآمرك بتقوى الله عز وجل سرا وعلانية وأحذركم عن معصية الله عز وجل وأحذركم وأنهاكم أن تكونوا ممن قال الله فى حقهم قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم الآية وصلى الله على خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين فلما وصل الكتاب الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه قرأه على المسلمين فعلموا أن أمير المؤمنين عمر يحرضهم على القتال وندم أبو عبيدة رضى الله عنه على صلح قنسرين ولم يبق أحد من المسلمين الا بكى من كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقالوا أيها الامير ما يقعدك عن الجهاد فدع أهل شيزر وقنسرين واطلب بنا حلب وانطاكية لعل الله أن يفتحهما على أيدينا وقد انقضى أجل الصلح وما بقى الا القليل وما البقاء الا للملك الجليل فعزم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على المسير الى حلب وعقد راية لسهل بن عمرو وعقد راية أخرى لمصعب بن محارب اليشكرى وأمر عياض بن غانم ان يسير على مقدمتهم واتبعه خالد بن الوليد وسار أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى أن نزل على الرشين وصالح أهلها وسار الى حماة فخرج أهلها اليه ومعهم الانجيل وقد رفعه الرهبان على أكفهم والقسوس أمام القوم يطلبون منه الصلح والذمام فلما رآهم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وقف وقال لهم ما الذى تريدون فقالوا أيها الامير نريد أن نكون فى صلحكم وذمامكم فأنتم أحب الينا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فصالحهم أبو عبيدة وكتب لهم كتاب الصلح والذمام وخلف رجالا من المؤمنين وسار حتى نزل الى شيزر فاستقبلوه فصالحهم وقال لهم أسمعتم للطاغية هرقل خبرا فقالوا ما سمعنا له خبرا غير أنه اتصل بنا الخبر أن بطريق قنسرين قد كتب الى الملك هرقل يستنجد عليكم وقد

من مكة عمد عمرو الى زمزم فطمها وهرب الى اليمن ومضت مدة طويلة وزمزم مطمومة مجهولة الى أن رأى عبد المطلب رؤيا تشير له بحفرها فاراد ذلك فمنعته قريش وآذاه سفهاؤهم حسدا ولم يكن له ولد سوى الحرث فنذر لله تعالى لئن ولد له عشر بنين ليذبحن أحدهم ويستعين بباقيهم على حفر زمزم فتكامل له عشر بنين وهم الحرث والزبير وحجر وضرار والمقدم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله ولما قرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة فرأى فى منامه

وبعث بجبلة بن الايهم الغساني من بني غسان والعرب المتنصرة ومعه بطريق عمورية في عشرة آلاف فارس
وقد نزلوا على جسر الحديد فكن منهم على حذر أيها الامير فقال أبو عبيدة رضي الله عنه حسبنا الله
ونعم الوكيل (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأقام الامير أبو عبيدة على شيزر وبقي مرة يقول أسير الى حلب
ومرة يقول أسير الى انطاكية فجمع أمراء المسلمين اليه وقال أيها الناس قد بلغني ان بطريق قنسرين قد
نقض العهد وأرسل للملك هرقل والخبر كذا وكذا فما انتم قائلون فقالوا أيها الامير دع أهل قنسرين والعواصم
وسر بنا الى حلب وانطاكية فقال خذوا أهبتكم رحمكم الله (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان بقي
من الصلح والعهد الذي بينهم وبين أهل قنسرين شهر أو أقل من ذلك فأقام أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه
ينتظر انفصال العهد قال وكانت عبيد العرب يأتون بجواتيم الشجر من الزيتون والرمان وغير ذلك من
الاشجار التي تطعم الثمار فعظم ذلك على الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فدعا العبيد اليه وقال ما هذا
الفساد فقالوا أيها الامير ان الاحطاب متباعدة منا وهذه الاشجار قريبة فقال الامير أبو عبيدة عزمة مني على
كل حر وعبد قطع شجرة تطعم ثمرا لاجازينه ولانكلن به فلما سمع العبيد ذلك النكال جعلوا يأتون بالاحطاب
من أقصى الديار قال سعيد بن عامر وكان معي عبد نجيب وكان اسمه مهجعا وقد شهد معي الوقائع والحروب
وكان جريء القلب في القتال وكان اذا خرج في غارة أو في طلب حطب يتوغل ويبعد فخرج هو وجماعة من
العبيد ممن شهد الوقائع في طلب الحطب فأبطأ خبره على سيده سعيد بن عامر فركب جواده وخرج في طلبه
وجعل يقفو أثره واذا قد لاح له شخص وقد سال دمه على وجهه وصبغ سائر جسده وما كاد يمشي خطوة
واحدة الا ويهوي على وجهه قال سعيد بن عامر فنزلت اليه وقلت له ما وراءك من الاخبار فقال هلكة
ودمار يا مولاي فقلت عليك يا ابن الاسود حدثني بخبرك قال سعيد فلم يكد يقف حتى سقط على وجهه
فنضحت على وجهه ماء فسكن ما به فقال يا مولاي انج بنفسك والا أدركك القوم يصنعون بك مثل
ما صنعوا بي فقلت وأين القوم الذين صنعوا بك ما أرى فقال خرجت يا مولاي أنا وجماعة من الموالي نحتطب
حطبا فتباعدنا كثيرا في البر واذا نحن بكتيبة من الخيل زهاء عن ألف فارس كلهم عرب وفي أعناقهم صلبان
الذهب والفضة وهم متقلدون بالذهب والفضة والرماح فلما نظروا الينا أسرعوا وانحونا ودار وابنا وعزموا
على قتلنا فقلت لاصحابي دونكم واياهم فقالوا ويحك ومن نقاتل وليس لنا طاقة بقتال هذه الكتيبة والخيل
ومالنا الآن نلقي بأيدينا الى الاسر فهو أهون من القتال فقلت لا والله ما سلمت نفسي اليهم دون أن أقاتل
قتالا شديدا فلما رأوا مني الجد فعلوا مثل فعلي فقاتلنا القوم وقاتلونا فقتلوا منا عشرة وأسروا عشرة وأما
أنا فأثخنت بالجراح حتى سقطت على وجهي فرجعوا عني وبقيت كما ترى قال سعيد بن عامر الانصاري
فعمني والله ما نزل بالعبيد فأردفته ورائي ورجعت على أثري واذا بالخيل قد أطلعت من ورائي كأنها الريح
الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب واذا بخيل غسان أحدقت بالرماح الطوال وهم يقولون نحن
بنو غسان من حزب الصليب والرهبان قال سعيد بن عامر فناديتهم أنا من أصحاب محمد المختار صلى الله عليه وسلم
فأسرع بعضهم الي وهم أن يعلوني بالسيف فناديته ويلك أتقتل رجلا من قومك فقال من أي الناس أنت
قلت أنا من الخزرج الكرام فرد السيف وقال أنت طلبة سيدنا جبلة بن الايهم وحق المسيح فقلت ومن أين
يعرفني جبلة حتى يطلبني فقال انه يطلب رجلا من أهل اليمن من أنصار محمد بن عبد الله ثم قال سر بنا طائعا
والا سرت كرها قال سعيد بن عامر فسرت والجيش معي حتى أشرفنا على جيش عرمرم وعنده أعلام وصلبان
قد رفعت لم أزل مع القوم حتى أتوا بي الى مضرب جبلة بن الايهم واذا به جالس على كرسي من ذهب أحمر وعليه
ثياب الديباج الرومي وعلى رأسه شبكة من اللؤلؤ وفي عنقه صليب من الياقوت فلما وقفت بين يديه رفع رأسه
الي وقال من أي العرب أنت قلت أنا من اليمن قال أكرمت من أيها فقلت أنا من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو
ابن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عبد الله بن الازور بن عوف بن مالك بن كهلان بن سبأ فقال
جبلة من أي الملا أنت نسبا فقلت أنا من ولد الخزرج بن حارثة من أنصار محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام
قال جبلة وأنا من قومك من بني غسان فقلت أمن القبيلة التي نسبت اليها فقال أنا جبلة بن الايهم الذي
رجعت عن الاسلام فما رضي صاحبكم عمر بن الخطاب أن يكون مثلي لهذا الدين ناصرا حتى يأخذني

قائلا يقول يا عبد المطلب
أوف بنذرك لرب هذا
البيت فاستيقظ فزعا
مرعوبا وأمر بذبح كبش
وأطعمه للفقراء والمساكين
ثم نام فرأى أن قرب ما هو
أكبر من ذلك فاستيقظ
من نومه وقرب ثورا ثم نام
فرأى أن قرب ما هو أكبر
من ذلك فانتبه من نومه
وقرب جملا ثم نام فرأى أن
قرب ما هو أكبر من ذلك
فقال وما أكبر من ذلك قال
قرب أحد أولادك الذي
نذرته فاغتم غما شديدا ثم
جمع أولاده وأخبرهم
بنذره ودعاهم الى
الوفاء فقالوا جميعا نحن لك
طائعون فمن تذبح

القود لعبد حقير وأنا ملك اليمن وسيد غسان فقلت يا جبلة ان حق الله أوجب من حقك ودين الاسلام لا يقوم الا بالحق والنصفة وان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يخاف ولا تأخذه فى الله لومة لائم فقال لى ما اسمك فقلت سعيد بن عامر الانصارى فقال أوطئ يا سعيد قال فجلست فقال الك عهد بحسان بن ثابت الانصارى فقلت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قال فيه المصطفى أنت حسان ولسانك حسام فقال لى كم لك منذ فارقته فقلت عهدى به قريب وقد دعانى الى دعوة صنعها وأمر مولاته أن تنشد بها شعرا فيك فأنشدت

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول * يغشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل * بيض الوجوه كريمة أنسابهم * شم الانوف من الطراز الاول
الملحقين فقيرهم بغنيهم * المشفقين على اليتيم الارمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

ثم خرجنا الى الشام وهذا آخر عهدى به قال جبلة بن الايهم أوحفظ لى هذه المكرمة قالت نعم فأمر لى بثوب من الكتان الرومى وفيه شئ من الورق وقال أنا أمرت لك بالكتان كى تلبسه ولا تحرمه ثم قال لى بحق ذمة العرب ما كنت تصنع فى المكان الذى أسرت فيه فقلت ان الصدق أوفى ما استعمله الرجل انا من أصحاب الامير أبى عبيدة بن الجراح وقد قصدنا تربد حاب وانطاكية فقال جبلة اعلم ان الملك قد بعثنى أنا وهذا البطريق صاحب عمورية حتى نصر صاحب قنسرين فانه قد كادكم بصلحه لكم وأنا منتظر أن يلاقينا بهذا المكان ولكن ارجع الى صاحبك أبى عبيدة وحذره من أسيافنا وقل له يرجع من حيث قدم ولا يتعرض لبلاد هرقل وسوف ينزع من أيديكم ما قد ملكتموه من الشام قال سعيد بن عامر فركبت وأردفت غلامى ورائى وسرت حتى أتيت عسكر المسلمين فأسرع الناس الى وقالوا أين كنت يا ابن عامر فأتيت خيمة الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وحدثته بقصتى مع جبلة بن الايهم فقال لى لقد خلصك الله بذكرك لحسان بن ثابت الانصارى ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشورة ثم قال أيها الناس ما ترون من قصة هذا البطريق وقد وفينا له وكادنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه ان البغى مصرعه وان كادنا كان الله من ورائه بالمرصاد وسوف نكيده أعظم مكيدة وأنا أسير الى لقائه بعشرة رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة أنت لها يا أبا سليمان ولكل كريهة تخذ من أحببت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أين عياض بن غانم الاشعرى أين عمرو بن سعيد أين مصعب بن محارب اليشكرى أين أبو جندلة ابن سعيد المخزومى أين سهل بن عمر والعامرى أين رافع بن عميرة الطائى أين المسيب بن نجية الفزارى أين سعيد بن عامر الانصارى أين عمرو بن معد يكرب الزبيدى أين عاصم بن عمر القيسى أين عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم فأجابوه بالتلبية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان ضرار بن الازور رضى الله عنه رمد العينين لم يحضر هذه الوقعة فقال لهم خالد بن الوليد هلموا فوجدوه قد تدرع بدرع مسيلمة الكذاب الذى استلبه منه يوم اليمامة واشتمل بلامة حربه وركب جواده وقال لعبده همام سر معى حتى ترى منى عجبا فسار معه وسار خالد بن الوليد رضى الله عنه والعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو عبيدة رضى الله عنه يدعو لهم بالنصر فأقبل خالد على سعيد بن عامر الانصارى وقال يا سعيد أما أخبرك جبلة بن الايهم من أين يأتى البطريق صاحب قنسرين اليه فقال نعم يا أبا سليمان أخبرنى فقال له خذ بنا فى الطريق الى جبلة بن الايهم حتى نكمن له فيه فاذا أتى البطريق صاحب قنسرين كمدناه كما كادنا ودمرناه ومن معه فسار سعيد أمام القوم يدلهم ويجد السير طالب عسكر جبلة بن الايهم وكان مسيرهم ليلا فلما وصلوا الى قرب النيران وسمعوا أصوات القوم عدل بهم سعيد بن عامر الى صوب البطريق وكمن بمن معه من الرجال الى وقت الصباح فلم يأت أحد فصلى خالد بأصحابه صلاة الفجر وهم فى المكمن فبينما هم فى المكمن اذ أشرف عليهم جيش جبلة بن الايهم والعرب المتنصرة وصاحب عمورية وهم طالبون أرض العواصم وقنسرين فقال المسلمون لخالد يا أبا سليمان أما ترى هذا الجيش الذى قد أشرف علينا فى عدد الشوك والشجر فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فما يكون من كثرتهم اذا كان النصر لنا والله معنا فاختلطوا بهم أنتم وكونوا فى جملتهم كأنكم من جيشهم الى أن نلتقى بالبطريق صاحب قنسرين ويفعل الله تعالى ما يشاء ويختار فعند ذلك اختلطوا بهم

منا فاذبح فقال ليأخذ كل منكم قدحا بكسر القاف أى سهما ثم ليكتب فيه اسمه ففعلوا وأخذوا أقداحهم ودخل جوف الكعبة ودفعها الى القيم كما كانوا يصنعون وقام عبد المطلب يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان أحبهم اليه فقبض عليه وأخذ الشفرة وأقبل على ذبحه فمنعه سادة قريش وقالوا لا تذبحه حتى تعتذر الى ربك وائن فعلت هذا لم يزل الرجل يأتى بابنه فيذبحه ويكون سنة ولكن انطلق الى قطبة أو سجاح الكاهنة فلعلها تأمرك بأمر فيه فرج فانطلقا

وصار وافى جملتهم وهم لا يفترقون قال رافع بن عميرة الطائى فلما أشرفنا على حد صلحنا ولاح لنا بلد العواصم وقنسرين اذا بطريقها قد استقبلنا وقد رفع أمامه الصليب وأخرج بين يديه القسوس والرهبان وهم يقرؤن الانجيل وقد ارتفعت أصواتهم بكلمة الكفر ودنا بعضهم من بعض وخرج البطريق أمام الصحابة ليأتى الى جبلة بن الأيهم يسلم عليه فاستقبله خالد بن الوليد رضى الله عنه مواجهاله وحوله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب البطريق منهم قال سلمكم المسيح وأبقاكم الصليب فقال خالد يا ويلك ما نحن من عباد الصليب بل نحن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد الحبيب وكشف خالد بن الوليد رضى الله عنه وجهه ونادى لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله يا عدو الله أنا خالد بن الوليد أنا المخزومى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب بيده البطريق وقبض عليه وانتزعه من سرجه وبرز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوا السيوف على أصحابه وارتفعت الضجة والجلبة وأعلن العدو بكلمة الكفر وضج المسلمون بكلمة التوحيد وسمع جبلة وصاحب عمورية أصوات المسلمين وقد ارتفعت بالتهليل والتكبير فانزعجوا لذلك ونظروا الى السيوف وقد جردت والرماح وقد شرعت فبرز وانحو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان فلما نظر خالد الى ما دهمه ونزل بأصحابه الذين معه والبطريق صاحب قنسرين لا يفارقه وقد ملك قياده وهو خائف أن ينقلب من يديه أو تجرى عليه حادثة قبل أن يقتله هم خالد أن يقتله ورفع السيف ليعلوه به فتبسم البطريق من فعاله وتعجب خالد من ضحكه وقال ويلك مم ضحكك فقال البطريق لانك مقتول أنت ومن معك وتريد قتلى وان أنت أبقيت على فهو أصوب فتركه خالد ولم يقتله ثم صاح خالد بأصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا حولى واجمعوا عنى واصبروا على ما نزل بكم ولا يكثر عليكم من أحدق بكم فان أشد ما تخافون منه القتل والموت منية خالد فى سبيل الله وانى والله أهديت نفسى للقتل مرارا لعلى أرزق الشهادة واعلموا رحمكم الله أن حجتنا واضحة ومفوضة الى الله عز وجل وكانى بكم وقد وصلتم الى ربكم وسكنتم دار الا بوت ساكنها ثم قرالا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فاجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خالد رضى الله عنه وداروا من حوله وسار عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن يمينه ورافع بن عميرة عن يساره وعبده همام من ورائه وأصحابه محدقون به وسلم خالد البطريق صاحب قنسرين الى عبده همام وقال أوثقه الى جانبك ولا تبرح من مكانك وأبشر بالنصر من الله عز وجل (قال الواقدى) وأقبلت اليهم العرب المتنصرة يقدمهم جبلة بن الايهم فى عنقه صليب من الذهب الأحمر وفيه طوق من الجوهر وعليه ثياب الديباج المزركش ومن فوقه درع مذهب لزرد وعلى رأسه بيضة من الذهب وعلى أعلاها صليب من الجوهر وفى يده رمح طويل وسنانه يضئ كالقنديل وصاحب عمورية كالبرج المشيد ومن حوله الاعلاج المدملجة وقد أحدق بهم الجيش من كل جانب فلما نظر صاحب عمورية الى خالد بن الوليد رضى الله عنه وقد ملك صاحب قنسرين وهو فى يده أسير خاف أن يعجل عليه خالد فاقبل الى جبلة وقال له وحق المسيح ما هؤلاء العرب الا شياطين ألا ترى الى هذا العربى ومن معه وهم عشرة رجال وقد أحدق بهم هذا الجيش العظيم وما يفكرون فيه وقد ملكوا صاحبنا وهو معهم أسير ولا يخلص من أيديهم وانى خائف عليه أن يقتلوه وهو عزيز عند الملك هرقل فاخرج الى هذا العربى وقل له يخلى صاحبنا ويوصله الينا حتى نجود لهم بأنفسهم فاذا أطلقوا صاحبنا حملنا عليهم وقتلناهم عن آخرهم قال رافع بن عميرة الطائى فبينما نحن وقوف حول خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وجيش الروم والعرب المتنصرة محدقون بنا ونحن لا نفكر فى كثرتهم لانا واثقون بالله عز وجل واذا بجبلة بن الايهم وهو ينادى برفيع صوته ويقول من أنتم من أصحاب محمد المعروفين من أنتم من العرب التابعين أخبرونا من قبل أن ينزل بكم الدمار فكان المكلم له خالدا وبادره بالخطاب وقال له بل نحن من أصحاب محمد المختار المعروفين بأهل القبلة والاسلام والاكرام والانعام وأما سؤالك عن انسابنا فنحن الآن من قبائل شتى وقد جعل الله كلمتنا واحدة ونحن مجتمعون عليها وهى قول لا اله الا الله محمد رسول الله زاده الله تعالى شرفا فلما سمع جبلة كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا الذلم يفكر فيه ولا فيمن معه فقال جبلة يا فتى أنت أمير هؤلاء العرب فقال خالد لست أميرهم بل أخوهم فى الاسلام وهم اخوانى المؤمنون فقال جبلة من أنت من أصحاب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد أنا المعروف بكبش بنى مخزوم أنا خالد بن

حتى أتوا خيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا مائة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل ثم اضربوا بينها حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فاذبحوها فقد رضى ربكم وفدى صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم

الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذى عن يمينى هو عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وهذا الذى عن شمالى من أهل اليمن من كرام طيئ وهو رافع بن عميرة الطائى صهرى وفؤادى وذلك أنى اتخذت من كل قبيلة شجاعها المعروف وبطلها الموصوف فلا تزدر بقلتنا ولا تفرح بكثرتكم فما أنتم فى القتال الا كطيور وقع عليها صائدها وهى كامنة فى أوكارها فألقى القانص الشبكة عليها فما انفلت منها الا النجيب (قال الراوى) فزاد غضب جبلة من كلام خالد رضى الله تعالى عنه وقال له ستعلم ان كلامك عليك مشؤم اذا دارت بك الاسنة وبقيت أنت ومن معك طعاما للوحوش فى هذه الفلاة تمزقكم بكرة وعشيا فقال له خالد ذلك لا يكثر علينا وهو سهل لدينا فأنت من العرب التى قد نسبت لعبادة الصليب فقال أنا سيد بنى غسان ومن ملوك همدان أنا ملك غسان وتاجها أنا جبلة بن الايهم فقال خالد أنت المرتد عن دين الاسلام ومن اختار الضلالة على الهدى وسلك سبيل الغى وضل وغوى فقال جبلة لست كذلك أنا الذى اخترت العز على الذل والهوان فقال خالد فانك على ذل نفسك حريص وانما الكرامة غدا فى دار البقاء والبعد عن دار الشقاء فقال جبلة يا أخا بنى مخزوم لا تفرط علينا فى المقال فانما ابقائى عليك وعلى أصحابك بسبب هذا الاسير الذى فى يدك لانى أخاف ان حملت عليكم قتلته قبل قتلك وهو معظم عند الملك هرقل وقريب عنده فى النسب فاطلقه من يدك حتى أجود عليكم بأنفسكم فقال خالد أما أسيرى فلا أطلقه من يدى حتى أقتله ولا أبالى بما صنع بى بعده وأما قولك تحمل على وعلى من معى بهذه الجموع فما أنصفت فى المقال فاذا أردت النصفة فى القتال فجمعكم عظيم وعددكم كثير ونحن عشرة رجال وقد أحدقت بنا أعنة خيولكم وأسنة رماحكم وطوال سيوفكم فابرزوا فارسا لفارس وهذا أميركم فان قتلتمونا فقد خلصتم أسيركم وان أظفرنا الله بكم وما النصر الا من عند الله فما يعظم عليكم هلاك أسيركم اذا هلكت أنفسكم قبله (قال الواقدى) فعند ذلك نكس جبلة رأسه وأقبل يحدث صاحب عمورية بجواب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فغضب صاحب عمورية غضبا شديدا وانتضى سيفه فلما نظر خالد بن الوليد الى البطريق وقد جرد سيفه علم انه يريد القتال فلما هم صاحب عمورية بالحملة أمسكه جبلة ومنعه عن الحملة وأوقفه تحت صليبه وأقبل جبلة على خالد بن الوليد وقال يا أخا بنى مخزوم ان العرب كما ذكرت تحتمل النصفة وهؤلاء بنو الاصفر أعلاج الروم غنم ما يعرفون النصفة فى البراز وقد حدثتم بحديثك بى وقد رضوا منك بالمبارزة فمن أراد منكم المبارزة فليبرز فقال رافع بن عميرة الطائى فعزم خالد ابن الوليد أن يبرز فمنعه عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وقال يا أبا سليمان وحق القبر الذى ضم أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق شيبة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لا يبرز لهؤلاء القوم غيرى وأبذل المجهود فيهم فلعلى ألحق بأبى بكر الصديق فتركه خالد وقال أخرج شكر الله مقالك وعرف لك فعالك قال فخرج عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وهو على فرس كان لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان دفعه له من قسمة غنيمة وقعة أجنادين وكان الجواد من خيل بنى لخم وجذام من العرب المتنصره وكان كالطود العظيم وعبد الرحمن غارق فى الحديد والزرد النضيد وبيده قناة تامة الطول فجال عبد الرحمن بجواده بين عساكر الروم والعرب المتنصرة ودعاهم الى القتال والبراز والنزال وقال دونكم والقتال فانا ابن الصديق ثم جعل يقول

أنا ابن عبد الله ذى المعالى * والشرف الفاضل ذى الكمال
أبى المجيد الصادق المقال * أدين هذا الدين بالفعال

ثم طلب البراز قال رافع بن عميرة فخرج اليه خمسة فوارس من شجعان الروم فما كان يجول عبد الرحمن على الفارس الا جولة واحدة فيصرعه قتيلا فلما قتل الخمسة فوارس توقفوا عنه فهم بالحملة على عسكر الروم فخرج اليه جبلة بن الايهم وقد اشتد به الغضب فلما اقترب من عبد الرحمن قال له يا غلام قد تعديت علينا فى فعالك وبغيت علينا فى قتالك فقال عبد الرحمن وكيف ذلك وما البغى من شيمتنا قال جبلة لانك قد ملأت الارض من قتلانا وما خرجت اليك أقاتلك لانك لست لى كفؤا فى القتال وانما خرجت اليك لان رجلا من أصحابك قد خرج يعينك وليس هذا من شيم الاشراف والانصاف قال فلما سمع عبد الرحمن كلام جبلة تبسم وقال يا ابن الايهم تريد أن تخدعنى وأنا تربية الامام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد شهدت معه الوقائع والقتال

يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين والذبيحان عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل اسحق * وأما والدته صلى الله عليه وسلم فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة القرشية (ولما) حملت به صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة فى رجب أمر الله تعالى رضوان خازن

فقال جبلة است مخادعا وماقلت الاحقا فقال عبد الرحمن فأخرج بازائه من خرج من فارسا من قومك ان كنت صادقا فى مقالتك واحمل على فانى كفء كريم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما نظر جبلة بن الايهم الى عبد الرحمن وانه لا يؤتى من قبل الخداع والحيل قال هل لك يا غلام أن تلقى بيدك الينا واغمسك فى ماء المعمودية غمسة تخرج منها نقيا من الذنوب كما خرجت من بطن امك وتكون من حزب الصليب والانجيل وتأكل القربان وتأخذ الجائزة العظيمة من الملك هرقل وأزوجك ابنتى وأقاسمك نعمتى وأتفضل عليك باكرامى وانعامى وأنا الذى مدحنى شاعر نبيكم حيث يقول

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم تغذهم آباؤهم باللوم * يعطى الجزيل ولا يراه بأنه
الا كبعض عطية المذموم * لم ينسنى بالشام اذ هو بارح * يوما ولا متنصرا بالروم
ان جئته يوما تقرب منزل * تسقى براحته من الخرطوم

فاسرع الى ما عرضته عليك لتنجو من المهالك وتكون فى النعم والعيش السليم فقال عبد الرحمن لا اله الا الله وحده لا شريك له يا ويلك يا ابن اللئام أتدعونى من الهدى الى الضلال ومن الايمان الى الكفر والجهالة وأنا ممن وقر الايمان فى قلبه وعرف رشده من غيه وصدق نبى الله وأبغض من كفر بالله فدونك والقتال ودع عنك الخديعة والمحال وتقدم الى ما عزمت عليه حتى أضربك ضربة أعجل بها حمامك وأرغم بها أنفك وتستريح العرب من أن تنسب اليك لانك كافر بالرحمن وعابد للصلبان قال فغضب جبلة من كلام عبد الرحمن وحمل عليه وهم به ورفع رمحه يريد أن يطعنه فزاغ عبد الرحمن من الطعنة وحمل على جبلة حملة عظيمة وتطاعنا بالرماح حتى كل عبد الرحمن من حمل قناته فرماها من يده وانتضى سيفه وتماركا فى الحرب فهجم عبد الرحمن على جبلة وضرب رمحه فبراه فرمى جبلة باقى الرمح من يده وانتضى سيفه من غمده وكان من بقايا سيوف كندة كأنه صاعقة بارقة ما ضرب به شيأ الا براه وحمل عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه حملة عظيمة قال رافع بن عميرة الطائى فعجبنا والله من عبد الرحمن وصبره على قتال جبلة ومنازلته على صغر سنه وقلة اعوانه ثم التقينا بضربتين واصلتين فسبقه عبد الرحمن بالضربة فأخذها جبلة فى حجفته فقطع الدرق ونزل السيف الى البيضة فانثنى سيف عبد الرحمن عنها لانها ذات سقاية عظيمة فجرحه جرحا واضحا أسال دمه وضربه جبلة ضربة واصلة فقطع ما كان عليه من الزرد والدروع والثياب ووصلت الضربة الى منكبه فجرحته فلما أحس عبد الرحمن رضى الله تعالى عنه بالضربة قد وصلت اليه ثبت نفسه وأرى قرينه كأن الضربة لم تصل وحرك جواده وأطلق عنان فرسه حتى لحق بخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وأصحابه فلما وصل اليهم قال له خالد قد وصل اليك عدو الله بضربته فقال نعم وأظهر له ضربته وما لحقه فأخذوه عن فرسه وسدوا جرحه فقال خالد يا ابن الصديق ان كان جبلة قد وصل اليك بضربته فوحق بيعة أبيك لافجعنهم فى أسيرهم كما فجعونى بك ثم صاح خالد بعبده همام وقال قدم هذا العلج فقدمه بين يديه فضربه بسيفه فأطاح رأسه عن جسده فلما نظرت الروم الى صاحبهم وقد قتله خالد فجعهم ذلك وغضب جبلة وقال أبيتم الا الغدر وقتلتم صاحبنا ثم صاح فى الروم والعرب المتنصرة وهموا بالحملة ونظر خالد اليهم وقد حملوا على المسلمين فقال لعبده همام قف أنت عند عبد الرحمن وامنع عنه من أراده بسوء ثم قال لاصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج أحد منكم عن صاحبه وكونوا حولى فما أسرع الفرج والنصر من الله عز وجل فوقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حول خالد بن الوليد رضى الله عنهم كما أمرهم وما قصدهم الا من أيس من نفسه وحملت الروم والعرب المتنصرة بأجمعهم وثبت لهم المسلمون الاخيار وعظم بينهم القتال ودارت بهم الاهوال * قال ربيعة بن عامر والله لقد كان خالد بن الوليد كلما كثرت الخيل حولنا وازدحمت علينا يتقيها بنفسه ويفرقها بسيفه ولم يزل كذلك حتى أخذنا العطش والظما قال رافع بن عميرة الطائى فلما رأيت ذلك قلت لخالد بن الوليد يا أبا سليمان لقد نزل بنا القضاء فقال والله لقد صدقت يا أبا عميرة لانى نسيت القلنسوة المباركة ولم أصحبها معى (قال الواقدى) وقد عظم عليهم الامر وعزمهم الصبر وأخذهم الانبهار ورأوا من المشركين الدمار والارض قد ملئت من قتلى المشركين وهم بين الروم كأنهم أسرى واذ قد نادى بهم منادو هتف بهم هاتف وهو يقول خذل الآمن ونصر الخائف أبشروا يا حملة القرآن جاءكم الفرج من الرحمن ونصرتم على عبدة الاوثان هذا وقد بلغت

الجنان أن يفتح الفردوس ونادى مناد فى السموات والارض ان النور المخزون المكنون الذى يكون منه الهادى الامين المأمون فى هذه الليلة يستقر فى بطن أمه الذى يتم فيه خلقه ويخرج للناس بشيرا ونذيرا ثم لما تم حمله وظهرت فيه العجائب ولد يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول عام الفيل فى عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنان وأربعون سنة وأقام فى بنى سعد أربع سنين وتوفى أبوه عبد الله قبل وضعه بشهرين وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين وكفله

القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر ودارت عليهم الحوافر (قال الواقدي) حدثنا بسرة عن اسحق بن عبد الله قال كنت مع أبي عبيدة رضي الله عنه فبينما نحن في شيزرة وأبو عبيدة في مضربه واذا به قد خرج في بعض الليل من مضربه وهو ينادي النفير النفير يا معشر المسلمين لقد أحيط بفرسان الموحدين قال فاسرعنا اليه من كل جانب ومكان وقلنا له ما نزل بك أيها الامير فقال الساعة كنت نائما اذ طرقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرني وقال لي معنفا يا ابن الجراح أتنام عن نصرة القوم الكرام فقم والحق بخالد بن الوليد رضي الله عنه فقد أحاط به القوم اللئام وانك تلحق به ان شاء الله تعالى رب العالمين (قال الواقدي) رحمه الله تعالى فلما سمع المسلمون قول أبي عبيدة رضي الله عنه تبادروا الى لبس السلاح والزرد وركبوا خيولهم وساروا يريدون خالدا ومن معه قال فبينما الامير أبو عبيدة رضي الله عنه على المقدمة في أوائل الخيل اذ نظر الى فارس يسرع به جواده وهو أمام الخيل ويكر في سيره كرا فامر أبو عبيدة رضي الله عنه رجالا من المسلمين أن الحقوا به فلم يقدروا على ذلك لسرعة جواده قال فلما كلت الخيل عن ادراكه نظر أبو عبيدة اليه وظن أنه من الملائكة قد أرسله الله أمامهم غير أنه نادى به الامير أبو عبيدة على رسلك أيها الفارس الجد والبطل المكد ارفق بنفسك يرحمك الله فوقف الفارس حين سمع النداء فلما اقرب أبو عبيدة من الفارس اذا هي أم تميم زوجة خالد بن الوليد رضي الله عنهما فقال لها أبو عبيدة فاحملك على المسير امامنا فقالت أيها الامير اني سمعتك وأنت تصيح وتضج بالنداء وتقول ان خالدا أحاطت به الاعداء فعلمت ان خالدا ما يخذل أبدا ومعه ذؤابة المصطفى صلى الله عليه وسلم اذ حانت مني التفاتة الى القلنسوة المباركة وقد نسيها فأخذتها وأسرعت اليه كما ترى فقال أبو عبيدة لله درك يا أم تميم سيري على بركة الله وعونه قالت أم تميم كنت في جماعة نسوة من مذحج وغيرهم من نساء العرب والخيل تطير بنا طيرا حتى أشرفنا على الغبرة والقتام ونظرنا الاسنة والصوارم تلوح في القتال كأنها الكواكب وما للمسلمين حس يسمع قالت فانكرنا ذلك وقلنا ان القوم قد وقع بهم عدوهم فعند ذلك كبر الامير أبو عبيدة رضي الله عنه وحمل وحملت المسلمون قال رافع بن عميرة فبينما نحن قد يئسنا من أنفسنا اذ سمعنا التهليل والتكبير فلم تكن الا ساعة حتى أحاط جيش المسلمين بعسكر الكافرين ووضعوا السيوف من كل جانب وعلت الاصوات وارتفعت الزعقات قال مصعب بن محارب اليشكري فرأيت عبدة الصلبان وهم هاربون ورأيت خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو ثابت في سرجه متشوف الى الاصوات من أين هي واذا بفارس قد خرج من الغبار وهو يسوق فرسان الروم بين يديه وهم يهربون منه حتى أزاح من حولنا الكتائب والرجال فاسرع خالد بن الوليد اليه وقال من أنت أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام فقالت أنا زوجتك أم تميم يا أبا سليمان وقد أتيتك بالقلنسوة المباركة التي تنصر بها على أعدائك فخذها اليك فوالله ما نسيتها الا لهذا الامر المقدر ثم سلمتها اليه فلمع من ذؤابة رسول الله صلى الله عليه وسلم نور كالبرق الخاطف (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وضع خالد القلنسوة على رأسه وحمل على الروم الا قلب أوائلهم على أواخرهم وحملت المسلمون حملة عظيمة فما كان غير بعيد حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار ولم يكن في القوم الا قتيل وجريح وأسير وكان جبلة أول من انهزم والعرب المتنصرة اثره فلما رجع المسلمون عن اتباعهم اجتمعوا حول راية الامير أبي عبيدة رضي الله عنه وأتباعه وسلموا على الامير أبي عبيدة رضي الله عنه وعن المسلمين وشكروا الله على سلامتهم ونظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى خالد بن الوليد وأصحابه وهم كأنهم قطعة ارجوان نصافحه وهنأه بالسلامة وقال لله درك يا أبا سليمان قد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل ثم قال الامير أبو عبيدة رضي الله عنه يا معاشر الناس قد رأيت أن نسير من وقتنا هذا ونغير على قنسرين والعواصم ونقتل الرجال وننهب الاموال فقال المسلمون نعم ما رأيت يا أمين الامة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فانتخب أبو عبيدة رضي الله عنه فرسانا فجعلهم في المقدمة مع عياض بن غانم الاشعري وسار واحتى أشرفوا على قنسرين والعواصم فقال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شنوا الغارات فشنوا الغارات عليهم وسبوا الذراري وقتلوا الرجال فلما نظر أهل قنسرين الى ذلك أغلقوا أبواب مدينتهم واذعنوا بالصلح واداء الجزية فاجابهم أبو عبيدة رضي الله عنه الى ذلك وكتب لهم كتاب الصلح وفرض على كل رأس منهم أربعة دنانير وبذلك أمره عمر بن الخطاب رضي الله عنه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) لما فتح أبو عبيدة

جده عبد المطلب الى ان توفي وهو ابن ثمان سنين وكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن ثنتي عشرة سنة ثم خرج في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها في تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه في رضع الحجر الاسود وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفي أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين وثمانية اشهر واحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة

رضي الله عنه قنسرين والعواصم قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي برأيكم رحمكم الله فان الله
تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله الآية فهل أسير الى حلب
وقلاعها وانطاكية وملوكها وعساكرها أو نرجع الى ورائنا فقالوا أيها الامير كيف نرجع الى حلب
وانطاكية وهذه أيام انقضاء الصلح الذي بيننا وبين أهل شيزر وارمين وحمص وجوسية ولا شك انهم قد
أخذوا الحصار وقووا بلادهم بالاطعمة والرجال ونخاف ان يتغلبوا علينا فيما أخذناه من البلاد ويغيروا
علينا لا سيما بعلبك وحصنها فانهم أولو شدة وعديد ونرى من الرأي أن نرجع اليهم ونقاتلهم فلعل الله
عز وجل أن يفتح على أيدينا قال فاستصوب ذلك ورجع على طريقه فوجدوا البلاد كما قالوا قد تحصنت
بالعدد والرجال والطعام ولم يكن لأبي عبيدة قصد الا حمص فوجدها قد تحصنت بالعدد والعديد وقد بعث
اليها الملك هرقل بطريقا من أهل بيته وكان من أهل الشدة والباس ومعه جيش عرمرم وكان اسم البطريق
هربيس فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك ترك على حمص خالد بن الوليد رضي الله عنه وسار هو الى بعلبك فلما قرب
منها واذا بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس ومعهم البغال والدواب وعليها من أنواع التجارات وقد أقبلت من
الساحل يريدون بعلبك فلما نظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى سوادها قال لمن حوله من الفرسان ما هذا
الجمع كثيرا أمامنا فقالوا الأعلم لنا بذلك فقال علي بخبرهم فسارت الخيل اليهم وأخذت أخبارهم ورجع
بعضهم بخبرها فاذا هي قافلة من قوافل الروم محملة متاعا قال شداد بن عدي وكانت أحمال القافلة أغلبها سكرا
وكانت لأهل بعلبك فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال ان بعلبك لنا حرب وليس بيننا وبينهم عهد فخذوا ما قد ساقه
الله اليكم فانها غنيمة من عند الله (قال الواقدي) فاحتوينا على القافلة وكان فيها أربعمائة حمل من السكر
والفستق والتين وغير ذلك وأخذنا أهلها أسارى فقال أبو عبيدة رضي الله عنه كفوا عن القتل واطلبوا منهم
الفداء فابتعناهم أنفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب وصنعنا من السكر العصيدة والفالوذج بالسمن
والزيت ودعس المسلمون دعسا وتناحيث حوتنا القافلة فلما أصبح الصباح أمر أبو عبيدة رضي الله عنه
بالمسير الى بعلبك والنزول عليها وكان قد هرب قوم من القافلة وأخبروا أهل بعلبك بالقافلة (قال الواقدي
رحمه الله تعالى) وكان على بعلبك بطريق عظيم يقال له هربيس وكان شديد الباس شجاع القلب فلما أتاه
الخبر بقدوم عساكر المسلمين جمع رجاله وأهل الحرب وأمرهم بلبس السلاح والعدد وخرج بعسكره وجعل
يسير وهو يعلم ان الامير أبا عبيدة رضي الله عنه سائر اليهم بجيوش المسلمين فلما انتصف النهار وتراءى الجمعان
وكان هربيس معه ستة آلاف فارس سوى من اتبعه من سواد بلده ونظر طوالع جيش أبي عبيدة رضي
الله عنه ونظر المسلمون الى ذلك نادوا النفير النفير فعندها تبادرت الفرسان وتقدمت الشجعان وشرعوا
رماحهم وجردوا سيوفهم ووصف هربيس رجاله وعباهم تعبية الحرب فقال له بعض بطارقته ما الذي تريد أن
تصنع مع العرب فقال أقاتلهم لئلا يطمعوا فينا فينزلوا على مدينتنا فقال له الرأي عندي أن لا تقاتل العرب
وارجع سالما أنت ورجالك فان أهل دمشق الشام ما قدروا عليهم ولا ردهم عساكر أجنادين ولا جيوش
فلسطين وقد بلغك ما فيه كفاية ممن جرى لهم بالامس مع صاحب قنسرين وصاحب عمورية والعرب المتنصرة
وكيف ردهم هؤلاء العرب على أعقابهم منهزمين والصواب أنك تفوز بنفسك وبمن معك وارجع فقال
هربيس لست أفعل ذلك ولا أنهزم أمام العرب وقد بلغني ان عسكرهم الكبير على حمص مع الامير أبي عبيدة
الذي كان فيها خالد بن الوليد وهذه غنيمة ساقها المسيح الينا فقال ذلك البطريق الناصح أما أنا فلست أتبع
رأيك ولا أقاتل العرب ثم لوى عنان فرسه راجعا الى بعلبك واتبعه خلق كثير من القوم وأما هربيس
فانه صف رجاله وزحف يريد القتال فلما نظر أبو عبيدة رضي الله عنه ذلك وانهم عولوا على الحرب صف
رجاله وعساكره وقال أيها الناس اعلموا رحمكم الله تعالى ان الله قد وعدكم وأيدكم بالنصر حتى هزم
أكثر هؤلاء القوم وهذه المدينة التي أنتم قاصدون اليها أوسط ما فتحتموه من البلاد وأهلها قد أكثروا من
الزاد والعدد والقوة فاياكم والعجب وانتصروا واغزوا أعداء الدين وانصروا الله ينصركم واعلموا ان الله معكم ثم
حمل الامير أبو عبيدة وحمل المسلمون قال عامر بن ربيعة وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيد المرسلين ما كان بيننا وبينهم الا جولة الجائل حتى ولوا الادبار وطلبوا الاسوار ودخل هربيس المدينة

اشهر ومعه زيد بن حارثة
فاقام بها اشهرا ثم رجع الى
مكة في جوار المطعم بن
عدي ولما تمت له خمسون
سنة وفد عليه جن نصيبين
وأسلموا ولما تمت له خمسون
سنة امري به ولما اشتد
البلاء من المشركين على
المسلمين استأذنوه في
الهجرة فقال قد رأيت دار
هجرتكم وهي أرض
سبخة ذات نخل بين لابتين
ثم مكث بعد ذلك أياما
وخرج الى أصحابه وهو
مسرور وقال قد أخبرت
بدار هجرتكم ألا وهي
يثرب فمن أراد منكم
الخروج فليخرج فصار
القوم يتجهزون
ويرحلون الى المدينة ولم

مع أصحابه وفيه سبع جراحات فتلقاه الذي أشار عليه لا تقاتل العرب وقال له وأين غنائم العرب التي غنمتموها فقال له هربيس قبحك المسيح أتهزأ بي وقد قتلت العرب رجالي وقد جرحت هذه الجراحات فقال له البطريق ألم أقل لك انك مهلك نفسك ورجالك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ثم ان الامير أبا عبيدة سار حتى نزل على بعلبك فنظر الى مدينة هائلة وحصن حصين والقوم قد أغلقوا الابواب وقد أحرزوا أموالهم ومواشيهم في جوفها واطلع المسلمون على الاموال كأنها الجراد المنتشر قال فلما نظر الامير أبو عبيدة رضي الله عنه الى البلد وتحصينه وامتناعه وكثرة رجاله وشدة برده وذلك أنه بلد لا يزايله البرد في الشتاء والصيف فقال الامير أبو عبيدة رضي الله عنه لخواص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الرأي في ذلك فاجتمع رأيهم على شورى واحدة وهو ان يحاصروا القوم ويضيقوا عليهم فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه أصلح الله الامير اني أعلم ان الروم ازدحم بعضهم ببعض من كثرتهم وأظن ان المدينة لا تسعهم وان طاولناهم رجونا من الله النصر وان يفتحها الله على أيدينا فقال الامير يا ابن جبل من أين علمت أن القوم يتضايقون في مدينتهم فقال يا أمير المؤمنين اني كنت أول من أسرع بجواده قبل واشرفت على هذه المدينة والقلعة البيضاء ورجوت ان الحق سوابق الخيل فرأيت القوم يدخلون المدينة من جميع الابواب مثل السيل المنحدر والمدينة مشحونة بأهل السواد والقرى والمواشي ودوابهم فيها وقد ضاقت بهم وهذه أصوات القوم في المدينة كأنهم النحل من كثرتهم فقال أبو عبيدة صدقت يا معاذ ونصحت وايم الله ما عرفتك الا مبارك الرأي سديد المشورة (قال الواقدي) وبات المسلمون تلك الليلة يحرس بعضهم بعضا الى الصباح ثم كتب أبو عبيدة رضي الله عنه الى أهل بعلبك كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير جيوش المسلمين بالشام وخليفة أمير المؤمنين فيهم أبو عبيدة بن الجراح الى أهل بعلبك من المخالفين والمعاندين أما بعد فان الله سبحانه وتعالى وله الحمد أظهر الدين وأعز أولياء المؤمنين على جنود الكافرين وفتح عليهم البلاد وأذل أهل الفساد وان كتابنا هذا معذرة بيننا وبينكم وتقدمة الى كبيركم وصغيركم لانا قوم لا نرى في ديننا البغي وما كنا بالذين نقاتلكم حتى نعلم ما عندكم وان دخلتم فيما دخل فيه المدن من قبلكم من الصلح والامان صالحناكم وان أردتم الذمام ذممناكم وان أبيتم الا القتال استعنا عليكم بالله وحاربناكم فاسرعوا بالجواب والسلام على من اتبع الهدى ثم كتب انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وأمره أن يسير به الى أهل بعلبك ويأتيه بالجواب فأخذ المعاهد الكتاب وأتى به الى السور وخاطبهم بلغتهم وقال اني رسول اليكم من هؤلاء العرب فادلوا حبلا فربطه في وسطه وأخذه القوم اليهم وأتوا به الى بطريقهم هربيس فناوله الكتاب فجمع هربيس أهل الحرب والبطارقة وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة رضي الله عنه وقال أشيروا علي برأيكم فقال له بطريق من بطارقته وهو صاحب مشورته الرأي عندي أن لا نقاتل العرب لانا ليس لنا طاقة بقتالهم ومتى صالحناهم كنا في أمن وخصب ودعة كما قد صار أهل أركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق وان نحن قتلناهم وأخذونا في الحرب قتلوا رجالنا واستعبدونا وسبوا حريمنا والصلح خير من الحرب فقال هربيس لا رحمك المسيح فما رأيت أجبن منك ولا أقل جلادا ويلك كيف تأمرنا أن نسلم مدينتنا الى أوباش العرب لا سيما وقد عرفت حربهم وقتالهم واختبرت نزالهم واني في هذه النوبة لو حملت في ميسرتهم كنت هزمتهم فقال البطريق نعم كانت الميسرة والقلب يخافون منك ثم تخاصما وتشاتما وافترق أهل بعلبك فرقتين فرقة يطلبون الصلح وفرقة يطلبون القتال ورمى هربيس الكتاب الى المعاهد بعد أن مزقه وأمر غلمانه أن يدلوه الى ظاهر المدينة ففعلوا ذلك ووصل المعاهد الى عسكر المسلمين وأتى أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه وحدثه بما كان من القوم وقال أيها الامير ان أكثر القوم عولوا على القتال فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه للمسلمين شدوا عليهم واعلموا ان هذه المدينة في وسط أعمالكم وبلادكم فان بقيت كانت وبالا على من صالحتم ولا تقدروا على سفر ولا على غيره قال فلبس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والعدد ورجعوا الى الاسوار وعطف أهل بعلبك عليهم وتراموا بالسهام والاحجار وان هربيس قد نصب كرسيه وسريره على برج من أبراج القلعة من ناحية النحلة وقد عصب جراحته ولبس سلاحه ولامته ولبس على رأسه صليبا من الجوهر وحوله البطارقة والديرجانية

يتق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ومنه الى المدينة وكان خروجه من مكة يوم الاثنين وقدومه المدينة يوم الاثنين هلال ربيع الاول وأقام علي رضي الله عنه بمكة بعد خروجه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ثم ادركه بقباء يوم الاثنين ثم أسس مسجد قباء وهو المسجد الذي أسس على التقوى ثم خرج من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة في بني سالم ابن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وركب

بالدروع المذهبة والعدد الكاملة وفى أعناقهم صلبان الذهب والجوهر وبايديهم القسى والسهام قال عامر بن وهب اليشكرى شهدت حرب بعلبك وقد زحفت المسلمون الى سورها قال ونشاب الروم كالجراد المنتشر وكان أناس من العرب بلا سلاح فأصابهم سهام القوم قال ورأيت القوم يتساقطون علينا من السور تساقط الطير على الحب فذهبت الى رجل سقط لاضرب عنقه فصاح الغوث الغوث وكنا قد عرفنا من الحرب ان من قال الغوث يعنى الامان فقلت له ويلك لك الامان فما الذى ألقاك الينا من سوركم فجعل يكلمنى بالرومية وأنا لا أدرى ما يقول قال عامر بن وهب اليشكرى فجئته الى خيمة أبى عبيدة وقلت له أيها الامير اطلب من يعرف لغة هذا العلج فانى رأيتهم يرمى بعضهم بعضا فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه لمن حضر من التراجمة أخبرنا بخبر هذا العلج وما قضيته ولم يرمى بعضهم بعضا فقال له الترجمان يا ويلك قد أعطيناك الامان فاصدقنا فى الكلام وقل لنا لم يرمى بعضكم بعضا قال ان بعضنا لا يرمى بعضا ولكنا من أهل السوارى والقرى فلما سمعنا بسيركم ورجوعكم عن أهل قنسرين التجأنا الى هذه المدينة من جميع الرساتيق لنتحصن فيها فلما لم من كثرة ما بها من الجيش فضيق بعضنا على بعض وسددنا طرقات المدينة ومضى بعضنا الى السور فاذا ليس لنا موضع نأوى اليه ولا مسكن نسكن فيه فجعلنا الابراج والاسوار مسكنا لنا فلما زحفتم الى القتال برز اليكم أهل الحرب والنزال من هذه المدينة فجعلوا يدوسوننا بارجلهم واذا اشتد الحرب عليهم والقتال يدفع الرجل منهم الرجل منا فيلقيه اليكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ذلك فرح فرحا شديدا وقال ارجو من الله أن يجعلهم غنيمة لنا قال واخذت الحرب مأخذها وطحنت رحالها وعلا الضجيج وحمى الروم أسوارهم فلم يقدر أحد من المسلمين أن يصل اليها من كثرة السهام والحجارة قال غياث بن عدى الطائى حاربنا أهل بعلبك فى أول يوم فاصيب من المسلمين اثنا عشر رجلا وأصيب من الروم على السور خلق كثير من أهل الحرب وغيرهم وانصرف المسلمون الى رحالهم وما لهم همة الى الطعام ولا الشراب ولا يريد أحد منا الا الاصطلاء بالنار من شدة البرد قال فبينما نحن ليلتنا نوقد النار ونتناوب فى الحرس الى الصباح فلما صلينا الفجر نادى مناد من قبل أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه يقول عزمة منى على كل رجل من المسلمين لا يبرز الى حرب هؤلاء القوم حتى ينفذ الى رحله و يصلح له طعاما حارا يأكله ليكون بذلك شديدا على لقاء العدو وقال فابتدرنا الاصلاح امورنا فلما نظر أهل بعلبك الى تأخرنا عن حربهم وقتالهم طمعوا فينا وظنوا ان ذلك فشل منا وعجز فصاح هربيس فى الروم وقال اخرجوا لهم بارك المسيح فيكم قال غياث بن عدى فلم يشعر المسلمون الا والابواب قد فتحت والخيل والرجال قد طلعت الينا كالجراد المنتشر قال وكان بعضنا قد مد يده الى الطعام و بعضنا ينضج له القرص واذا بمناد ينادى يا خيل الله اركبى ولا جهاد تأهبى فدونكم والقوم قبل أن يدهموكم قال حمدان بن أسيد الحضرمى وكان لى قرص خبزته وقدمت شيأ من الزيت لأجعله اداما للقرص واذا بالمنادى ينادى النفير النفير قال فوالله ما راعنى ذلك حتى أخذت قطعة وغمستها فى الزيت وهويت بها الى فى فسمعت النفير فقمت مسرعا وركبت جوادى عريانا من دهشتى لسرعة الاجابة وضربت بيدى على عمود من أعمدة الخيام وحملت على القوم فوالله ما شعرت بما صنعت ولا عقلت ما على نفسى حتى صرت فى الروم فجعلت أحطمهم حطما وأهبرهم بالسيف هبرا قال فنظرت الى خيل الروم متفرقة والامير أبو عبيدة قد نصب رايته والناس يهرعون اليها وان أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه ينادى برفيع صوته اليوم يوم له ما بعده قال ونظر أبو عبيدة الى شدة ضرب الروم وصبرهم على قتال المسلمين فحمل عليهم بالخيل العربية وأحاط بالروم من كل جانب وكان فى جملة خيله عمرو بن معدى كرب الزبيدى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما وربيعة ابن عامر ومالك بن الاشتر وضرار بن الازور رضى الله تعالى عنهم وذو الكلاع الحميرى فلله درهم فلقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسناء فلما نظر الروم الى فعلهم رجعوا على أعقابهم طالبين الاسوار وغلقوا الابواب ورجع المسلمون الى عسكرهم واضرموا نيرانهم ودفنوا من استشهد منهم وأقبلت رؤساء المسلمين الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وقالوا أيها الامير ما الذى قد عزمت عليه وما عندك من الرأى يرحمك الله فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه اعلموا ان من الرأى ان نتأخر عن المدينة مقدار شوط أو فرسخ ليكون ذلك مجالا لخيلكم ومنعة لحربكم والنصر من عند الله تعالى ثم دعا أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه بسعيد بن زيد بن عمرو بن

راحلته متوجها الى المدينة فلما قدم على ناقته صاروا يمسكون زمامها و يقولون يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة فسارت تنظر يمينا وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار ثم سارت حتى نزلت على باب أبى أيوب الانصارى ثم سارت و بركت فى مبركها الاول وألقت باطن عنقها وصوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وأقام عنده صلى الله

نفيل

نفيل وعقد له راية وأمره على خمسمائة فارس وثلثمائة راجل وأمرهم أن يهبطوا الى الوادى وأن يقاتلوا القوم
على الابواب وأن يشغلوهم عن المسلمين ثم عاد ضرار بن الازور وعقد له راية وأمره على خمسمائة فارس ومائة
راجل وسرحه الى باب الشام وقال يا ابن الازور أظهر شجاعتك على بنى الاصفر فقاتل من هناك من الروم فقال
حبا وكرامة قال ومضت كل فرقة الى جهة من الجهات فلما أصبح الصباح فتحت الروم الابواب وخرجوا فى خلق
كثير الى أن تكاملوا وحول بطريقهم هربيس فقال لهم البطريق اعلموا يا معاشر النصرانية ان أهل هذا الدين
من قبلكم قد فشلوا عن قتال هؤلاء العرب وعجزوا عن قتالهم ونزالهم فقالوا أيها السيد طب نفسا وقر عينا فانا
كنا نخاف من العرب قبل أن نختبرهم ونعلم قتالهم وقد علمنا انهم اذا لاقوا حربنا لم يكونوا أصبر منا على الحرب
لان أحدهم يلقى الحرب وعليه ثوب خلق خام أوفر وة خلقة ونحن علينا الدروع والزرد وقد وهبنا أنفسنا للمسيح
(قال الواقدى) فلما نظر أبو عبيدة رضى الله عنه الى كثرتهم نادى برفيع صوته يا معاشر المسلمين لا تفشلوا فتذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين قال وان الروم داخلهم الخوف لما كانوا قد نالوه من قوة المسلمين بالامس
فحملوا حملة عظيمة قال سهل بن صباح العبسى شهدت قتال أهل بعلبك وقد خرج الينا أهلها فى اليوم الثانى
وهم أطمع مما كانوا فى اليوم الاول وقد حملوا علينا حملة عظيمة شديدة منكرة وكنت فى ذلك اليوم أصابنى
جرح فى عضدى الايمن وما أطيق أن أحرك يدى ولا أحمل سيفا فترجلت عن جوادى وجريت بين أصحابى
ورقات فى نفسى اذا قصدنى أحد من هؤلاء الاعلاج لم يكن لى بد أن أدفع عن نفسى فطلعت الى ذروة الجبل
فعلوته وأشرفت على العسكرين وجعلت أنظر الى حربهم وقتالهم وقد طمعت الروم فى العرب والمسلمون ينادون
بالنصر وأبو عبيدة يدعو لهم بالنصر والتحمت القبائل واشتجرت العشائر قال سهل بن صباح وأنا على الجبل
من وراء حجر أنظر الى ضرب السيوف على البيض والجحف والشرر يطير من شعاعها وقد التقى الفريقان
واختلط الجمعان فقلت فى نفسى ويحى وما عسى أن ينفع المسلمين مقام سعيد بن زيد وضرار بن الازور على
الابواب والامير أبو عبيدة فى مثل هذا الحرب وانهم والله على وجل أن ينكشفوا من عظم شدتهم وحربهم
وهول ما يلقونه قال فاسرعت الى جرائم الشجرة فجعلت أكسرها وأعبى الحطب بعضه على بعض وعمدت الى
زناد كان معى فاوقدت النار وأضرمتها فيه وعبيت عليه حطبا أخضر ويابسا حتى علا منه دخان عظيم وكانت
علامتنا اذا أردنا أن يجتمع بعضنا الى بعض بارض الشام فى الليل وقود النار واثارة الدخان قال فما هو الا أن
علا الدخان وتصاعد الى الافق حتى نظر اليه سعيد بن زيد وأصحابه وضرار بن الازور وأصحابه فنادى بعضهم
بعضا الحقوا الامير أبا عبيدة رحمكم الله فان هذا الدخان ما هو الا من شئ عظيم والصواب أن نكون بخيلنا
فى موضع واحد فاسرعوا بخيلهم وساروا حتى أشرفوا على المسلمين وهم فى شدة الحرب وأعظم الكرب وقد
بلغت القلوب الحناجر وعملت السيوف البواتر واذا بمناد هتف بهم يا حملة القرآن جاءكم النصر من الرحمن
ونصرتم على عبدة الصلبان واذ قد أشرف عليهم سعيد بن زيد وضرار بن الازور فى أوائل خيلهم وقد شرعا
سنانهما وحملا فى الروم وقد أيقن الروم أنهم الغالبون اذ ظهرت عليهم رايات المسلمين وكتائب الموحدين
فاقبلوا ينظرون ما الخبر واذا بالمسلمين من ورائهم وقد جالوا بينهم وبين مدينتهم فنادوا بالويل والخراب وظنوا
انه قد أتى للمسلمين نجدة ومدد وقد غربهم البطريق فلما نظر البطريق الى تبلدهم زعق فيهم وقال يا ويلكم لا ترجعوا
الى المدينة فقد حيل بينكم وبينها وهذه مكيدة من مكايد العرب فلما سمعت الروم ذلك أحاطوا ببطريقهم
كالحلقة المستديرة يحمى بعضهم بعضا فعدل بهم البطريق نحو الجبل ذات الشمال وكان سعيد بن زيد وضرار
ابن الازور قد أقبلا بجيشهما عن يمين الحصن وشماله فحملوا عليهم واتبعوا آثارهم حتى طلعوا الى الجبل والتجأت
الروم الى ضيعة فى الجبل حصينة خالية من أهلها فاستند الروم اليها وتحصنوا فيها واتبعهم سعيد بن زيد فى
الخمسمائة فارس الذين كانوا معه وذلك ان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه لما نظر الى هزيمة الروم نادى فى المسلمين
معاشر الناس لا يتبعهم أحد ولا يفترق جمعكم لانى أخشى أن تكون هزيمة القوم مكيدة لكم حتى اذا تفرق جمعكم
زحفوا عليكم قال وان سعيد بن زيد لم يكن يسمع النداء ولو سمع النداء ما تبع القوم (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
فلما تحصنت الروم فى الضيعة قال سعيد بن زيد هذه طائفة قد أراد الله هلاكها فدوروا بهم وحاصروا فى كل
مكان ولا تدعوا أحدا يطلع رأسه الى أن تلحق بكم المسلمون ويأتى اليكم أمر من الامير أبى عبيدة ثم أقبل الى

عليه وسلم لسنة أشهر ثم بنى
مسجده الشريف ثم أذن
له فى الجهاد فاول غزواته
غزوة الابواء خرج الى
الجهاد يريد عير قريش
ثم غزوة العشيرة بضم العين
ثم شين معجمة مفتوحة
وهى أرض لبنى مدلج
بناحية الينبع فسارت الى
الشام ولم يدركها ولما رجع
الى المدينة من العشيرة لم
يقم الا تسع ليال حتى سافر
يريد بنى سليم (ولما وصل)
الى ماء من مياههم أقام
عليه ثلاث ليال ثم رجع
الى المدينة ولم يلق حربا
وتسمى هذه بدرا الاولى
(ولما بلغه صلى الله عليه
وسلم) رجوع العير من

رجل من عظماء المسلمين وقال له اخلفني في قومي حتى انظر رأى الامير أبي عبيدة ومن معه ثم اخذ معه زهاء من عشرين فارسا من أصحابه وسار حتى لحق بجيش المسلمين فلما نظر اليه الامير أبو عبيدة ومن معه قال يا سعيد أين رجالك وما صنعت بهم قال أبشر أيها الامير فان المسلمين في خير وسلامة وقد حاصروا أعداء الله في ضيعة في هذا الجبل ثم اخبره بالقصة من أولها الى آخرها فقال أبو عبيدة الحمد لله الذي هزمهم عن أوطانهم وجعلهم أشتاتا ثم اقبل أبو عبيدة على سعيد بن زيد وعلى ضرار بن الازور وقال لهما ما هذه المخالفة رحمكما الله ألم آمركم بالاقامة على أبواب المدينة والاشاغلة للقوم فما الذي ردكم الى وقد أرعبتم قلبي وقلب من كان معي وظننت ان أهل المدينة كادوكم وهو الذي منعنا أن نتبع المنهزمين فقال سعيد بن زيد أيها الامير والله ما عصيت لك أمرا ولا خالفتك في قول واني قد وقفت حيث أمرتني اذ رأينا دخانا فدهلنا لقتامه ولاح لنا بيانه فقلنا والله ما هذه الاداهية من دواهي الروم أو نفير قد استدعانا به المسلمون فاسرعنا نحوك فعندما نادى الامير أبو عبيدة في المسلمين معاشر الناس ايكم أوقد نارا أو دخن دخانا في هذا الجبل فاجاب الامير أبا عبيدة فقال سهل بن صباح فلما سمعت النداء أجبت المنادى وأتيت الامير أبا عبيدة فقال ما الذي جراك على ذلك فقصصت عليه قصتى فقال أبو عبيدة لقد وفقك الله تعالى الى الجنة فاياك بعدها أن تحدث حدثا من غير اذن اميرك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فبينما الامير كذلك يحدث سهل بن صباح واذا برجل من المسلمين منحدر من الجبل وهو ينادي النفير النفير يا أمة البشير النذير أدركوا اخوانكم المسلمين فقد أحاط بهم الروم وهم في أشد ما يكون من القتال وانه قد دنا البطريق من المسلمين ونادى باصحابه ورجاله وقال يا عباد المسيح اليكم هذه الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة التي قد أحاطت بكم فاقتلوهم وادخلوا المدينة فانكم ان قتلتم القوم كسرتم بذلك حدة العرب وانصرفوا عنكم قال مصعب بن عدى وكنت في بعلبك من أصحاب سعيد بن زيد وقد جعلنا نحاصرون البطريق والروم في الضيعة ونحن دون الخمسمائة رجل فما شعرنا الا والبطريق والروم قد تبادروا الينا من كل مكان فنادى بعضنا بعضا واجتمعنا قال والله لقد كبوا علينا الخيل واحاطوا بنا بعد ما كنا أحطنا بهم وكان شعارنا في ذلك اليوم اصبر اصبر قال فبينما نحن كذلك في أشد الحرب وأعظم الكرب اذ سمعنا صوتا عاليا قد ملأ الجبل ومناديا ينادي ويقول أما من رجل يهب نفسه في الله ويستنفر المسلمين فانهم بالقرب منا ولا يعلمون ما نزل بنا قال مصعب بن عدى فلما سمعت الصوت هززت جوادي بكعبي وكان جوادا عتيقا يسبق الريح الهبوب أو الماء اذا انسكب من ضيق الانبوب وكأنه الطود العظيم والله لقد خرج من تحتى كأنه البرق ولم تلحق منه الروم الا الغبار بعد ما قتلت منهم رجلين ولقد نظرت الى فرسى وهو يشب الصخرة ويسلك الوعرة حتى أشرفت على عساكر المسلمين فناديت النفير النفير يا أمة البشير النذير فلما سمع أبو عبيدة ذلك صاح بالرماة فأجابه خمسمائة رام من أصحاب القسى العربية فضمهم الى سعيد بن زيد وقال له اسرع يرحمك الله والحق باصحابك قبل أن يأتى العدو اليهم ثم نادى بضرار بن الازور واصحابه وقال له أدرك أخاك سعيد بن زيد قال فسار المسلمون مثل الجراد المنتشر حتى علوا على قلة الجبل وأشرفوا على الروم وهم محدقون باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو زيد بن ورقة بن عامر الزبيدي وكنت ممن شهد القتال على الضيعة مع أصحاب سعيد بن زيد وقد أحاطت بنا الروم وقد صبرنا لهم صبر الكرام وقد صرع منا سبعون رجلا ما بين جريح وقتيل ونحن في أشد ما يكون من القتال والجراح وقد طمعت الروم فينا حتى سمعنا التهليل والتكبير ولحقنا النفير فلما أشرفت علينا راية المسلمين رجعت الروم على أعقابهم مدبرين والى الضيعة راجعين ولحقنا من تأخر منهم وكثر فيهم القتل والجراح لكثرتهم وتحصن القوم في الضيعة فأحطنا بهم من كل جانب وما تركنا منهم أحدا يخرج رأسه من كثرة النبل وورد الخبر الى الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه بمن استشهد من المسلمين ومن قتل من الكافرين وأن القوم قد لزمهم الحصار وان لا زاد عندهم ولا ماء فقال أبو عبيدة الحمد لله ثم قال للمسلمين معاشر الناس ارجعوا الى أموالكم واضربوا خيامكم حول المدينة فان الله عز وجل كاد عدوكم وهو منجز لنا ما وعدنا من نصره قال فعندها رجع المسلمون الى أموالهم ومواضعهم التي كانوا فيها أول مرة وضربوا خيامهم وانفذوا طوالعهم وأرسلوا الى المرعى خيولهم وابلهم وسرحوا الى الحطب عبيدهم واضرموا النيران في عسكرهم وذهب منهم الخوف وأتاهم الامان وان أهل بعلبك افترقوا على

الشام خرج اليها في ثلثمائة وثلاث عشر وخرج أبو سفيان من مكة في قريب من الالف وحصل القتال الشديد ونصر الله المسلمين وتسمى هذه بدرا الثانية وبدر الغنائم (ثم غزا صلى الله عليه وسلم بني قينقاع) بفتح القاف وضم النون وكان صلى الله عليه وسلم عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير ان لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه فغدروا ولما كانت وقعة بدر أظهروا العداوة والحسد فنبذوا العهد فقال لهم صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود احذروا أن

السور وجعلوا يضربون على وجوههم ويصيحون بلغتهم فقال الامير أبو عبيدة لبعض التراجمة ما يقول هؤلاء فقال له الترجمان أيها الامير انهم يقولون باويلهم وباعظم ما أصابهم وباخراب ديارهم وبافتقار حالهم حتى ظفرت العرب ببلادهم (قال الواقدي) فلما دنا المساء أرسل الامير أبو عبيدة الى سعيد بن زيد يقول له يا ابن زيد الحذر الحذر على من معك من المسلمين واجتهد رحمك الله أن لا يفوتك من الروم أحد ولا تفسح لهم قدما واحدا فيخرج منهم واحد فيتبع أولهم آخرهم فتكون كمن حصل في يده شئ فأضاعه فلما وصل الرسول الى سعيد بن زيد بهذه الرسالة أمر المسلمين أن يحيطوا بالضيعة من كل جانب وأن لا يخرجوا الى الحطب الا مائة بالسلاح ففعلوا ذلك وأضرموا نيرانهم وباتوا طول ليلتهم يهللون ويكبرون وبالضيعة يطوفون فلما نظر البطريق هربيس الى ذلك أقبل على أصحابه ورجاله وقال لهم يا ويلكم لقد أيسنا من التدبير وأخطأنا الرأى وما لنا مدد ولا نجدة ولا نصبر ولو اجتهدنا لما اجتهدت العرب على أن يحبسونا في هذه الضيعة والآن قد حبسنا أنفسنا في حبس ليس فيه طعام ولا شراب وان دام علينا هذا يوما ثانيا أورثنا ذلك ضعف قوتنا ومات ضعيفنا وبطلت حيلتنا وسلمنا أنفسنا كارهين فنقتل عن آخرنا فقالت البطارقة فما الذي تراه أيها السيد فقال قد رأيت من الرأى أن أخدع العرب وأحتال عليهم وأسألهم الصلح لنا ولاهل مدينتنا كما قد طلبوا وأضمن أن أفتح لهم المدينة ونكون في ذمامهم فاذا دخلنا المدينة حاربناهم على سورنا ولعلنا نرسل الى صاحب عين الجوز والى صاحب جوسية فلعلهما يقدمان الى نصرتنا فيكونان لقتال العرب من خارج المدينة ونحن من أعلى الاسوار ويكفينا المسيح هذه النوبة فقالت البطارقة اعلم أيها السيد أن صاحب جوسية لا يجيبك الى نجدة أبدا لانه مشتغل بنفسه وربما يكون محاصرا مثل حصارنا هذا فلقد بلغنا قبل نزول هؤلاء العرب علينا أنهم صالحوهم وليس لهم من القوة والقدرة أن يقاتلوا العرب وأما أصحاب عين الجوز فانهم في تجارتهم متفرقون في أقصى الشام وما أظن الا أنهم في صلح العرب فانظر لنفسك ورعيتك ما فيه الصلاح فلما سمع البطريق هربيس قولهم أجابهم الى ذلك فلما أصبح الصباح طلع البطريق على جدار الضيعة ونادى برفيع صوته يا معاشر العرب أما فيكم رجل يعرف كلامي أنا هربيس البطريق فلما سمعه بعض التراجمة أقبل على سعيد بن زيد وقال له يا مولاي ان هذا العلج هو هربيس صاحب القوم وهو يستدعي كلامك فقال له سعيد بن زيد ادن منه وانظر ماذا يريد وماذا يقول قال فدنا الترجمان منه فقال له ما الذي تريد قال أريد أن يؤمنني أميركم هذا في ذمامه وذمام أصحابه ويدنوني حتى أخاطبه بما يعود صلاحه على الفريقين فقال الترجمان ذلك لسعيد ابن زيد فقال سعيد بن زيد لا كرامة له حتى أدنو منه وأمشي اليه حتى يخاطبني فان كان له حاجة فليأت الى خاضعا ذليلا صاغرا حتى أسمع كلامه وأعلم مراده قال فاعلم الترجمان هربيس بكلام سعيد بن زيد فقال هربيس فكيف انزل اليه وانا محارب له فأنا أخاف أن يقتلني فقال له الترجمان أنا آخذ لك منه الذمام فان العرب لا تخون اذا أمنت فقال البطريق نعم قد تناهت الينا أخبارهم ولكني أريد أن أستوثق لنفسي ولاصحابي وأهل بلدي لانهم قوم قد لحقهم الحقد علينا وقد أصبنا منهم دما كثيرا واني أريد أن أرسل له شخصا يأخذ لي منه أمانا فقال الترجمان أنا أعرفه ذلك ثم أقبل الترجمان على سعيد بن زيد وقال له ان البطريق هربيس يريد أن يوجه اليك رجلا من أصحابه يأخذ له منك أمانا فقال سعيد بن زيد دعه يوجه من يريد وأعلمه أن رسوله منا في أمان حتى يرجع اليه قال فاعلمه الترجمان بذلك فأقبل البطريق على رجل من عظماء أصحابه وقال له ترى ما قد نزل بنا وكيف قد ملك العرب علينا الطريق وان بلاد الشام قد أذن المسيح بخرابها وقد نصرت العرب علينا وأنا في شدة شديدة وان لم تأخذ من القوم الامان والا هلكنا وهلكت خيلنا وبعد ذلك يتحكمون في أولادنا وحريمنا ويقتسمون أموالنا وذرارينا وليس لنا نجدة لان كل بلد مشتغل بنفسه عن نصرتنا فانزل الى هؤلاء العرب وخذ لنا منهم أمانا واستوثق لنا منهم حتى انزل أنا اليهم فلعلنا نجرى بينهم صلحا ولعلى أمكر بهم حتى نرجع الى المدينة ولعلى أرغب صاحبهم في شئ من المال فلعله يرغب وينصرف عنا الى أن نرى ما يكون بينهم وبين الملك هرقل (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فنزل الرجل ووقف أمام الامير وسعيد بن زيد وهم الرجل أن يسجد له فمنعه من ذلك وتبادرت اليه المسلمون فامسكوه ففزع الرجل وقال لم تمنعوني أن أعظم صاحبكم فقال الترجمان ذلك لسعيد بن زيد فقال انما أنا وهو عبدان

تنزل بكم ما نزل بقريش من النقمة أى ببدر فلم يقبلوا وأظهروا الشدة فسار اليهم صلى الله عليه وسلم وأعطى اللواء الابيض عمه حمزة بن عبد المطلب وقد تحصنوا في حصونهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوه صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيلهم ويخرجوا من المدينة بأولادهم وعيالهم ويتركوا أموالهم فأجابهم وأخذ أموالهم فنأوا بعدهم عن المدينة ونزلوا باذرعات قرية من الشام (ثم كانت غزوة السويق) خامس ذى

لله تعالى ولا يجوز السجود والتعظيم الا لله الملك المعبود القديم فقال الرجل بهذا نصرتم علينا وعلى غيرنا من
الأمم فقال سعيد بن زيد فما الذي جاء بك قال جئت لآخذ منك أمانا لبطريقنا أن لا تنقض له عهدا فقال
سعيد بن زيد ليس من أخلاق الامراء ومن يقود الجيوش أن يغدر بعد الأمان ولسنا بحمد الله ممن ينقض
عهدا وقد أعطيت صاحبك أمانا وإن معك ممن ألقى السلاح وخرج يطلب الامان مستسلما فقال الرجل
نريد منك الأمان ومن أميرك وممن معك فقال سعيد لكم ذلك فعند ذلك رجع الرجل الى البطريق وأعلمه
بجواب سعيد وقال له اخرج وإياكم والغدر فانه يهلك صاحبه وإن هؤلاء العرب لا يخونون أمانهم وعهدهم
(قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولقد بلغني ان البطريق هربيس خلع ما كان عليه من الثياب والديباج
وألقى السلاح ولبس ثياب الصوف وخرج حافيا حاسرا ذليلا ومعه رجال من قومه حتى وقف بين يدي سعيد
ابن زيد فخر سعيد لله ساجدا وقال الحمد لله الذي أزال عنا الجبابرة وملكنا بطارقتهم وملوكهم ثم أقبل عليه وقال
له ادن مني فدنا الى أن جلس الى جانبه وقال له أهذا لباسك دائما أو غيرته فقال لا وحق المسيح والقربان
ما لبست الصوف أبدا غير الحرير والديباج وما لبست هذا الا في وقتي هذا فاني ما أريد حربكم ولا قتالكم ثم
قال لسعيد هل لك أن تصالحني على أصحابي هؤلاء وعلى أهل المدينة ومن فيها فقال سعيد أما أصحابك هؤلاء
فاني أوفيهم على شرط أن من دخل في ديننا فله ما لنا ومن اختار الاقامة على دينه وألقى السلاح كان آمنا من
القتل وعليه العهد أنه لا يحمل علينا سلاحا ولا يكون لنا حربا أبدا وأما المدينة فالامير أبو عبيدة عليها وقد
فتحها ان شاء الله تعالى ثم قال ان أحببت أن تسير معي الى أبي عبيدة حتى يسمع كلامك وتصالح عن قومك
فسر وأنت في ذمامي فان اتفق بينكما الامر والا رددتك الى موضعك هذا ومن أراد الرجوع معك من رجالك
الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين فقال البطريق أنا أفعل ذلك فعند ذلك دعا سعيد بن زيد سعد بن أبي وقاص
ابن عوف العدوي وقال يا ابن أبي وقاص كن بشير الامير أبي عبيدة بما سمعت وأسرع بالجواب قال فأسرع
ابن أبي وقاص بن عوف وركب جواده وكان حصانا شديد العدو وجعل يسير سيرا حثيثا حتى أشرف
على الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه ووقف بين يديه وسلم عليه وقال أصلح الله تعالى شأن الامير
أبشرك بأن البطريق هربيس قد أخذ الامان من سعيد بن زيد وهو يريد أن يقبل به عليك يسألك الصلح
والامان له ولاهل مدينته فلما سمع الامير ذلك حمد لله شكرا ورفع رأسه وقال أيها الناس تقدموا الآن الى
قتال أهل المدينة وأظهروا أسلحتكم عليها وكبروا تكبيرة واحدة لكي ترعبوا بها القوم قال ففعل المسلمون
ذلك فارتجت المدينة وفزع أهل بعلبك وتداعوا للقتال وأحاط المسلمون بالمدينة من كل جانب وكان أول من
سبق الى المدينة وأعطاهم خبر البطريق المرقال بن عتبة وقال حصنوا أنفسكم وأولادكم وأموالكم بالصلح
فان أبيتم ذلك فقد وعدنا الله تبارك وتعالى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يفتح لنا بلادكم وأمصاركم
وغيرها وأن الله تعالى منجز أمره فلما سمع أهل بعلبك ذلك فزعوا فزعا شديدا واغبرت وجوههم ورعبت
قلوبهم وكانت من الحرب أيديهم وقالوا أهلكنا البطريق وأهلك نفسه ولو كنا صالحنا العرب من قبل أن
يوجد بنا هذا الحصار لكان خيرا لنا قال وشدد المسلمون عليهم القتال ﴿قال الواقدي﴾ فلما علم أبو عبيدة أن
نيران الحرب قد أضرمت على المدينة أرسل الى سعيد بن زيد يقول له أسرع الينا ومعك البطريق وله الامان
الذي أمنت أنت فنحن لا ننقض لك عهدا فلما ورد رسول أبي عبيدة على سعيد بن زيد استخلف على الضيعة
رجلا من أصحابه وسار سعيد مع البطريق حتى ورد على الامير أبي عبيدة رضي الله عنه فلما وقف البطريق
بين يديه ونظر الى زيه وزي من معه وشهد قتالهم وعظم ما تلتقي المدينة من حربهم وقتالهم وحرك البطريق رأسه
وعض على أنامله فقال أبو عبيدة رضي الله عنه للترجمان ما لهذا يحرك رأسه ويعض أنامله كأنه يتأسف على
شيء فاته قال فأعلمه الترجمان بذلك فأقبل على الترجمان وقال له وحق المسيح والمسيح وحق البيعة والمذبح
لقد ظننت انكم أكثر عددا من الحصى وأكثر مددا ولقد كان يخيل لنا عند حربكم وشدة ما نلقى منكم أنكم
على عدد الحصى والرمل من كثرتكم ولقد كنا نرى خيلا شهبا وعليها رجال وبأيديهم رايات صفر وعليهم ثياب
خضر فلما صرت بينكم لم أر من ذلك شيأ وما أراكم الا في قلة عدد وما أدري ما فعل جمعكم أبعثتموه الى عين
الجوز أو الى جوسية أو مكان آخر فأخبر الامير الترجمان بذلك فقال أبو عبيدة للترجمان قل له يا ويلك نحن

الحجة من السنة الثانية
من الهجرة وذلك أنه لما
أصاب قريشا في بدر ما
أصابهم نذر أبو سفيان ان
يغزو محمدا وأصحابه فخرج
من مكة في مائتي راكب
حتى نزل قريبا من المدينة
بمحل بينه وبينها نحو ميل
وقطع جانبا من النخل ولقي
رجلين من الانصار
فقتلهما وبلغ النبي صلى
الله عليه وسلم فخرج في
طلبه فهرب هو وأصحابه
وساروا يرمون السويق
وهو دقيق الشعير المحمص
ليخف عليهم السير
فيأخذه الصحابة ويجعلونه
زادهم فلذلك سميت غزوة
السويق (ثم كانت غزوة

معاشر المسلمين يكثرنا الله تعالى فى أعين المشركين ويمدنا بالملائكة كما فعل بنا يوم بدر وبذلك فتح الله تعالى بلادكم وحصونكم علينا وأذل ملوككم فلما سمع البطريق كلام أبى عبيدة رضى الله عنه على لسان الترجمان قال لقد وطئتم الشام الذى عجزت عنه ملوك الفرس والترك والجرامقة وما ظننا أن يكون ذلك أبدا وأما مدينتنا فهى حصينة منيعة بالحصار لانها مدينة ليس بالشام مثلها بناها سليمان بن داود عليهما السلام لنفسه وعملها دار مقامه وخزانة الملكه ولولا ما سبق من تفريطنا وخروجنا عنها اليكم وانحرافنا عنها ما صالحنا كم أبدا ولا ماناجزناكم ولو أقمتم علينا مائة سنة والآن فقد كان ذلك فهل لكم أن تصالحونا حتى نصالحكم فتعدلوا فينا فهو أقرب رشدا لنا ولكم فوحق المسيح والانجيل الصحيح ائن فتحنا لكم هذه المدينة لا يصعب عليكم فى الشام حصن ولا مدينة قال فلما أخبر الترجمان الامير أبا عبيدة رضى الله عنه بما قاله قال أبو عبيدة للترجمان قل له ان شاء الله تعالى ملكنا أرضكم ودياركم واذل لنا ملوككم فلا بد أن تؤدوا الجزية وقد ظننت لنفسك أمانا كاذبا حتى أراك الله الذل والصغار بعد العز والاقتدار ولا بد لنا أن نملك مدينتكم ان شاء الله تعالى ونقتل الرجال ونأسر الابطال فمن أراد حربنا وقتالنا فلا يدخل فى صلحنا أبدا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال البطريق لما سمع ذلك على لسان الترجمان لقد تيقنت ان المسيح قد غضب على أهل هذه المدينة اذ بعث بكم اليها وملككم عليها وقد اجتهدت فى حربكم ومكرت بكم وما نفع مكرى واجتهادى لانكم قوم مسلطون وانما طلبت منكم السلم والقيت يدى فى أيديكم بعد جهدى لا شفقة منى على نفسى ولا بقاء منى على ملكى ولكن أردت صلاح البلاد لان الله تعالى لا يحب الفساد والآن فهل لكم أن تصالحونا على المدينة وما فيها وعلى أصحابى هؤلاء فقال له الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فما الذى تبذل لنا فى صلحك قال له البطريق أيها الامير انظر ما الذى تريد فقال الامير أبو عبيدة لو ان الله فتح على المسلمين من الصلح على هذه المدينة ملأها ذهبا وفضة كان أحب الى من سفك دم رجل واحد لكن الله تعالى أعطى الشهداء فى الآخرة أكثر من ذلك فقال البطريق أنا أصالحكم على ألف أوقية من الفضة البيضاء وألف ثوب من الديباج (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فتبسم الامير أبو عبيدة من كلامه وأقبل على المسلمين وقال لهم أما تسمعون ما يقول هذا البطريق قالوا نعم قال فما رايكم فيما شرط على نفسه فقالوا نزيد عليه وشرطه برضينا فأقبل الأمير على البطريق وقال له أنا أصالحكم على ألفى أوقية من الذهب الاحمر وألفى أوقية من الفضة البيضاء وألفى ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف من مدينتكم وسلاح أصحابك الذين هم فى الضيعة محاصرون ولنا عليكم خراج أرضكم فى العام الآتى واداء الجزية فى كل عام وأنتم بعد ذلك لا تحملون علينا سلاحا ولا تكاتبون ملكا ولا تحدثون حدثا ولا كنيسة وترون النصح للمسلمين فلما سمع البطريق ذلك من شرط الامير أبى عبيدة رضى الله عنه قال لك ذلك كله علينا الا أنى أريد أن أشرط عليك وعلى أصحابك شرطا فقال له الامير أبو عبيدة وما شرطك فقال لا يدخل الينا من أصحابك أحد وتنزل صاحبك الذى تستخلفه علينا خارج المدينة بأصحابه ويكون له الخراج والجزية وندعى أنا من داخل المدينة من قبل الاصلاح بين الناس والنظر فى أحوالهم ونحن نخرج الى من تخلفه علينا من أصحابك سوقا يكون فيه من جميع ما فى مدينتنا ولا يدخلون الينا مخافة أن يغلظوا بكلامهم على كبرائنا ويفسد الامر بيننا وبينكم ويكون سببا للغدر ونقض العهد قال أبو عبيدة فاذا صالحنا كم نحامى عدوكم لانكم تصيرون فى ذمتنا ويكون الرجل الذى نخلفه عليكم مثل الواسطة والسفير بيننا وبينكم قال البطريق هو بئس يكون خارج المدينة ويفعل ما يشاء ان يفعله من المحاماة فقال أبو عبيدة لكم ذلك ومالنا فى الدخول الى مدينتكم من حاجة فقال البطريق تم الصلح على ذلك ثم سار البطريق الى المدينة وأبو عبيدة معه فلما وصل الى الباب حسر البطريق عن رأسه ورطن عليهم بلغة الروم فعرفوه عند ذلك فقالوا له وأين أصحابك ورجالك فقص عليهم قصته وأخبرهم بخبره وخبر أصحابه وأعلمهم بالصلح فبكى القوم وقالوا تلفت النفوس وذهبت الأموال فقال لهم البطريق يا قوم وحق المسيح ما صالحتكم ولى وجه غير الصلح فقالوا له اذهب أنت وصالح عن نفسك وأما نحن فلن نصالح العرب أبدا وان ندع أحدا منهم يملكنا ولا يدخل بلادنا ومدينتنا وهى أحصن مدينة فى الشام وكان الامير أبو عبيدة رضى الله عنه قد أعلم المسلمين بمصالحة البطريق وأمرهم أن يكفوا عن القتال والحرب فلما سمع الترجمان كلام أهل بعلبك للبطريق لهم أخبر الامير أبا عبيدة رضى الله عنه بذلك

كركرة الكدر) وهى أرض بها طيور فى ألوانها كدرة وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن قوما من بنى سليم وغطفان يريدون الاغارة على المدينة فسار اليهم فى مائتين من أصحابه فهربوا وأخذ ابلهم وكانت خمسمائة بعير مع رعاتهم منهم غلام يقال له يسار فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وأعتقه لانه رآه يصلى بعد أن أسلم ولما قرب من المدينة خمسها فخص كل رجل بعيران (ثم كانت غزوة أمر) بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديد الراء وذلك أنه صلى الله عليه

فأقبل البطريق فقال له أبو عبيدة هات ما عندك والا نرد الحرب كما كان فقال البطريق دعني والقوم فوحق الانجيل الصحيح وعيسى المسيح لولم يقبلوا مني لادخلتك بالكثرة اليهم فتضع السيف فيهم وتقتل رجالهم وتسبي نساءهم وتنهب أموالهم لاني خبير بعورات بلدهم وبطارقاتها قال أبو عبيدة رضي الله عنه ماشاء الله كان قال وكان الروم على سورهم يسمعون كلام البطريق لابي عبيدة رضي الله عنه فدخل الرعب في قلوبهم فعند ذلك أقبل البطريق على الروم وقال لهم ما تقولون في صلح العرب فاني أسير في أيديهم ورجالهم وبنو عمكم في قبضتهم فان لم تصالحوا العرب والا يقاتلونا جميعا ويرجعوا اليكم من بعدنا فقالوا أيها السيد انا لانطيق هذا المال فقال ياويلكم على وحدي ربع ما طلبوا فطابت قلوبهم بذلك وقالوا انا لانفتح الباب الالك وحدك ولا يدخل معك أحد من العرب حتى نصالح مدينتنا ونرفع رحالنا ونخفي حريمنا فقال البطريق ويحكم فاني قد صالحت القوم على أن لا يدخل مدينتكم أحد منهم وان الرجل الذي يخلفونه عليكم يكون هو وأصحابه خارج المدينة وتخرجون اليه سوقا يتسوقون منه قال ففرحت الروم بذلك وفتحوا له الباب فدخل اليهم وبعث الامير أبو عبيدة الى سعيد بن زيد أن يخلي عن الرجال الذين هم في الضيعة محاصرون فخلى سعيد ابن زيد سبيلهم وجاءهم عند الامير أبي عبيدة وأخذ سلاحهم وتركهم عنده رهائن على المال الذي عندهم لانه خاف ان تركهم أن يرجعوا الى المدينة ويغدروا بالمسلمين فتركهم عنده في عسكره هذا والبطريق في المدينة يجبي المال بعد اثني عشر يوما وهم مع ذلك يحملون الى عسكر المسلمين الزاد والميرة والعلوفة حتى كملت الاموال والثياب والسلاح وحملها البطريق الى حضرة أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال له تسلم الاموال على ما وافقتك عليه وخل عن الرجال وانظر الى من تخلفه علينا من أصحابك فأحضره لنا حتى نشرط عليه بحضرتك أن لا يجور علينا ولا يطالبنا بما لانطيق ولا يدخل مدينتنا قال فدعا أبو عبيدة رجلا من سادات قريش اسمه رافع بن عبد الله السهمي وقال له يارافع بن عبد الله استعملتك على هذه المدينة وضم اليك خمسمائة فارس من بني عمك وعشيرتك وأربعمائة فارس من أخلاط المسلمين واني آمرك بما أمرك الله به فاتق الله حق تقاته ولا تكن الا من الولاة العادلين واياك والظلم والجور فتحشر مع الظالمين واعلم أن الله تعالى سائلك عنهم ومطالبك بما تصنع بغير الحق واعلم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى بن عمران عليه السلام أن ياموسى لاتظلم عبادي أخرب بيتك من نفسك فأقم الارصاد في أطراف البلاد فانك بين أعدائك وبعد هذا ما عرفتك الايقاظ واحذرك من السواحل وشن الغارة عليهم ولتكن غارتك في المائة والمائتين ولا تمكن أحدا من المدينة يختلط بأصحابك في غارة حتى يطمع عدوكم فيه وأحسن معاملة من ساعدك وأصلح بينهم وأمرهم بالعدل وكن بينهم كاحدهم وأمر أصحابك ومن معك أن يكفوا أيديهم عن الفساد والظلم للرعية والله تعالى خليفتي عليك والسلام عليك

﴿ذكر حديث نزول المسلمين على حمص﴾

﴿قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به آمين﴾ ثم هم أبو عبيدة رضي الله عنه بالرحيل الى حمص واذ قد ورد عليه صاحب عين الجوز يطلب منه الصلح فصالحه على نصف ما صالحه عليه أهل بعلبك وولى عليهم سالم بن ذؤيب السلمي وأوصاه بمثل ما أوصى به رافع بن عبد الله ورحل الامير أبو عبيدة رضي الله عنه يطلب حمص فلما وصل الى بين الرأس والكفيلة لاقاه صاحب الجوسية ومعه هدية كثيرة فقبلها منه وجدد معه صلحا وسار الامير أبو عبيدة رضي الله عنه حتى نزل على حمص (قال الواقدي) حدثنا حسان بن تميم الثقفي قال كنت فيمن أقام مع رافع بن عبد الله السهمي في جملة أصحابه وذلك اننا نصبنا بيوت الشعر على العمد وأقمنا خارج المدينة لا يدخل اليها أحد منا ونحن مع ذلك نشن الغارة على سواحل الروم ونكبس على العرب التي لم تكن في صلحنا وكنا اذا خرجنا في سرية نبيع الغنائم في بعلبك ففرح أهلها ببيعنا وشرائنا ووجدونا قوما ليس فينا كذب ولا خيانة ولا نريد ظلم أحد وطابت قلوبهم وربحوا في تلك المدة اليسيرة مالا عظيما فلما نظر البطريق هربيس الى ما ربح أهل بعلبك منا في تجارتهم ورخص ما يشترونه منا جمعهم اليه في كنيسة المدينة وهي الجامع اليوم وكان ذلك بميعاد وعدهم فيه الاجتماع فلما اجتمعوا عنده أقبل عليهم وقال للتجار والباعة والسوقة لقد علمتم اني قد اجتهدت في أموركم وحرصت على سلامة نفوسكم وأهاليكم وأولادكم وأنتم تعلمون ما ذهب مني من المال

وسلم بلغه ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال وسكون العين المهملتين ثم ثاء مثلثة ابن الحرث الغطفاني من بني محارب جمع جمعا من بني ثعلبة وأراد الاغارة على المدينة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم في أربعمائة وخمسين رجلا من أصحابه فلما سمعوا به هربوا في رؤس الجبال (ثم كانت غزوة بحران) بفتح الباء الموحدة ويقال بضمها ثم بحاء مهملة ساكنة في السنة الثالثة من الهجرة (ثم كانت غزوة أحد) في السنة الثالثة أيضا وأحد جبل على ثلاثة أميال من

وأنا

وأنا اليوم واحد منكم وقد سلمت مالى وسلاحى وقتل أكثر غلمانى ورجالى وبنو عمى وأنتم قوم قد أصبتم من هؤلاء العرب خيرا كثيرا فى هذه التجارات وقد أديت وحدى ربح المال فقالوا صدقت أيها البطريق وقد عرفنا كل ما وصفت فما الذى تريد الآن فقال ياقوم انما كنت قبل هذا اليوم بطريقكم وأنا اليوم واحد منكم وأريد أن تردوا على بعض ما بذلت من المال للعرب فقالوا أيها البطريق وأنى لك بذلك فقال البطريق ياقوم لست أكلفكم أن تخرجوا من أموالكم ولا مما حوته منازلكم شيأ وانما أريد أن تجعلوا فى هذه البيوع والاشربة العشر مما تأخذون وتعطون قال فاضطرب القوم اضطرابا شديدا لذلك وعظم عليهم وأقبل بعضهم على بعض وقال ياقوم هذا رجل منا وصاحب ملكنا قد اجتهد فى أمورنا وحامى بماله ونفسه عنا وما عسى يصيب منا فى مالنا قال فأجابوه الى ذلك وجعلوا له عليهم العشر فنصب عليهم من قبله عشارا يأخذ منهم أعشارهم ويجمعها ويحملها اليه فأقام على ذلك أربعين يوما فلما نظر هربيس الى كثرة ما قد اجتمع له من ذلك العشر قال أنا أعلم أن هذه المدينة فى كسب عظيم وتجارة رابحة ما رأى أهل بعلبك مثل هذا أبدا ثم جمعهم فى الكنيسة مرة ثانية وقال لهم ياقوم قد علمتم ما بذلت من المال على صلحكم وهذا الذى تعطونى اياه من العشر ليس يجزينى فان أردتم أن تردوا على مالى وتجعلونى كاحدكم فاجعلوا لى الربع فى أموالكم حتى يرجع الى مالى سريعا والا فانى أخلف من هذا العشر مالى وسلاحى وغلمانى (قال الواقدى) فأبى القوم وضجوا عليه وأشهروا عددهم ووقفوا فى الطريق لغلمانه فقطعوهم اربا اربا وارتفع ضجيجهم ففزع المسلمون لذلك وهم لا يعلمون بالقصة فاجتمعوا الى أميرهم رافع بن عبد الله السهمى وقالوا أيها الامير أما تسمع أصوات هؤلاء القوم فى مدينتهم فقال ياقوم قد سمعتم كما سمعت فما عسى أن أصنع بهم ولا يحل لنا الدخول اليهم وبهذا جرى الشرط بيننا وبينهم ونحن أحق بن أوفى بعهد الله تعالى فان هم خرجوا الينا وأعلمونا بامرهم صالحنا بينهم ونظرنا فى أمورهم (قال الواقدى) فما استتم الامير رافع بن عبد الله كلامه حتى خرج أهل بعلبك يهرعون اليه فلما وقفوا بين يديه قالوا انا بالله وبك أيها الامير ثم أعلموه بقصتهم وما فعل البطريق بهم أول مرة وما فعل بهم ثانى مرة قال رافع بن عبد الله انا لا نمكنه من ذلك فقالوا يا أيها الامير انا قد قتلناه وجميع غلمانه فصعب ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رافع فما الذى تريدون فقالوا نريد أن تدخلوا الى المدينة فانا قد أطلقنا لكم الدخول اليها فقال رافع بن عبد الله انا لا أقدر أن أدخل المدينة الا باذن الامير أبى عبيدة لانه ما أذن لى بذلك ثم كتب رافع بن عبد الله الى الامير أبى عبيدة يعلمه بالقصة وبحديث البطريق وبحديثهم الذى قالوه فكتب له بالدخول الى المدينة كما قد أذنوا له فدخل رافع وأصحابه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا موسى بن عامر قال حدثنا يونس بن عبد الله قال حدثنا سالم بن عدى عن جده عبد الرحمن بن مسلم الربعى وكان ممن حضر فتوح الشام أوله وآخره قال لما فتح الله بعلبك على يد المسلمين وترك أبو عبيدة رافع بن عبد الله وتوجه الى حمص للحوق بخالد بن الوليد فلما قرب من حمص وموضع يقال له الزراعة وجه على مقدمة جيشه ميسرة بن مسروق العبسى وعقد له راية سوداء معلمة بالبياض وضم اليه خمسة آلاف فارس من المسلمين فلما سار ميسرة حتى وصل الى حمص خرج خالد بن الوليد رضى الله عنه الى لقائه وسلم عليه وعلى من معه من المسلمين ثم بعث أبو عبيدة بعده ضرار بن الازور فى خمسة آلاف فارس وبعث بعده عمرو بن معد يكرب الزبيدى وقدم أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ببقية الجيش فلما أشرف أبو عبيدة على حمص قال اللهم عجل علينا فتحها واخذل من فيها من المشركين واستقبلهم المسلمون بأجمعهم وسلموا عليه وعلى من معه ونزل أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه على النهر المقلوب فلما استقر به القرار كتب الى أهل حمص وبطريقها الجديد وهو هربيس كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أبى عبيدة عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على الشام وقائد جيوشه أما بعد فان الله تعالى قد فتح علينا بلادكم ولا يغرنكم عظم مدينتكم وتشييد بنيانكم وكثرة رجالكم فما مدينتكم عندنا اذا أتانا كم الحرب الا كابرمة قد نصبناها فى وسط عسكرنا وألقينا اللحم فيها وجميع العساكر يتوقع الاكل منها وقد دار وابها ينتظرون نضجها وأكل ما فيها ونحن ندعوكم الى دين ارتضاه لنا ربنا عز وجل فان أجبتم الى ذلك ارتحلنا عنكم وخلفنا عندكم رجالا منا يعلمونكم أمر دينكم وما فرض الله تعالى عليكم وان أبيتم الاسلام قررناكم على اداء الجزية وان أبيتم الاسلام والجزية فهلموا الى الحرب والقتال حتى يحكم الله وهو خير

المدينة وسببها أنه لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم وخلص أبو سفيان بالعير ووصل الى مكة مشى أشراف قريش الى من كان له تجارة فى تلك العير التى كانت وقعة بدر بسببها وكانت تلك العير محبوسة فى دار الندوة لم تدفع الى أربابها فقالوا ان محمدا وتركم أى نقص عددكم بان قتل رجالكم ولم تأخذوا بثأرهم فأعينونا بهذا المال حتى نحاربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب منا فطابت نفوسهم على أن يجهزوا بربح ذلك العير جيشا الى محمد وكان رأس المال خمسين ألف دينار وقدربح

الحاكمين ثم طوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وكان ذلك الرجل يحفظ بالعربية والرومية وقال
له انطلق الى حمص وائتنا بالجواب فأخذ المعاهد الكتاب وسار حتى وصل الى السور فهم أهل حمص أن
يرموه بالسهام والحجارة فقال لهم بالرومية ياقوم أمسكوا عليكم فأنا رجل معاهد وقد جئتكم بكتاب من هؤلاء
العرب (قال الواقدى) فأدلوا له حبلا فربط وسطه به ورفعوه اليهم وأتوا به الى بطريقهم فلما وقف بين يديه
خضع له وناوله الكتاب فقال له البطريق أرجعت عن دينك الى دين هؤلاء العرب قال لا ولكن فى ذمتهم
وعهدتهم أنا وأولادى وأهلى ومالى ومارأينا من القوم الا خيرا والصواب عندى أن لا تقاتلوهم فان القوم
اولو بأس شديد لايخافون ولا يرهبون الموت قد تمكنوا بدينهم والموت عندهم أفضل من الحياة وقد أقسم
القوم بدينهم لايبرحون عن مدينتكم حتى تسلموها اليهم أو يفتحها الله على أيديهم وحق دينى انكم أحب الى
من العرب وأريد النصر لكم دون القوم ولكنى خائف عليكم من بأسهم وسطوتهم فسلموا تسلموا ولا تخالفوا
تندموا (قال الواقدى) فلما سمع البطريق هرابيس كلامه غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح والانجيل
الصحيح لولا أنك رسول لامرت بقطع لسانك على جراءتك علينا فلما قرأ الكتاب وعلم مافيه أمر كاتبه أن
يكتب الى الامير أبى عبيدة بجواب كتابه فكتب كلمة الكفر ثم قال يامعاشر العرب انه وصل الينا كتابكم
وعلمنا مافيه من التهديد والوعد والوعيد ولسنا كمن لاقيتم من أهل الشام ولم يزل الملك هرقل يستنصر بنا
على من عاداه وعلى من قصد اليه من العساكر والآن فلابد لنا من الحرب والقتال فان سورنا شديد وأبوابنا
حديد وحربنا عتيد والسلام وطوى الكتاب وسلمه الى المعاهد وأمر غلمانه أن يدلوه بالحبال من السور وسار
حتى وصل الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وسلمه الكتاب ففضه وقرأه فلما سمع المسلمون مافيه
عولوا على الحرب والقتال وقسم الامير أبو عبيدة عسكر المسلمين أربع فرق فبعث فرقة مع المسيب بن نجية
الفزارى فنزل بهم على باب الجبل مما يلى باب الصغير وبعث فرقة أخرى مع المرقال بن هشام بن عقبة بن أبى
وقاص فنزل بهم على باب الرستق وبعث فرقة أخرى مع يزيد بن أبى سفيان فنزل بهم على باب الشام ونزل الامير
أبو عبيدة وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنهما على باب الصغير وزحف المسلمون اليهم من كل مكان وقاتلوهم
بقية يومهم هذا وسهام الروم تصل اليهم فيتلقونها بالجحف ونبال العرب تصل اليهم والى من بأعلى السور
فأثرت لاجل ذلك ضررا فانفصلوا عند المساء فلما كان الغد جمع خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه كل عبد
كان فى عسكر المسلمين وأمرهم أن يتقلدوا بالسيوف ويتنكبوا بالجحف ويزحفوا الى سور حمص ويضربوا
السور بأسيافهم ويتلقوا السهام بجحفهم فقال الامير أبو عبيدة وماعسى أن يغنى عنا هذا يا أبا سليمان فقال
خالد رضى الله عنه على رسلك أيها الامير ولا تخالفنى فيما صنعت فانى عزمت أن أقاتلهم بالعبيد ونعلمهم أن
ليس لهم عندنا من القدر شئ فما نقاتلهم بأنفسنا الا أن يخرجوا الينا فقال أبو عبيدة رضى الله عنه افعل
ماشئت فالله تعالى يوفقك فعند ذلك أمرهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بالزحف على الاسوار وكانوا
أربعة آلاف عبد وأمر خالد ألفا من العرب أن تترجل معهم ففعلوا ذلك وزحفوا على السور وقد استتروا
بالجحف والعرب من ورائهم فرموا بالنبل وضربوا بسيوفهم فمنها ماتثلم ومنها ماانكسر (قال الواقدى) وأشرف
عليهم هرابيس صاحب حمص وقد دارت بطارقته وأصحاب العرب فجعلوا يتأملون الى أفعالهم فقال هرابيس
يامعاشر البطارقة وحق المسيح ماظننت أن العرب بهذه الصفة واذا هم كلهم سودان فقال له بعض من لحقه
باجنادين وسائر المواطن لا أيها السيد بل هؤلاء عبيدهم وهذه من بعض مكايد العرب فى الحرب وقد قدموا
هؤلاء السودان والعبيد الى حربنا وقتالنا ليعلمونا أن ليس لنا عندهم من القدر أن يلقونا بأنفسهم أو نخرج اليهم
فقال هرابيس وحق المسيح ان هؤلاء أشد من العرب بأسا وأقوى مراسا واعلموا أنه مالزق قوم بسور مدينتنا
ولا دنوا منها الا وقد هان عليهم أمرها واقترب على أيديهم فتحها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى
أن العبيد قاتلوا يومهم قتالا شديدا وهجموا على الابواب مرارا ولم يزالوا بقية يومهم حتى أقبل الليل ورجعت
الموالى الى عسكر المسلمين وبعث هرابيس من ليلته رسولا الى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه فأقبل
الرسول والظلام معتكر فاحس جيوش المسلمين به فهموا به فقال أنا رسول من البطريق هرابيس صاحب
حمص وأريد الجواب عن هذا الكتاب فسلم اليهم كتاب هرابيس فأخذه أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه

كل دينار دينارا فكان الربح خمسين ألف دينار وخرج بها لمحاربته صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى على نبيه فى ذلك ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية وجمع أبو سفيان من قريش ومن والاهم من قبائل العرب كنانة وتهامة ثلاثة آلاف من القبائل والحلفاء ومنهم جابر بن مطعم بن عدى ووحشى قاتل حمزة وكان حبشيا وهند زوج أبى سفيان وأم حكيم بنت طارق وزوجها عكرمة رضى الله

وقرأه فاذا فيه يا معاشر العرب انا ظننا أن عندكم عقلا تدبرون به الحرب وتستعينون به على الامور واذا أنتم بخلاف ذلك لأنكم في أول حربكم لنا تفرقتم على الابواب فقلنا هذا أشد ما يكون من الحصار وأعظم ما يقدرون عليه من الاضرار فلما كان الغد تأخرتم عن حربنا وبعثتم هؤلاء المساكين الى حربنا يقطعون أسيافهم ويكسرون سلاحهم فياليت شعرى هل تصبر سيوفهم على فساد سورنا وقد بان لنا عجز رأيكم وتدبيركم في القتال وملاقاة الرجال والآن فانا أشير عليكم بامر فيه الصلاح لنا ولكم وهو أن تسيروا الى الملك هرقل وتفتحوا ما بين أيديكم كما فتحتم ما وراءكم واياكم واللجاج والبغى فانهما قاتلان لمن اتبعهما وراجعان على من بدأ بهما او نحن نخرج اليكم صبيحة هذه الليلة والله ينصر من يشاء منا ومنكم ممن على الحق قال فلما قرأ الامير أبو عبيدة كتاب هرابيس صاحب حمص استشار المسلمين فيما يصنع وكان قد حضر عنده رجل كبير من أكابر خثعم وسيد من ساداتهم اسمه عطاء بن عمرو الخثعمى وكان كبير السن قديم الهجرة سديد الرأى قد قاد الرجال وولى أمر الجيش وحزم العساكر فلما سمع كتاب هرابيس وثب قائما على قدميه وقال للامير أبى عبيدة رضى الله عنه أقسمت عليك أيها الامير برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما سمعت مقالى فان فيه صلاحا للمسلمين فالله وفقنى لمقالة وأيد المسلمين بها قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه قل يا أبا عمرو فانت عندنا ناصح للمسلمين قال فدنا من الامير أبى عبيدة وساره وقال له أصلح الله الامير اعلم ان خبرك عند هؤلاء منذ نزلت على هؤلاء اللئام وهذا البطريق أشد منعة وأعظم جولة ممن كان قبله وقد علم بفتوح بعلبك وانك لابد ان تنزل على حصارها وقد استدعى بالطعام والعلوفة وآلة الحصار وقد شحنها بالرجال وما ترك في رساتيقها وقراها طعاما الا وقد خزنوا منه عندهم ما يكفيهم أعواما وان نحن حاصرناهم يطول الأمر كما طال أمرنا على دمشق والرأى عندى ان تخدعهم بخديعة وتحتال عليهم بحيلة فان تمت لنا عليهم الحيلة دخلنا المدينة عن قريب ان شاء الله تعالى قال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه وما الحيلة عندك يا ابن عمرو فقال الرأى عندى ان تكتب الى هؤلاء القوم ان يميرونا بالزاد والعلوفة ونضمن لهم أن نرتحل عنهم الى أن يفتح الله تعالى علينا غير مدينتهم ونرجع اليهم وقد قل زادهم وانتشر وافى سوادهم وتفرقوا فى أمصارهم وتجاراتهم ونشن عليهم غارة فنملك ما ظهر منهم ويهون علينا أمر من بقى فى حمص مع قلة الزاد والعلوفة فقال أبو عبيدة أصبت الرأى يا ابن عمرو وانى سوف افعل ما ذكرته ونرجو من الله التوفيق والعون ثم دعا أبو عبيدة رضى الله عنه بدواة وبياض وكتب جواب الكتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى رأيت فى قولك صلاحا لنا ولكم ولسنا نريد البغى على أحد من عباد الله عز وجل وقد علمت أن عسكرنا كثير وخيلنا وابلنا كثير فان أردتم ان نرتحل عنكم فابعثوا لنا ميرة خمسة أيام وأنتم تعلمون ان الطريق الذى أمامنا بعيد وما نلقى بعدكم الا كل حصن منيع وأبواب حديد فاذا أمرتمونا رحلنا عنكم الى بعض مدائن الشام فاذا فتح الله علينا بعض مدائن الشام رجعنا اليكم كما زعمتم فان فعلتم ذلك كان صلاحا لكم وطوى الكتاب وسلمه الى الرسول وسار الى حمص فلما قرأه هرابيس الكتاب فرح بذلك وجمع الرؤساء والرهابين وقال لهم اعلموا أن العرب قد بعثوا يطلبون منكم الزاد والميرة حتى يرحلوا عنكم فان العرب مثلهم كمثل السبع اذا وجد فريسته لم يرجع الى غيرها وهم قد لحقهم الجوع فى مدينتكم واذا أشبعناهم انصرفوا عنا فقالوا أيها الامير نخاف من العرب ان يأخذوا الزاد والعلوفة ولا يرحلوا عنا فقال انا نأخذ لكم عليهم العهود والمواثيق انكم اذا أمرتموهم يرحلون عنكم فقال افعل ما بدالك واستوثق لنا ولك قال فبعث هرابيس وأحضر القسوس والرهبان وأمرهم ان يخرجوا الى الأمير أبى عبيدة رضى الله عنه ويأخذوا عليهم العهود والمواثيق اذا أمرناهم يرحلوا عنا قال فخرجوا وقد فتح لهم باب الرستن فساروا حتى وصلوا الى الامير أبى عبيدة وأخذوا عليهم ميثاقا وعهدا ان يرحلوا عنهم اذا أمروهم ولا يرجعوا عليهم حتى يفتح الله على يديه مدينة من مدائن الشام شرقا أو غربا سهلا كان أو جبلا فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه قد رضيت بذلك وتم الصلح على ذلك وأخرج لهم أهل حمص مما كانوا قد ادخروه من الزاد والعلوفة شيأ عظيما لهم ولعسكرهم ما يكفيهم مدة خمسة أيام فاقبل أبو عبيدة عليهم وقال يا أهل حمص قبلنا ما حملتموه لنا من الزاد والعلوفة فاذا رأيتم الآن ان تبيعونا من الزاد والعلوفة فقالوا نحن نفعل ذلك فعندها نادى الامير أبو عبيدة بشراء الزاد والعلوفة والكثير وامن ذلك فان قدامكم طريقا واسعا قليل الزاد والعلوفة فقالوا أيها الامير بماذا نشترى الزاد وعلى أى

عنهم وهؤلاء أسلموا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسيرهم وفيهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وستمائة درع ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم درعين وهما ذات الفضول وفضة وتقلد سيفا مكتوبا عليه

في الجبن عار وفي الاقدام مكرمة
والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

(ولما جاوز المدينة) عرض عليه أصحابه فرد منهم شبانا خمسة عشر ولما التقى الجمعان قتل من المسلمين خلائق كثير منهم جابر بن عبد الله فاخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم ان الله

شئ نحمله فقال أبو عبيدة من كان معه شئ من الذى غنمتموه من الروم فليشتر به الزاد والعلوفة قال حسان ابن عدى الغطفانى خفف الله عن أبى عبيدة الحساب كما خفف عنا ما كنا نحمله من البسط والطنافس مما كان قد أثقلنا وأثقل دوابنا فأخذنا به الزاد والعلوفة من القوم وكانت العرب تسمح لهم فى البيع والشراء ويشترى منهم أهل حمص ما يساوى عشرين دينارا بدينارين ورغب أهل حمص فى شراء الرخيص ولم يزل أهل حمص كذلك ثلاثة أيام وأهل حمص فرحون برحيل العرب عنهم قال وكان للروم فى عسكر العرب جواسيس وعيون يأخذون لهم الاخبار فلما نظرت الجواسيس الى أهل حمص وقد فتحوا مدينتهم وهم يميرون العرب ظنوا أنهم دخلوا فى طاعتهم فسارت الجواسيس الى أنطاكية طالبين وجعلوا كلما اجتازوا ببلد من البلاد أو حصن من الحصون يقولون ان أهل حمص قد دخلوا فى طاعة العرب وفتحوا مدينتهم صلحا فكان يعظم ذلك على الروم ويزيدهم خوفا ورعبا وكان ذلك توفيقا من الله عز وجل للمسلمين وكانت الجواسيس أربعين رجلا فدخل ثلاثة رجال منهم الى شيزر فأشاعوا ذلك وأشيع فيها ذلك

﴿ذكر فتح الرستن﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وسار الامير أبو عبيدة بالعسكر حتى نزل على الرستن فرآها حصنا منيعا وماءها غزيرا وهى مشحونة بالرجال والعدد والعديد فبعث اليهم رسولا يأمرهم أن يكونوا فى ذمته فأبوا ذلك وقالوا لا نفعل حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل وبعد ذلك يكون ما شاء الله تعالى فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فانا متوجهون الى قتال الملك هرقل ومعنا رجال وأمتعة قد أثقلتنا واشتهينا أن نودعها عندكم الى وقت رجوعنا قال فأتى أهل الرستن الى بطريقهم وكان اسمه نقيطاس وشاوروه فى ذلك فقال يا قوم ما زالت الملوك والعساكر يودع بعضها بعضا وما يضرنا ذلك ثم بعث الى الامير أبى عبيدة يقول له مهما كان لك من حاجة نحن نقضيها ونريد منكم المراعاة لاهل سوادنا حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل فقال الامير أبو عبيدة ونحن نفعل ان شاء الله تعالى (روى الواقدى رحمه الله تعالى) عن ثابت بن قيس بن علقمة قال كنت ممن حضر عند أبى عبيدة رضى الله عنه فعند ذلك دعا بأهل الرأى والمشورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم ان هذا حصن منيع ليس لنا الى فتحه سبيل الا بالحيلة والخديعة وأنا أريد أن أجعل منكم عشرين رجلا فى عشرين صندوقا وتكون الاقفال عندهم من باطنها فاذا صاروا فى المدينة فثوروا على اسم الله تعالى فانكم تنصرون على من فيها من المشركين فقال خالد بن الوليد فاذا عزمت على ذلك فلتكن الاقفال ظاهرة وتكون أسفل الصناديق أنثى فى ذكر من غير شئ يمسكها فاذا حل أصحابنا فى حصن هؤلاء القوم يخرجون جملة واحدة ويكبرون فان النصر مقرون بالتكبير فأجابه أبو عبيدة الى ذلك وأخذ صناديق الطعام المنتخبة عند الروم فنقض أسافلها وجعلها ذكرا فى أنثى فأول من دخل فى الصناديق ضرار بن الأزور والمسيب بن نجية وذو الكلاع الحميرى وعمرو بن معديكرب الزبيدى والمرقال وهاشم بن نجية وقيس بن هبيرة وعبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق ومالك بن الأشتر وعوف بن سالم وصابر بن كاكل ومازن بن عامر والاسيد بن سلمة وربيعة ابن عامر وعكرمة بن أبى جهل وعتبة بن العاص ودارم بن فياض العبسى وسلمة بن حبيب والفارع بن حرملة ونوفل بن جرعل وجندب بن سيف وعبد الله بن جعفر الطيار وجعله أميرا عليهم وسلموا الصناديق الى الروم فلما حطت الصناديق فى الرستن ألقاها نقيطاس فى قصر امارته وارتحل الامير أبو عبيدة رضى الله عنه وسار حتى نزل فى قرية يقال لها السودية فلما أظلم الليل بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه بجيش الزحف الى الرستن ينظر ما يكون من أصحابه وما فعلت الصحابة رضى الله عنهم فسار خالد بن الوليد برجاله حتى وصل القنطرة واذا بالصياح قد علا والتهليل والتكبير من داخل مدينة الرستن (قال الواقدى رحمه الله تعالى) كان من أمر الصحابة أنه لما تركهم نقيطاس فى دار امارته ركب الى البيعة مع بطارقته وأهل مدينته ليصلوا صلاة الشكر لاجل رحيل المسلمين عنهم وارتفعت أصواتهم بقراءة الانجيل وسمع أصواتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر جوا من الصناديق وشدوا على أنفسهم وشهروا أسلحتهم وقبضوا على امرأة نقيطاس وحريمه وقالوا نريد مفاتيح الابواب فسلمتها اليهم فلما حصلت المفاتيح فى أيديهم رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وكبس القوم على أبواب مدينتهم فلم يجسروا عليهم لانهم بدون عدة ولا سلاح وبعث

أوقفه بين يديه وقال سلنى أعطك فقال أسألك يارب أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانيا فقال له عز وجل انه سبق منى أنهم لا يرجعون الى الدنيا فقال أى رب فابلغ من ورائى فأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وكان قتادة يتقى السهام بوجهه عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابه سهم خرجت منه حدقته فلما رآه صلى الله عليه وسلم فى كفه دمعت عيناه وقال اللهم

عبد الله بن جعفر الطيار وربيعة بن عامر والاسيد بن سلمة وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص والفارع ابن حرملة وسلم اليهم المفاتيح وقال افتحوا الابواب وارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير فان اخوانكم المسلمين من حول المدينة كاملون فتبادر الخمسة الى الباب القبلي وهو باب حمص ونحوه ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة واذاهم بعسكر الزحف وعلى المقدمة خالد بن الوليد رضي الله عنه فأجابوهم بالتهليل والتكبير ودخلوا المدينة وسمع أهل الرستن أصوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلموا أنهم في قبضتهم وان مدينتهم قد أخذت من أيديهم فاستسلموا جميعا وخرجوا اليهم وقالوا لهم انا لانقاتلكم ونحن الآن أسرى لكم فاعدلوا فينا فانتم أحب الينا من قومنا قال فعرض خالد بن الوليد رضي الله عنه الاسلام عليهم فاسلم منهم كثير وبقي الاكثر يؤدون الجزية وأما أميرهم نقيطاس فانه قال لا أريد بديني بدلا فقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه الآن فاخرج بأهلك عنا وحدث قومك بعدلنا فاخرجوه من الرستن فتوجه بأهله وأمواله الى حمص وأعلم أهلها بفتح الرستن فصعب ذلك على أهل حمص وعلموا أن العرب تصبحهم أو تمسيهم بالغارة وبعث عبد الله ابن جعفر الطيار الى أبي عبيدة يخبره بالفتح والنصر فحمد الله شكرا وبعث اليهم ألف رجل من اليمن وأوصاهم بحفظ الرستن وأمر عليهم هلال بن مرة اليشكري فلما استقر وابالرستن رحل خالد بن الوليد رضي الله عنه وعبد الله بن جعفر وأهلهم وعساكرهم وتوجهوا الى حماة وكان أهل حماة في صلح المسلمين كما ذكرنا وكذلك أهل شيزر الا أن بطريق أهل شيزر مات وبعث اليهم الملك هرقل بطريقا عاتيا جبارا اسمه نكس ففسخ الصلح وأذاق أهل شيزر ضرا وشرا وكان يصادرهم ويأخذ أموالهم ويحتجب عنهم لاهيا في أكله وشربه فلما بلغ الخبر الامير أبا عبيدة بعث خيلا جريدة الى شيزر فغارت الخيل على بلادهم ووقعت الضجة بشيزر وسمع البطريق نكس الضجة فنزل اليهم من قلعته وأظهر لهم بعض صحابه وجلس في بيعتهم المعظمة عندهم وجمع الرؤساء منهم وقال لهم يا أهل شيزر أنتم تعلمون ان الملك هرقل قد استخلفني عليكم أحفظ مدينتكم وأمنع عن حريمكم وأموالكم ثم فتح خزانة السلاح وفرق عليهم العدد وأمرهم بالحرب والقتال فبينما القوم كذلك اذ أشرف عليهم خالد بن الوليد في أصحابه ومعهم جيش الزحف فنزلوا بازائهم وأشرف بعده يزيد بن أبي سفيان بأصحابه فنزل عليهم وأشرف بعده الامير أبو عبيدة في عساكره جميعهم فلما نظر أهل شيزر تلاحق العساكر بهم هالهم ذلك وعظم عليهم وحارت أبصارهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما نظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى ذلك كتب الى أهل شيزر كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أهل شيزر فان حصنكم ليس بامنع من حصن بعلبك ولا من الرستن ولا رجالكم أشجع فاذا قرأتم كتابي هذا فادخلوا في طاعتي ولا تخالفوني فيكون وبالا عليكم وقد بلغكم عدلنا وحسن سيرتنا فكونوا مثل سائر من صالحنا ودخل في طاعتنا من سائر بلاد الشام والسلام وطوى الكتاب وسلمه الى رجل من المعاهدين وبعثه اليهم فلما وصل الكتاب اليهم أعطوه بطريقهم نكس فقرئ عليه فلما فهم ما فيه قال ما تقولون يا أهل شيزر فيما ذكرت العرب فقالوا صدقت العرب أيها البطريق الكبير فان حصننا ليس بامنع من الرستن ولا بعلبك ولا دمشق ولا بصرى وأنت تعلم شدة أهل حمص وحدة شجاعتهم وقد صالحوا العرب وكذلك أهل فلسطين ومدنها والاردن وحصنها فكيف تمنع عنهم شيزر وهي حصن حصين فان عصيت هؤلاء العرب فانك معول على هلاكنا وخراب مدينتنا (قال الواقدي) وكثر فيهم الخطاب وعلا الكلام وأقبل البطريق نكس يسب أهل شيزر وأمر غلمانه بضربهم فلما نظر أهل شيزر ذلك غضبوا وأظهروا سلاحهم عليه وعلى غلمانه ووقع القتال بين الفريقين فعرف المسلمون ذلك وقالوا اللهم أهلكهم بأسهم ولم يزل أهل شيزر في القتال حتى نصروا على البطريق وعلى غلمانه وقتلوهم عن آخرهم ثم أخرجوا الى الامير أبي عبيدة رضي الله عنه رجالا الى لقائه بغير سلاح فلما وقفوا بين يدي الامين أبي عبيدة سلموا عليه وقالوا أيها الامير انا قتلنا بطريقنا في محبتكم فقال يا أهل شيزر بيض الله وجوهكم وأدر رزقكم لقد كفيتمونا الحرب والقتال ثم قال للمسلمين ألا ترون الى حسن طاعة هؤلاء العرب وفعالهم بطريقهم في محبتكم والدخول في طاعتكم وقد رأيت من الرأي ان أحسن الى القوم وأنعم عليهم فقال المسلمون نعم ما رأيت حتى يصل ما تصنع الى غيرهم ويفتح الله علينا البلاد ان شاء الله تعالى (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فاقبل على أهل شيزر وقال ابشروا فاني لست أكره أحدا منكم فمن أحب منكم

في قتادة كاوقي وجه نبيك ثم ردها صلى الله عليه وسلم براحته الشريفة فكانت أحسن عينيه وأحدها بصرا ولما رجع من غزوة أحد وبات ليلة شاع في صبيحتها أن قريشا يريدون الرجوع الى المدينة فانتدب صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وهي غزوة حمراء الاسد فاجابه كل من كان بأحد وأكثرهم جريح وتلقاه طلحة بن عبد الله فقال أين سلاحك يا طلحة فقال قريب يا رسول الله وذهب لسلاحه وكان به بضع وسبعون جراحة قال طلحة وأنا أهم بجراح

الدخول في ديننا فله ما لنا وعليه ما علينا والخراج موضوع عنكم سنتين ومن أقام على دينه فعليه الجزية وقد وضعنا عنه الخراج سنة كاملة ففرح الروم بذلك وقالوا أيها الامير عدلنا وأطعنا وهذا قصر بطريقنا فأنت أحق بما فيه وهو هدية منا اليك فدونك واياه وما فيه من الرجال والآنية والاموال فأخرج أبو عبيدة رضي الله عنه منها الخمس وقسم الباقي على المسلمين بالسوية ونادى أبو عبيدة رضي الله عنه يا معاشر المسلمين قد فتح الله على أيديكم هذه المدينة أيسر فتح وأهونه وقد خرج أهل حمص من ذمتكم ووفيتم لهم ما عاهدوكم عليه فارجعوا بنا عليهم رحمكم الله تعالى (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فركب المسلمون ظهور خيولهم وهموا بالمسير واذ قد لاح لهم غبرة مرتفعة من وراء النهر المقلوب وهي منقلبة من طريق انطاكية وقد أخذت عرضا فأسرعت خيل المسلمين اليها فاذا معها قسيس كبير من قسوس الروم ومعها مائة برذون موثقة بالاحمال ومن حولها مائة علج من علوج الروم يحفظونها (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولم يكن للقسيس خبر بنزول المسلمين على شيزر فصاح بهم خالد بن الوليد رضي الله عنه وكبر المسلمون معه وأحدقوا بهم من كل جانب وأخذوا العلوج أسرى وأخذوا البراذين وأقبل خالد على القسيس وقال له يا ويلك من أين أقبلت بهذه الاحمال قال فرطن القسيس بالرومية فلم يدر خالد ما يقول هذا القسيس المشؤم فبدا اليه رجل من أهل شيزر وقال يا أيها الامير انه يذكر أنه من القسوس المعظمة عند الملك هرقل وقد بعثه وبعث معه الى هربيس هذه الاحمال فيها ديباج أحمر منسوج بقضبان الذهب وعشرة أحمال مملوءة دنانير وباقي الاحمال مملوءة من الثياب والدنانير فأخذها وأخرجوا منها مالا عظيما وغنم المسلمون غنيمة عظيمة لم يغنموا مثلها وساق خالد بن الوليد الاحمال الى الامير أبي عبيدة رضي الله عنه فوجده على النهر المقلوب مما يلي شيزر وتحته عباءة قطوانية وعلى رأسه مثلها اتظلله من حر الشمس فأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه بالقسيس فأوقفه بين يديه فقال أبو عبيدة رضي الله عنه ما هذا يا أبا سليمان فقال خالد رضي الله عنه انهم قوم من انطاكية ومعهم هدية لهربيس صاحب حمص من كلب الروم هرقل (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وعرض عليه الغنيمة ففرح الامير أبو عبيدة فرحا شديدا وقال يا أبا سليمان لقد كان فتح شيزر علينا مباركا ثم دعا بترجمان كان معه لا يفارقه وقال اسأل هؤلاء عن كلب الروم الطاغية هرقل هل هو في جمع كثير أم لا فكلم الترجمان القسيس ساعة فقال القسيس قل للامير ان الملك هرقل قد بلغه أنكم فتحتم دمشق وبعلبك وجوسية وانكم لم تنزلوا على حمص فبعث معي هذه الهدية الى هربيس البطريق وكتب اليه يأمره بقتالكم ويعده بالنجدة وقدوم العساكر اليه لان الملك هرقل قد استنجد عليكم كل من يعبد الصليب ويقرأ الانجيل فأجابه الروسية والصقالبة والافرنج والارمن والدوقس والمغاليط والكرج واليونان والعلف والغزنة وأهل رومية وكل من يحمل صليبا والعساكر قد وصلت الى الملك هرقل من كل جانب ومكان قال فحدث الترجمان الامير أبا عبيدة رضي الله عنه بكل ما أعلمه القسيس به فعظم ذلك على الامير أبي عبيدة وعرض على القسيس الاسلام فقال القسيس للترجمان قل للامير أبي عبيدة اني البارحة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد أسلمت على يديه ففرح الامير أبو عبيدة بذلك وعرض على الاعلاج الاسلام وأبوا ذلك فضرب رقابهم ورحل أبو عبيدة رضي الله عنه متوجها الى حمص وقد سير الخيل جريدة في مقدمته فما شعر أهل حمص الا والخيل قد أغارت عليهم فرجع القوم الى المدينة وقد غلقوا الابواب وقالوا غدرت العرب وحق المسيح قال ونزل المسلمون حول حمص ودار وا بها من كل جانب ومكان وقد نفد الزاد من المدينة وأكثر أهلها قد خرجوا الى تجاراتهم وفي طلب الميرة وقد تفرقوا في البلاد فلما نزل الامير أبو عبيدة رضي الله عنه على حمص دعا بالعبيد والموالي وأمرهم أن يتفرقوا على الطرقات والمحارس وقال لهم كل من وجدتموه قد رجع الى حمص بزاد أو تجارة فائتوني به ففعل العبيد ذلك وصعب على هربيس صاحب حمص وكتب الى الامير أبي عبيدة كتابا يقول فيه أما بعد يا معاشر العرب فانا لم نخبر عنكم بالغدر ولا بنقض العهد ألستم صالحتمونا على الميرة فتركناكم وطلبتم منا البيع فبايعناكم فلم نقضتم ما عاهدناكم عليه فكتب الامير أبو عبيدة رضي الله عنه يقول أريد أن ترسل الى القسوس والرهبان الذين أرسلتهم الي حتى أوقفهم على ما عاهدتهم عليه ليعلموك انا لم نغدر ولا مثلنا من يفعل ذلك ان شاء الله تعالى فلما قرأ هربيس الكتاب أحضر القسوس والرهبان وبعث بهم الى الامير أبي عبيدة فخرجوا عليه وفتح لهم باب حمص وساروا الى أن وصلوا الى الامير أبي عبيدة فسلموا عليه وجلسوا بين يديه

رسول الله صلى الله عليه وسلم من جراحي قال يا طلحة أين ترى القوم قال قريبا قال أما انهم لا ينالون منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة ونستلم الركن (وسار حتى بلغ حمراء الاسد) وهو مكان بينه وبين المدينة ثمانية أميال ولما بلغ المشركين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر عليهم ذلك ورجعوا الى مكة (وفي السنة الرابعة كانت غزوة بني النضير) وهم قوم من اليهود بخيبر وسببها أنه صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم لحاجة عرضت له لقربهم من المدينة وكان معه من أصحابه جماعة

فقال لهم أبو عبيدة رضى الله عنه ألم تعلموا أنى عاهدتكم وحلفت لكم أنى منصرف عنكم حتى أفتح مدينة من مدائن الشام فهلا كان أو جبلا ثم يكون الرأى ان شئت رجعت اليكم أوسرت الى غيركم فقالوا بلى وحق المسيح فقال لهم ان الله تعالى قد فتح علينا شيزر والرستن فى أهون وقت وقد غنمنا الله مال بطريقهم نكس وغيره مما لم نؤمله فى هذه المدة اليسيرة والآن فلا عهد لكم عندنا ولا صلح الا أن تصالحونا على فتح المدينة وتكونوا فى ذمتنا وأمانتنا فقال القسوس والرهبان لقد صدقت أيها الامير وليس عليكم لوم وقد وفيتم بذمتكم وقد بلغنا فتحكم شيزر والرستن وانما كان منا ذلك لنستوثق لانفسنا والآن الامر بيد بطريقنا ونحن نرجع اليه ونعلمه بذلك ثم رجعوا الى مدينتهم ودعا الامير أبو عبيدة رضى الله عنه بالرجال والابطال وأهل الحرب وقال خذوا أهبتكم فان القوم بلا زاد ولا مدد يأتى اليهم من عند طاغيتهم ولا نجدة فاستعينوا بالله وتوكلوا على الله قال فلبس المسلمون السلاح والعدد ورجعوا الى الابواب والاسوار واجتمع أهل حمص ببطريقهم هربيس وقالوا ما عندك من الرأى فى أمر هؤلاء العرب فقال الأمر عندى أن نقاتلهم ولا نريهم مناضعفا قالوا فان الزاد قد نفد من مدينتنا وقد أخذه القوم منا وما معنا عشر هذه الحيلة فقال هربيس ما لكم تعجزون عن حرب عدوكم وما قتل منكم قتيل ولا جرح منكم جريح ولم تصبكم شدة ولا جوع وانما أصابوا منكم على غرة ولو دخلوا المدينة لما قدروا عليكم واقبل الرجال على السور يكفيكم اياهم وعندى من الزاد فى قصرى ما يكفيكم المدة الطويلة وما أحسب أن الملك هرقل يغفل وسيبلغه خبركم ويوجه اليكم العساكر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان عند البطريق هربيس فى قصره جب عظيم مملوء طعاما ففتحه وفرق الطعام على أهل حمص فسكنت بذلك نفوسهم وجعل البطريق يفرق على كبيرهم وصغيرهم بقية يومهم ذلك وقد انحصر أهل حمص جميعهم فنفد ذلك اليوم نصف ما فى الجب وقال لهم اقنعوا بما أعطيتكم ثلاثة أيام وابرزوا الى حرب عدوكم ثم أخذوا أهبة الحرب وعرض عسكره وانتخب منهم خمسة آلاف فارس من أولاد الزراوزة والعمالقة لا يساويهم غيرهم فيهم ألف مدججة ملكية وفتح خزانة جده جرجيس وفرق عليهم الدروع والجواشن والبيض والمغافر والقسى والنشاب والحراب وأقبل يحرضهم على القتال ويعدهم بالمدد والنجدة من الملك هرقل ثم دعا بالقسوس والرهبان وقال لهم خذوا أهبتكم وادعوا المسيح أن ينصرنا على العرب فان دعاءكم لا يحجب ولا يرد قال فدخلوا كنيستهم المعظمة عندهم وهى كنيسة جرجيس وهى الجامع اليوم ونشروا المزامير وضجوا بالتهمير وأقبلوا يبتهلون بكلمة الكفر وباتوا بقية ليلتهم على مثل ذلك فلما كان الصباح دخل هربيس الى البيعة وتقرب وصلوا عليه صلاة الموتى فدخل قصره وقدم له خنوص مشوى فأكله حتى أتى على آخره وقدم بين يديه باطية الذهب والفضة فشرب حتى انقلبت عيناه فى أم رأسه ثم لبس ديباجا محشوا بالفرو والزرد الصغار المضعف العدد ولبس فوقها درعا من الذهب الأحمر وعلق فى عنقه صليبا من الياقوت وتقلد بسيف من صنعة الهند وقدم له مهر كالطود العظيم فاستوى على ظهره وخرج من قصره طالبا باب الرستن فأحاطت به بطارقته من الروم من كل جانب ومكان وفتحت أبواب حمص وخرجت الروم فى عددهم وعديدهم وراياتهم وصلبانهم وبين يدى هربيس خمسة آلاف فارس من علوج الروم وهم بالعدد العديد والزرد النضيد فقدمهم هربيس أمام المدينة كأنهم سد من حديد أو قطع الجلمود وقد وطنوا أنفسهم على الموت دون أموالهم وذراريهم فبادر المسلمون اليهم مثل الجراد المنتشر وحملوا عليهم حملة عظيمة والعلوج كأنهم حجارة ثابتة ما ولوا عن مواضعهم ولا فكروا فيما نزل بهم فعندها صاح البطريق هربيس على رجاله وزجرهم فتبادرت الروم وصاح بعضهم ببعض وركب المسلمون وحملوا عليهم ورشقوا الرجال بالسهام واشتبكت الحرب واختلط الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد الا أن المسلمين رجعوا القهقرى وقد فشا فيهم القتل والجراح فلما نظر الامير أبو عبيدة الى ذلك من هزيمة المسلمين عظم عليه وكبر لديه وصاح فيهم بصوته يا بنى القرآن الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فهذا يوم من أيام الله تعالى فاحملوا معى بارك الله فيكم فتراجع الناس وحملوا على أهل حمص حملة عظيمة وشدوا عليهم الحملة وحمل خالد بن الوليد رضى الله عنه فى جمع كثير من بنى مخزوم وجعلوا يضربون فيهم بسيوفهم ويطعنون برماحهم حتى طحنوهم طحن الحصيد ووضع المسلمون فيهم السيف وحمل ابن مسروق العبسى فى طائفة من قومه من بنى عبس وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وصدموا الروم صدمة عظيمة فتراجعت

دون العشرة فجلسوا بجانب جدار من بيوتهم فارادوا الغدر به صلى الله عليه وسلم وان يصعد رجل الى الجدار ويلقى عليه حجرا فأخبره جبريل بذلك فقام وذهب الى المدينة وكان ذلك منهم نقضا للعهد فأرسل اليهم أن اخرجوا من بلدى لان بلدهم كان من أعمال المدينة فلم يخرجوا فتجهز اليهم وغزاهم (ثم كانت غزوة بدر الثالثة) فى السنة الرابعة وتسمى بدر الموعد لان أبا سفيان نادى يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ألف

الروم الى الاسوار وقد فشا فيهم القتل فبربرت الروم بلغاتها وتراجعت على المسلمين وأحاطوا بهم من كل جانب ومكان ورشقت العلوج بالنشاب وطعنوا فى المسلمين بالحراب وقد استتروا بالدرق والطوارق قال فلما نظر خالد ابن الوليد الى ذلك برز باللواء وكان هو صاحب اللواء يوم حمص وصاح خالد بأصحابه وقال شدوا عليهم بالحملة بارك الله فيكم فانها والله غنيمة الدنيا والآخرة قال فبينما خالد بن الوليد يحرض أصحابه على القتال اذ حمل عليه بطريق من عظماء الروم وعليه لامة مانعة وهو يهدر كالاسد فحمل خالد بن الوليد عليه وضربه على رأسه فوقع سيفه على البيضة فطار السيف من يد خالد بن الوليد وبقيت قبضته فى يده فطمع العلج فيه وحمل عليه ولاصقه حتى حك ركابه بركاب خالد وتعانقا جميعا بالسواعد والمناكب فضم خالد العلج الى صدره واحتضنه بيده وشد عليه بقوته فطحن أضلاعه وأدخل بعضها فى بعض فأرداه قتيلا وأخذ خالد سيف العلج وهزه فى يده حتى طار منه الشرر ووضع رأسه فى قربوس سرجه وحمل وصاح فى بنى مخزوم فحملوا حملة عظيمة وهاجوا فى أوساطهم وخالد بن الوليد رضى الله عنه يفرقهم يمينا وشمالا وهو ينادى برفيع صوته أنا الفارس الصنديد أنا خالد بن الوليد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزالوا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد حتى توسطت الشمس فى كبد السماء وحمى الدرع على خالد بن الوليد رضى الله عنه فخرج من المعركة وبنو مخزوم يتقاطرون من خلفه والدم يسيل من دروعهم وسواعدهم كأنها شقائق الارجوان وخالد بن الوليد رضى الله عنه فى أوائلهم وهو يقول

ويل لجمع الروم من يوم شغب * انى رأيت الحرب فيه تلتهب
وكم لقوا منا مواقع النصب * وكم تركت الروم فى حال العطب

قال فناداه الامير أبو عبيدة لله درك يا أبا سليمان ان لله درك لقد جاهدت فى الله حق جهاده فلما نظر المرقال بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص الى غفلة الروم صاح فى بنى زهرة وحملوا فى ميمنة الروم وحمل ميسرة بن مسروق العبسى فى قومه وحمل عكرمة بن أبى جهل وحوله جمع كثير من بنى مخزوم وحمل المسلمون بأجمعهم وقد طمعوا على الشهادة وأيقنوا بالعناية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يكن فى يوم حمص أشد حربا ولا أقوى جلدا من بنى مخزوم غير أن عكرمة بن أبى جهل كان أشدهم بأسا واقداما وهو يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم أنا كنت أقاتل عن الاصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل فى طاعة الملك العلام وانى أرى الحور متشوقات الى ولو بدت واحدة منهن لاهل الدنيا لاغنتهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص فى الروم ولم يزدد الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق هربيس صاحب حمص وبيده حربة عظيمة تضيء وتلتهب وهزها فى كفه وضربه بها فوقعت فى قلبه ومرقت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله تعالى بروحه الى الجنة فلما نظر خالد بن الوليد الى ابن عمه وقد وقع صريعا أقبل حتى وقف عليه وبكى وقال يا ليت عمر بن الخطاب نظر الى ابن عمى صريعا حتى يعلم أنا اذا لاقينا العدو ركبنا الاسنة ركوبا قال ولم يزالوا فى الاهوال الشديدة حتى هجم الليل عليهم وتراجعت الروم الى مدينتهم وغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار ورجعت المسلمون الى رحالهم وخيامهم وباتوا ليلتهم يتحارسون فلما أصبح الصباح قال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه معاشر المسلمين ما بالكم قد صدكم هؤلاء القوم وبعد الطمع فيهم ما بالكم هزمتم وجزعتم منهم والله ألبسكم عافية مجللة وسلامة سابغة وأظفركم على بطارقة الروم وفتح لكم الحصون والقلاع فما هذا التقصير والله تعالى مطلع عليكم فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه هؤلاء فرسان الروم أشد الرجال ليس فيهم سوقة ولا جبان وقد نعلم انهم يكونون أشد فى الحرب لانهم يحمون عن الذرارى والنسوان فقال أبو عبيدة رضى الله عنه فما الرأى عندك يا أبا سليمان يرحمك الله فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أيها الامير قد رأيت من الرأى اننا ننكشف للقوم غدا وندع لهم سوائمنا وابلنا فاذا تباعدنا عن مدينتهم وتبعتنا خيلهم وتباعدوا عن مدينتهم وصاروا معنا عطفنا عليهم ومزقناهم بالأسنة ونقطع ظهورهم لبعدهم عن مدينتهم فقال أبو عبيدة نعم الرأى ما رأيت يا أبا سليمان ولقد أشرت وأحسنت قال وتواعد المسلمون على أن ينكشفوا بين أيدى الروم وأن يتركوا لهم سوائمهم فلما أصبح الصباح فتحت أبواب حمص وخرجت الروم من جميع الابواب وزحفوا يريدون القتال فسألهم العرب كفوا القتال وأروهم التقصير والخوف فأطمعوهم فى أنفسهم وجعلوا ينحرفون عن قتالهم حتى تضاحى النهار

وخمسمائة من أصحابه فأقام على بدر ثمانية أيام مدة الموسم وكان أبو سفيان قد خرج من مكة فى ألفين من قريش حتى نزل خارج مكة وقد قام به رعب من محمد صلى الله عليه وسلم فجمع قريشا وقال لهم انه لا يصلح هذا العام لقتال محمد فارجعوا فرجعوا وباع المسلمون ما كان معهم من التجارة وربحوا ربحا كثيرا وفيهم نزل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل الآية (ثم كانت غزوة دومة الجندل) أواخر السنة الرابعة والجندل بفتح الدال المهملة بلدة قريبة

وانبسطت الشمس وطاب الحرب وطمعت الروم فى المسلمين لما بان لهم من تقصيرهم فشد الروم بالحملة عليهم
فانهزمت العرب من بين أيديهم وتركوا سوائمهم * قال نوفل بن عامر حدثنا مرخفة بن ماجد التميمى عن سراقة
النخعى وكان ممن حضر يوم حمص قال لما انهزمت العرب أمام الروم وتبعنا هربيس البطريق فى خمسة آلاف
فارس على خمسة آلاف أشهب وكانوا أشد الروم قال سراقة بن عامر وانهزمنا أمام القوم كأننا طلاب الزراعة
وجوسية وأدركتنا البطارقة وبعضهم مال الى السواد طمعا فى الزاد والطعام (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
وكان بحمص قسيس كبير السن عظيم القدر عند الروم قد حنكته التجارب وعرف أبواب الحيل والخداع
وكان عالما من علماء الروم وقد قرأ التوراة والانجيل والزبور والمزامير وصحف شيث وابراهيم وأدرك بعض
حواريى عيسى بن مريم عليه السلام فلما أشرف ذلك القسيس ونظر الى العرب وقد ملك الروم سوادهم جعل
يصيح ويقول وهو ينادى وحق المسيح ان هذه خديعة ومكر ومكيدة من مكايد العرب وان العرب لا تسلم
أولادها وابلها ولو قتلوا عن آخرهم قال وجعل القسيس يصيح وأهل حمص قد وقعوا فى النهب وليس يغنيهم
سوى الزاد والطعام والبطريق هربيس قد ألح فى طلب المسلمين فى خمسة آلاف فارس فلما بعدوا عن المدينة
صاح الامير أبو عبيدة رضى الله عنه برفيع صوته اعطفوا على الروم كالسباع الضارية والعقبان الكاسرة
فردوا عليهم كردوسا واحدا حتى أحاطوا بالبطريق وأصحابه من كل جانب ودار وا بهم مثل الحلقة المستديرة
وأحدقوا بهم كاحداق البياض بسواد العين وبقيت الروم فى أوساطهم كالشامة السوداء فى الثور الابيض
فعند ذلك نصبت العلوج نشابها على العرب والمسلمون يكرون عليهم مثل الاسود الضارية ويحومون عليهم
كما تحوم النسور ويضربونهم بالسيوف ويصرعونهم يمينا وشمالا حتى انكسرا كثرهم (قال عطية بن فهر
الزبيدى) لما نظرت الروم الى فعلنا بهم تكالبت علينا فلما حميت الحرب ابتدر خالد بن الوليد رضى الله عنه
من وسط العسكر وهو على جواد أشقر وعليه جوشن مذهب كان لصاحب بعلبك أهداه له يوم فتح بعلبك
وكان خالد بن الوليد رضى الله عنه قد عمم نفسه بعمامة حمراء وكانت تلك العمامة عمامته فى الحرب وجعل
يهدر كالاسد الحردان وقد انتضى سيفه من غمده وهزه حتى طار منه الشرر ونادى برفيع صوته رحم الله رجلا
جرد سيفه وقوى عزمه وقاتل أعداءه فعندها انتضب المسلمون سيوفهم وصدموا الروم صدمة عظيمة ونادى
الامير أبو عبيدة يا بنى العرب قاتلوا عن حريمكم ودينكم وأموالكم فان الله مطلع عليكم وناصركم على عدوكم قال
وكان معاذ بن جبل قد انفرد فى خمسمائة فارس الى السواد والاموال وانقض على الروم فما شعرت الروم
والعلوج ممن انغمس فى الغارة وحمل الزاد والرحال والامتعة والطعن قد أخذهم باسنة الرماح من كل جانب
كأنها ألسنة النار المضرمة ونادى معاذ يا فتيان العرب اطلبوا الباب لئلا ينجو أحد من الروم برحالنا وأولادنا
فجعل المسلمون يطلبون الابواب وكانت علوج الروم قد غرقت فى رحال المسلمين فلما نظروا الى معاذ وقد حمل
عليهم فى رجاله عادت وقد رمت الرحال وطابت الحرب فانفلت منهم من انفلت وقتل من قتل قال صهيب بن
سيف الفزارى فوالله ما انفلت من الخمسة آلاف الذين كانوا مع هربيس صاحب حمص الا ما ينوف عن مائة
فارس قال واتبعنا القوم الى الابواب فكان أعظم المصيبة قتلنا اياهم على الابواب لان أكثر الرجال من
العواصم وغيرهم كانوا فى المدينة قال سعيد بن زيد شهدت يوم حمص وكنت ممن أولع بعد القتلى فعددت
خمسة آلاف وستة غير أسير وجريح فدنوت من الامير أبى عبيدة رضى الله عنه وقلت البشارة أيها الامير فانى
عددت خمسة آلاف وستة غير أسير وجريح فقال الامير أبو عبيدة بشرت بخير يا سعيد يا ابن زيد فهل ترى
قتل بطريقهم هربيس فقال سعيد بن زيد أيها الامير اذا كان قتل بطريقهم هربيس فاقتله غيرى فقال
الامير أبو عبيدة وكيف علمت انه قتيلك يا سعيد فقال سعيد بن زيد أيها الامير انى رأيت فارسا عظيم الخلقة
طويلا ضخما أحمر اللون وبيده سيف وعليه لامة حربه صفتها كذا وكذا وهو فى وسط الروم كأنه البعير
الهائج فحملت عليه وقلت فى حملتى اللهم انى أقدم قدرتك على قدرتى وغلبتك على غلبتى اللهم اجعل قتله على
يدى وارزقنى أجره فقال له أبو عبيدة أما أخذت سلبه يا سعيد قال لا ولكن علامتى فيه نبلة من كنانتى أثبتها
فى قلبه فخر يهوى عن جواده ونفرت عنه أصحابه فلحقته فضربته بسيفى ضربة فصرمت حقوته ونبلتى فى
قلبه فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أدركوه رحمكم الله وسلموا سلبه الى سعيد ففعلوا ذلك (قال الواقدى

من دمشق بلغه صلى الله
عليه وسلم ان بها جماعة
يتعرضون لمن مر بهم
بالاضرار والفساد وأخذ
الاموال وانهم يريدون أن
يدنوا من المدينة فندب
صلى الله عليه وسلم
الناس وخرج فى ألف
مقاتل فلما دنا منهم وبلغهم
الخبر تفرقوا فهجم على
ماشيتهم وأمسك أصحابه
رجلا منهم فسأله عنهم
فقال هربوا فعرض عليه
الاسلام فأسلم (ثم كانت
غزوة الخندق) فى شوال
سنة خمس ويقال لها غزوة
الاحزاب وكان كما رقريش
ومن عاونهم من يهود بنى

رحمه الله تعالى) فلما أخذت الحرب أوزارها أخذ المسلمون الاسلاب والدروع الشهابي ومثلوا الجميع امام الامير أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فأخرج منها الخمس لبيت مال المسلمين وقسم الباقي على المجاهدين قال و وقع الصياح والبكاء في حمص على من قتل منهم من فرسان الكفار ورجالهم قال واجتمع مشايخ حمص ورؤساؤهم الى بيعتهم وتجدثوا مع القسوس والرهبان على أن يسلموا حمص الى المسلمين وخرج علماء دينهم ورؤساؤهم الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه وصالحوه على تسليم المدينة اليه وأن يكونوا تحت ذمامه وأمانه فصالحهم أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال استأدخل مدينتكم حتى نرى ما يكون بيننا وبين الملك هرقل وأراد أهل حمص ان يكرموا المسلمين بالاقامة والعلوفة فنهاهم الامير أبو عبيدة عن ذلك ولم يدخل أحد من المسلمين الى حمص الابعد وقعة اليرموك كل ذلك لتقرب المسلمون الى الروم بالعدل وحسن الصحبة (قال جرير ابن عرف) حدثنا حميد الطويل قال حدثني سنان بن راشد اليربوعي قال حدثنا سلمة بن جريج قال حدثنا النجار وكان ممن يعرف فتوح الشام قال لما صالحنا أهل حمص بعد قتل هربيس خرج أهل حمص ودفنوا قتلاهم فافتقدنا القتلى الذين استشهدوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا من استشهد من المسلمين مائتين وخمسة وثلاثين فارسا كلهم من حمير وهمدان الاثلاثين رجلا من أهل مكة وهم عكرمة بن أبي جهل وصابر بن جرى والريس بن عقيل ومروان بن عامر والمنهال بن عامر السلمي ابن عم العباس رضي الله عنه وجحج بن قادم وجابر بن خويلد الربعي فهؤلاء من المسلمين الذين استشهدوا يوم حمص والباقون من اليمن وهمدان ومن أخلاط الناس

﴿ذكر وقعة اليرموك﴾

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) واتصلت الاخبار الى الملك هرقل ان المسلمين قد فتحوا حمص والرستن وشيزر وقد أخذوا الهدية التي بعثها الى هربيس البطريق فبلغ ذلك منه دون النفس وأقام ينتظر الجيوش والعساكر من أقصى بلاد الروم لانه قد كان كاتب كل من يحمل الصليب فما مضى عليه الا أيام قلائل حتى صار أول جيوشه عنده بانطاكية وآخرها في رومية الكبرى وانه بعث جيشا الى قيسارية بساحل الشام يكون حفظه على عكاء وطبرية وبعث بجيش آخر الى بيت المقدس وأقام ينتظر قوم ماهان الارمني ملك الارمن وقد جمع من الارمن مالا يجمعه أحد من أهالي الملك هرقل وبعد أيام قدم على الملك هرقل للقائه في أرباب دولته فلما قرب منه ترجل ماهان وجنوده وكفروا بين يديه ورفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب مما وصل اليهم من فتح المسلمين بلادهم فنهاهم عن ذلك وقال يا أهل دين النصرانية وبني ماء المعمودية قد حذرتكم وخوفتكم من هؤلاء العرب ولم تقبلوا مني فوحق المسيح والانجيل الصحيح والقربان ومذبحنا المعمدان لابد لهؤلاء العرب أن يملكوا ما تحت سريري هذا والآن البكاء لا يصلح الا للنساء وقد اجتمع لكم من العساكر مالم يقدر عليه ملك من ملوك الدنيا وقد بذلت مالي ورجالي كل ذلك لأذب عنكم وعن دينكم وعن حريمكم فتوبوا للمسيح من ذنوبكم وانووا للرعية خيرا ولا تظلموا وعليكم بالصبر في القتال ولا يخامر بعضكم بعضا واياكم والعجب والحسد فانه ما نزل لا بقوم الا ونزل عليهم الخذلان واني أريد أن أسألكم وأريد منكم الجواب عما أسألكم عنه فقالت العظماء من الروم والملوك اسأل أيها الملك عما شئت قال انكم اليوم أكثر عددا وأعز مددا من العرب وأكثر جمعا وأكثر خيلا وأعظم قوة فمن أين لكم هذا الخذلان وكانت الفرس والترك والجرامقة تهاب سطوتكم وتفزع من حربكم وشدتكم وقد قصدوا اليكم مرارا ورجعوا منكسرين والآن قد علا عليكم العرب وهم أضعف الخلق عراة الاجساد جياع الاكباد ولا عدد ولا سلاح وقد غلبوكم على بصرى وحوران واجنادين ودمشق وبعلبك وحمص قال فسكت الملوك عن جوابه فعندها قام قسيس كبير عالم بدين النصرانية وقال أيها الملك أما تعلم لم نصرت العرب علينا قال لا وحق المسيح فقال القسيس أيها الملك لأن قومنا بدلوا دينهم وغيروا ملتهم وجحدوا اجابة المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه وظلموا بعضهم وليس فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس فيهم عدل ولا احسان ولا يفعلون الطاعات وضيعوا أوقات الصلوات وأكلوا الربا وارتكبوا الزنا وفشت فيهم المعاصي والفواحش وهؤلاء العرب طائعون لربهم متبعون دينهم رهبان بالليل صوام بالنهار ولا يفترون

النضير وقبائل العرب المشركين عشرة آلاف ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم شاور أصحابه في ان يبرزلهم أو يكونون فيها فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بالخندق وقال يا رسول الله انا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا عليهم فأعجبهم ذلك وضربوا الخندق على المدينة وظهر فيه معجزات كثيرة منها ما رواه جابر رضي الله عنه قال اشتد علينا في بعض الخندق كدية فشكوناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء من ماء

عن ذكر ربهم ولا عن الصلاة على نبيهم وليس فيهم ظلم ولا عدوان ولا يتكبر بعضهم على بعض شعارهم الصدق ودثارهم العبادة وان حملوا علينا لا يرجعون وان حملنا عليهم فلا يولون وقد علموا أن الدنيا دار الفناء وأن الآخرة هي دار البقاء (قال الواقدي) فلما سمع القوم والملك هرقل ما قاله القسيس قالوا وحق المسيح لقد صدقت بهذا نصرت العرب علينا لامحالة واذا كان فعل قومنا ماذكرت فلا حاجة لي في نصرتهم وانى قد عولت أن أصرف هذه الجيوش والعساكر الى بلادها وآخذ أهلي ومالي وأنزل من أرض سورية وأرحل الى أسطول يعني القسطنطينية فأكون هناك آمنا من العرب قال فلما سمع القوم ذلك من الملك صفوا بين يديه وقالوا أيها الملك لا تفعل ولا تخذل دين المسيح فيطالبك بذلك يوم القيامة وتعير الملوك بذلك ويستضعفون رأيك وأيضا تشمت بنا أعداؤنا اذا أنت خرجت من جنة الشام وسكن بعد نافيها العرب وقد اجتمع لنا مثل هذا الجيش الذي ما اجتمع لملك من ملوك الدنيا ونحن نلقى العرب ونصبر على قتالهم ولعل المسيح أن ينصرنا عليهم فاعزم وقدم من شئت واتركنا ننهض الى قتال العرب قال ففرح الملك هرقل بقولهم ونشاطهم وعول على أن يبعث الجيش مع خمسة ملوك من الروم فأول ما عقد لواء من الديباج المنسوج بالذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الجوهر وسلمه الى قناطير ملك الروسية وضم اليه مائة ألف فارس من الصقالبة وغيرهم وخلع عليه وتوجه ومنطقه وسوره ثم عقد لواء آخر من الديباج الابيض فيه شمس من الذهب الاحمر وعلى رأسه صليب من الزبرجد الاخضر وسلمه الى جرجير وهو ملك عمورية وملورية وخلع عليه وسوره ومنطقه وضم اليه مائة ألف فارس من الروم والفرادنة ومن سائر الاجناس الرومية ثم عقد لواء ثالثا من الدستري الملون وعليه صليب من الذهب الاحمر وسلمه الى الديرجان صاحب القسطنطينية وضم اليه مائة ألف فارس من المغابط والافرنج والقلان وخلع عليه ومنطقه وسوره ثم عقد لواء رابعا مرصعا بالدر والجوهر عليه قبضة من الذهب وعليه صليب من الياقوت الاحمر وسلمه الى ماهان ملك الارمن وكان يحبه محبة عظيمة لانه كان من أهل الشجاعة والتدبير وقد قاتل عساكر الفرس والترك وهزمهم مرارا ولما عقد له لواء خلع عليه الثياب التي كانت عليه وتوجه وسوره ومنطقه وقلده بالقلائد التي لا يتقلد بها الا الملوك الاكابر وقال له يا ماهان قد وليتك على هذا الجيش كله ولا أمر على أمرك ولا حكم على حكمك ثم قال لقناطير وجرجير والديرجان وقورين وهم ملوك الجيش اعلموا أن صلبانكم تحت صليب ماهان وأمركم اليه فلا تضيعوا أمر الاعشورته ورأيه وتطلبوا العرب حيث كانوا ولا تفشلوا وقاتلوا عن دينكم القديم وشرعكم المستقيم وافترقوا على أربع طرق فانكم ان أخذتم على طريق واحدة لم تسعكم وتهلكوا الارض ومن عليها ثم خلع على جبلة بن الايهم الغساني وضم اليه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام وقال لهم كونوا في المقدمة فان هلاك كل شئ بجنسه والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم أمر القسوس أن يغمسوهم في ماء المعمودية ويقرؤا عليهم ويصلوا عليهم صلاة الموتى (قال) حدثنا نوفل بن عدى عن سراقة عن خالد قال أخبرنا قاسم مولى هشام بن عمرو بن عتبة وكان ممن حضر فتوح الشام كله قال فكانت جملة من بعث الملك هرقل الى اليرموك من العساكر ستمائة ألف فارس من سائر طوائف أهل الكفر ممن يعتقد الصليب (قال) وحدثنا جرير بن عبد الله عن يونس بن عبد الاعلى ان جملة من بعث الملك هرقل سوى جيش انطاكية الى اليرموك سبعمائة ألف فارس قال راشد بن سعيد الحميري كنت أحضر اليرموك من أوله الى آخره فلما أشرفت علينا عساكر الروم باليرموك وأتوا نحونا صعدت على محل من الارض مرتفع وأقبلت الروم بالرايات والصلبان فعددت عشرين راية فلما استقرت الروم باليرموك بعث الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه روماس صاحب بصرى ليحزر عدد القوم قال فتنكر روماس وغاب عنا يوما وليلة ثم عاد الينا فلما رأيناه اجتمعنا عنده وسأل أبو عبيدة روماس عن ذلك فقال أيها الامير سمعت القوم يذكرون ان عددهم ألف ألف فلا أدرى أهم يتحدثون بذلك ليسمع جواسيسنا و يتحدثوا بذلك أم لا فقال أبو عبيدة يا روماس كم عهدك بهم وكم يكون تحت كل راية من عساكر الروم فقال أيها الامير أما ما عهدت في عساكر الروم فتحت كل راية خمسون ألف فارس فلما سمع أبو عبيدة ذلك قال الله أكبر أبشروا بالنصر على الاعداء ثم قرأ الآية كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ثم ان الملك هرقل لما قلد أمر جيوشه ماهان ملك الارمن وأمره بالنهوض الى قتال المسلمين ركب الملك هرقل وركب

فتفل فيه ودعا بما شاء الله ثم صب ذلك الماء على تلك الكدية فانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولما حضروا حول المدينة مكثوا مدة وأرسل الله عليهم ريحا عاصفا في ليال شديدة البرودة فقطعت أطناب خيامهم وأكفأت قدورهم على أفواهها ونصر الله المسلمين وخذل الاحزاب (ثم كانت غزوة بني المصطلق) في شعبان سنة ست من الهجرة وهم بطن من خزاعة وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحرث بن ضرار سيد بني المصطلق رضي الله عنه أسلم

الروم وضربوا بوق الرحيل وخرج الملك هرقل ليشيع عساكره على باب فارس وسار معهم يوصيهم وقال لقناطير وجرجير والدرجان وقورين ليأخذ كل رجل منكم طريقا وأمر كل واحد منكم نافذ على جيشه فاذا لقيتم العرب فالامر فيكم لماهان ولابد على يده واعلموا انه ليس بينكم وبين هؤلاء القوم الا هذه الواقعة فان غلبوكم فلا يقنعوا بالادكم بل يطلبونكم حيث سلكتم ولا يقنعون بالمال دون النفس ويتخذون حريمكم وأولادكم عبيدا فاصبروا على القتال وانصروا دينكم وشرعكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم وجه قناطير بجيشه على طريق جبلة واللاذقية وبعث جرجير على طريق الجادة العظمى وهى أرض العراق وسومين وبعث قورين على طريق حلب وحماة وبعث الدرجان على أرض العواصم وسار ماهان فى أثر القوم بجيوشه والرجال أمامه يهتون له الارض ويزيلوا عن طريقهم الحجارة وكانوا لا يمرون على بلد ولا مدينة الا ضروا أهلها ويطالبونهم بالعلوفة والاقامات ولا قدرة لهم بذلك فيدعون عليهم ويقولون لا ردكم الله سالمين قال وجبلة بن الايهم فى مقدمة ماهان ومعه العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى من أثق به أن الطاغية هرقل لما بعث جيوشه الى قتال المسلمين وكان للامير أبى عبيدة فى جيوش الروم عيون وجواسيس من المعاهدين يتعرفون له الاخبار فلما وصل جيش الروم الى شيزر فارقتهم عيون أبى عبيدة وساروا طالبين عسكر المسلمين فلم يجدوهم على حمص فسألوهم عنهم فأخبروهم انهم رحلوا الان الامير أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه لما فتح حمص ترك عندهم من يأخذ الخراج والذى تركه عندهم رجال من أهل حمص من كبرائهم ورؤسائهم وجعل الجواسيس يسيرون حتى وصلوا الى الجابية وحضروا بين يدى الامير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه وأخبروه بما رأوه من عظم الجيوش والعساكر فلما سمع أبو عبيدة ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبات قلقا لم تغمض له عين خوفا على المسلمين فلما طلع الفجر أذن فصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته أقسم على المسلمين أن لا يبرحوا حتى يسمعوا ما يقول ثم قام فيهم خطيبا وحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وترحم على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ودعا للمسلمين بالنصر وقال يا معاشر المسلمين اعلموا رحمكم الله أن الله ابتلاكم بلا حسن لينظر كيف تعملون وذلك عندما صدقكم الوعد وأيدكم بالنصر فى مواطن كثيرة واعلموا أن عيونى أخبرونى أن عدو الله هرقل استنجد علينا من كان ببلاد الشرك وقد سيرهم اليكم وأثقلهم بالزاد والسلاح يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون واعلموا أنهم قد ساروا اليكم فى طرق مختلفة ووعدهم طاغيتهم أن يجتمعوا بازائكم على قتالكم واعلموا أن الله معكم وليس بكثير من يخذله الله تعالى وليس بقليل من يكون الله تعالى معه فما عندكم من الرأى رحمكم الله تعالى ثم قال لبعض عيونه قم وأخبر المسلمين بما رأيت فقام الرجل وأخبر الناس بما رأى من الجيوش الثقيلة وعددها وعديدها فعظم ذلك على المسلمين وداخل قلوب رجال منهم الهيبة والجزع وجعل بعضهم ينظر الى بعض ولم يرد أحد منهم جوابا فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ما هذا السكوت عن جوابى رحمكم الله فأشيروا على برأيكم فان الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فتكلم رجل من أهل السبق وقال أيها الامير أنت رجل لك رفعة ومكان وقد نزلت فيك آية من القرآن وأنت الذى جعلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين هذه الامة فقال عليه السلام لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه عامر بن الجراح أشر أنت علينا بما يكون فيه الصلاح للمسلمين فقال الامير أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه انما أنا رجل منكم تقولون وأقول وتشيرون وأشير والله الموفق فى ذلك فقام اليه رجل من أهل اليمن وقال أيها الامير الذى نشير به عليك أن تسير من مكانك وتنزل فى فرجة وادى القرى فتكون المسلمون قريبا من المدينة والنجدة تصل الينا من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه واذا طلب القوم أثرنا وأقبلوا الينا كنا عليهم ظاهرين فقال الامير أبو عبيدة رضى الله عنه اجلسوا رحمكم الله فقد أشرتم بما عندكم من الرأى وانى ان برحت من موضعى هذا كره لى عمر بن الخطاب ذلك وأخذ ينفينى ويقول تركت مدائن فتحها الله على يديك وتزحزحت عنها وكان ذلك هزيمة منك ثم قال أشيروا على برأيكم رحمكم الله تعالى فقام اليه قيس بن هبيرة المرادى وقال يا أمير المؤمنين لا ردنا الله الى أهلنا سالمين ان خرجنا من الشام وكيف ندع هذه الانهار المتفجرة والزروع

وانه جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فأرسل صلى الله عليه وسلم رجلا يزوده فعاد وأخبره بذلك فندب الناس لقتالهم ولما وصل اليهم عرض عليهم الاسلام فأبوا وحاربوا فاستأصلهم قتلا وأسرا ونهبوا واستاق ابلهم وشياههم وكانت الابل ألفين والشياه خمسة آلاف واستعمل عليهم مولاه شقران بضم الشين المعجمة وكان حبشيا واسمه صالح وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك (ثم كانت غزوة الحديبية) وما فيها من الصلح

والاعناب والذهب والفضة والديباج ونرجع الى قحط الحجاز وجدبه وأكل خبز الشعير ولباس الصوف ونحن في مثل هذا العيش الرغد فان قتلنا فالجنة وعدنا وكنا في نعيم لا يشبه نعيم الدنيا فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه صدق والله قيس بن هبيرة وبالحق نطق ثم قال يا معاشر المسلمين اترجعون الى بلاد الحجاز والمدينة وتدعون لهؤلاء الاعلاج قصورا وحصونا وبساتين وأنهارا وطعاما وشرابا وذهبا وفضة مع ما لكم عند الله عز وجل في دار البقاء من حسن الطعام ولقد صدق قيس بن هبيرة في قوله لنا ولسنا بارحين من منزلنا هذا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال فوثب قيس بن هبيرة وقال صدق الله قولك أيها الأمير وأعانك على ولايتك ولا تبرح من مكانك وتوكل على الله وقاتل أعداء الله فان فاتنا فتح عاجل فما يفوتنا ثواب آجل فقال أبو عبيدة رضى الله عنه شكر الله فضلك وغفر لنا ولك والرأى رأيك وتتابع قول المسلمين بحسن رأيهم الا خالد ابن الوليد رضى الله عنه فانه ساكت لا يقول شيأ فقال أبو عبيدة رضى الله عنه يا أبا سليمان أنت الرجل الجرىء والفارس الشهم ومثلك رأى وعزم فما تقول فيما قال قيس بن هبيرة فقال خالد رضى الله تعالى عنه نعم ما أشار به قيس الا أن الرأى عندى غير رأيه ولكن لا أخالف المسلمين فقال ان كان عندك رأى فيه صلاح فائت به وكلنا لرأيك تبع فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه اعلم أيها الأمير انك ان أقمت في مكانك هذا فانك تعين على نفسك لان هذه الجابية قريبة من قيسارية وفيها قسطنطين ابن الملك هرقل في أربعين ألف فارس وأهل الاردن قد اجتمعوا اليه خوفا منكم والذى أشير به عليكم أن ترحلوا من منزلكم هذا وتجعلوا أذرعات خلف ظهوركم حتى ينزلوا اليرموك ويكون المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قريبا منكم متلاحقا بكم وانتم على فتح لقتال عدوكم وهى أرض واسعة لمجال الخيل قال فلما نطق خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بهذا الكلام قال المسلمون نعم ما أشار به خالد وقال أبو سفيان بن حرب أيها الأمير افعل برأى خالد بن الوليد رضى الله عنه وابعثه الى ما يلى الرمادة فيكون بين عساكرنا وعساكر الروم المقيمة بالاردن لئلا ندهمهم عند رحيلنا فانه سيكون لرحيلنا ورحيل عسكرنا بين هذه الاشجار ضجة عظيمة وجلبة هائلة فيداخل عدوكم فيكم الطمع فان أقبلوا يريدون غارة ومكيدة لقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بمن معه فقال خالد ابن الوليد والله يا ابن حرب لقد نطقت عن ضميرى وهكذا الرأى عندى فعند ذلك أمر أبو عبيدة الناس بالرحيل من الجابية فرحلوا ودعا أبو عبيدة بجيش خالد بن الوليد الذى أقبل به من أرض العراق وهو جيش الزحف وهو يومئذ أربعة آلاف فارس وأمر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أن يسير بهم ويكون على طلائع المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم قال ووقعت الضجة للمسلمين عند رحيلهم حتى سمع ضجيجهم من مسيرة فرسخين وطلبوا اليرموك وسمع الروم المجتمعة بالاردن ضجة المسلمين عند رحيلهم فظنوا أنهم هاربون الى الحجاز لما بلغهم من جيش هرقل فطمعوا فيهم وهموا بالغارة على أطرافهم فلقيهم خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فصاح في رجاله وقال دونكم والقوم فهذه علامة النصر قال فانتضى المسلمون السيوف ومدوا الرماح وحمل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وحمل ضرار بن الازور رضى الله تعالى عنه والمرقال وطلحة بن نوفل العامرى وزاهد بن الاسد وعامر بن الطفيل وابن أكال الدم وغير هؤلاء من الفرسان المعدودين للبراز فلم يكن للروم طاقة بهم فولوا منهزمين والمسلمون يقتلون ويأسرون حتى وصلوا الى الاردن فغرق منهم خلق كثير ورجع خالد ابن الوليد رضى الله تعالى عنه وأما الامير أبو عبيدة فانه نزل باليرموك وجعل أذرعات من خلفه وكان هناك تل عظيم فعمد أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه الى نساء المسلمين وأولادهم فاصعدهم على ذلك التل وأقام الحراس والطلائع على سائر الطرقات فلما وصل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه بالأسارى والغنائم فرح أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فرحا شديدا وقال ابشروا رحمكم الله تعالى هذه علامة النصر والظفر وأقام المسلمون باليرموك وهم مستعدون لقتال عدوهم كانهم ينتظرون وعدا وعدوا به وبلغ الخبر الى قسطنطين ابن الملك هرقل بان المسلمين قد نزلوا باليرموك وان ملوك الروم سائرون لقتالهم فبعث رسولا الى الملوك يستضعف رأيهم في ابطاء أمرهم ويحثهم على قتال المسلمين فلما ورد رسوله الى ماهان دعا بالملوك والبطارقة وقرأ عليهم كتاب قسطنطين ابن الملك هرقل وأمرهم بالمسير فسارت جيوش الروم يتلو بعضها بعضا الا عرون ببلد من مدائن الشام التى فتحها المسلمون الا ويعنفون أهلها ويقولون لهم يا ويلكم تركتم اهل دينكم وملتكم وملتم الى

وكانت في آخر سنة ست من الهجرة (ثم كانت غزوة خيبر) وما فيها وكانت سنة سبع من الهجرة (ثم كانت غزوة عمرة القضاء) وسرية مؤتة وفتح مكة ودخولها في شهر ذى القعدة من سنة سبع من الهجرة وقيل سنة ثمان (ثم غزوة حنين) ويقال لها غزوة هوازن وغزوة أوطاس وما وقع فيها من اعلاء كلمة الله واظهار شوكة الاسلام ومن استشهد فيها من المسلمين (ثم كانت غزوة الطائف) سنة ثمان من الهجرة أيضا ثم عند منصرفه من الطائف قدم عليه كعب بن زهير تائبا مسلما حتى جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم وأنشد له قصيدته المشهورة وهى

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

ولما رجع منها الى المدينة أتته وفود العرب وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود ودخل الناس في دين الله أفواجا وقد استوفينا الكلام على ما يتعلق بالغزوات وغيرها في كتابنا المواهب السنية في خير البرية (وفي السنة العاشرة كانت حجة الوداع) وكان معه صلى الله عليه وسلم أربعون ألفا ولم يحج بعد

العرب فيقولون لهم أنتم أحق بالملامة منا الانكم هربتم منهم وتركتمونا للبلاء فصالحنا عن أنفسنا فيعرفون
الحق فيسكتون ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى اليرموك فنزلوا بدير يقال له دير الجبل وهو بالقرب من الرمادة
والجولان وجعلوا بينهم و بين عسكر المسلمين ثلاثة فراسخ طولا وعرضا فلما تكاملت الجيوش باليرموك
أشرفت سوابق الخيل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جبلة بن الايهم فى المقدمة فى ستين
ألف فارس من العرب المتنصرة من غسان ولخم و جذام وهم على مقدمة ماهان فلما نظر أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى كثرة جيوش الروم قالوا لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عطية بن عامر فوالله
ماشبهت عساكر اليرموك الا كالجراد المنتشر اذا سد بكثرته الوادى قال ونظرت الى المسلمين قد ظهر منهم
القلق وهم لا يفترون عن قول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يقول ربنا
أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال وأخذ المسلمون أهبتهم ودعا الامير أبو عبيدة
بجواسيسه من المعاهدين وأمرهم أن يدخلوا عساكر الروم ويجسون له خبر القوم وعددهم وعديدهم وسلاحهم
وقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه أنا أرجو من الله تعالى أن يجعلهم غنيمة لنا (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
فلما نزل ماهان بعساكره بازاء المسلمين على نهر اليرموك أقام أياما لم يقاتل ولا يدنيهم حربا (قال الواقدى رحمه
الله تعالى) وكان تأخير ماهان لامر وذلك أن رسولا ورد عليه من الملك هرقل يقول له لا تجز الحرب بينك
و بين المسلمين حتى تبعث اليهم رسولا وتعدهم منا كل سنة بمال كثير وهدايا لصاحبهم عمر بن الخطاب ولكل
أمير منهم و يكون لهم من الجابية الى الحجاز فلما وصل الرسول الى ماهان قال هيهات هيهات ان كانوا يجيبون
الى ذلك أبدا فقال له جرجير وهو من بعض ملوك الجيش وما عليك فى هذا الذى ذكره الملك هرقل من المشقة
فقال ماهان اخرج أنت اليهم وادع منهم رجلا عاقلا وخاطبه بالذى سمعت واجتهد فى ذلك قال فلبس جرجير
ثياب الديباج وتعصب بعصابة من الجوهر وركب شهباء عالية بسرج من الذهب الأحمر المرصع بالدر والجوهر
وخرج معه ألف فارس من المدبجة وسار حتى أشرف على عساكر المسلمين فاوقف جرجير أصحابه وقرب من
المسلمين و وقف بازائهم وقال يا معاشر العرب أنا رسول من الملك ماهان فليخرج الى أميركم والمقدم عليكم
حتى نعرض عليه مقالنا ولعلنا نصطلح ولا نسفك دم بعضنا قال فسمعه المسلمون فاعلموا الامير أبا عبيدة رضى
الله تعالى عنه بذلك فخرج بنفسه اليه وعليه ثوب من كرابيس العراق وعلى رأسه عمامة سوداء وهو متقلد
بسيفه وسار الى أن وصل الى جرجير ورفس فرسه حتى التقت عنق فرسيهما والناس ينظرون اليهما
فقال أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه يا أخا الكفر قل ما أنت قائل واسأل عما تريد فقال جرجير يا معاشر
العرب لا يغرنكم أن تقولوا هزمنا عساكر الروم فى مواطن كثيرة وفتحنا بلادهم وعلونا أكثر أرضهم
فانظروا الآن ما قد أتاكم من العساكر فان معنا من سائر الاجناس المختلفة وقد حالف الروم أن لا يفروا
ولا ينهزموا أو أن يموتوا عن آخرهم وليس لكم على ما ترون من طاقة فانصرفوا الى بلادكم وقد نلتم ما نلتم من بلاد
الملك هرقل وقد عول الملك أن يتعود الاحسان اليكم وهو يهب لكم ما أخذتم من بلادهم منذ
ثلاث سنين وقد أخذتم السلاح والذهب والفضة وقد كنتم حين قدمتم الشام منكم على رجليه
ومنكم عريان فاجيبوا الى ما دعوتكم اليه والا كنتم من الهالكين فقال الأمير أبو عبيدة رضى الله
تعالى عنه أما ما ذكرت من عساكر الروم وانهم لا يفرون ولا ينهزمون فلو رأت الروم شفار سيوفنا
لهربت ناكصة على أعقابهم وأما تهويلك لنا بكثرة عددكم فقد رأيت قلتنا وضعف أجسامنا وكيف لقينا
جموعكم وكثرتها وعظم عددها وسلاحها وأحب الاشياء الينا يوم مشاجرتكم بالحرب والقتال حتى يعرف من
الذى يثبت للعرب فلما سمع جرجير كلام الأمير أبى عبيدة التفت الى رجل من أصحابه يقال له بهيل فقال
يا بهيل الملك هرقل كانه أعرف بهؤلاء العرب منا ثم لوى رأس جواده و رجع الى ماهان وأخبره بما قال
أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه فقال له ماهان دعوتهم الى الموعد فقال لا وحق المسيح انى لم أفاتحه فى شئ من
ذلك لكن ابعث لهم بعض العرب المتنصرة فان العرب يميل بعضهم الى بعض قال فعندها دعا ماهان
بجبلة بن الايهم الغسانى وقال يا جبلة اخرج الى هؤلاء وخوفهم من كثرتنا وتواتر عددنا وألق فى قلوبهم
الرعب وأحط بهم مكرك قال فخرج جبلة بن الايهم وسار حتى قرب من عساكر المسلمين ونادى برفيع

الهجرة سواها وماتت ابنته
ابراهيم فيها و بعث عليا الى
اليمن بكتاب يدعوهم الى
الاسلام فاجابه منهم خلق
كثير وأسلمت همدان جميعا
فى يوم واحد فسر بذلك
رسول الله صلى الله عليه
وسلم (ثم دخلت سنة احدى
عشرة) فرض فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه
لما قدم المدينة أقام بها الى
آخر صفر وابتدأه المرض
لليلتين بقيتا منه وقبض
ضحى يوم الاثنين الثانى
عشر من ربيع الأول فى
بيت عائشة ودفن ليلة
الاربعاء وسط الليل وصلى
عليه المسلمون أرسالا وولى
دفنه أحد وغسله على
والعباس والفضل وقثم
وأسامة وصالح مولاه وهو
شقران ودفن فى حجرة عائشة
التى مات فيها صلى الله عليه
وسلم (وولى بعده أبو بكر
رضى الله تعالى عنه) واسمه
عبد الله بن أبى قحافة واسم
أبى قحافة عثمان بن عامر
ابن عمرو بن كعب بن سعد
ابن تيم بن مرة بن كعب بن
لؤى بن غالب التيمى القرشى
يلتقى مع النبى صلى الله
عليه وسلم فى مرة بن كعب
وأمه سلمى بنت صخر بن
سعد بن تيم بن مرة ماتت
مسلمة قيل كان
اسم أبى بكر رضى الله

صوته يا معاشر العرب ليخرج الى رجل من ولد عمرو بن عامر لاخاطبه بما أرسلت به فلما سمع الامير أبو عبيدة
رضى الله تعالى عنه كلام جبلة بن الايهم قال قد بعث اليكم القوم بأبناء جنسكم يريدون الخديعة بصلة الرحم
والقرابة فابعثوا اليه رجلا من الانصار من ولد عمرو بن عامر فأسرع اليه بالخروج عبادة بن الصامت الخزرجى
رضى الله تعالى عنه وقال لابى عبيدة أيها الامير أنا أخرج اليه وانظر ماذا يقول فأجيبه عنه ثم خرج عبادة
نحوه بجواده الى أن وقف أمام جبلة بن الايهم فنظر جبلة الى رجل أسمر طويل شديد السمرة كأنه من رجال
شنوأة فهابه ودخل الرعب فى قلبه من عظم خلقته وكان عبادة بن الصامت من الخطاط رضى الله تعالى عنه
فقال له جبلة يافتى من أى الناس أنت فقال عبادة أنا من ولد عمرو بن عامر فقال جبلة حييت فمن أنت فقال
عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تريد فقال جبلة يا ابن العم انما خرجت اليكم
لانى أعلم انا أكثركم من الرحم والقرابة فخرجت اليكم ناصحا ومشيرا واعلم ان هؤلاء القوم الذين قد نزلوا بازائكم
معهم جنود لاقبل لكم بها وخلفهم عساكر وحصون وقلاع وأموال ولا تقولوا كسرناهم وهزمنا عساكر الروم
واعلم ان الحرب دول وسجال وان هزمكم هؤلاء القوم لا يكون لكم ملجأ غير الموت وهؤلاء القوم ان انهزموا
يرجعون الى بلادهم وعساكرهم والخزائن والحصون وما قد نلتم منه لا تأخذوه وامضوا الى بلادكم سالمين (قال
عبادة بن الصامت) رضى الله تعالى عنه يا جبلة أما علمت ما لقينا من جموعكم المتقدمة باجنادين وغيرها
وكيف نصرنا الله عليكم وهرب طاغيتكم ونحن نعلم أنه من بقى من جموعكم قد تيسر علينا أمره ونحن لا نخاف
ممن يقدم علينا من جموعكم واقدموا علينا فى الدماء فلم نجد أحلى من دماء الروم وأنا يا جبلة أدعوك الى دين الاسلام
وأن تدخل مع قومك فى ديننا وتكون على شرفك فى الدنيا والآخرة ولا تكون تابع علج من علوج الروم تفديه
بنفسك من المهالك وأنت رجل من سادات العرب وملوكهم وأن ديننا ظاهر أوله وآخره يظهر كما ظهر أوله
فاتبع سبيل من أناب الى الحق وصدق به فقل لا اله الا الله محمد رسول الله اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم
(قال الواقدى رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم من كلام عبادة بن الصامت وقال لست مفارقا دينى
فقال عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه فان أبيت الا ما أنت عليه من الكفر فاياك أن تلقانى فى الموعد
الاول فان لنا وقعة عظيمة فان أخذتك شفار سيوفنا فلا تخلص من شفارها ودعنا وعساكر الروم فهم أهون
علينا فان أبيت الا ما أنت عليه حل بك مثل ما حل بهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فغضب جبلة بن الايهم
وقال لماذا تخوفنى من سيوفكم أما نحن عرب مثلكم رجل لرجل فقال عبادة بن الصامت قد علمنا أنك انما
خرجت الينا مخادعا ومعينا واننا كأننا بالكم نحن على قتلنا نوحد ربنا ونتبع سنة نبينا محمد وان وراءنا
عسكرا يملأ الاقطار ويسد القفار فقال جبلة لست أعرف وراءكم جيشا غير هذا الجيش ولا من ينصركم غيرهم
فقال عبادة بن الصامت كذبت والله يا ابن الايهم فى قولك وان وراءنا رجالا انجادا وأبطالا اشدادا يرون الموت
مغنما والحياة مغرما كل واحد بنفسه يلقى جيشا فلا يا ويلك أنسيت عليا وسطوته وعمر وشدته وعثمان
وبراعته والعباس وطاعته والزبير مع ما يجتمع اليهم من فرسان المسلمين من مكة والطائف واليمن وغير
ذلك قال فلما سمع جبلة ذلك من كلام عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال يا ابن العم أنا ما خرجت الا
اريد النصيحة لكم فان أبيتم ذلك فاسأل قومك يجيبونا الى الصلح فقال عبادة بن الصامت لاصلح بيننا الا باداء
الجزية أو الاسلام أو السيف وهو حكم بيننا وبينكم والله لولا أن الغدر يقبح بنا لاهلكتك بسيفى هذا فلما سمع جبلة
كلام عبادة وانه قد حاف عليه فى الكلام لم يرد عليه جوابا غير انه ثنى رأس جواده وأتى الى ماهان فزعا
مرعوبا وقد امتلأ قلبه رعبا من كلام عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه فلما وقف بين يدى ماهان تبين
فى وجهه الجزع والفزع فقال لجبلة ما وراءك فقال أيها الملك انى خوفت وأرعبت ومنيت فكان ذلك كله
عندهم بالسواء وقالوا ما بيننا الا الحرب والقتال فقال له ماهان فما هذا الفزع الذى أراه فى وجهك وهم عرب
مثلكم وأنت عرب مثلهم وقد بلغنى انهم ثلاثون ألف فارس وأنتم ستون ألف فارس أما يقاتل الرجلان منكم
الرجل الواحد منهم دونك يا جبلة فسر أنت وابن عمك من العرب المتنصرة الى قتالهم وأنا وراءكم فان ظفرتم
بهم كان الملك مشتركا بيننا وبينكم وتكونون أقرب الناس الينا ويسلم اليكم ما فتحه العرب من بلاد الشام (قال
الواقدى) وجعل ماهان يرغب جبلة فى العطاء ويلينه ويحرضه على القتال فى المسلمين حتى أجابه الى ذلك

تعالى عنه عبد الكعبة
فسماه النبى صلى الله عليه
وسلم عبد الله ولقبه بعتيق
لانه صلى الله عليه وسلم قال
من أراد أن ينظر الى
عتيق من النار فلينظر الى
أبى بكر وهو أول الرجال
اسلاما شهد المشاهد كلها
وكان مولده بمكة بعد الفيل
بسنتين وأربعة أشهر وأيام
وكان أبيض اللون خفيف
العارضين ولما قبض
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذهب هو وعمر بن
الخطاب الى سقيفة بنى
ساعدة من الانصار
يتشاورون فى أمر الخلافة
فوقع بينهم كلام كثير حتى
قال بعض الانصار منا أمير
ومنكم أمير يا معشر قريش
وكثر اللغط وارتفعت
الاصوات فقال عمر لابى
بكر ابسط يدك فبسط يده
فبايعه ثم بايعه المهاجرون
ثم الانصار قال ابن اسحق
ولما كان اليوم الثانى من
السقيفة صعد أبو بكر
الصديق رضى الله تعالى
عنه المنبر فقام عمر فتكلم
قبل أبى بكر فحمد الله تعالى
وأثنى عليه ثم قال يا أيها
الناس ان الله قد أبقى فيكم
كتابه الذى هدى الله به
رسوله فان اعتصمتم به
هداكم الله لما كان هداه
الله له وان الله قد جمع
أمركم على خيركم صاحب

وأخبر قومه وبني عمه من بني غسان ولخم وجذام وغيرهم من العرب المتنصرة وأمرهم بأخذ الاهبة للحرب
والقتال ففعل القوم ذلك وركبوا في سابغ الحديد والزرد النضيد وهم ستون ألف فارس ما يخالطهم من غير
العرب أحد يقدمهم جبلة بن الايهم وعليه درع من الذهب الاحمر متقلد بسيف من عمل التبابعة وعلى رأسه
الراية التي عقدها له الملك هرقل فسار جبلة نحو الصحابة في ستين ألف فارس حتى أشرف على عساكر المسلمين
وأبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يتحدث مع عبادة بن الصامت بما جرى بينه وبين جبلة بن الايهم اذ أشرفت
عليهم العرب المتنصرة فلما رآهم المسلمون صاح بعضهم على بعض يا معاشر المسلمين قد أقبلت عليكم العرب
المتنصرة لقتالكم فما أنتم قائلون قالوا نقاتلهم ونرجو من الله تعالى الظهور عليهم والمعونة وعلى غيرهم وهموا
بالحملة فصاح عليهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقال اصبروا رحمكم الله ولا تعجلوا حتى أكيدهم بمكيدة
يهلكون بها وقال لابي عبيدة رضي الله تعالى عنه أيها الامير ان القوم قد استعانوا علينا بالعرب المتنصرة وهم
أضعاف عددنا وان نحن قاتلناهم بجمعنا كله كان ذلك وهنا منا وضعفا وأريد أن أبعث لهم رسولا من بني عمهم
يكلمهم في شأن ردهم عنا فان فعلوا كان ذلك كسرا لهم وللمشركين ووهنا عظيما وان أبوا الا الحرب والقتال
خرج منا نفر يسير يردونهم على أعقابهم بعزة الله عز وجل قال فتعجب أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال يا أبا
سليمان افعل ما تريد فعند ذلك دعا خالد بن الوليد بقيس بن سعيد وعبادة بن الصامت الخزرجي وجابر بن
عبد الله وأبي أيوب بن خالد بن يزيد رضوان الله عليهم أجمعين فلما وقفوا بين يديه قال لهم يا أنصار الله تعالى
ورسوله هؤلاء العرب المتنصرة يريدون قتالكم وهم من غسان ولخم وجذام وهم بنو عمكم في النسب فاخرجوا
اليهم وخاطبوهم واجتهدوا في ردهم عن حربكم وقتالكم فان فعلوا ذلك والا أخذهم السيف منا ومنكم وكنا
لقتالهم كفؤا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فخرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب المتنصرة
فوجدوا جبلة بن الايهم قد نزل بازاء المسلمين يريد حربهم وقتالهم فلما قربوا من بني غسان نادى جابر بن عبد
الله وقال يا معاشر العرب من لخم وغسان وجذام اننا بنو عمكم ونريد الدنو اليكم قال فأذن لهم جبلة بالدنو اليه
فدخلوا عليه فاذا هو في مضرب من الديباج وقد فرش بالحرير الاصفر وهو جالس وحوله ملوكه وملوك جفنة
فحيوه بتحية ملوك العرب فرفع جبلة أقدارهم وأدنى مزارهم وقال يا بني العم أنتم من الرحم ومن القرابة واني
خرجت اليكم من جهة هذا الجيش الذي يرهقكم فخرج الى رجل منكم فأفرط علي في المقال فما الذي أتى
بكم الي فكان أول من كلمه جابر بن عبد الله وقال يا ابن العم لا تؤاخذنا فيما تكلم به صاحبنا فان ديننا لا يقوم
الا بالحق والنصيحة وان النصيحة لك منا واجبة لانك ذو قرابة ورحم وقد أتينا اليك ندعوك الى دين الاسلام
وتكون من أهل ملتنا ويكون لك ما لنا وعليك ما علينا فان ديننا شريف ونبينا ظريف فقال ما أحب ذلك
ولا غيره انني ضنين بديني وأنتم يا معاشر الاوس والخزرج رضيتم لانفسكم أمرا ونحن رضينا لانفسنا أمرا لكم
دينكم ولنا ديننا فقال له الانصاري ان كنت لا تحب أن تفارق دينك الذي أنت عليه فاعتزل عن قتالنا لننظر
لمن تكون العاقبة والغلبة فان كانت لنا وأردت الدخول في ديننا قبلناك وكنت منا وأخانا وان أقمت على دينك
قنعنا منك بالجزية وأقررناك على بلادك وعلى مواطن كثيرة لآبائك وأجدادك فقال جبلة أخشى ان تركت
حربكم وقتالكم وكانت الدائرة للقوم لا آمن أن يثبوا على بلادي لان الروم لا ترضى مني الا أن أكون مقاتلا
لكم وقد رأسوني على جميع العرب وأنا لو دخلت دينكم كنت دنيا ولا أتبع فقال الانصاري فان أبيت
ما عرضناه عليك فان ظفرنا بك قتلناك فاعتزل عنا وعن سيوفنا فانها تفلق الهام وتبري العظام فتكون الوقعة
بغيرك أحب الينا من الوقعة بك وبمن معك قال وكانت الانصار يريدون بهذا الكلام تخويفه وترغيبه كي
ينصرف عنهم وجبلة يأبى ذلك فقال وحق المسيح والصليب لابد أن أقاتل عن الروم ولو كان لجميع الاهل
والقرابة فقال له قيس بن سعيد يا جبلة أبيت الا أن يحتوي الشيطان على قلبك فيهوي بك في النار فتكون من
الهالكين وانما أتيناك لندعوك الى دين الاسلام لان رحمك متصلة برحمنا فان أبيت فستعاين منا حربا شديدا
يشيب فيه الطفل الصغير ثم وثب قيس بن سعيد وقال لقومه انهضوا على بركة الله تعالى وعونه وحسن طاعته
فبعدا له وسحقا فقام جبلة فاستعد للقتال بعدته قال فركب الانصار خيولهم ورجعوا الى الامير أبي عبيدة وخالد
ابن الوليد رضي الله تعالى عنهما وأعلموهما بمقالة جبلة وانه ما يريد الا القتال فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى

رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثاني اثنين اذ هما في
الغار فقوموا فبايعوه فبايع
الناس أبا بكر مبايعة عامة
بعد بيعة السقيفة الخاصة
ثم تكلم أبو بكر على المنبر
فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال (أما بعد) أيها الناس
فاني قد وليت عليكم
ولست بخيركم فان أحسنت
فأعينوني وان أسأت
فقوموني الصدق أمانة
والكذب خيانة والضعيف
منكم قوي عندي حتى
آخذ له بحقه والقوي
منكم ضعيف عندي حتى
آخذ الحق منه ان شاء الله
تعالى أطيعوني ما أطعت
الله تعالى فاذا عصيت الله
تعالى فلا طاعة لي عليكم
قوموا الى صلاتكم يرحمكم
الله وسمي خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فولي
عامين وثلاثة أشهر وثمانية
أيام (وولي بعده عمر بن
الخطاب) باستخلاف أبي
بكر رضي الله تعالى عنه
وهو أول من دعي أمير
المؤمنين وأول من كتب
التاريخ وأول من أشار
على أبي بكر بجمع القرآن
في المصحف وجمع الناس
في قيام شهر رمضان ولما
أسلم نزل جبريل وقال
يا محمد استبشر أهل السماء
باسلام عمر وبويع له

عنه أبعده الله تعالى فوعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين لينظرن منا جبلة ما ينظر ثم
قال خالد بن الوليد رضى الله تعالى اعلموا معاشر المسلمين ان القوم فى ستين ألف فارس من العرب المتنصرة وهم
حزب الشيطان ونحن ثلاثون ألف فارس من حزب الرحمن ونريد أن نلقى هذا الجمع الكبير فان قاتلنا جبلة
بجمعنا كله كان ذلك وهنا منا ولكن ينتدب منا أبطال ورجال الى قتال هؤلاء العرب المتنصرة فقال أبو سفيان
صخر بن حرب لله درك يا أبا سليمان فلقد أصبت الرأى فاصنع ما تريد وخذ من الجيش ما أحببت فقال انى قد
رأيت من الرأى ان ننتدب من جيشنا ثلاثين فارسا فيلقى كل واحد ألفى فارس من العرب المتنصرة (قال
الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد من المسلمين الا عجب من مقالة خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وظنوا
أنه يمزح بمقالته وكان أول من خاطبه فى ذلك أبو سفيان صخر بن حرب وقال يا ابن الوليد هذا الكلام منك جد
أم هزل فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لا وعيش عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت الا
جدا فقال أبو سفيان فتكون مخالفا لأمر الله تعالى ظالما لنفسك وما أظن ان لك فى هذه المقالة مساعدا ولو
قاتل الرجل منا مائتين كان ذلك أسهل من قولك يقاتل الرجل منا ألفين وان الله عز وجل رحيم بعباده
فرض علينا أن الرجل منا يقاتل الرجلين والمائة المائتين والالف الالفين وانك تقول ثلاثون رجلا منا تلقى
الستين ألف فارس فما يجيبك أحد الى ذلك وان أجابك رجل لما قلته فانه ظالم لنفسه معين على قتله فقال خالد
ابن الوليد رضى الله تعالى عنه يا أبا سفيان كنت شجاعا فى الجاهلية فلا تكن جبانا فى الاسلام وانظر لمن أنتخب
من رجال المسلمين وأبطال الموحدين فانك اذا رأيتهم علمت أنهم رجال قد وهبوا أنفسهم لله عز وجل وما
يريدون بقتالهم غير الله تعالى ومن علم الله عز وجل ذلك من ضميره كان حقا على الله أن ينصره ولو سلك
معظمات النيران فقال أبو سفيان يا أبا سليمان الامر كما ذكرت وما أردت بقولى الا شفقة على المسلمين فاذا قد
صح عزمك على ذلك فاجعل القوم ستين رجلا ليقاتل الرجل منهم ألف فارس من العرب المتنصرة فقال الامير
أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه نعم ما أشار به أبو سفيان يا أبا سليمان فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه والله
يا أيها الامير ما أردت بفعلى هذا الا مكيدة لعدونا لانهم اذا رجعوا الى أصحابهم منهزمين بقوة الله عز وجل
ويقولون لهم من لقيكم فيقولون لقينا ثلاثون رجلا يداخلهم الرعب منا ويعلم ماهان أن جيشنا كفء له فقال
أبو عبيدة رضى الله تعالى عنه ان الامر كما ذكرت الا أنه اذا كان ستون رجلا منا يكونون عصبة ويعين بعضهم
بعضا فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى أنا أنتدب من المسلمين رجالا أعرف صبرهم وقرارهم واقدامهم
فى الحرب وأعرض عليهم هذه المقالة فان أحبوا لقاء الله ورغبوا فى ثواب الله عز وجل فانهم يستجيبون الى
ذلك وان أحبوا الحياة الدنيا والبقاء فيها ولم يكن فيهم من تطيب نفسه للموت فما يخالد الا أن يبذل مهجته لله
عز وجل والله الموفق لما يحبه ويرضاه (قال أبو عبد الله) حدثنا عمرو بن سالم عن جده يرعى بن عدى قال
كنت بين يدى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فدعا بستين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأول ما دعا خالد بن الوليد قال أين عمرو التميمى أين شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أين خالد بن سعيد أين العاص أين يزيد بن أبى سفيان الأموى أين صفوان بن أمية الجمحى أين
سهل بن عمرو العامرى أين ضرار بن الازور الكندى أين رافع بن عميرة الطائى أين زيد الخيل أبيض
الركابين أين حذيفة بن اليمان أين قيس بن سعد أين كعب بن مالك الانصارى أين سويد بن عمرو الغنوى
أين عبادة بن الصامت أين جابر بن عبد الله أين أبو أيوب الانصارى أين عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق
رضى الله تعالى عنهم أجمعين أين عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى أين رافع بن سهل أين يزيد بن عامر أين
عبيد بن أوس أين مالك بن نصر أين نصر بن الحرث أين عبد الله بن ظفر أين أبو لبابة بن المنذر أين عوف أين
عابس بن قيس أين عبادة بن عبد الله الانصارى أين رافع بن عجرة أين عبيد بن عبد الله أين معقب بن قيس
أين هلال أين الصابرون يوم أحد وقد ذكرهم الله تعالى فى كتابه فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين أين
أسيد الساعدى أين كلال بن الحرث المازنى أين حمزة بن عمرو الاسلمى أين يزيد بن عامر (قال الواقدى رحمه الله
تعالى) وقد سمى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الرجال الذين دعاهم لقتال جبلة بن الايهم الا أنى اختصرت
فى ذكرهم وقدمت ذكر الانصار رضى الله تعالى عنهم لان خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه انتخب أكثر

بالخلافة بعد موت أبى بكر
لثمان بقين من جمادى
الآخرة سنة ثلاث عشرة
من الهجرة ولما دفن أبو
بكر صعد المنبر فجلس دون
مجلس أبى بكر ثم حمد الله
وأثنى عليه وصلى على نبيه
صلى الله عليه وسلم وخطب
خطبة بليغة وله فضائل
كثيرة منها جريان النيل
بكتابه الذى أرسله الى عمرو
ابن العاص لما افتتح مصر
وكانت عادته أنه لا يجرى
حتى يأتوا بجارية بكر
يأخذونها من أبويها
ويحلونها بالحلى والثياب
ويلقونها فيه ففى تلك السنة
أخبروا عمرو بن العاص
بذلك فلم يرض بعادتهم
وقال لا يكون هذا فى
الاسلام والاسلام يهدم
ما قبله فمكث النيل
لا يخرج شهر بؤنة وأبيب
ومسرى حتى هم أهل مصر
بالرحيل منها فلما رأى
عمرو بن العاص ذلك
كتب الى عمر بن الخطاب
يخبره بذلك فكتب اليه
بطاقة صغيرة وأمره أن
يلقيها فى النيل فأخذها
عمرو وقرأها فاذا فيها بسم
الله الرحمن الرحيم من
عبد الله أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب الى نيل مصر
أما بعد فان كنت تجرى
من قبلك فلا تجر وان كان
الله الواحد القهار هو الذى
يجريك فنسأل الله الواحد

الرجال من الانصار فلما كثر النداء فيهم قالت الانصار ان خالدا اليوم يقدم ذكر الانصار ويؤخر المهاجرين من ولد المغيرة بن قصي ويوشك انه يختبرهم أو يقدمهم للمهالك ويشفق على ولد المغيرة (قال الواقدي رحمه الله تعالى ورضي عنه) فلما سمع خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ذلك من قولهم أقبل يخط بجواده حتى توسط جميع الانصار وقال لهم والله يا أولاد عامر ما دعوتكم الا لما ارتضيته منكم وحسن يقيني بكم وبايمانكم فأنتم ممن رسخ الايمان في قلبه فقالوا انك صادق في قولك يا أبا سليمان ثم صاح فاتخذ القوم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما انتخب خالد بن الوليد من فرسان المسلمين ستين رجلا كل واحد منهم يلقى جيشا بنفسه قال لهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه يا أنصار الله ما تقولون في الحملة معي على هذا الجيش الذي قد أتى يريد حربكم وقتالكم فان كان لكم صبر وأيدكم الله بنصره مع صبركم وهزمتم هؤلاء العرب المتنصرة فاعلموا أنكم لجيش الروم غالبون فاذا هزمتم هؤلاء العرب وقع الرعب في قلوبهم فينقلبون خاسرين فقالوا يا أبا سليمان افعل بنا ما تريد والتقي ما شاء فوالله لنقاتلن أعداءنا قتال من ينصر دين الله ونتوكل على الله تعالى وقوته ونبذل في طلب الآخرة مهجنا فجزاهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه خيرا وكذلك الامير أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال لهم تاهبوا رحمكم الله وخذوا أسلحتكم وعدتكم وليكن قتالكم بالسيف ولا يأخذ أحد منكم رمحا فان الرمح خوان بما زاغ عن الطعن ولا تأخذوا السهام فانها أمنيا بأمنها المخطئ ومنها المصيب والسيف والحجف عليهما تدور دوائر الحرب واركبوا خيولكم السبق النواجي ولا يركب الرجل منكم الا جواده الذي يصبر به وتواعدوا أن الملتقى عند قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم قال فتقدموا على أهاليهم وودعوهم فأما ضرار بن الأزور فانه عمد الى خيمته استعد بسلاحه وسلم على أخته خولة رضي الله تعالى عنها بنت الأزور فلما لبس لامة حربه قالت له أخته خولة يا أخي مالي أراك تودعني وداع من أيقن بالفراق أخبرني ماذا عزمت عليه فأخبرها ضرار بما قد عزم عليه وانه يريد ان يلقى العدو مع خالد بن الوليد رضي الله عنه فبكت خولة وقالت يا أخي افعل ما تريد أن تفعل والق عدوك وأنت موقن بالله تبارك وتعالى فانه لكم ناصر وان عدوك لا يقرب لك أجلا بعيدا ولا يبعد عنك أجلا قريبا فان حدث عليك حدث أو لحقك من عدوك نائبة فوالله العظيم شأنه لا بد أن خولة على الارض أو تأخذ بثأرك فبكى ضرار بن الازور لبكائها وأعد آلة الحرب وكذلك الستون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينام وأطول ليلتهم حتى ودعوا أولادهم وأهاليهم وباتوا في بكاء وتضرع وهم يسألون الله تعالى النصر على الاعداء الى أن أصبح الصباح فصلى بهم الامير أبو عبيدة رضي الله عنه صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته كان أول من أسرع الى الخروج خالد بن الوليد رضي الله عنه وحرض أصحابه على الخروج وهو ينشد ويقول

هبوا جميع اخوتي أرواحا * نحو العدو ونبتغي الكفاحا
نرجو بذاك الفوز والنجاحا * اذا بذلنا دونه أرواحا
ويرزق الله لنا صلاحا * في نصرنا الغدو والرواحا

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأنشد بيتا آخر لم أدر ماهو وخرج أمام المسلمين وأصحابه يقدمون اليه واحدا بعد واحد حتى اجتمع اليه الستون رجلا الذين انتخبهم وكان آخر من أقبل عليه الزبير بن العوام رضي الله عنه ومعه زوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وهي سائرة الى جانب أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي تدعو لهم بالسلامة والنصر وتقول لاخيها يا أخي لا تفارق ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقت الحملة اصنع كما يصنع ولا تأخذكم في الله لومة لائم قال وودع المسلمون الستون أصحابهم وساروا بأجمعهم وخالد بن الوليد رضي الله عنه في أوساطهم كأنه أسد قد احتوشته الاسود ولم يزالوا حتى وقفوا بازاء العرب المتنصرة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ونظرت العرب المتنصرة الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقبل نحوهم وهم نفر يسير فظنوا أنهم رسل يطلبون الصلح والمواعدة فصاح جبلة بالعرب المتنصرة وحرضهم ليرهبوا المسلمين ونادى يا آل غسان أسرعوا الى نصرة الصليب وقاتلوا من كفر به فبادروا بالاجابة وأخذوا الاهبة للحرب ورفعوا الصليب واصطفوا للقتال وقد طلعت الشمس على لامة الحرب فلمع شعاعها على الحديد والزرد والبيض كأنها شعل نار ووقفوا ينظرون ما يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن قاربوا اما ان العرب المتنصرة ونادى خالد بن الوليد رضي الله عنه يا عبدة الصلبان

القهار أن يجري لك فألقى عمر والبطاقة في النيل قبل الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك العادة السيئة عن أهل مصر وفي خلافته فتحت مصر ودمشق والبصرى وبعلبك وحمص وهرب هرقل من انطاكية الى قسطنطينية (وولي بعده عثمان بن عفان) وكنيته أبو عمرو بعد ثلاثة أيام من وفاة عمر بحكم الشورى فبقي واليا اثني عشر عاما كاملة غير عشرة أيام وقتل سنة خمس وثلاثين في ذي الحجة وله فضائل كثيرة منها تجهيز جيش العسرة بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وكان يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الزيت والخل وكان على مصر في مدة خلافته عبد الله بن أبي سرح وذلك أنه خلع عمرو بن العاص وولى عبد الله على مصر فأقام على ولايته الى أن مات في سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة فكانت مدة ولايته على مصر ثنتي عشرة سنة (ثم ولي بعده علي بن أبي طالب) رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من

ويا أعداء الرحمن هلموا الى الحرب والطعان فلما سمع جبلة كلام خالد رضى الله عنه علم انهم ما خرجوا رسلا وانما خرجوا للقتال فخرج جبلة من بين أصحابه وقد اشتمل بلامة حربه وهو يقول

أنا لمن عبد والصليب ومن به * تسطوا على من عابنا بفعالنا ٥ ولقد علونا بالمسيح وأمه
والحرب تعلم أنها ميراثنا * انا خرجنا والصليب أمامنا ٥ حتى تبددكم سيوف رجالنا

ثم قال جبلة من الصائح بنا والمستنهض لنا فى قتالنا فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أنا فاخرج الى حومة الحرب فقال جبلة نحن قد رتبنا أمورنا لحربكم وقتالكم وأنتم تتربصون عن قتالنا فوحق المسيح لا أجبناكم الى الصلح أبدا فارجعوا الى قومكم وأخبروهم اننا ما نريد الا القتال قال فاظهر خالد التعجب من قوله وقال له يا جبلة أتظن اننا خرجنا رسلا اليك فقال جبلة أجل فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن ذلك أبدا فوالله ما خرجنا الا لحربكم وقتالكم فان قلتم اننا شرذمة قليلة فان الله ينصرنا عليكم فقال جبلة يا فتى قد غررت بنفسك وبقومك اذ خرجت الى قتالنا ونحن سادات غسان ولخم وجذام فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه لا تظن ذلك واننا قليلون فقتالكم رجل منا لالف منكم وتخاف منا رجال أشهى اليهم الحرب من العطشان الى الماء البارد فقال جبلة يا أخا بنى مخزوم لقد كنت أفضلك فى عقلك وأروم بك مرام الابطال حتى سمعت منك هذا الكلام انك أنت وستين رجلا تروموا قتالنا ونحن سادات غسان وأبطال الزمان ها أنا أحمل بهذه الستين ألف فارس فلا يبقى منكم أحد ثم صاح جبلة بقومه يا آل غسان الحملة فلما سمعوا كلام سيدهم حملت الستون ألف فارس فى وجه خالد بن الوليد والستين رجلا فثبت لهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتبك الحرب بينهم فما كنت تسمع الا زئير الرجال وزمجرة الابطال ووقع السيف على البيض الصقال حتى ما ظن أحد من المسلمين ولا من المشركين ان خالدا ومن معه ينجو منهم أحد فبكى المسلمون وأخذهم القلق على اخوانهم وجعل بعضهم يقول لقد غرر خالد بن الوليد باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهلكهم والروم تقول ان جبلة أهلك هؤلاء القوم فهلاك العرب حاصل بايدينا لا محالة ولم يزل القوم فى الحرب والقتال حتى قامت الشمس فى كبد السماء قال عبادة بن الصامت فلله در خالد بن الوليد رضى الله عنه والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم والفضل بن العباس وضرار بن الازور وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضوان الله عليهم أجمعين لقد رأيت هؤلاء الستة قد قرنوا أمنا كبهم فى الحرب وقام بعضهم بجنب بعض وهم لا يفترقون وزادت الحرب اشتعالا وخرقت الاسنة صدور الليوث حتى بلغت الى خزائن القلوب لانقطاع الآجال ولم يزالوا فى القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد قال عبادة بن الصامت فحملت معهم وكنت فى جملتهم وقلت يصيبنى ما يصيبهم ونادى خالد بن الوليد وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ههنا المحشر وقد أعطى خالد القلب مناه فلما حمى بينهم القتال حمل خالد بن الوليد وهاشم والمرقال وتكاثرت عليهم الرجال فلله در الزبير بن العوام والفضل بن العباس وهم ينادون أفرجوا يا معاشر الكلاب وتباعدوا عن الاصحاب نحن الفرسان هذا الزبير بن العوام وأنا الفضل بن العباس أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه فوحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أحصيت للفضل بن العباس عشر بن حملة يحملها عن خالد بن الوليد حتى أزال عنه الرجال والابطال وحملوا على المشركين حملة عظيمة ولم يزالوا فى القتال يومهم الى أن جنحت الشمس الى الغروب والمسلمون قد جهدهم القلق على اخوانهم أما الامير أبو عبيدة رضى الله عنه فانه صاح بالمسلمين وقال يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك خالد بن الوليد ومن معه لا محالة وذهب فرسان المسلمين فاحملوا بارك الله فيكم لننظر ما كان من أمر اخواننا فكل أجاب الى قوله واشارته الا أبا سفيان صخر بن حرب رضى الله عنه فانه قال للامير أبى عبيدة رضى الله عنه لا تفعل أيها الامير فانه لا بد للقوم أن يتخلصوا ونرى ما يكون من أمرهم قال فلم يلتفت أبو عبيدة رضى الله عنه الى كلامه وهم أن يحمل وقد أخذه القلق فبينما هو كذلك واذا جيش العرب المتنصرة منهزمون وأصوات الصحابة رضى الله عنهم قد ارتفعت بالتهليل والتكبير كل ينادى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله والعرب المتنصرة منهزمة على أعقابهم كأنما صاح بهم صائح من السماء فبدد شملهم وأقبل خالد بن الوليد من وسط المعمعة يلتهب عاحقه من التعب وكذا أصحابه الذين كانوا معه قال وان خالد بن الوليد افتقد أصحابه الستين رجلا فلم يجد منهم الا عشرين فجعل يلطم على

المهاجرين والانصار على على رضى الله عنه وقالوا لا بد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لى فى امرتكم فمن اخترتموه رضيته فقالوا نختارك فقال اذا كان ولا بد فان بيعتى لا تكون خفية فخرج من المسجد وبايعه الناس ورحل من المدينة الى الكوفة واستقر بها وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام وقتل غيلة فى الكوفة سنة أربعين من الهجرة فى شهر رمضان وله من العمر ثلاث وستون سنة وكان الوالى على مصر فى مدة خلافته قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الانصارى تولى عليها سنة ست وثلاثين من الهجرة وأقام على ولايته حتى أرسل له معاوية يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان ووعده أن يكون نائبه على العراقين اذا تم له الامر فاشيع عنه أنه بايع معاوية فعزله على وولى على مصر محمد بن أبى بكر رضى الله عنه فلم يزل بمصر قائما على الامر حتى كانت وقعة صفين بين على ومعاوية فاستضعف أهل مصر محمد بن أبى بكر رضى الله تعالى عنه فولى على رضى الله تعالى عنه عليهم الاشتر النخعى ثم

وجهه وهو يقول أهلكت المسلمين يا ابن الوليد فما عذرك غدا عند الرحمن وعند الامير عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبينما هو متحير في ذلك اذ أقبل عليه الامير أبو عبيدة رضي الله عنه وفرسان المسلمين وأبطال الموحدين فنظر أبو عبيدة رضي الله عنه الى خالد بن الوليد وما يصنع بنفسه وقد اشتغل عن متابعة المشركين فقال أبو عبيدة يا أبا سليمان الحمد لله على نصر المسلمين ودمار المشركين فقال خالد بن الوليد اعلم أيها الامير ان الله قد هزم الجيش ولكن أعقبتك الفرحة ترحة فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وكيف ذلك فقال خالد أيها الامير فقدت أربعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الزبير بن العوام بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم الفضل بن العباس وجعل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه يسمي فرسان المسلمين واحدا بعد واحد حتى سمى أربعين رجلا فاسترجع أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال خالد لا بد لعجلك يهلك المسلمون فقال سلامة بن الاحوص السلمي أيها الامير دونك والمعركة فاطلب فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان رأيتموهم والا فالقوم أسرى أو قد تبعوا المشركين فأمر أبو عبيدة فأتوا بهوادي النيران وكان الظلام قد اعتكر فافتقدوا المعركة بين القتلى فاذا قتل من العرب المتنصرة خمسة آلاف فارس وسيدان من ساداتهم وهما رفاعة بن مطعم الغساني والآخر شداد بن الاوس ووجدوا من قتل من المسلمين عشرة رجال منهم اثنان من الانصار أحدهما عامر الاوسي والآخر سلمة الخزرجي فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه يوشك أن بعض الصحابة قد تبع المشركين فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه اللهم ائتنا بالفرج القريب ولا تفجعنا بابن عمة نبيك الزبير بن العوام ولا بابن عمه الفضل بن العباس ثم قال أبو عبيدة معاشر المسلمين من يقفو لنا أثر القوم ويتعرف خبر الصحابة وأجره على الله عز وجل فكان أول من أجابه خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فقال له الامير أبو عبيدة لا تفعل يا أبا سليمان لانك تعبت من شدة الحرب فقال خالد والله لا يمضي في طلبهم غيري ثم غير جواده بفرس من خيول المسلمين وهو فرس حازم بن جبير بن عدي من بني النجار فركبه خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وطلب آثار القوم وتبعه جماعة من المسلمين فما سار خالد بعيدا حتى سمع خالد التهليل والتكبير فأجابهم بمثله فأقبل القوم وفي أوائلهم الزبير بن العوام والفضل بن العباس وهاشم والمرقال فلما نظر خالد اليهم فرح فرحا شديدا ورحب بهم وسلم عليهم وقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه للفضل بن العباس يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أمركم فقال يا أبا سليمان ان هزم الله المشركين وردهم على أدبارهم خائبين فتبعنا آثارهم وان رجالا منا اسروا فرجونا خلاصهم فلم نرهم ولا شك انهم قتلوا فقال خالد رضي الله تعالى عنه ان القوم في الاسر لا محالة فقال له الزبير بن العوام من أين علمت ذلك يا أبا سليمان فقال خالد رضي الله تعالى عنه انا لم نجد في المعركة غير عشرة رجال ونحن عشرون وأنتم خمسة وعشرون وقد أسر خمسة رجال لا محالة وكانت الاسرى رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبي سفيان فعظم ذلك على المسلمين ورجعوا الى أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه فلما نظر الى الفضل بن العباس والى الزبير ابن العوام والمرقال بن هاشم وقد رجعوا سالمين فرحين بما نصرهم الله على الكافرين سجد على قربوس سرجه شكرا لله تعالى فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه معاشر المسلمين لقد بذلت مهجتي أن أقتل في سبيل الله تعالى فلم أرزق الشهادة فمن قتل من المسلمين كان أجله قد حضر ومن أسر كان خلاصه على يدي ان شاء الله تعالى قال وباتت الفرسان في فرح وسرور وباتت الروم في نوح عظيم حين كسرت حامية عسكرهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني من أثق به أن الامير أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه لما نظر الى عساكر الروم معولة على قتاله كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من أبي عبيدة عامر بن الجراح عامله سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين ان كلب الروم هرقل قد استفز علينا كل من يحمل الصليب وقد سار القوم الينا كالجراد المنتشر وقد نزلنا باليرموك بالقرب من أرض الرماة والجولان والعدو في ثمانمائة ألف مقاتل غير التبع وفي مقدمتهم ستون ألفا من العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام فأول من لقينا جبلة ابن الايهم في ستين ألف فارس وأخرجنا اليه ستين رجلا فهزم الله تعالى المشركين على أيديهم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم وقتل من أصحابنا عشرة رجال وهم راعلة وجعفر بن المسيب ونوفل بن ورقة

مات فارجع محمد بن أبي بكر الى ولايته مصر الى ان أرسل له معاوية عمرو ابن العاص في جيوش كثيرة فقتل بعض جيوش محمد بن أبي بكر واستولى على مصر عمرو ابن العاص الى أن مات بها كامر وولى معاوية عليها ولده عبد الله فعمل له عليها سنتين ثم عزله وولى عتبة بن عامر الجهني ثم عزله وولى معاوية بن حديج ثم عزله وولى مسلمة ابن مخلد واستمر على ولاية مصر الى ان مات في خلافة يزيد فولى بعده سعيد بن يزيد فلما ولي ابن الزبير ولي على مصر عبد الرحمن ابن مخزوم القرشي (ثم ولي الخلافة أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما) وبايعه على الموت أكثر من أربعين ألفا من أهل الكوفة وغيرهم وأطاعه الناس وأحبوه أكثر من حبهم لأبيه فبقي ستة أشهر وخلع نفسه كراهية في سفك الدماء ثم دس عليه يزيد بن معاوية السم مع بعض أزواجه فمكث مريضا أربعين يوما ومات بالمدينة خامس ربيع الأول سنة خمس وأربعين من الهجرة ودفن بالبقيع

وقيس بن عامر وسلمة بن سلامة الخزرجي وأسر منهم خمسة رجال وهم رافع بن عميرة وربيعة بن عامر وضرار بن الازور وعاصم بن عمرو ويزيد بن أبي سفيان ونحن على نية الحرب والقتال فلا تغفل عن المسلمين وأمدنا برجال من الموحدين ونحن نسأل الله تعالى أن ينصرنا وينصر الاسلام وأهله والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن قرط الازدي وأمره أن يتوجه الى مدينة يثرب قال عبد الله بن قرط فركبت من اليرموك يوم الجمعة في الساعة العاشرة بعد العصر وقد مضى من شهر ذي الحجة اثنا عشر يوما والقمر زائد النور فوصلت يوم الجمعة في الساعة الخامسة والمسجد مملوء بالناس فأنخت ناقتي على باب جبريل عليه السلام وأتيت الروضة وسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وصليت فيها ركعتين ونشرت الكتاب على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال فضجت المسلمون عند رؤيته وتطاولت الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقبلت يديه وسلمت عليه فلما فتح عمر الكتاب انتقع لونه وتزعزع كونه وقال انا لله وانا اليه راجعون فقال عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب والعباس وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وغيرهم من الصحابة يا أمير المؤمنين أطلعنا على ما في هذا الكتاب من أمر اخواننا المسلمين فقام عمر رضي الله تعالى عنه ورقى المنبر خطيبا وقرأ الكتاب على الناس فلما سمعوا ما فيه ضجوا بالبكاء شوقا الى اخوانهم وشفقة عليهم وكان أكثر الناس بكاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه وقالوا يا أمير المؤمنين ابعث بنا اليهم ولو قدمت أنت الى الشام اشتدت بك ظهور المسلمين فوالله ما أملك الا نفسي ومالي وما أبخل بهما على المسلمين قال فلما سمع عمر بن الخطاب كلام عبد الرحمن بن عوف ونظر الى اشفاق المسلمين وجزعهم على اخوانهم أقبل على عبد الله وقال يا ابن قرط من المقدم على عساكر الروم فقلت خمسة بطارقة أحدهم ابن أخت الملك هرقل وهم قورين والديرجان وقناطير وجرجير وصليبانهم تحت صليب ماهان الارمني وهو الملك على الجميع وجبلة بن الايهم الغساني مقدم على ستين ألف فارس من العرب المتنصرة فاسترجع عمر وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قرأ عمر يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ثم قال ما تشيرون به علي رحمكم الله تعالى فقال له علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أبشر وارحمكم الله تعالى فان هذه الوقعة يكون فيها آية من آيات الله تعالى يختبر بها عباده المؤمنين لينظر أفعالهم وصبرهم فمن صبر واحتسب كان عند الله من الصابرين واعلموا أن هذه الوقعة هي التي ذكرها لي رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يبقى ذكرها الى الابد هذه الدائرة المهلكة فقال العباس على من هي يا ابن أخي فقال يا عماه على من كفر بالله واتخذ معه ولدا فثقوا بنصر الله عز وجل ثم قال لعمر يا أمير المؤمنين اكتب الى عاملك أبي عبيدة كتابا واعلمه فيه أن نصر الله خير له من غوثنا ونجدتنا فيوشك أنه في أمر عظيم فقام عمر ورقى المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وذكر فضل الجهاد ثم نزل وصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته كتب الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أمين الامة أبي عبيدة بن الجراح ومن معه من المهاجرين والانصار سلام عليكم فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فان نصر الله خير لكم من معونتنا واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير يهزم الجمع القليل وانما يهزم بما أنزل الله من النصر وان الله عز وجل يقول ولن تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين وربما ينصر الله العصابة القليل عددها على العصابة الكثيرة وما النصر الا من عند الله وقد قال تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر الآية يا طوبى للشهداء ويا طوبى لمن يتكل على الله فالق العدو بمن معك من المسلمين ولا تيأس بمن صرع من المسلمين فقد رأيت من صرع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عجزوا عن عدوهم في مواطن كثيرة حتى قتلوا في سبيل الله ولم يهابوا القاء الموت في جنب الله تعالى بل جاهدوا في سبيل الله حق جهاده وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقرأه على المسلمين وأمرهم أن يقاتلوا العدو في سبيل الله عز وجل واقرأ عليهم يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وسلمه الى عبد الله بن

ولما حضرته الوفاة قال لاخيه الحسين رضي الله عنهما يا أخي ان أباك استشرف لهذا الامر فصرفه الله تعالى عنه مرارا ولما تولى هذا الامر نوزع حتى جرد السيف فلم يتم له وما صفت له وأنا والله لا أرى ان يجمع الله تعالى لنا أهل البيت بين النبوة والخلافة فاياك أن يستخفك أهل الكوفة (ثم ولي الخلافة بعده أبو عبد الرحمن معاوية ابن أبي سفيان) وكان مدة خلافته بعد ان خاص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وكان أميرا على الشام

قرط وقال له يا ابن قرط اذا أشرفت على المسلمين وقد استوت الصفوف فسر بين صفوف الموحدين وقف على أصحاب الرايات منهم وأخبرهم أنك رسولي اليهم وقل لهم ان عمر بن الخطاب يسلم عليكم ويقول لكم يا أهل الايمان أصدقوهم الحرب عند اللقاء وشدوا عليهم شد الليوث واضربوا هاماتهم بالسيوف وليكونوا عليكم أهون من الذباب فانكم المنصورون عليهم ان شاء الله تعالى ثم اقرأ عليهم ألا ان حزب الله هم الغالبون قال عبد الله بن قرط فقلت له يا أمير المؤمنين ادع الله تعالى لي بالسلامة والسرعة في السير فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم احمه وسلمه واطوله البعيد انك على كل شئ قدير قال عبد الله بن قرط وخرجت من المسجد من باب الحبشة فقلت في نفسي لقد أخطأت في الرأي اذ لم أسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أدري أراه بعد اليوم أم لا قال عبد الله فقصدت حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها جالسة عند قبره وعلى ابن أبي طالب كرم الله وجهه والعباس جالسان عند القبر والحسين في حجر على والحسن في حجر العباس رضي الله عنهم وهم يتلون سورة الانعام وعلى رضي الله عنه يتلو سورة هود فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على رضي الله عنه يا ابن قرط عولت على المسير الى الشام فقلت نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أظن أن أصل اليهم الا والجيش قد التقى والحرب دائرة واذا أشرفت عليهم ولا يرون معي مددا ولا نجدة خشيت عليهم أن يهنوا ويجزعوا وكنت أحب أن أصل اليهم قبل التقائهم بعدوهم حتى أعظهم وأصبرهم فقال على رضي الله عنه فما منعك أن تسأل عمر بن الخطاب أن يدعو لك أما علمت يا ابن قرط ان دعاءه لا يرد ولا يحجب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه لو كان نبي ثان بعدي لكان عمر بن الخطاب أليس هو الذي يوافق حكمه حكم الكتاب حتى قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لو نزل من السماء الى الارض عذاب ما نجا منه الا عمر ابن الخطاب أما علمت ان الله تعالى أنزل فيه آيات بينات أما هو الزاهد التقي أما هو العابد أما هو المشبه بنوح النبي فان كان هو قد دعا لك فقد قرن دعاؤه بالاجابة فقال عبد الله بن قرط ما ذكرت شيئا الا وأنا عارف به من فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكني أردت الزيادة من دعائك ودعاء العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما عند قبر الرسول المعظم المكرم قال فرفع العباس رضي الله عنه يديه وعلى رضي الله عنه كذلك وقالا اللهم انا نتوسل بهذا النبي المصطفى والرسول المجتبى الذي توسل به آدم فأجبت دعوته وغفرت خطيئته الا سهلت على عبد الله طريقه وطويت له البعيد وأيدت أصحاب نبيك بالنصر انك سميع الدعاء ثم قال سر يا عبد الله بن قرط فالله تعالى أكرم من أن يرد دعاء عمر وعباس وعلى والحسن والحسين وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توسلوا اليه بأكرم الخلق عليه قال عبد الله بن قرط فخرجت من الحجرة وأنا فرح مستبشر واستويت على كور المطية وركبت الفلاة وأنا فرح بدعاء على والعباس وعمر رضي الله عنهم أجمعين قال عبد الله فخرجت من المدينة بعد العصر من يومي ذلك الذي دخلت فيه المدينة وأنا أرقب الطريق فلما اختلط الظلام وأسبل الليل سجفه أرخيت زمام المطية فحسبت أنها تطير بي ولم أزل سائرا ثلاثة أيام فلما كانت صلاة العصر من اليوم الثالث أشرفت على اليرموك وسمعت ضجيج أذان المسلمين قال عبد الله فقصدت خيمة الامير أبي عبيدة رضي الله عنه وأنخت ناقتي وسلمت عليه وكان لي منذ فارقته عشرة أيام فأخبرته بدعاء عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب والعباس والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال أبو عبيدة صدقت يا ابن قرط وانهم الكرام على الله عز وجل وان دعاءهم لا يرد ثم قرأ الكتاب على المسلمين فطابت قلوبهم بذلك وقالوا أيها الامير ما منا الا من يطلب الشهادة فالله تعالى يبلغنا اياها (قال الواقدي) حدثني عمرو بن العلاء قال حدثنا ماجد عن الثقات قال لما سار عبد الله بن قرط من المدينة يوم الجمعة فلما كان يوم السبت وقد صلينا الصبح خلف عمر بن الخطاب ونحن نقرأ من القرآن ما تيسر اذ سمعنا ضجة عظيمة وجلبة هائلة ففزعت قلوبنا فخرجنا مبادرين واذا نحن بقوم من اليمن من صدوان وأرض سبا وحضرموت واجتمعوا للجهاد وهم ستة آلاف يقدمهم جابر بن خولد الربعي فترجلت ساداتهم وسلموا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمرهم بالنزول فلما أقبل الظلام جاء ألف فارس من مكة والطائف ووادي نخلة وثقيف يقدمهم سعيد بن عامر وسلموا على عمر ونزلوا بازاء أهل اليمن فلما كان يوم الاحد حل عمر ضيفهم وزودهم وعقد راية حمراء على قناة تامة وسلمها الى سعيد بن عامر قال سعيد بن عامر فهممت بالمسير فقال عمر على رسلك يا ابن عامر حتى أوصيك ثم

عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر وعثمان وفي خلافة على لما عزله صار متغلبا فمكث أميرا وخليفة أربعين سنة وتوفي سنة ستين في رجب (وولي بعده يزيد) ولده فأقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وفي مدة خلافته أرسل الى الحسين بن على رضي الله عنه ليقتله لكونه امتنع من البيعة له وأرسل له أهل الكوفة يبايعونه لتخلصوا من جور يزيد فذهب اليهم بعد امتناعه من ذلك مرارا ليقضي الله أمرا كان مفعولا وكان موته عاشر المحرم سنة احدى وستين ومكث يزيد بعده

أقبل عمر بن الخطاب يمشي راجلا ومعه عثمان بن عفان والعباس وعلى بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف فلما قربوا من الجيش وقف عمر والناس حوله وقال لسعيد بن عامر يا سعيد اني وليتك على هذا الجيش واست بخير رجل منهم الا أن تتقي الله فاذا امرت فارفق بهم ما استطعت ولا تشتم اعراضهم ولا تحتقر صغيرهم ولا تؤثر قويهم ولا تتبع سوالك ولا تسلك بهم المفاوز واقطع بهم السهل ولا ترقد بهم على جادة الطريق والله تعالى خليفتي عليك وعلى من معك من المسلمين فقال له على بن أبي طالب كرم الله وجهه اسمع وصية امامك أمير المؤمنين الذي ختم الله تعالى به الاربعين وسميت به الامة مؤمنين وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعوه تهتدوا وترشدوا فسر يا سعيد واذا وصلت الى أبي عبيدة والتقي بكم الجيش الذي لا تلقون مثله وصعب عليكم امره فاكتبوا الى أمير المؤمنين عمر حتى يوجهني اليكم حتى أقلب أرض الشام على من فيها من المشركين ان شاء الله تعالى قال فسار سعيد بن عامر وهو يقول

نسير بجيش من رجال أعزة * على كل عجاج من الخيل يصبر * الى شبل جراح وصحب نبينا
لننصره والله للدين ينصر * على كل كفار لعين معاند * تراه على الصلبان بالله يكفر

قال وسار يجد السير قال سعيد بن عامر وكنت عارفا ببلاد الشام وطرقه وكنت أسير اليه في السنة مرة أو مرتين عسفا من غير جادة طريق أسير على الركواكب فلما سرت من المدينة وأنا بين يدي المسلمين سلكت بهم على طريق بصرى فضللت عن الطريق وعدلت عن الجادة وأنا محترز من العدو وخائف على المسلمين فعدلت أحيد عن العمارات وأسلك الفلاة توفيقا من الله واكراما ولطفا بعباده المؤمنين فلما ضللت أشكل على الطريق كأني ما سلكته يوما قط فوقفت حائرا حتى تلاحق بي المسلمون فلم أعلمهم بأمري ولا أني ضللت عن الطريق وأنا أقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فسرت يومين وليلتين وأنا أتيه بالناس والمسلمون يسألونني عن ذلك وأنا أقول لهم اني على طريق فلما كان في اليوم العاشر من مسيرنا من المدينة لاح لي جبل عظيم فنظرت اليه وحققته فلم أعرفه فقلت غررت والله بالمسلمين وأنا أقول في نفسي أترى هذا جبل بعلبك وقد سهل علينا الطريق وكان الجبل قد لاح لنا من بعيد من أول النهار وما أدركناه الا والليل قد أقبل فلما صرنا بقربه اعترضنا واد عظيم فيه شجرة عظيمة كبيرة قال فلما تأملت الشجرة عرفتها وقلت لاصحابي أبشروا فقد وصلنا الى بلاد الشام وفتح المسلمين ودخلنا الوادي واذا به وعر ليس فيه جادة ولا طريق فلحق المسلمين من هوله تعب عظيم قال سعيد بن عامر وكان أكثر المسلمين رجالة وانما كان يحمل بعضهم بعضا ويعتقبون على ظهور الخيل والابل فلما نظرت المسلمون الى وحشة ذلك الوادي ووعورة مسالكه قالوا يا سعيد انا نظن انك قد أخطأت الطريق وسلكت بنا غير طريقنا فارحنا في هذا الوادي قليلا فقد أضر بنا المسير قال فاجبتهم الى ذلك وكان في الوادي عين ماء غزيرة فنزل المسلمون عليها فشربوا وسقوا خيلهم وابلهم ورعت الخيل والجمال ورق الشجر ونام أكثر الناس وبعضهم يصلي على محمد قال سعيد بن عامر وكنت جلست في آخر الناس احرسهم وأنا أتلو القرآن العظيم وأدعو الله لنا بالسلامة اذ غلبتني عيناي فنمت فرأيت في منامي كأني في جنة خضراء كثيرة الأشجار والثمار وكأني آكل من ثمرها وأشرب من أنهارها وأجني من ثمرها وأناول أصحابي وهم يأكلون وأنا فرح مسرور فبينما أنا كذلك اذ خرج من بين تلك الشجرة أسد عظيم فزأر في وجهي وهم أن يفترسني وأنا من ذلك فزع مرعوب اذ خرج على الاسد أسدان عظيمان فصرعاه في موضعه فسمعت له خوارا عظيما فانتبهت من نومي وحلاوة ذلك الثمر في في والاسود تتمثل بين يدي قال سعيد بن عامر ففسرتها أنها غنيمة يأخذها المسلمون ويمنعنا منها مانع ونظفر به فقلت في نفسي الجنة هي الشهادة قال سعيد بن عامر ولم ازل جالسا أتلو القرآن وأنا قلق اذ سمعت هاتفا يهتف بي عن عين الوادي وهو يقول

يا عصبة الهادي الى الرشاد * لا تفزعوا من وعر هذا الوادي * ما فيه من جن ولا معادي
ستعلمون معشر العباد * لطف الذي يرفق بالاولاد * ويطرح الرحمة في الاكباد
سيصنع الله بكل شاد * وتغنموا المال مع الاولاد

قال سعيد بن عامر فلما سمعت شعر الهاتف وما بشر به من الغنيمة سجدت لله تعالى شكرا واستيقظ المسلمون لصوت الهاتف قال سعيد بن عامر وكنت قد حفظت من الهاتف بيتا وحفظ سماح ثلاثة أبيات وأنشدني اياها

سنتين ومات ولا يجوز لعنه على الراجح (وولى بعده ولده معاوية بن يزيد) وكان صالحا فاقام اربعين يوما ورأى شدة هذا الامر فخلع نفسه ولزم بيته ومات بعد أربعين يوما من خلعه (وولى بعده عبد الله بن الزبير بمكة) ولم يختلف عليه أحد الا مروان بن الحكم فانه ظهر بالشام ثم توجه الى مصر فملكها واستعمل عليها ولده عبد العزيز فبايعوه ثم رجع الى الشام وجددت له البيعة وذلك في سنة خمس وستين ثم مات عبد العزيز بحلوان فحمل في البحر الى الفسطاط ودفن بقربها

وفرح المسلمون بما سمعوا من الهاتف وطابت قلوبهم بالغنيمة وأقام المسلمون في الوادي حتى أصبح الصباح وصلى بهم سعيد بن عامر صلاة الفجر فلما طلعت الشمس خرج المسلمون من الوادي وحققت تلك الارض والجبل واذا به جبل الرقيم فلما رأيته عرفته فرفعت صوتي بالتكبير وقلت الله أكبر وكبرت المسلمون لتكبيري وقالوا ما الذي رأيت يا ابن عامر فقلت وصلنا الى بلاد الشام وهذا جبل الرقيم قال سعيد وأكثر من معي طغام العرب قالوا يا سعيد وما الرقيم أما تعرفه فحدثتهم بحديث الرقيم قال سعيد فعجبوا من ذلك ثم أقبلت بهم الى الغار فصلوا فيه ثم سرنا حتى أشرفنا على بلاد عمان قال سعيد بن عامر فعدلت الى قرية هناك يقال لها الجنان فنظرت الى دهاقين القرية وهم خارجون منها ومعهم الاهل والاولاد فلما رآهم المسلمون حملوا عليهم من غير اذن لهم وأخذوا بعضهم أسارى فرجع القوم الى القرية وكان فيها حصن منيع فتحصنوا فيها منا قال سعيد بن عامر فقربت من الحصن وصحت بهم وقلت يا ويلكم ما بالكم كنتم خارجين من قريتكم فرجعتم فأشرف على واحد منهم وقال لي يا معاشر العرب اعلموا أننا كنا خارجين من المدينة ففزعنا منكم وذلك أن صاحب عمان بعث الينا وأمرنا بالمسير الى عمان لنكون من تحت كنفه في عمان والآن يا معاشر العرب هل لكم أن نكون في ذمامكم وأمانكم قال سعيد نعم فوقع الصلح بيننا على عشرة آلاف دينار وكتب لهم كتاب الصلح فلما هممت بالمسير قالوا يا معاشر العرب قد صالحناكم ونحن خائفون من قومنا واعلموا ان نقيطاس صاحب عمان لابد ان نلقى منه شدة عظيمة فلو ظفرتم به لكان خيرا لنا ولكم فقلت فكيف نظفر به فقالوا ان الملك ماهان مقدم العساكر قد بعث الينا حتى نسير الى الساحل الى قيسارية لنكون مع قسطنطين ابن الملك هرقل يدا واحدة وبعث بذلك اليه وان أنتم ظفرتم بصاحب عمان ملكتم غنيمة جسيمة فقال سعيد بن عامر رضي الله تعالى عنه وفي كم يكون جيش عمان فقالوا في خمسة آلاف فارس ولكن قد وقع خوفكم في قلوبهم فلن يفلحوا اذا أبدا فقال سعيد بن عامر يا معاشر المسلمين ما تقولون في لقاء هذا البطريق صاحب عمان وأخذ غنيمته فقالوا افعل ما تريد فان قتله الله على أيدينا كان ذلك صلاحا للمسلمين ووهنا على المشركين فقال سعيد بن عامر لاهل القرية على أي طريق يأتي القوم فقالوا على هذا الطريق قال فدلونا على طريق عورية فسرنا الى واد عظيم وكمنا فيه يوما وليلة فلم يأتنا أحد فلما أصبح الصباح قال سعيد يا معاشر المسلمين ان الذي وجهنا اليه عمر بن الخطاب من نجدة أبي عبيدة والمسلمين أفضل من مقامنا ها هنا فاخرجوا رحمكم الله فانا اذا أشرفنا على المسلمين في سبعة آلاف فارس كان ذلك وهنا على المشركين وذلة للكافرين فقال المسلمون يا ابن عامر ان قلوبنا تتوق بالغنيمة فلا تحرمنا ذلك قال فبينما هم في المحاورة اذ أشرف عليهم جماعة من القسوس والرهبان وعليهم ثياب الشعر وفي أيديهم الصلبان وقد حلقوا أوساط رؤسهم فابتدر المسلمون اليهم وأخذوهم وأوقفوهم بين يدي سعيد بن عامر فقال لهم من أنتم وكان فيهم قس كبير فكلم سعيدا وقال نحن رهبان هذه الاديرة والصوامع ونريد أن نصل الى قسطنطين ولد الملك هرقل حتى ندعو للعساكر بالنصر قال سعيد فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فما وراءكم من الاخبار قالوا وراءنا صاحب عمان في خمسة آلاف فارس من فرسان النصرانية وعباد الصليب فقال سعيد اللهم اجعلهم غنيمة لنا ثم قال سعيد للقسيس الذي خاطبه اسمع أيها الشيخ ان نبينا أمرنا أن لا نتعرض لراهب حبس نفسه في صومعة ولولا أنكم تنذرون العدو لخلينا سبيلكم ثم أمر المسلمين أن يوثقوهم كتافا فأوثقوهم بزنانيرهم التي في أوساطهم فبينما نحن كذلك اذ أشرف علينا جيش عمان والرجالة أمامهم يعزلون لهم الحجر من الدروب فلما أشرفوا على المسلمين حمل عليهم المسلمون من غير أهبة ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ووضعوا فيهم السيف فقتلوا الرجالة عن آخرهم فأخبر صاحب عمان بذلك فلما نظر الى صنع المسلمين أمر أصحابه بالحملة فحملوا عليهم حملة عظيمة واقتتلوا اقتتالا شديدا قال سعيد بن عامر ونظرت الى المسلمين وهم يقتلون الروم قتلا ذريعا ويضجون بالتهليل والتكبير فلما نظر البطريق صاحب عمان ما صنع المسلمون بأصحابه ولى منهزما طالب عمان وتبعه قومه وتبعهم المسلمون وبعضهم مال الى الغنيمة والبطريق نقيطاس صاحب عمان في الهرب وكان قد سبق فوقف حتى تلاحق به المنهزمون من قومه قال فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم خيل من ورائهم تسرع بركابها وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وهم زهاء من ألف فارس يقدمهم فارسان كأنهما أسدان أحدهما الزبير بن العوام والآخر الفضل بن العباس فحملوا على الروم

سنة ست وثمانين فأمر بعده عبد الملك فأقام شهرا الا ليلة ثم صرف وولي بعده ابنه عبد الله فأقام الى التسعين فعزله أخوه الوليد وولي سري بن شريك وكان ظلوما عسوفا وأقام والياً بمصر الى أن مات سنة ست وتسعين فولي بعده عبد الملك بن رفاعة فأقام الى سنة تسع وتسعين ثم ولي بعده أيوب الاصبحي فأقام الى سنة احدى ومائة ثم ولي بشر بن صفوان الكلبي فأقام الى سنة ثلاث ومائة ثم تولى أخوه حنظلة فأقام الى سنة خمس ومائة ثم تولى محمد بن عبد الملك أخو هشام بن عبد الملك الخليفة ثم تولى

فقتلوهم

فقتلوهم قتلا ذريعا وحمل الزبير بن العوام على نقيطاس بطريق عمان وهو واقف تحت الصليب فطعنه
فقلبه عن جواده وعجل الله بروحه الى النار وأقبل الفضل بن العباس يجندل الفرسان وينكس الابطال
قال وأشرف سعيد بن عامر على الموضع فرأى الحرب قائمة فظن انه وقع بينهم الخلاف فلما قرب امنهم سمعوا
التهليل والتكبير فقالوا هذه دعوة الحق لمن قالها فاقتحم سعيد بن عامر المعركة فسمع الفضل بن العباس وهو
ينتمي باسمه ويقول أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد
فقلت لله درك يا ابن العباس ومن معك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معى الزبير بن العوام
ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن عامر فوالله ما انفلت من القوم أحد الا بين أسير وقتيل وغنم
المسلمون غنيمة عظيمة وسلم بعضهم على بعض وأقبل الزبير على سعيد بن عامر وقال يا ابن عامر ما الذى
حبسك عن المسير جهتنا وقد جاءنا سالم بن نوفل العدوى وأخبرنا بمسيرك الينا وقد ساءت بك ظنوننا فارسلنا
أبو عبيدة لنغير على عمان والحمد لله على سلامة المسلمين ودمار المشركين ثم أمر الزبير برؤس القتلى فسلخت
وحملتها العرب على أسنة الرماح فكانت الرؤس أربعة آلاف رأس والاسرى ألف أسير قال وأطلق سعيد
ابن عامر الرهبان وسار المسلمون حتى أشرفوا على أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه ورفعوا أصواتهم بالتهليل
والتكبير وأجابهم جيش المسلمين بمثل ذلك فانزعجت قلوب الروم لذلك ونظروا الى ثمانية آلاف فارس
والرؤس معهم على الاسنة فبهتوا لذلك وحدث سعيد بن عامر أبا عبيدة بالنصر وغنيمتهم من الروم فسجد
شكر الله عز وجل وأمر بالالف أسير فضربت أعناقهم والروم ينظرون اليهم قال قطبة بن سويد وأخبرت
الروم أنه لم ينج أحد من جيش عمان (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لما أسر الخمسة من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اغتم لفقدهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكثرهم غما أبو عبيدة بن الجراح وأقبل على
البكاء والتضرع وهو يدعو ان أسر بالخلاص وأما الخمسة فانهم مثلوا بين يدى ماهان لعنه الله تعالى وغضب
عليه فلما نظر اليهم استحقر شأنهم وقال لجبلة بن الايهم من هؤلاء قال أيها الملك هؤلاء قوم من جيش المسلمين وقد
كانوا ستين رجلا فقتلت أكثرهم وأسرت هؤلاء وما بقى فى عسكرهم من تخاف غائلته الا رجل واحد وهو
الذى يثبتهم ويرمى بهم كل المرامى وهو الذى فتح أركة وتدمر وحوران وبصرى ودمشق وهو الذى كسر عساكر
أجنادين وتبع توما وهربيس وقتلهم فى مرج الديباج وأسر ابنة الملك هرقل وهو خالد بن الوليد قال فلما سمع
ماهان من ذلك قال لابد لى أن أحتال على هذا الرجل حتى أحصله عندى وأقتله مع هؤلاء الخمسة الاسرى ثم
دعا ماهان برجل من الروم اسمه جرجة وكان حكيما فاضلا عند الروم فصيحا بلسان العرب فقال يا جرجة أريد
ان تمضى الى هؤلاء العرب وتقول لهم يبعثوا الينا رسولا ولكن هذا الرسول الرجل المسمى بخالد قال فركب جرجة
وسار نحو عساكر المسلمين فالتقى بخالد بن الوليد فقال له ما الذى تريد فقال ان الملك ماهان قد بعثنى اليكم
حتى تبعثوا رجلا منكم فلعل الله أن يحقن دماءنا ودماءكم فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أنا أكون
الرسول اليه وأوقف رسول الروم بين يديه ويدى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنهما وأخبره انه يريد المسير الى
ماهان فقال أبو عبيدة امض يا أبا سليمان سلمك الله تعالى فلعل الله تعالى أن يهديهم أو يدعونا الصلح وأداء
الجزية فتحقن الدماء على يدك فحقن دم رجل واحد أحب الى الله تعالى من أهل الشرك جميعا فقال له خالد بن
الوليد رضى الله تعالى عنه أنا أطلب من الله تعالى العون ثم وثب خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الى خيمته
ولبس خفين حجازيين وتعمم بعمامة سوداء وشد وسطه بمنطقة من الاديم وتقلد سيفه الذى سلبه من مسيلمة
الكذاب يوم اليمامة وأمر عبده همام أن يأخذ قبته الحمراء وكانت من الاديم الطائفى وفيها شمسات من الذهب
الاحمر وحليتها من الفضة البيضاء وكان خالد قد اشتراها من امرأة ميسرة بن مسروق العبسى بثلثمائة دينار
فحملها على بغل وركب خالد جواده فلما هم بالمسير قال له أبو عبيدة يا أبا سليمان خذ معك رجالا من المسلمين
يكونون لك عونا فقال خالد أيها الامير أحب ذلك ولكن لا اكراه فى الدين وليس لى عليهم طاعة فأمر من شئت
فلما سمع المسلمون كلام خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه قال معاذ بن جبل يا أبا سليمان انك من أهل الفضل
ولو أمرتنا بأمر امتثلناه لانك سائر فى طاعة الله تعالى ورسوله (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فاستركب معه مائة
فارس من المهاجرين والانصار منهم المرقال بن عتبة بن وقاص وشرحبيل بن حسنة وسعيد بن زيد بن عمرو بن

حفص بن الوليد فاقام الى
سنة ثمان عشرة ومائة
وولى بعده عبد الرحمن
ابن خالد فاقام سبعة أشهر
وصرف وأعيد حنظلة بن
صفوان فى سنة عشرين
ثم صرف وولى بعده حسان
ابن العتاهية التجيبى سنة
سبع وعشرين ثم أعيد
حفص بن الوليد وعزل
عنها سنة ثمان وعشرين
وولى حوثرة بن سهل
الباهلى ثم ولى المغيرة بن
عبيد الفزارى سنة احدى
وثلاثين ثم ولى الامير عبيد
الله بن مروان سنة اثنين
وثلاثين ومائة وهو آخر من
تولى على مصر من بنى أمية

نفيل العدوى وميسرة بن مسروق العبسى وقيس بن هبيرة المرادى وسهل بن عمرو العامرى وجرير بن عبد الله البجلى والقعقاع بن عمرو التميمى وجابر بن عبد الله الانصارى وعبادة بن الصامت الخزرجى والاسود بن سويد المازنى وذو الكلاع الحميرى والمقداد بن الاسود الكندى وعمرو بن معد يكرب الزبيدى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ولم يزل خالد ينتخب مثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم حتى كمل منهم مائة فارس كل فارس منهم يرد جيشا وحده فأخذوا زينتهم واشتملوا بلباس الحرب وتوشحوا بالابراد وتعمموا بالعمائم وتمنطقوا بالخناجر وتقلدوا بالسيوف وركبوا الخيل العتاق وسار خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وعن يمينه معاذ بن جبل وعن شماله المقداد بن الاسود الكندى والمائة فارس محدقون به قال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه وسرنا ونحن نعلن بالتهليل والتكبير قال نصر بن سالم المازنى فنظرت الى أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه حين سار خالد عنه يقرأ آية من القرآن ودموعه جارية على خديه فقلت أيها الامير ما يبكيك فقال يا ابن سالم هؤلاء والله أنصار الدين فان أصيب رجل منهم فى امارة أبى عبيدة فما يكون عذرى عند رب العالمين وعند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما أشرف خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ومن معه على عساكر الروم نظر المسلمون الى عساكر الروم وهم خمسة فراسخ فى العرض وعن نوفل بن دحية ان خالد بن الوليد لما ترجل عن جواده وترجل المائة جعلوا يتخترون فى مسيرهم ويجرون حمائل سيوفهم ويخترقون صفوف الحجاب والبطارقة ولا يهابون أحدا الى أن وصلوا الى النمارق والفراش الديباج ولاح لهم ماهان وهو جالس على سريره فلما نظر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما أظهر من زينته وملكه عظموا الله تعالى وكبروه وطرحت لهم الكراسى فلم يجلسوا عليها بل رفع كل واحد منهم ما تحته وجلسوا على الارض فلما نظر ماهان الى فعلهم تبسم وقال يا معاشر العرب لم تأبون كرامتنا ولم أزلتم ما تحتكم من الكراسى وجلستم على الارض ولم تستعملوا الادب معنا ودستم على فراشنا قال فقال خالد بن الوليد ان الادب مع الله تعالى أفضل من الادب معكم وبساط الله أطهر من فرشكم لان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا ثم قرأ قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى قال حدثنى عاصم بن رواح الزبيدى قال حدثنا ورقة بن عبد الله الشيبانى قال حدثنا طرفة بن شيبة الخولانى عن عمه جرير وكان محالفا لخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه قال لم يكن بين خالد وماهان ترجمان يبلغ عنهما بل كانا يعدثان كلاهما فقال خالد يا ماهان انى أكره أن أبدأ بالكلام فتكلم أنت بما تريد فانى لست أبالى بما تتكلم ولكل كلام جواب فان شئت فتكلم وان شئت بدأتك قال ماهان أنا ابدؤكم الحمد لله الذى جعل سيدنا الروح المسيح كلمته ورملكنا أفضل الملوك وأمتنا خير الأمم قال فعظم ذلك على خالد بن الوليد وقطع خالد كلامه فقال الترجمان لا تقطع كلام الملك يا أخا العرب واستعمل حسن الادب فأبى خالد أن يسكت بل قال خالد الحمد لله الذى جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الانبياء وجعل اميرنا الذى وليناه امورنا كبعضنا لو زعم انه ملك علينا لعزلناه فلسنا نرى ان له فضلا علينا الا أن يكون أتقى لله عز وجل منا وقد جعل الله أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقر بالذنب وتستغفر منه وتعبد الله تعالى وحده لا شريك له قال فاصفر وجه ماهان وسكت قليلا ثم قال الحمد لله الذى أبلانا وأحسن البلاء الينا وعافانا من الفقر ونصرنا على الأمم وأعزنا ومنعنا من الضيم ولسنا فيما خولنا الله فيه من نعيم الدنيا بطرين ولا باغين على الناس وقد يا معاشر العرب طائفة منكم يغشوننا ويلتمسون نائلنا ورفدنا وجوائزنا ونحن نحسن اليهم ونكرمهم ونكرم ضيفهم ونعظم قدرهم ونتفضل عليهم ونفى لهم بالوعد وكنا نظن أن العرب كلها تعرف لنا ذلك من جميع القبائل وتشكرنا عليه لما أسديناه من عطايانا الجميلة لهم فما شعرنا حتى جئتمونا بالخيل والرجل وظننا انكم تطلبون منا طلب اخوانكم فاذا أنتم على خلاف رأى أولئك جئتم تقتلون الرجال وتسبون النساء وتغنمون الاموال وتهدمون الاطلال وتطلبون ان تخرجونا من أرضنا وتتغلبون على بلادنا وقد طلب منا ذلك من كان قبلكم ممن هو اكثر منكم عددا واكثر اموالا وسلاحا وظهرا فرددناهم خائفين وجلين خائبين بين قتيل وجريح وطريد وطريح فاول ما فعلنا ذلك بملك فارس فرده الله على عقبيه بالخيبة والذل وكذلك فعلنا بملك الترك وملك الجرامقة وغيرهم وانتم لم يكن فى أمة من الامم أصغر منكم مكانا ولا أحقر شأنا لانكم اهل الشعر والوبر والبؤس والشقاء وانكم مع ذلك

وما ذكر من كون ولاية ابن الزبير بعد ولاية معاوية الصغير هو الصحيح عند المؤرخين وبعضهم يذكره بعد ولاية عبد الملك بن مروان وذلك انه لما كانت نوبة معاوية الصغير اجتمع على بيعة عبد الله بن الزبير أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وحج بالناس ثمان حجج وكان عبد الملك بن مروان واليا على أهل الشام فارسل الى ابن الزبير نائبه الحجاج ابن يوسف الثقفى فذهب اليه بمكة وحاربه حتى قتله فى الحرم وكانت مدة خلافة

تظلمون فى بلادكم و بلادنا وحوالينا أمة كثيرة العدد وشوكتنا شديدة وعصبتنا عظيمة وانما أقبلتم علينا لانكم خرجتم من جهد وبة الارض وقحط المطر فانجليتم الى بلادنا وأفسدتم كل الفساد وركبتم مراكب ليست كمراكبكم ولبستم ثيابا ليست كثيابكم وتمتعتم ببنات الروم البيض الأوانس فجعلتموهن خدما لكم وأكلتم طعاما ليس كطعامكم وملئت أيديكم من الذهب والفضة والمتاع الفاخر واقد لقيناكم الآن ومعكم أموالنا وما غنمتموه من قومنا وأهل ديننا وقد تركناه لكم لانطالبكم به ولا ننازعكم فيه ولا نعتب عليكم فيما تقدم من فعالكم والآن فاخرجوا من بلادنا فان أبيتم الانصراف عنا عزمنا عليكم عزمة فنتركم كامس الدابر وان جنحتم للصلح نامر لكل واحد من عسكركم بمائة دينار وثوب ولأميركم أبى عبيدة بالف دينار ولخليفتكم عمر بن الخطاب بعشرة آلاف دينار على أنكم تحلفون لنا أن لاتعودوا الى حربنا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وماهان يرغب تارة ويرهب أخرى وخالد مطرق لايتكلم حتى فرغ ماهان من كلامه فقال خالد ان الملك قد تكلم فاحسن وسمعنا كلامه ونتكلم ويسمع كلامنا ثم قال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه الحمد لله الذى لا اله الا هو فلما سمع ماهان ذلك مد يده الى السماء وقال نعم ماقلت ياعربى فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المرتضى ونبيه المجتبى صلى الله عليه وسلم فقال ماهان ما أدرى أمحمد رسول الله أم لا ولعله كما تقول وتزعم وتذكر فقال خالد رضى الله تعالى عنه حسب الرجل دينه ثم قال أفضل الساعات وخيرها الساعات التى يطلع فيها الله رب العالمين فالتفت ماهان الى قومه وقال بلسانه انه رجل عاقل يتكلم بالحكمة فقال خالد ما الذى قلت لقومك فاخبره بمقالته فقال خالد ان كنت أوتيت العقل فالله تعالى المحمود على ذلك وقد سمعنا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لما خلق الله تعالى العقل وصوره وقدره قال اقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال الله تعالى وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أحب الى منك بك تنال طاعتى وتدخل جنتى فقال ماهان اذا كنت بهذا العقل والفهم فلم جئت بهؤلاء معك قال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه جئت بهم لأشاورهم قال ماهان وأنت مع جودة عقلك وحسن رايك وبصيرتك تحتاج الى مشورة غيرك قال خالد نعم بهذا أمر الله عز وجل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى فى كتابه العزيز وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله وقال صلى الله عليه وسلم ماضاع امرؤ عرف قدره ولا ضاع مسلم استشار فأنا وان كنت ذا رأى وعقل كما تزعم وكما بلغك فانى لا أستغنى عن رأى ذى رأى ومشورة أصحابى قال ماهان وهل فى عسكركم من له رأى مثل رأيك وحزم مثل حزمك قال نعم ان فى عسكرنا أكثر من ألف فارس لايستغنى عن رأيهم ولا عن مشورتهم فقال له ماهان ماكنا نظن ذلك فيكم وانما كان يبلغنا عنكم أنكم طماعون جهال لاعقول لكم يغير بعضكم على بعض وينهب بعضكم أموال بعض فقال له خالد رضى الله تعالى عنه ذلك كان شأن أكثرنا حتى بعث الله عز وجل فينا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فهدانا الرشد ناوعرفنا سبيلنا وفهمنا الخير من الشر والهدى من الضلال فقال ماهان ياخالد انك قد أعجبتنى بما أراه من رأيك وبصيرتك وقد أحببت أن أؤاخيك فتكون أخى وخليلى فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وافرحاه ان تمم الله مقالتك فتكون اذا سعيدا ولا نفترق فقال ماهان وكيف ذلك قال خالد تقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الذى بشر به عيسى بن مريم فاذا فعلت ذلك كنت أخى وكنت أخاك وتكون خليلى وأكون خليلك ولا نفترق لأمر يحدث فقال ماهان أما مادعوتنى اليه من الترك لدينى والدخول فى دينكم فمالى الى ذلك من سبيل فقال خالد بن الوليد وكذلك أيضا لاسبيل الى مؤاخاتى لك وأنت مقيم على دينك دين الضلال قال ماهان أريد أن ألقى الحشمة بينى وبينك وأكلمك كلام الأخ لأخيه فاجبنى عن كلامى الذى دعوتك اليه حتى أسمع ماتقول قال خالد أما بعد فانك تعلم ان الذى ذكرته مما فيه قومك من الغنى والعز ومنع الحريم والظهور على الاعداء والتمكن فى البلاد فنحن عارفون به وكل ماذكرته من انعامكم على جيرانكم من العرب فقد عرفناه ولكن انما فعلتم ذلك ابقاء لنعمتكم ونظرا منكم لانفسكم وذراريكم وزيادة لكم فى مالكم وعزا لكم فتستكثرون بجموعكم وتلقون الشوكة على من أرادكم وأما ماذكرته من فقرنا ورعينا الابل والشا فامنا من لم يرع وأكثرنا رعاة ومن رعى منا كان له الفضل على من لم يرع وأما قولك باننا أهل فقر وفاقة وبؤس وشقاء فنحن لاننكر ذلك وانما ذلك من أجل أنا معاشر العرب أنزلنا الله تعالى منزلا ليس فيه أنهار ولا أشجار ولا زرع الا القليل وكنا أهل جاهلية جهلاء لايملك الرجل منا الا فرسه وسيفه وأباعره وشياهه ويأكل

ابن الزبير تسع سنين وشهرين ولما قتل خلص الامر لعبد الملك بن مروان الى ان مات سنة ست وثمانين بدمشق (وولى بعده ابنه أبو العباس الوليد بن عبد الملك) سنة سبع وثمانين واستمر الى سنة ست وتسعين ومات بدمشق (وولى بعده أخوه سليمان بن عبد الملك) وتوفى سنة تسع وتسعين بعد ان عهد بالخلافة الى ابن عمه أبى حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان فاستمر سنتين وخمسة أشهر ثم مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة وله من العمر تسع وعشرون سنة وكان

قوينا ضعيفنا ولا يامن بعضنا بعضا الا في الاربع الاشهر الحرم نعبد من دون الله الاصنام والاوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ونحن عليها عاكفون ولها عاملون فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار من مات منا مات مشركا وصار الى النار ومن بقي منا كان كافرا بربه قاطعا الرحم حتى بعث الله الينا نبيا نعرف حسبه ونسبه هاديا مهديا رسولا نبيا واماما تقيا أظهر الاسلام بدعوته ودحض المشركين بكلمته جاءنا بقرآن مبين وصراط مستقيم ختم الله تعالى به النبيين وأمرنا بعبادة رب العالمين نعبده ولا نشرك به شيأ ولا نتخذ من دونه وليا ولا نجعل لربنا صاحبة ولا ولدا ولا شريك له ولا ضد ولا ند له ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للصليب ولا للقربان ولا نسجد الا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أنزل الله عليه كلامه الذى هدانا به مولانا فاستجبنا له وأطعنا أمره فكان مما أمرنا به أن نجاهد من لا يدين بديننا ولا يقول بقولنا من كفر بالله واتخذ معه شريكا جل ربنا وتعالى عن ذلك لا تأخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان أخانا وصار له ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى الاسلام كانت عليه الجزية يؤديها الينا عن يد وهو صاغر فاذا أداها حقن بها ماله ودمه وولده ومن أبى الاسلام وأن يؤدى الجزية فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضى الله جل جلاله بحكمه وهو خير الحاكمين ونحن ندعوكم الى هذه الخصال الثلاث ليس غيرها اما أن تقولوا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله أو الجزية في كل عام على كل محتلم من الرجال وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امرأة ولا على راهب منقطع في صومعته قال ماهان فهل بعد قول لا اله الا الله غير هذا فقال خالد نعم أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتحجوا البيت الحرام وتجاهدوا من كفر بالله تعالى وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتوالوا في الله تعالى وتعادوا في الله فان أبيتم ذلك فالحرب بيننا وبينكم حتى يورث الله أرضه من يشاء والعاقبة للمتقين قال ماهان فافعل ما تشاء فانا لا نرجع عن ديننا ولا نؤدى الجزية وأما ما ذكرت من أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلقد صدقت فانها لم تكن لنا ولا لكم بل كانت لقوم غيرنا وغيركم فقاتلناهم عليها حتى ملكناها منهم والحرب بيننا وبينكم فابرزوا على اسم الله تعالى فقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ما أنتم باشهى منا الى الحرب وكاني بجيوشكم وقد انهزمت والنصر يقدمنا وتساق أنت والحبل في عنقك ذليلا حقيرا وتقدم بين يدى عمر بن الخطاب فيضرب عنقك قال فلما سمع ماهان كلام خالد بن الوليد غضب غضبا شديدا قال فلما نظرت البطارقة والحجاب والهرقلية والقياصرة الى غضب ماهان هموا بقتل خالد الا انهم صبروا ينظرون أمره فقال ماهان لخالد وقد استشاط غضبا وحق المسيح لأحضرن أصحابك الخمسة الأسارى واضرب أعناقهم وأنت تنظر اليهم فقال له خالد اسمع ما أقول لك يا ماهان أنت أقل وأذل وأحقر من ذلك واعلم ان هؤلاء الذين في يدك هم منا ونحن منهم فوحق صاحب الدعوة المستجابة وحق بيعة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وخلافة عمر بن الخطاب لئن قتلتهم لأقتلنك بسيفي هذا ويقتل كل رجل منا من قومك بعددهم وزيادة ثم وثب خالد رضى الله تعالى عنه من موضعه وانتضى سيفه من غمده وفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعله وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وجردوا سيوفهم وهاجوا كالجمال أو كالسباع الضوارى واستقتلوا وأيقنوا بالشهادة في ذلك المكان (قال الشيخ أبو عبد الله محمد الواقدى) مؤلف هذا الكتاب والله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمد في أخبار هذه الفتوح الا الصدق وما نقلت أحاديثها الا عن ثقات وعن قاعدة الحق لأثبت فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله لم تكن البلاد للمسلمين وما انتشر علم هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا في الله حق جهاده ونصروا دينه وثبتوا للقاء الاعداء وبذلوا جهدهم ونصروا الدين حتى زحزحوا الكفر عن سريره وتقهقر لاجرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى مسلم بن عبد الحميد عن جده رافع بن مازن قال كنت مع خالد يوم سرنا الى ماهان وكنا في سرادقه فلما جذبنا السيوف وهممنا بالقوم وما في أعيننا من جيوش الروم شئ وقد أيقنا بالحشر من ذلك الموضع (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما رأى ماهان الحقيقة منا ومن خالد وتبين الموت في شفار سيوفنا نادى ماهان مهلا يا خالد لا تكن بهذه العجلة تهلك وأنا أعلم انك ما قلت ذلك القول الا انك رسول والرسول يحمل ولا يقتل وأنا انما تكلمت بما تكلمت لاختبركم وأنظر ما عندكم والآن فما أواخذك فارجع الى عسكرك واعزم على القتال

يقال له أشجع بنى مروان وقبره بدير سمعان من أعمال حمص ويضرب به المثل (وولى بعده ابن عمه يزيد بن عبد الملك بن مروان) أربعة أعوام وشهرا واحدا ومات سنة خمس ومائة (وولى بعده أخوه هشام بن عبد الملك ابن مروان) فبقى متوليا تسع عشرة سنة وسبعة أشهر غير أيام ومات سنة خمس وعشرين ومائة (وولى بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان) سنة واحدة وشهرين وكانت سيرته قبيحة (وولى بعده يزيد بن الوليد) وهو

حتى يعطى الله تعالى النصر لمن يشاء فلما سمع ذلك أغمد سيفه وقال يا ماهان ما تصنع فى هؤلاء الاسرى فقال ماهان أطلقهم كرامة لك واخلى سبيلهم فيكونون عونا لك وان تعجزونا فى الحرب غدا ففرح خالد بذلك وأمر ماهان بتخلية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطلقوا من وثاقهم وهم خالد بالمسير فقال ماهان يا خالد انى كنت أحب أن يصلح الامر بينى و بينكم وانى أسألك حاجة فقال خالد سل ماتريده فقال ان قبتك هذه الحمراء قد أعجبتنى وانى أريد أن تهبها لى وانظر فى عسكرى ما أعجبك من شئ فأهبه لك فقال خالد والله لقد فرحتنى اذ طلبت ما أملكه وهى موهوبة لك وأما ما عرضت على من عسكرك فلا حاجة لى فيه فقال ماهان لله درك أنت تكرمت وأجملت فقال خالد رضى الله عنه وانت أيضا قد تكرمت علينا بما صنعت من اطلاق أصحابى من الاسر ثم انثنى خارجا من عند ماهان وأصحابه من حوله وقدم له جواده فركبه وركب أصحابه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر ماهان أصحابه وحجابه أن يسيروا معهم حتى يبلغوهم قال ففعل القوم ذلك و وصل خالد وأصحابه الى الامير أبى عبيدة رضى الله عنهم أجمعين وسلموا عليه وفرح المسلمون بخلاص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث خالد أبا عبيدة بكل ما جرى لهم ثم قال خالد وحق المنبر والروضة ما كان ماهان ليدلق لنا أصحابنا الافزعا من سيوفنا فقال أبو عبيدة حين سمع ما ذكره خالد والماهان من الخطاب والجدال هذا رجل حكيم الا أن الشيطان غلب على عقله فعلام افترقتم قال على اننا نلتقى معهم ويعطى الله النصر لمن يشاء فلما سمع أبو عبيدة رضى الله عنه ذلك جمع عظماء المسلمين وقام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرهم ان العدو يصبحهم بالقتال فى غداة غد وأمرهم بالاهبة وأقبل فرسان المسلمين يحرض بعضهم بعضا وأقبل خالد على أصحابه وهم عسكر الزحف وقال لهم اعلموا أن هؤلاء الكفرة الذين نصركم الله عليهم فى المواطن الكثيرة قد حشدوا لكم بلاد جموعهم وانى دخلت الى عسكرهم ونظرت اليهم فكأنهم النمل ولكنهم أصحاب عدة بلا قلوب ولا لهم من ينصرهم عليكم وهذه الوقعة بيننا وبينهم وقد أيقنا أن القتال فى غداة غد وأنتم أهل البأس والشدة فما عندكم رحمكم الله تعالى قال فتكلم أصحاب خالد وقالوا أيها الامير القتال بغيتنا والقتل فى سبيل الله تعالى مسرتنا ولا نزال نصبر لهم على الحرب والطعن والضرب حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ففرح خالد بقولهم وقال لهم وفقكم الله تعالى وأرشدكم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم يبق أحد منهم تلك الليلة الا وقد أخذ عدته وأهبته واستعد بآلة الحرب والقتال وباتوا فرحين بالجهاد والثواب وخائفين من العقاب فلما أصبح القوم ولاح الفجر أذن المؤذنون فى عسكر المسلمين حتى ارتفعت لهم جلبة عظيمة بالتوحيد وأسبغوا الوضوء لصلاتهم خلف أبى عبيدة فلما صلوا ركبوا خيولهم الى قتال عدوهم وعبوا صفوفهم للقتال وكانوا ثلاثة صفوف متلاصقة أول الصف لا يرى آخره وأقبل خالد بن الوليد على أبى عبيدة رضى الله عنه وقال أيها الامير من تجعل فى الميسرة قال كنانة بن مبارك الكنانى أو قال عمرو بن معديكرب الزبيدى والله أعلم أيهما كان فولاه الميسرة وأمره أن يكون مكانه فى الميسرة ففعل وضم الى كنانة قيسا قال فسار لما أمره أبو عبيدة رضى الله عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى فضالة بن عامر قال حدثنى موسى بن عوف عن جده يوسف بن معن قال كان هذا الغلام كنانة عارفا بالحرب صاحب شجاعة وغارة وقد ذكر أنه كان من شجاعته وشدة فراسته يخرج من حى قومه بنى كنانة وحده و يسير حتى يأتى أحياء العرب المعادين له فاذا أشرف عليهم صرخ بهم وانتمى باسمه فتثور الرجال على أعناق الخيل فلا يزال يقاتلهم و يقاتلونه فان ظفر بهم كان مراده وان رأى منهم غلبة وعظم عليه أمرهم نزل عن جواده وسعى بين أيديهم فلا يلحقون منه الا الغبار (قال الراوى رحمه الله تعالى) ولما ولاه أبو عبيدة وقف حيث أمره والتفت أبو عبيدة الى خالد وقال يا أبا سليمان قد وليتك على الخيل والرجل فول أمر الرجالة من شئت فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه سأولى أمرهم رجلا لا يؤتى المسلمون من قبله ثم نادى بهاشم بن عتبة بن أبى وقاص وقال له قد ولاك الامير على الرجالة فقال أبو عبيدة رضى الله عنه انزل يا هاشم وكن معهم رحمك الله وأنا أوافقك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورتب أبو عبيدة صفوف المسلمين وعباهم قال خالد بن الوليد رضى الله عنه ابعث الآن الى أصحاب الرايات وقل لهم يسمعوا منى فدعا أبو عبيدة رضى الله عنه بالضحاك بن قيس وقال له يا ابن قيس أسرع الى أصحاب الرايات وقل لهم ان الامير أبا عبيدة يأمركم أن تسمعوا لخالد وتطيعوا أمره ففعل الضحاك ذلك وجعل

الذى قتل ابن عمه الوليد المذكور ومكث ستة أشهر وكانت سيرته حميدة وأزال منكرات كثيرة و يقال له الناقص لانه انتقص أرزاق الجند وكان عادلا يقارب فى سيرته عمر بن عبد العزيز وهما المرادان بقول العرب الناقص والاشج أعدلا بنى مروان فالناقص يزيد والاشج عمر * ولما مات ولى بعده ابراهيم بن الوليد وأقام ثلاثة أشهر واضطرب الامر وانخلع (وولى بعده مروان بن محمد) سنة سبع وعشرين ومائة واضطرب الامر عليه فهرب وقتل بمصر بموضع يقال له أبوصير

يدور على أصحاب الرايات حتى انتهى الى معاذ بن جبل وقال له مثل ذلك قال معاذ بن جبل سمعا وطاعة ثم أقبل معاذ على الناس وقال أما انكم قد أمرتم بطاعة رجل ميمون الغرة مبارك الطلعة فان أمركم بأمر فلا تخالفوه فيما يأمركم به فما يريد غير صلاح المسلمين والاجر من رب العالمين قال فقلت لمعاذ بن جبل انك لتقول في خالد قولا عظيما فقال ما أقول الا ما قد عرفته لله دره وقال الضحاك فرجعت الى خالد وأخبرته بما تكلم به معاذ بن جبل وبما أثنى به عليه فأثنى عليه وقال هو أخي في الله تعالى ولقد سبقت له ولاصحابه سوابق لا يفعلها خالد بن الوليد فنبالة قال الضحاك فرجعت الى معاذ بن جبل وأخبرته بما قال خالد وبما أثنى به عليه وماذكره من أمره وبما أورده من علو شأنه فقال معاذ والله انى احبه في الله تعالى وأرجو من الله أن يكون قد أثابه بحسن نيته ونصيحته للمسلمين (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما وصى الضحاك بن قيس أصحاب الرايات يقول أبي عبيدة بالطاعة لخالد بن الوليد رضى الله عنه جعل خالد يسير بين الصفوف ويقف على كل راية ويقول يا أهل الاسلام ان الصبر قد عزم ان شاء الله تعالى على محبتكم والفشل والجبن سيان من أسباب الخذلان فمن صبر كان حقا على الله نصره على عدوه لان الله معه ومن صبر على حد السيوف فانه اذا قدم على الله تعالى أكرم منزلته وشكر له فعله وسعيه والله يحب الشاكرين قال ومازال خالد رضى الله عنه يقول هذا الكلام لاهل كل راية حتى مر بجماعة الناس ثم ان خالدا جمع اليه خيل المسلمين من أهل الشدة والصبر ومن شهد معه الزحف فقسمهم أربعة أرباع فجعل على أحدهم قيس بن هبيرة المرادى وقال له أنت فارس العرب فكن على هذه الخيل واصنع كما أصنع وجعل على الربع الآخر ميسرة بن مسروق العبسى وأوصاه بمثل ذلك ودعا عامر بن الطفيل على الربع الثالث وأوصاه بمثل ذلك ووقف خالد مع عسكر الزحف (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلم تطلع الشمس الا وقد فرغوا من تعبية صفوفهم للحرب وأما ماهان الارمنى فانه أمر الروم بالزينة والاهبة للحرب ففعلوا ذلك الا ان المسلمين كانوا أسرع في التعبية قال وزحف عسكر الروم الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الروم الى تعبيتهم فكان عسكر المسلمين صفوفهم كالبنيان المرصوص وكأن الطير تظلهم والصفوف متلاصقة والرماح مشرعة مشتبكة قال فلما رأى الروم ذلك داخلهم الفزع والجزع وألقى الله الرعب في قلوبهم ثم ان ماهان عبى عسكره فجعل العرب المتنصرة من غسان ولخم وجذام في مقدمة الصفوف وجعل عليهم جبلة وقدم أمامهم صليبا من الفضة زنته خمسة أرطال وهو مطلى بالذهب وفي أربعة أركانه أربع جواهر تضىء كأنها الكواكب (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثني سنان بن أوس اليربعي قال حدثني عدى بن الحرث الهمدانى وكان ممن حضر الفتوح من أولها الى آخرها قال وكانت الصفوف التى صفها ماهان ثلاثين صفا كل صف منها مثل عسكر المسلمين كله وقد أظهر ماهان بين الصفوف القسوس والرهبان وهم يتلون الانجيل ويترغون وأكثر من الرايات والاعلام والصلبان فلما تكاملت صفوفهم واذا ببطريق عظيم الخلقة قد برز وعليه درع مذهب ولامة حرب مليحة وفي عنقه صليب من الذهب مرصع بالجوهر وتحته فرس أشهب وكان البطريق من عظماء الروم ممن يقف عند سرير الملك فلما برز جعل يرطن بكلام الروم بصوت كالرعد فعلم المسلمون انه يطلب البراز فتوقف المسلمون عن الخروج اليه فصاح خالد وقال أصحاب رسول الله هذا العلج الاغلف يدعوكم لقتاله وأنتم تتأخرون فان لم تخرجوا اليه والا خرج خالد وهم بالخروج واذا بفارس قد خرج من المسلمين على برذون أشهب عظيم الخلقة يشبه برذون المشرك وعلى المسلم لامة حسنة وعدة سابغة وقصد نحو البطريق فلم يكن في رجال خالد من يعرف الفارس الذى خرج فقال خالد لهمام مولاى اخرج الى هذا الفارس وانظر من هو من المسلمين ومن أى العرب هو ومن قومه فمضى همام يهتف به وقد همّ أن يقرب من البطريق فصاح به من أنت يا ذا الرجل من المسلمين رحمك الله فقال أنا روماس صاحب بصرى فلما أخبر خالد به قال اللهم بارك فيه وزد فى نيته فلما صار بازاء العلج كلمه بلسانه فقال الرومى وقد عرفه يا روماس كيف تركت دينك وصبأت الى هؤلاء القوم فقال روماس هذا الدين الذى دخلت فيه دين جليل شريف فمن تبعه كان سعيدا ومن خالفه فقد ضل ثم حمل روماس على العلج وحمل العلج على روماس وتقاتلا ساعة حتى عجب الجمعان منهما فوجد العلج من روماس غفلة فضربه ضربة صعبة أسال دمه قال فاحس روماس بالضربة وقد وصلت اليه فانثنى راجعا نحو المسلمين فاتبعه العلج طالبا لا يقصر عن طلبه وكاد أن يدركه فصاح به فرسان

بالفيوم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقطعت عوته دولة بنى أمية وهم أربعة عشر أولهم معاوية وآخرهم مروان ومدتهم اثنان وثمانون عاما وهى تسعمائة وأربعة وثمانون شهرا وانتقل الامر الى بنى العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكانت ولايتهم بالعراق وينيبون عليهم نوابا بمصر والشام وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم بالعراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها خمسة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى

المسلمين من الميسرة والميمنة تقوى قلب روماس وداخل العلج الجزع والخوف من صياحهم والعلج وقصر عن
طلبه ودخل روماس عسكر المسلمين والدم على وجهه فأخذه جماعة من المسلمين فشدوا جراحه وشكروه
على فعله ووعدوه بالغفران من الله تعالى وهنؤه بالسلامة قال ولما رجع روماس منهزما أعجب العلج بنفسه
وأظهر عناده وأغلظ فى كلامه وطلب البراز فهم أن يخرج اليه ميسرة بن مسروق العبسى فقال له خالد يا ميسرة
ان وقوفك فى مكانك أحب الى من خروجك الى هذا العلج وأنت شيخ كبير وهذا علج عظيم الخلق والشاب
شجاع ولا أحب أن تخرج اليه فانه لا يكاد الشيخ الكبير يقاوم الشاب الحدث ولا سيما ان شمرة من مسلم أحب
الى الله تعالى من جميع أهل الشرك فرجع ميسرة الى مكانه وهم أن يخرج اليه عامر بن الطفيل وقال أيها
الامير انك قد عظمت قدر هذا الرومى الذميم وأدخلت فى قلوب المسلمين منه الرعب فقال خالد ان الفرسان
تعرف أكفاءها فى الحرب وما يخفى على ما هو فيه من الشجاعة والشدة وأنت لا تقاومه لانه ما برز بين أصحابه
وبين شجعانه الا وهو فارس فى قومه فقف فى مكانك فوقف عامر بن الطفيل فى مكانه ولم يخالف قال والعلج
يدعو الى البراز والحرب فأقبل الى خالد الحرث بن عبد الله الازدى فلما وقف بين يديه قال أيها الامير أخرج
اليه قال خالد لعمرى ان لك جسارة وقوة وشدة وما علمتك الا شهما فان شئت أن تخرج فاخرج على اسم الله
واعزم فأخذ الازدى اهبته وهم أن يخرج فقال خالد رضى الله تعالى عنه على رسلك يا عبد الله حتى أسألك فقال
اسأل قال خالد هل بارزت أحدا قبله قال لا قال فارجع يا ابن أخى ولا تخرج فانك غير مجرب الحروب وهذا
فارس قد جرب الحرب وجربته وعرف مصادرها وما أحب أن يخرج اليه الا رجل مثله بصير بالحروب وجعل
خالد يقول ذلك وينظر الى قيس بن هبيرة فقال يا أبا سليمان انى أظنك تعرض بى واياى تعنى أنا أبرز اليه قال خالد
ابرز على اسم الله تعالى فانك كفؤ والله تعالى يعينك عليه وخرج قيس بن هبيرة وأجرى جواده حتى ابتل
عريكته وكسر حدته ثم سرحه نحو البطريق وهو يقول بسم الله وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب
من البطريق فلما نظر العلج الى فعاله علم أنه فارس شديد من فرسان المسلمين فعدل نحوه وقصد اليه وتحاملا
قال فبادره قيس بن هبيرة وضربه على هامته فتلقاها العلج فى حجفته فقد سيف ابن هبيرة الحجفة ووصل الى
البيضة فاشتبك فيها وهم أن يخرج سيفه فامتنع عليه وضرب العلج قيس بن هبيرة على حبل عاتقه فثبت
للضربة والتقيا بعد الضربتين فطرح العلج نفسه عليه يريد أسره وهو جبار من الجبابرة وكان قيس بعد
رجوعه من قتال أهل الردة قد عود نفسه الصيام والقيام وهو نحيف الجسم فلما نظر قيس الى العلج وقد ظهر
عليه انجذب من يده وبعد عنه وجعل ينظر اليه شزرا ويضمر له مكرا الا ان سيفه قد خرج من يده فثنى عنان
فرسه يريد عسكر المسلمين ليأخذ سيفا ويعود الى القتال وقد أيس من نفسه فلما عطف راجعا صاح العلج فى
أثره وسعى فى طلبه فقصر قيس بن هبيرة فى سيره وقال فى نفسه أنت مرادك الشهادة وتهرب من هذا العلج
فرجع الى العلج فصاح به خالد يا قيس سألتك بالله ورسوله الا رجعت وتركت حدتها على فقال قيس يا خالد
لقد أقسمت على بعظيمين ولكن ان رجعت اليك أتزيد فى أجلى قال لا قال فلم اختار الفرار وأكون من أصحاب
النار بل أصبر وأفوز بالغفران من الله تعالى ثم انه عطف على قرنه وليس فى يده سيف بل استل خنجرا كان
معه على وسطه قال ونظر خالد الى قيس بن هبيرة وليس فى يده سيف فقال من يأخذ هذا السيف ويدفعه الى
قيس ابتغاء ثواب الله تعالى قال عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنا يا أبا سليمان فقال خالد
أنت والله لها يا ابن الصديق ثم أخذ عبد الرحمن سيفه ولحق قيس بن هبيرة يريد أن يناوله السيف فلما نظرت
الروم الى عبد الرحمن وقد لحق بقيس ظنوا أنه يريد أن يعاون قيسا على صاحبهم فخرج عليه بطريق آخر
وأقبل الى صاحبه ووقف بازائه قال فدفع عبد الرحمن السيف الى ابن هبيرة ووقف معه وجعل البطريق الآخر
يتكلم بكلام لا يفهمه عبد الرحمن فقال عبد الرحمن ياويلك ما الذى تقول فانى لا أعرف كلامك فخرج اليه ترجمان
وقال له يا معاشر العرب ألستم ذكرتم أنكم أصحاب نصفة وحق قال عبد الرحمن بلى قال الترجمان فما رأينا من
نصفتكم شيئا يخرج فارسان الى فارس قال عبد الرحمن انما خرجت لأعطى صاحبى هذا السيف وأرجع ولو
خرج الينا منكم مائة لواحد ما كبر علينا ولا عظم لدينا وها أنتم ثلاثة وأنا واحد وأنا لكم كفؤ قال فأخبر
الترجمان صاحبه بذلك فجعل ينظر اليه شزرا فقال عبد الرحمن يا قيس قد تعبت فقف وتفرج على وانظر

سنة خمسين وستمائة وكان
يظن بقاؤها فيهم الى ان
يسلموها للمهدى فى آخر
الزمان (وأول من ولى منهم
عبد الله السفاح) بن
محمد بن على بن عبد الله
ابن عباس بالكوفة سنة
اثنتين وثلاثين ومائة
فأقام أربع سنين وثمانية
أشهر (وولى بعده
المنصور) أبو جعفر وكان
أكبر سنا من السفاح
واسمه عبد الله بن محمد
ببغداد وهو الذى بنى
بغداد سنة مائة وأربعين
وجعلها قاعدة ملكه
وسماها مدينة السلام
وأقام اثنتين وعشرين سنة
وتوفى سنة ثمان وخمسين

ما يكون مني ومنهم ثم حمل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما على الذي كان يخاطبه فطعنه في نحره فأخرج السنان يلمع من ظهره فوقع مجندلا ونظر العلجان الى صاحبهما المجندل فحملا على عبد الرحمن وقصداه فأراد قيس بن هبيرة أن يعاونه عليهما فقال له عبد الرحمن سألتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق أبي بكر الا تركت عبد الرحمن يصطلي بهما فان قتلت فأنت شريكي في الثواب وأقرئ عائشة مني السلام وقل لها أخوك قد لحق بهملك وأبيك فتأخر قيس عنه وقد تعجب من فعاله فحمل عبد الرحمن على أحد العلجين وهو الاول فطعنه برمحه فاشتبك السنان في درعه فرمى عبد الرحمن الرمح من يده وانتضى سيفه وقام في الركاب وضرب العلج بسيفه ضربة طرحه بها نصفين ونظر العلج الثالث الى عبد الرحمن وجراءته فبقي حائرا متعجبا من حاله ونظر قيس الى البطريق وهو متحير باهت فبانت له فيه غفلة فقال ما يوقفك يا قيس وحمل على البطريق وضربه ضربة هشم بها هامته فسقط الى الارض صريعا فلما نظرت الروم الى أصحابهم قال بعضهم لبعض ما هؤلاء العرب الا شياطين (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأخبر ماهان بفعالهم فقال لقومه ان الملك كان أخبر بهؤلاء القوم وحق المسيح لقد أعلم أن لكم أمرا فان لم تحملوا عليهم بكثرتكم والا فما تقوم لكم قائمة قال فأتاه بطريق من البطارقة وسارر ماهان في أذنه طويلا ثم ازاح عنه وقد اصفر وجه ماهان وسكت كأنه أخرس فاستخبروا ماهان عما حدثه البطريق فلم يخبرهم قال فحدث من رأى ذلك أنه سأل جبلة بن الايهم فقال لما أخبر ماهان بخبر الثلاثة وفيهم البطريق الاول قال ماهان انهم منصورون عليكم فقال له البطريق في أذنيه أيها الملك الحق ما قلت اعلم اني رأيت البارحة في منامي كأن رجالا نزلوا من السماء الى الارض وهم على دواب بلق وشهب وعليهم كامل السلاح وأحدقوا بهؤلاء العرب ونحن قيام بازائهم لا يخرج أحد من عسكرنا الا قتلوه حتى أتوا على أكثرنا وأظن انهم هؤلاء الذين نراهم في اليقظة لان واحدا منهم قتل ثلاثة منا وما هم الا منصورون علينا من السماء قال فكسر بهذا قلب ماهان فلم يرد جوابا فاجتمع القوم يسألونه عما قاله البطريق فلم يخبرهم فلما أكثروا عليه السؤال تكلم فيهم كالخطيب وقال يا أهل هذا الدين انكم ان لم تقاتلوا كنتم من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وان الله عز وجل لم يزل لدينكم ناصرا وظهيرا وان لله الحجة عليكم اذ بعث فيكم رسولا وأنزل عليه كتابا ولم يتبع رسولكم الدنيا وأمركم أن لا تتبعوها وفي كتابه لا تظلموا فانه لا يحب الظلم والظالمين فلما اتبعتم الدنيا وظلمتم وخالفتم نصر أعداؤكم عليكم فساعديكم عند خالقكم بذر كتم أمر نبيكم وما انزل عليكم في كتاب ربكم وهؤلاء العرب بازائكم يريدون قتل فرسانكم وسبي ذراريكم ونسائكم وأنتم على المعاصي والذنوب ولا تخافون من علام الغيوب فان نزع الله سلطانكم من أيديكم وأظهر عدوكم عليكم فذلك بحق منه وعدل لانكم لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان ماهان لما سمع كلام البطريق الذي رآه في المنام أمره أن يكتمه وأما قيس بن هبيرة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فأخذا اسلاحهم وأسلابهم ورجعا الى المسلمين فدفعا السلب الى أبي عبيدة فقال هو لكما ومن قتل فارسا فله سلبه فهكذا عهد علينا عمر ابن الخطاب فأخذا السلب ووقف قيس في موضعه الذي أقامه خالد فيه ورجع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق الى ميدان الحرب فجال بين الصفين وكان قد ركب أشهب البطريق الذي قتله فرآه لا ينبعث تحته كما عهد من خيل العرب فرجع وغيره من تحته بفرس غيره وحمل على ميمنة الروم فشوش صفوفهم وقتل منهم فارسين ورجع فحمل على القلب ثم انثنى على الميسرة فرشق بالسهام ورجع حتى وقف في صدر الجيش وجعل يفزع الروم باسمه ويدعو الى البراز فخرج اليه علج من علوج الروم فما جال غير ساعة حتى قتله فخرج اليه آخر فقتله فقال خالد اللهم ارعه بعينك واحفظه فان عبد الرحمن قد اصطلى اليوم الحرب بنفسه ثم ان خالدا صاح به يا عبد الرحمن بحق شيبة أبيك وبيمته الا رجعت الى مكانك فرجع حين أقسم عليه قال حزام بن غنم قلت لرجل ممن شهد اليرموك أكانت النساء معكم مشاهدات القتال قال نعم احداهن أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام وخولة بنت الازور ونسيبة بنت كعب وأم أبان زوجة عكرمة بن أبي جهل وعزة بنت عامر بن عاصم الضمري مع زوجها مسلمة بن عوف الضمري ورملة بنت طليحة الزبيري ورعلة وامامة وزينب وهند ويعمر ولبنى وأمثالهن رضي الله تعالى عنهن فلقد كن يقاتلن قتالا يرضين به الله ورسوله (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عبد الملك بن عبد الحميد وكان قد شهد وقعة اليرموك وقال أولها شر رنار وآخرها ضرام

متوجها الى الحج ودفن قريبا من مكة (وولي بعده المهدي) محمد بن عبد الله المنصور فأقام عشر سنين وشهرين وأياما وتوفي سنة تسع وستين ومائة (وولي بعده ابنه الهادي) موسى بن محمد المهدي فأقام عاما واحدا وشهرا وتوفي سنة سبعين ومائة (وولي بعده أخوه هرون الرشيد) فأقام ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وهو من أجل ملوك الارض له نظر في العلم والآداب وكان يصلي في كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص ماله كل يوم بألف درهم وكان يحب العلم ويوقر

الحرب وان كل يوم يأتى من القتال أصعب من اليوم الآخر قال عمرو بن جرير فشهدنا فى اليوم الاول حربا يسيرا
وذلك ان ماهان أمر عشرة من الصفوف أن تحمل على المسلمين بعد أن قتل عبد الرحمن من قتل وحمل المسلمون
عليهم فالتقت الرجال بالرجال فنظر أبو عبيدة وكان واقفا الى ماهان ولم يحمل على المسلمين فعلم ان الامر يصعب
فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وجعلوا يتلون قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ولم يزل الحرب بين الفريقين من قيام الشمس فى قبة
السماء الى أن همت بالغروب ولم ينفصل الجمعان حتى فرق الليل بينهم فحينئذ افترق الجمعان وهم ما يعرفون الا
بالشعار وخرج كل قوم من العرب يهتفون بشعارهم وينادون بانسابهم ورجعت كل فئة الى مكانها واستقبل
المسلمين نساؤهم فصارت تحمل المرأة مرطها تمسح به عن وجه زوجها وتقول له ابشر بالجنة يا ولى الله وبات
المسلمون فى خير وسرور وأوقدوا النيران وذلك ان القتل فى أول يوم لم يتبين فى الفريقين بل قتل من الروم يسير
ومن المسلمين عشرة رجلان من حضرموت أحدهما يقال له مازن والثانى يقال له صارم وثلاثة من عسفان رافع
ويحلى وعلى وواحد من الانصار وهو عبد الله بن الاخرم وثلاثة من بجيلة وواحد من مراد وهو سويد ابن أخى
قيس بن هبيرة فحزن عليه قيس لما فقده فعلم أنه فى القتلى فخرج قيس وخرج معه رجال من قومه حتى أتوا
موضع المعركة وفتشوا عليه فلم يروه فلما هم بالرجوع نظر الى ناس قد أقبلت من جهة الروم يطلبون مكان الوقعة
وهم يطلبون بطريقا كان معظما عندهم فقال قيس لجماعته أخمدوا ناركم فوالله لآخذن بثار ابن أخى من هؤلاء
القوم قال فاخمدوا نارهم ورقدوا بين القتلى وتأهبوا للقتال واذا بالروم قد أتوا وهم نحو مائة وهم فى زينة عظيمة
وآلة وعدة وكان مع قيس سبعة من قومه فقالوا له ان القوم مائة ونحن سبعة وقد منا من التعب فقال قيس
ارجعوا أنتم وانى والله أطلب الموت لا أريد غيره وأجاهد فى الله حق جهاده فجزوا من قوله ووقفوا معه وقفة
الكرام وأقبلت الاعلاج يريدون المعركة يدورون بين القتلى وقد وقفوا بالعلج وهو الذى برز أولا وقتله ابن أبى
بكر الصديق فلما احتملوه وولوا يريدون عسكرهم صاح بهم قيس من ورائهم وتابعه أصحابه بالصياح فذهلوا
ورموا البطريق ووضع المسلمون السيف فيهم وجعلوا يقتلونهم قتلا ذريعا وكان قيس اذا ضرب فيهم يقول هذا
عن ابن أخى قال فقتل منهم ستة عشر رجلا وقتل أصحابه أكثر القوم وانفلت الباقون فلما فرغ قيس من القوم
عاد يطلب ابن أخيه نحو عسكر الروم وسمع أنينا فاقبل نحوه فاذا هو ابن أخيه سويد بن بهرام المرادى فلما عرفه
بكى فقال ما أبكاك يا ابن أخى فقال يا عماه انى تبعت القوم فرجع الى واحد منهم وطعننى فى صدرى وانى لأعالج
منها أمرا عظيما وهؤلاء الحور العين فى حذائى ينتظرن خروج روحى قال فبكى قيس وقال يا ابن أخى لكل
أجل كتاب ولعل أن يكون فى أجلك طول فقال هيهات والله يا عم افتقدر أن تحملنى الى عسكر المسلمين فاموت
هناك قال أجل قال ثم احتملته على ظهرى وأقبلت به الى عسكر المسلمين وقصدت به الى رحله وصحبته وسمع أبو
عبيدة بمجئ قيس فأتى اليه ورأى الغلام يجود بنفسه فجلس عند رأسه وبكى وبكت المسلمون فقال له أبو
عبيدة كيف تجدك يا ابن أخى فقال بخير والله وغفران وجزى الله محمدا عنا خيرا ولقد صدقنا فى قوله وهذه
الحور تنادى وتشخص فمات قال فحفرنا له حتى واريناه التراب قال وأخبره قيس بمن قتل فى تلك الليلة من
المشركين ففرح فرحا شديدا وعلم أن ذلك علامة النصر قال وبات الناس فى ليلتهم يقرؤن القرآن ويصلون
ويسألون المعونة والنصر قال وأما ماهان فانه لما رجع الى عسكره اجتمع اليه البطارقة والرهبان والقسوس
فقدموا له طعاما ومدوا له سماطا فلم يأكل منه شيأ مما وقع فى نفسه من الرؤيا التى رآها البطريق وكان ماهان
يود لو ترك الامر وصالح على أداء الجزية ولكنه كان مغلوبا على أمره وأقبلت الملوك والقسوس والبطارقة
والرهبان على ماهان وقالوا ما بال الملك امتنع من الطعام فان كان ذلك من غم على من مات وعلى ما جرى عليه
من الحرب فان الحرب سجال فيوم لك ويوم عليك واعلم أيها الملك أن القوم يناظرون وما غلبكم الا ان
نحمل عليهم فلا يبقى منهم أحد قال ماهان ما أظنكم غير منصورين الا من تغير أديانكم والجور فى سلطانكم
بهذا انصرت العرب عليكم فقام اليه رجل وقال أيها الملك عشت الدهر وأنا رجل من أهل دينكم وكان لى مائة
رأس من الغنم وكان فيها ولدى يرعاها فضرب فيها عظيم من عظماء أصحابك الفسطاط الى جانبها ثم انه عدا
عليها فأخذ منها حاجته وأخذ بقيتها أصحابه فجاءنى زوجتى تشكو اليه انتهاب غنمى فلما رآها أمر بها فأدخلت

أهله وكانت أيامه من
حسنها كأنها أعراس
وله أخبار كثيرة فى اللهو
واللذات وتوفى سنة ثلاث
وتسعين ومائة (وولى
بعده ابنه محمد الامين)
فأقام أربع سنين وسبعة
أشهر وثمانية أيام وقتل
ليلة الاحد لخمس بقين
من المحرم سنة ثمان
وتسعين ومائة ببغداد
(وولى بعده أخوه عبد
الله المأمون بن هرون
الرشيد) فأقام عشرين
سنة وخمسة أشهر وفى
مدته خرج أهل مصر
عن طاعة الخليفة
وامتنعوا من وزن الخراج
وطردوا العمال من البلاد
وصارت فتنة عظيمة

اليه فطال مكثها عنده فلما رأى ولده ذلك دنا من الفسطاط فاذا هو يجامع أمه فصاح الغلام فأمر البطريق
بقتل الغلام فقتل فأتيت أريد خلاص ولدي وزوجتي فأمر بي فضربت بالسيف فتلقيت الضربة بيدي
فقطعها ثم انه أخرج يده فاذا هي مقطوعة قال فغضب ماهان عند ذلك غضبا شديدا وقال للمعاهد أتعرف هذا
البطريق الذي فعل بك ذلك قال نعم هو هذا وأومأ بيده الى بطريق من البطارقة فنظر اليه ماهان مغضبا
قال فغضب البطريق وغضب البطارقة لغضبه ومالوا على المعاهد فضربوه بأسيافهم حتى قطعوه وماهان
ينظر اليهم فزاد غضبه وقال خذلتم وهلكتم وحق المسيح يا ويلكم ترجون النصر وأنتم تفعلون هذه الفعال
اما تخافون القصاص غدا وان الله ينتقم منكم وينزع منكم صالح ما أعطاكم ويعطيه غيركم ممن يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر فوالله أنتم الآن عندي كالكلاب وسوف ترون عاقبة هذا كله والى أي مصير مصيركم
يكون قال ثم انه قام وتركهم فلما انصرف القوم ولم يبق عنده الا بطريق واحد قال له أيها الملك والله ان القوم
لكما تقول وما أظن الا انا مغلوبون واعلم أني رأيت في منامي كأن رجالا نزلوا من السماء على خيل شهب
فاحدقوا بهؤلاء العرب وعليهم كامل السلاح ونحن وقوف بازائهم فنظرت اليهم ولا يخرج منا أحد الا قتلوه حتى
أتوا على أكثرنا وذكر له كما قال ذلك الاول فأقبل ماهان يفكر طول ليلته فيما يصنع في أمر المسلمين فلما
أصبح الصباح عبى المسلمون صفوفهم ونظروا الى عسكر الروم واذا فيه ارتماد وانزعاج فعلموا ان لهم أمرا
(قال أبو عبيدة) دعوهم ولا تبتدوا عليهم فان الباغي مخذول قال واجتمعت البطارقة والملوك الاربعة الا ماهان
وهم قناطر وجرجير والديرجان وقورين وهم أصحاب الجيش يستأذنونه في الحرب فقال ماهان وكيف لي
أن أقاتل بقوم ظالمون ان كنتم أحرارا فقاتلوا عن سلطانكم وامنعوا عن حريمكم فقالوا الآن أحببنا الحرب
فوحق المسيح لا نفارقهم حتى ننفيهم من الشام الى بلادهم أو يقتلونا أو نقتلهم فثق بقولنا وانهض بنا اليهم فاذا
عزمت على القتال فدع كل واحد منا يقاتل يوما حتى تعرف منا من هو أفرس وأشد ويضجر المسلمون من
المطاولة وتجمع علينا وأطلعنا وأموالنا فان كانت على العرب رددنا كل شئ الى مكانه وان كانت للعرب علينا
الحقوا ببلادهم وقومهم ويكون الامر بيننا وبينهم في يوم واحد أو يومين فقال له ماهان لعنه الله هذا هو الرأي
أمهلوا الى أن أكتب الى الملك بمثل ذلك ثم انه كتب الى هرقل أما بعد فاسأل الله لك أيها الملك ولجيشك النصر
ولاهل سلطانك العز والنصر وانك بعثتني فيما لا يحصى من العدد واني قدمت على هؤلاء العرب فنزلت
بساحتهم وأطمعتهم فلم يطمعوا وسألتهم الصلح فلم يقبلوا وجعلت لهم جعلا على أن ينصرفوا فلم يفعلوا وقد فزع
جند الملك منهم فزعا شديدا واني خشيت أن يكون الفشل قد عمهم والرعب قد دخل في قلوبهم وذلك لكثرة
الظلم فيهم وقد جمعت ذوي الرأي من أصحابي وذوي النصيحة للملك وقد أجمع رأينا على النهوض اليهم جميعا في يوم
واحد ولا نزايلهم حتى يحكم الله بيننا فان أظهر الله عدونا علينا فارض بقضاء الله واعلم ان الدنيا زائلة عنك فلا
تأسف على ما فات منها ولا تغتبط منها بشئ في يديك والحق بمعاقلك وبدار ملكك بالقسطنطينية وأحسن الى
رعيتك يحسن الله اليك وارحم ترحم وتواضع لله يرفعك الله فانه لا يحب المتكبرين ولقد عملت حيلة في احضار
أميرهم خالد ومنيته ورغبته فما أجاب ورأيته على الحق مقيما فأردت أن أفتك به وأمكر فخفت عاقبة المكر
والغدر وما نصر هؤلاء الا بالعدل واتباع الحق بينهم والسلام ثم طوى الكتاب وبعث به مع أصحابه من العلوج
(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وبقي ماهان سبعة أيام أخر بعد الوقعة الاولى لم يقاتل المسلمين ولم يقاتلوه وبعث
أبو عبيدة برجل من عيونه ينظر ما الذي أخر الروم عن القتال فغاب الرجل يوما وليلة ثم عاد وأخبر أبا عبيدة أن
ماهان قد كاتب الملك وهو منتظر الجواب فقال خالد بن الوليد ما أخر ماهان عن قتالنا الا وقد وقع الفزع في
قلبه فازحف بنا اليهم فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه لا تعجل فان العجلة من الشيطان (قال الواقدي رحمه
الله تعالى) وكان أبو عبيدة رجلا لين العريكة يحب الرفق فلما كان في اليوم الثامن نظر ماهان الى تلهف أصحابه
على الحرب والقتال فعزم ان يلقى بهم المسلمين وقد فرح بنشاطهم فدعا برجل من المتنصرة من لخم وقال له اذهب
فادخل هؤلاء العرب وتجسس لي أخبارهم وانظر ما عندهم قال فمضى اللخمي حتى دخل عسكر أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأقام فيهم يوما وليلة يطوف في عسكرهم وليس أحد من المسلمين ينكره وهم آمنون وليس
لهم همة الا اصلاح شأنهم والصلاة والقرآن والتسبيح وليس فيهم عدوان ولا ظلم ولا أحد يتعدى على أحد وقصد

بمصر حتى كادت أن
تخرب فحضر وأطفأ تلك
الفتنة وقتل من القبط
خلقا كثيرا ورجع الى
بغداد وتوفي غازيا في
أرض الروم في رجب سنة
ثمانية عشر ومائتين
ودفن بطرسوس (وولي
بعده المعتصم بالله) محمد
ابن هرون الرشيد ورحل
عن بغداد واتخذ قاعدة
ملكه سر من رأى وكان
لا يقرأ ولا يكتب فأقام
ثمانية أعوام وثمانية
أشهر وثمانية أيام وتوفي
سنة سبع وعشرين
ومائتين (وولي بعده ابنه
الواثق بالله) هرون
ابن محمد فأقام خمس

الموضع الذى فيه أبو عبيدة رضى الله عنه فنظر اليه كأنه أضعف ضعيف فى العرب ساعة يجلس على الارض وساعة ينام عليها فاذا كان وقت الصلاة قام وأسبغ الوضوء وأذن المؤذن وصلى بالناس ونظر المتنصر الى المسلمين وهم يصنعون كصنعه فقال المتنصر ان هذه طاعة حسنة ويوشك انهم ينصرون قال فرجع الى ماهان وحدثه بما رأى من القوم وما عاينه وقال أيها الملك انى جئتك من قوم يصومون النهار ويقومون الليل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر رهبان فى الليل ليوث بالنهار ولو سرق واحد منهم ولو كان كبيرهم قطعوه ولو زنى رجموه لا يغلب هواهم على الحق بل الحق عندهم غالب وأميرهم كأضعف من فيهم الا أنه مطاع عندهم ان قام قاموا وان قعد قعدوا ومناهم القتال وشهوتهم النزال ومرادهم أن يموتوا شهداء فى قتالكم وما تأخروا عن قتالكم الا ليكون البغى منكم اذا بدأتموهم فقال ماهان هؤلاء القوم منصورون غير انى قد وجدت حيلة أعملها عليهم فقال المتنصر ما الحيلة أيها الملك فقال ماهان ألست زعمت أنهم لا يبدؤن بالقتال حتى نقاتلهم فنكون نحن الباغين قال نعم قال فانا لا نطلب الحرب بل نطول بيننا وبينهم وندهمهم على حين غفلة دون عدتهم ولا أخذ حذرهم فعسى أن نظفر بهم قال ثم ان ماهان جمع الملوك وجعل يعقد لهم الرايات والصلبان حتى عقد ستين ومائة صليب تحت كل صليب عشرة آلاف وكان أول صليب عقده لقناطر وكان نظيره فى الرتبة وأمره أن يكون فى الميمنة ثم عقد صليبا للديرجان وضم اليه الارمن والبجد والنوبة والروسية والصقالبة ثم عقد لابن أخت الملك صليبا على الافرنج والهرقلية والقياصرة والبرقل والدوقس وعقد لجبلة بن الايهم عقدا وضم اليه المتنصرة من لخم وجذام وغسان وضبة وأمره أن يكون على المقدمة وقال أنتم عرب وأعداؤنا عرب والحديد لا يقطعه الا الحديد ثم فرق الاعلام فى أجناد عسكره فانفجر الفجر وبان الصباح وأضاء بنوره ولاح حتى فرغ من تعبية جيوشه وترتيب طلائعه وأمر بمضرب له فضرب على كثيب عال على جانب اليرموك يشرف منه على العسكرين وأوقف عن يمينه ألف فارس عتاة حماة الروم شاكين السلاح وعن يساره كذلك وهم الملكية وأصحاب السرير وأمرهم باليقظة وقال أى كرب يكون على العرب أعظم من هذه فانكم على تعبية وهم على غير أهبة فاذا طلعت الشمس ورأيتم المسلمين على غير تعبية فاحملوا عليهم من كل جانب ومكان فاهم فى عسكرنا الا كالشامة البيضاء فى جلد الثور الاسود هكذا سمعت اياد بن غالب الحميرى يذكر وكان من المعمرين قال حدثنى جواد بن أسيد السكاسكى عن أبيه أسد بن علقمة قال فلما انشق الفجر أذن المؤذن وتقدم أبو عبيدة وصلى بالناس وهو لا يعلم بمكيدة ماهان فقرأ فى أول ركعة والفجر وليال عشر حتى قرأ ان ربك لبالمرصاد اذ هتف بهم هاتف وهم فى الصلاة وهو يقول ظفرتم بالقوم ورب الكعبة وما يغنى عنهم كيدهم شيأ وما أجرى الله هذه الآية على لسان أميركم الا بشارة لكم فلما سمع المسلمون كلام الهاتف تعجبوا مما سمعوا ثم قرأ فى الركعة الثانية والشمس وضحاها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها واذا بالهاتف يقول تم الفأل وصح الزجر وهذه علامة النصر فلما فرغ أبو عبيدة من صلاته قال يا معاشر المسلمين هل سمعتم الهاتف قالوا نعم سمعنا قائلا يقول كذا وكذا فقال أبو عبيدة والله هذا هاتف النصر وبلوغ الامل فابشروا بنصر الله ومعونته فوالله لينصرنكم الله وليرسلن عليهم سوط عذاب كما أنزل على القرون الاول ثم قال أبو عبيدة معاشر القوم انى رأيت الليلة فى منامى رؤيا تدل على النصر على الاعداء والمعونة من الملأ الأعلى فقالوا أصلح الله شأن الامير فما الذى رأيت قال رأيت كأنى واقف بازاء أعدائنا من الروم اذ حف بنا رجال وعليهم ثياب بيض لم أر كهيئتها حسنا لبياضها اشراق ونور يغشى الابصار وعلى رؤسهم عمائم خضر وبأيديهم رايات صفر وهم على خيول شهب فلما اجتمعوا حولى قالوا تقدموا على عدوكم ولا تهابوهم فانكم غالبون فان الله ناصركم ثم دعوا برجال منكم وسقوهم بكاس كان معهم فيه شراب وكأنى أنظر عسكرنا وقد دخل فى عسكر الروم فلما رأونا ولوا بين أيدينا منهزمين فقال رجل من المسلمين أصلحك الله أيها الامير وأنا رأيت الليلة رؤيا فقال أبو عبيدة خيرا تكون ان شاء الله تعالى ما الذى رأيت يرحمك الله فقال رأيت كأنا خرجنا نحو عدونا فصاففناهم للحرب وقد انقضت عليهم من السماء طيور بيض لها أجنحة خضر ومخاليب كمخاليب النسور فجعلت تنقض عليهم كانقضاض العقبان فاذا جاءت للرجل ضربته ضربة فيقع قطعا قال ففرح المسلمون بتلك الرؤيا وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد أمنكم الله وأيدكم بالنصر وأمدكم بملائكته تقاتل معكم كما فعل بكم يوم بدر قال فسر أبو عبيدة بذلك وقال هذه رؤيا حسنة وهى حق وتأويلها

سنين وشهرا وتوفى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (وولى بعده أخوه المتوكل على الله جعفر بن محمد) فاقام أربع عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام وقتل غرة شوال سنة سبع وأربعين ومائتين (وولى بعده ابنه المستنصر بالله محمد بن جعفر) فاقام ستة أشهر (وولى بعده المستعين بالله أحمد بن المستنصر) فاقام ثلاث سنين وتسعة أشهر وخلع سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل (وولى بعده ابن أخيه المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله) فاقام ثلاث سنين وسبعة أشهر وقتل سنة

النصر وانى أرجو من الله تعالى النصر وهو عاقبة المتقين فقال رجل من المسلمين أيها الامير ما وقوفنا عن
هؤلاء الكلاب الاعلاج وما انتظارك للحرب وعدو الله يريد كيدنا بتطاوله وما تأخرنا الا بلية يريد أن يوقعنا
بها قال أبو عبيدة ان الأمر أقرب مما تظنون قال سعيد بن رفاعة الحميرى فبينما نحن كذلك اذ سمعنا الاصوات قد
علت والزعقات قد ارتفعت من كل جانب يهتفون بالقتال وان الروم قد زحفت الينا فنظر أبو عبيدة ان
المسلمين قد كبسوا فى وجه السحر فقام اليرى وكان على حرس المسلمين تلك الليلة سعيد بن زيد وعمرو بن نفيل
العدوى رضى الله تعالى عنهما اذ اقبل سعيد وهو ينادى النفير النفير حتى وقف أمام أبى عبيدة ومعه رجل من
المتنصرة فقال أيها الامير ماهان كاد المسلمين بتخلفه عن الحرب زاهدا وقد عبى عساكره وصف جيوشه وزحف
علينا زحف من يريد الكبسة بنا ونحن على غير اهبة ولا عدة وهذا الرجل قد اقبل الينا راغبا فى الاسلام محذرا
لنا من باسه ويزعم ان ماهان قد قدم الينا حماة البطارقة وقد اتفق رأيهم على أن يقاتلنا كل ملك من ملوكهم
بمن معه وهذا أصعب القتال ونظر المسلمون الى رايات الروم تقرب منهم والصلبان تدنو فقال أبو عبيدة لا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال أين أبو سليمان خالد بن الوليد فاجابه بالتلبية فقال له أنت لى يا أبا سليمان فابرز
فى أبطال المسلمين وصد عن الحريم الى أن تأخذ الرجال صفوفها وتستعد بآلات حربها فقال حبا وكرامة
فنادى خالد أين الزبير بن العوام أين عبد الرحمن بن أبى بكر أين الفضل بن العباس أين يزيد بن أبى سفيان
أين ربيعة بن عامر أين ميسرة بن مسروق العبسى أين ميسرة بن قيس أين عبد الله بن أنيس الجهنى أين صخر
ابن حرب الاموى أين عمارة الدوسى أين عبد الله بن سلام أين غانم الغنوى أين المقداد بن الاسود الكندى أين
أبوذر الغفارى أين عمرو بن معديكرب الزبيدى أين عمار بن ياسر العبسى أين ضرار بن الازور وأين عامر بن
الطفيل أين أبان بن عثمان بن عفان وجعل خالد يدعوهم رجلا بعد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكل رجل منهم يلقى جيشا فاجتمعوا الى خالد باجمعهم واشتغلوا بالحرب واشتغل أبو عبيدة بترتيب
الصفوف وتعبية العساكر فاقبل أبو سفيان الى أبى عبيدة وقال له أيها الأمير مر نساءنا أن يعلون على هذا التل
قال نعم الرأى ما رأيت فامرهن بذلك ففعلن وعلون على التل وحصن أنفسهن وأولادهن ومعهن الاطفال
والاولاد فقال لهن أبو عبيدة خذن بايديكن أعمدة البيوت والخيام واجعلن الحجارة بين أيديكن وحرضن
المؤمنين على القتال فان كان الامر لنا وظفر فكن على ما انتن عليه وان رأيتن أحدا من المسلمين منهزما
فاضربن وجهه باعمدتكن وارضخنه بحجارتكن وارفعن اليه أولادكن وقلن له قاتل عن أهلك وولدك وعن
دين الاسلام فقال النساء أيها الامير أبشر بما يسرك (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) فلما حصن أبو
عبيدة النساء على التل أقبل يعبى جيشه وقد ابتدر الناس القتال بعدما عباهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين
وقدم أصحاب الرايات وكانت راية المهاجرين صفراء وفيها أبيض وأخضر وأسود وسائر القبائل أيضا راياتهم
مختلفة وجعل المهاجرين والانصار فى القلب وأظهر المسلمون العدة والسلاح وجعل عسكره ثلاثة صفوف نصف
فيه الثمالة من أهل اليمن وصف فيه أصحاب الخيل والعدة وقسم الخيالة ثلاثة فرق فجعلها فى الثلاثة صفوف
واستعمل عليهم ثلاثة من المسلمين أحدهم غياث بن حرملة العامرى والثانى مسلمة بن سيف اليربوعى والثالث
القعقاع بن عمرو التميمى ووقف المسلمون تحت راياتهم ووقف أبو عبيدة تحت رايته التى عقدها له أبو بكر
الصديق رضى الله تعالى عنه يوم مسيره الى الشام وهى راية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء التى سار بها
يوم خيبر قال ومع خالد راية العقاب وكانت سوداء وجعل على الرجالة شرحبيل بن حسنة وعلى الجناح الأيمن
يزيد بن أبى سفيان وعلى الأيسر قيس بن هبيرة فلما ترتبت الصفوف سار أبو عبيدة بين الصفوف وجعل
يحرض المؤمنين على القتال ويقول ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والزموا الصبر فان الصبر منجاة
من الكرب ومرضاة للرب ومقمعة للعدو فلا تزايلوا صفوفكم ولا تنقضوا نيتكم ولا تخطوا خطوة الا وأنتم
تذكرون الله ولا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم وشرعوا الرماح واستتروا بالدرق والزموا الصمت الا من ذكر
الله ولا تحدثوا حدثا حتى آمركم ثم رجع الى مقامه من القلب فوقف فيه ثم خرج من بعده معاذ بن جبل فطاف
على الناس يحرضهم يقول يا اهل الدين ويا أنصار الهدى والحق اعلموا رحمكم الله تعالى ان رحمة الله لا تنال
الا بالعمل والنية ولا تدرك بالمعصية والتمنى بغير عمل مرضى ولا تدخل الجنة الا بالأعمال الصالحة مع

خمس وخمسين ومائتين
(وولى بعده ابن عمه
المعتمد على الله أحمد بن
جعفر المتوكل على الله)
فاقام عشرين سنين وتوفى
سنة ست وستين ومائتين
(وولى بعده أخوه
المعتضد بالله أحمد بن
المتوكل) فاقام تسع سنين
وتسعة أشهر ونصفا
وتوفى سنة تسع وثمانين
ومائتين وكان قد رجع
الى بغداد وسكنها وانقطع
حج الخلفاء بانفسهم فى
خلافته (وولى بعده ابنه
المكتفى بالله على بن
أحمد) فاقام ستة أعوام
ونصفا وعشرين يوما
ومات سنة خمس
وتسعين ومائتين

رحمة الله ولا يؤتى الله الرحمة والمغفرة الواسعة الا الصابرين والصادقين ألم تسمعوا قوله جل من قائل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون واستحيوا من الله أن يراكم فى فرار من عدوكم وأنتم فى قبضته ليس لكم ملجأ من دونه ولم يزل معاذ يقول ذلك الى أن رجع الى مقامه ثم خرج سهل بن عمرو ومشى بين الصفوف وهو شاكى السلاح وراكب فرسه متقلد سيفه وهو يقول مثله ثم رجع وخرج من بعده أبو سفيان فطاف بين الصفوف وهو شاكى السلاح راكب فرسه متقلد سيفه معتقل رمحه وهو يقول معاشر العرب الكرام السادة العظام قد أصبحتم فى ديار الاعلاج منقطعين عن الاهل والاوطان ووالله لا ينجيكم منهم الا الطعن الصائب فى أعينهم والضرب المتدارك فى هاماتهم وبذلك تبلغون أربكم وتنالون الفوز من ربكم واعلموا أن الصبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم فاصدقوا القتال فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وأمصارهم واستعبدتم أبناءهم ونساءهم وان وليتم فليس بين أيديكم الا مفاوز لا تنقطع الا بالزاد الكثير والماء الغزير ولا ترجعوا الى دور ولا الى قصور فامنعوا بسيوفكم وجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال ثم خرج من بين الصفوف وأقبل على النساء وهن على التل وفيهن المهاجرات وبنات الانصار وغيرهن من نساء المسلمين ومعهن أولادهن فقال لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان النساء ناقصات عقل ودين فكن ممن احتفظن على أديانهن وقدمن فى ذلك النية وحرضن أزواجهن على القتال ومن رجع منهم منهزما فاحصبن وجهه بالحجارة واضربن جواده بالعمد واظهرن أولادكن لأزواجكن حتى يرجعوا قال فوقف النساء وهن مستعدات متنمرات متحزمات بأشعارهن ورجع أبو سفيان الى موضعه وهو يقول معاشر المسلمين قد حضر ما ترون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجنة أمامكم والشيطان والنار وراءكم وأقبل حتى وقف مكانه ولم تغن مكيدة ماهان شيأ ورجعت الروم الى ورائها حين نظروا خالدا زحف اليهم فى خمسمائة فارس فخافوا لذلك ورجعوا حتى اصطفت الصفوف وعبى المسلمون كتائبهم فقال ماهان ما يوقفكم عن قتالهم فازحفوا اليهم فزحف الروم الى المسلمين فنظر خالد الى جيش عظيم عرمرم قال وكان ماهان قد أنفذ ثلاثين ألفا من عظمائهم فحفروا لهم فى الميمنة حفائر ونزلوا فيها وشدوا أرجلهم بالسلاسل واقترن كل عشرة فى سلسلة التماسا لحفظ عسكرهم وحلفوا بعيسى بن مريم والصليب والقسيسين والرهبان والكنائس الاربع أن لا يفروا حتى يقتلوا عن آخرهم فلما نظر خالد الى ما صنعوا قال لمن حوله من جيش الزحف هذا يوشك أن يكون يوما عظيما ثم قال اللهم أيد المسلمين بالنصر ثم أقبل على أبى عبيدة وقال أيها الامير ان القوم قد اقترنوا فى السلاسل وزحفوا الينا بالقواضب ويوشك أن يكون على الناس يوما عظيما فقال لهم ان العدو عدده كثير وما ينجيكم الا الصبر ثم قال لخالد فما الذى ترى من الرأى يا أبا سليمان (قال الواقدى) وكان ماهان قدم من الروم من عرفت شجاعته وعلمت براعته واشتهر بالثبات فى بلادهم وهم مائة ألف فلما نظر خالد اليهم شهد لهم بالفروسية وانهم من أهل الشدة وقال لابى عبيدة ان الرأى عندى أن توقف فى مكانك الذى أنت فيه سعيد بن زيد وتقف أنت من وراء الناس فى مائتين أو فى ثلثمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا علم الناس أنك من ورائهم استحيوا من الله ثم منك أن لا يفروا قال فقبل أبو عبيدة مشورته ودعا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة فأوقفه أبو عبيدة مكانه ثم انتخب أبو عبيدة مائتى فارس من اليمن وفيهم رجال من المهاجرين والانصار ووقف بهم من وراء الجيش بحذاء سعيد بن زيد (قال حدثنى) ورقة بن مهلهل التنوخى وكان صاحب راية أبى عبيدة يوم اليرموك قال وكان أول من فتح باب الحرب يوم اليرموك فى جيش السلاسل غلام من الازد حدثا كبسا فقال لابى عبيدة أيها الامير انى أردت أن أشفى قلبى وأجاهد عدوى وعدو الاسلام وأبذل نفسى فى سبيل الله تعالى لعلى أرزق الشهادة فهل تأذن لى فى ذلك وان كان لك حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرنى بها قال فبكى أبو عبيدة وقال أقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وأخبره انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال ثم دفع الغلام الازدى جواده وحمل يريد الحرب فخرج اليه علج من الروم قام من الرجال على فرس أشهب فلما رآه الغلام قصد نحوه وقد احتبس نفسه فى سبيل الله تعالى فلما قرب منه

(وولى بعده أخوه المقتدر بالله جعفر بن أحمد) وله من العمر ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة من بنى العباس أصغر سنا منه فأقام خمسا وعشرين سنة غير أيام وتوفى فى شوال سنة عشرين وثلثمائة (وولى بعده أخوه القاهر بالله محمد بن أحمد) فأقام عاما واحدا وستة أشهر وأياما وسملت عيناه سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وعاش خاملا مضاعا الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده ابن أخيه الراضى بالله محمد بن جعفر المقتدر) فأقام ست سنين وعشرة أشهر وأياما ومات سنة

قال لابد من طعن وضرب صائب * بكل لدن وحسام قاضب
عسى أنال الفوز بالمواهب * فى جنة الفردوس والمراتب

قال وبعد شعره حمل كل منهما على صاحبه وابتدأ الغلام الازدى الرومى بطعنة فجدله صريعا وأخذ عدته وجواده وسلم ذلك لرجل من قومه وعاد الى البراز فخرج اليه آخر فقتله وثالث ورابع فقتلهم فخرج اليه خامس فقتل الازدى فغضبت الازد عند ذلك ودنت من صفوف المشركين فعندها أقبلت الروم وزحفت كالجراد المنتشر حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين فقال أبو عبيدة ان أعداء الله قد زحفوا عليكم فقاتلوهم واعلموا أن الله معكم وثبتوا نفوسكم بالصبر والصدق واللقاء والنصر من الله ثم رمق الى السماء بطرفه وقال اللهم اياك نعبد واياك نستعين ولك نوحد ولا نشرك بك شيأ وان هؤلاء أعداؤك يكفرون بك وبآياتك ويتخذون لك ولدا اللهم زلزل أقدامهم وأرجف قلوبهم وأنزل علينا السكينة وألزمنا كلمة التقوى وآمنا عذابك يامن لا تخلف الميعاد اللهم انصرنا عليهم يامن قال فى كتابه العزيز واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير قال فبينما هو يدعو بهذه الدعوات اذ حملت الروم على ميمنة المسلمين وكان فيها الازد ومذحج وحضرموت وخولان فحملت عليهم الروم حملة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام وقاتلوا قتالا شديدا وثبتوا ثباتا حسنا وحملت عليهم كتيبة ثانية فصبروا صبرا جميلا وحملت عليهم كتيبة ثالثة فأزالوا المسلمين عن الميمنة فابتدرهم عمرو بن معديكرب الزبيدى وهو المقدم على زبيد والامير عليهم وهم يعظمونه لما سبق من شجاعته فى الجاهلية وكان يوم اليرموك قد مر له من العمر مائة وعشرون سنة الا أن همته همة الشجعان فلما نظر الى قومه وقد انكشفوا صاح فى قومه يا آل زبيد يا آل زبيد تفرون من الاعداء وتفزعون من شرب كاس الردى أترضون لأنفسكم بالعار والمذلة فما هذا الانزعاج من كلاب الاعلاج أما علمتم ان الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين فاذا نظر اليهم وقد لزموا الصبر فى مرضاته وثبتوا لقضائه أمدهم بنصره وأيدهم بصبره فأين تهربون من الجنة أرضيتم بالعار ودخول النار وغضب الجبار قال فلما سمعت زبيد كلام سيدهم عمرو بن معديكرب رجعوا اليه وعطفوا عليه عطفة الابل على أولادها فاجتمعوا حوله وهم زهاء من خمسمائة فارس وراجل وشدوا على القوم شدة واحدة وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان وحملوا حملة صعبة فأزالوا الروم عن أماكنهم وحملت دوس مع أبى هريرة وهز رايته وهو يحرض قومه على القتال ويقول أيها الناس سارعوا الى معانقة الحور العين فى جوار رب العالمين وما من موطن أحب الى الله من هذا الموطن ألا وان الصابرين قد فضلهم الله على غيرهم الذين لم يشهدوا مشهدهم فلما سمعت دوس كلامه طافوا به وحملوا على الروم حملة منكرة ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحى وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين فمادت الخيل تنكص بأذنابها راجعة على أعقابها منكشفة كانكشاف الغنم بين أيدى الاسد ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على أعقابها فنادت النساء يا بنات العرب دونكن والرجال ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا الى الحرب قالت سعيدة بنت عاصم الخولانى كنت فى جملة النساء يومئذ على التل فلما انكشفت ميمنة المسلمين صاحت بنا عفيرة بنت غفار وكانت من المترجلات البازلات ونادت يا نساء العرب دونكن والرجال واحملن أولادكن على أيديكن واستقبلنهم بالتحريض فأقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة وحملت ابنة العاص بن منبه تنادى قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته وجعل النساء يقلن لأزواجهن لستم لنا ببعولة ان لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج قال العباس بن سهل الساعدى كانت خولة بنت الازور وخولة بنت ثعلبة الانصارية وكعوب ابنة مالك بن عاصم وسلمى ابنة هاشم ونعم ابنة فياض وهند ابنة عتبة بن ربيعة ولبنى ابنة جرير الحميرية متحزمات وهن أمام النساء والمزاهر معهن وخولة تقول هذه الابيات

يا هاربا عن نسوة ثقات * لها جمال ولها ثبات
تسلموهن الى الهنات * تملك نواصينا مع البنات * أعلاج سوء فسق عتاة * ينلن منا أعظم الشتات

قال ورجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال فرجع المنهزمون رجعة عظيمة عندما سمعوا تحريض النساء وخرجت هند ابنة عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين وهى تقول الشعر الذى قالته يوم أحد وهو هذا

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا الموافق * قيدى مع المرافق

تسع وعشرين وثلثمائة وهو آخر خليفة خطب على المنبر فى يوم الجمعة وفى زمانه اختل أمر الخلافة جدا وصارت البلاد بين خارجى تغلب عليها أو عامل لا يحمل اليه مالا ولم يبق بيد الراضى غير بغداد والسواد (وولى بعده أخوه المتقى لله ابراهيم ابن جعفر المقتدر بالله) فأقام أربع سنين غير شهر وكان صالحا ولم يتمكن من تدبير الامور وخلع وسملت عيناه سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة (وولى بعده ابن عمه

ومن أبي نفارق * ان تغلبوا نعانق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

هل من كريم عاشق * يحمي عن العواتق

قال ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت بهم الى أين تنهزمون والى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ونظرت الى زوجها أبي سفيان منهزما فضربت وجه حصانه بعمودها وقالت له الى أين يا ابن صخر ارجع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزبير بن العوام فلما سمعت كلام هند لابي سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعطف أبو سفيان عندما سمع كلام هند وعطف المسلمون معه ونظرت الى النساء وقد حملن معهم ولقد رأيتهن يسابقن الرجال وبأيديهن العمد بين أرجل الخيل ولقد رأيت منهن امرأة وقد أقبلت الى علج عظيم وهو على فرسه فتعلقت به ومازالت به حتى نكسته عن جواده وقتلته وهي تقول هذا بيان نصر الله المسلمين قال الزبير بن العوام وحمل المسلمون حملة منكرة لا يريدون غير رضا الله ورسوله وقاتلت الازد مع أبي هريرة وفشا فيهم القتل وأصيب منهم خلق كثير لانهم تلقوا الصدمة الاولى بأنفسهم واستشهد منهم مالم يستشهد من غيرهم قال سعيد بن زيد كان القتال في الميمنة شديدا وكان المسلمون ينهزمون تارة ويعودون مرة وساعة نصبر وساعة نتأخر قال ونظر خالد بن الوليد الى الميمنة وقد وصلت الى القلب فصاح بمن معه من الخيل ومال عليهم فمالوا وكانوا زهاء من ستة آلاف فكبر وحمل على الروم فنكى بهم نكاية عظيمة حتى كشف أعداء الله عن الميمنة والقلب الى أن ردت الى مواضعها ووقف خالد أمامهم بطارد من كان قريبا للمسلمين قال فانكسر الروم أمام خالد ونظر خالد الى فرسانه فرآهم متبددين فنادى يا أهل الاسلام والايمان ويا حملة القرآن ويا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قد تبينت في الروم الكسرة العظيمة ولم يبق عند القوم من الجلد على القتال الا ما رأيتم وقد كسر الله حدتهم فردوا عليهم الكسرة وشدوا عليهم الكرة رحمكم الله فوالذي نفس خالد بيده اني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم فنادى المسلمون من كل جانب احمل حتى نحمل معك قال فانتضى خالد سيفه وحمل وحملت أصحابه معه قال عبد الرحمن بن الحميدي الجمحي كنت ممن حمل مع خالد فوالله لقد انكشفت الروم بين أيدينا وولت كما تولي الغنم بين يدي الاسد وتبعهم المسلمون وكانت الحملة على ميمنة الروم فانكشفوا انكشافا قبيحا وأما المسلسلة فما برحوا من مواضعهم وكانوا يرمون بالسهام وهم حماة القوم قال عبد الرحمن وكان خالد أمامنا في حملته ونحن من ورائه وكان شعارنا يا محمد يا منصور أمتك أمتك فلم يزل خالد في حملته ونحن من ورائه حتى وصل الى الدبرجان وكان قائما في موضعه الذي أقامه فيه ماهان معه صليب من الجوهر ومعه أصحابه ينتظرون حملته فيحملون معه فلما وصلت خيل خالد الى موضعه قال له البطارقة أيها الملك أما آن لك أن تحمل فنحمل معك أو تولي فقد خالطتنا خيل العرب فقال لاصحابه اعلموا أن يوم السوء لا أحبه ولا أحب أن أراه ولا أحضره وقد أحضرني الملك الى هذا الموقف وأنا كاره ولكن لفوا وجهي ورأسي في هذا الثوب حتى لا أرى الحرب قال فلفوا وجهه ورأسه في ثوب ديباج والناس يقتتلون حتى انهزمت الروم بين أيدي المسلمين ووصلوا الى الدبرجان وهو ملفوف الرأس فحمل عليه ضرار بن الازور فقتله (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان أحسن صنع الله تعالى بالمسلمين أن جرجير وقناطر اختلفا وتنازعا وكان جرجير في الميمنة مع الارمن وقناطر في الميسرة تحته فقال جرجير لقناطر احمل على العرب فما هذا وقت الوقوف فقال قناطر تأمرني أن أحمل وكيف لا تحمل أنت فقال جرجير لقناطر وكيف لا آمرك وأنا أمير عليك فقال قناطر كذبت أنت أمير وأنا أمير عليك وفوقك وأنت مأمور لي بالطاعة فاختلفا وغضب جرجير من قول قناطر فحمل على المسلمين حملة شديدة وكانت حملته على كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاعة وعاملة وغسان وهم يومئذ فيما بين الميسرة والقلب فكشف الروم المسلمين حتى زالت عن مصافهم ولم يبق منهم الا أصحاب الرايات فقاتلوا من يليهم قتالا شديدا وركب الروم أكتاف المسلمين المنهزمين الى أن دخلوا معهم الى معسكرهم فاستقبلهم النساء بالعمد يضربن وجوه الخيل ويرمين وجوهها بالحجارة وينادين بهم الى أين تنهزمون يا أهل الاسلام عن الامهات والاخوان والبنين والبنات أتريدون أن تسلمونا للاعلاج قال منهال الدوسي فلقد كانت النساء أشد علينا غلظة من الروم فرجع المسلمون عن الهزيمة ونادى بعضهم بعضا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وعطفوا على الروم عطفة عظيمة قال

عبد الله المستكفي بالله) وسنه احدى واربعون سنة وهو وسن أبي جعفر المنصور ولم يل الخلافة بعدهما من وصل الى هذا السن فأقام سنة عشر شهرا ثم خلع وسملت عيناه سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولي بعده ابن عمه المطيع لله القاسم بن المقتدر) فأقام ستا وعشرين سنة واربعة اشهر واياما ومرض بالفالج وتخلى عن الامر لابنه الطائع لله أبي بكر يوم الاربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين

وكان قتادة بن أشيم الكنانى امام المسلمين يضرب فى عراض المشركين تارة بالسيف وتارة بالرمح حتى كسر ثلاثة رماح وهو يقول

سأحمل فى الروم الكلاب النوابح * وأضربهم ضربا بحد الصفائح
وأرضى رسول الله خير مؤمل * نبى الهدى للدين أشرف ناصح

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم حمل حتى كسر سيفين وجعل كلما كسر رمحا أو سيفا يقول من يعيرنى سيفا أو رمحا فى سبيل الله وأجره على الله ثم نادى يا معاشر قيس خذوا نصيبكم من الاجر والصبر فان الصبر فى الدنيا عز ومكرمة وفى الآخرة رحمة وفضيلة فاصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال فأجابه قومه ونشطوا للقتال قال قتادة بن أشيم الكنانى فما رأيت مثل حملة قناطر وقومه ولقد اختلطوا بنا واختلطنا بهم قال ورجع خالد من دهمته ومعه ألفان من أصحابه وقد وضعوا السيوف فى الروم وقتلوهم قتلا ذريعا والقتل لا يبين فيهم لكثرتهم وأقبل خالد على الناس من كرته فرأى الناس يقولون جزى الله قتادة بن الاشيم خيرا عن الاسلام بشكره وجزاه خيرا قال وأقبلت زرعة ابنة الحرث منحدرة عن التل وهى تقول ما فعل خالد حتى وقفت بين يديه وقالت يا ابن الوليد أنت من العرب الكرام وانما الرجال بامرائها فان ثبتوا ثبتت الرجال معهم وان انهزموا انهزمت الرجال معهم فقال لها خالد ما كنت من المنهزمين وما كنا الا نقاتل فى الاعلاج فقالت قبح الله وجه عبد نظر الى أميره ثابتا وهو منهزم عنه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ونظر ماهان لعنه الله الى الميمنة من عسكره وقد عركت عراك الاديم فبعث اليهم يحرضهم على القتال فعندها خرج علج من الروم وعليه درع سابغ والسلاح كأنه قطعة جبل وهو على شهباء عظيمة الخلقة فبرز بين الصفين وجال على شهبائه وسأل القتال فخرج اليه غلام من الازد فجال معه جولة حتى قتله العلج ثم دعا بالبراز فهم أن يخرج اليه معاذ بن جبل فقال أبو عبيدة يا معاذ سألتك بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما ثبت مكانك ولزمت رايتك ولزوم الراية أحب الى من برازك الى هذا العلج فوقف معاذ بالراية ونادى يا معاشر المسلمين من أراد فرسا يقاتل عليه فى سبيل الله فهذا فرسى وسلاحى فجاءه ولده عبد الرحمن فقال أنا يا أبت وكان غلاما لم يحتلم قال فلبس السلاح وركب الجواد وقال يا أبت أنا خارج الى هذا العلج فان صبرت فالمنة لله على وان قتلت فالسلام عليك وان كان لك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فأوصنى بها فقال له معاذ يا بنى أقرئه منى السلام وقل له جزاك الله عن أمتك خيرا ثم قال يا بنى اخرج وفقك الله لما يحب ويرضى فخرج عبد الرحمن بن معاذ الى العلج كأنه شعلة نار وحمل على العلج فضربه بالسيف فمال عنه العلج ومال اليه وضربه على رأسه فقطع العمامة وشجه شجة واضحة أسالت دمه فلما رأى العلج ذلك الدم ظن انه قتل فتأخر الى ورائه لينظر كيف يسقط عن جواده فلما نظر عبد الرحمن الى العلج وقد تأخر عنه انثنى راجعا الى المسلمين فقال له معاذ ما بك يا بنى قال قتلنى العلج قال له ما الذى تريد من الدنيا يا بنى ثم انه شد جرحه قال فعندها صال العلج وحمل فردته الازد قال أبو عبيدة فمن له منكم فخرج اليه عامر ابن الطفيل الدوسى وكان من أصحاب الرايات ممن شهد اليمامة مع خالد بن الوليد وكان قد رأى يوم اليمامة فى منامه فى قتال مسيلمة الكذاب كأن امرأته لقيته ففتحت له فرجها فدخل فيه ونظر اليه ابنه فاسرع ليدخل مكانه ثم استيقظ وقص ذلك على المسلمين فلم يدر أحد ما تأويله فقال ابن الطفيل أما أنا فاعرف تأويلها قالوا وما تأويلها يا ابن الطفيل قال تأويله انى أقتل لان المرأة التى أدخلتنى فرجها هى الارض وابنى سيصيبه جراح ويوشك أن يلتقى بى قال فقاتل يوم اليمامة وأبلى بلاء حسنا وسلم ولم يلحقه أذى فلما كان يوم اليرموك شهد فيه الحرب وخرج الى قتال العلج وهو كأنه شعلة حريق أو صاعقة وطعن البطريق وكانت قناته قد شهدت معه المشاهد فاندقت بين يدى وانتضى سيفه وهزه وضرب به العلج على عاتقه فخالط أمعاءه فتنكس العلج صريعا عن جواده وأسرع عامر بن الطفيل فرمى به الى المسلمين وسلمه الى ولده وانثنى راجعا نحو الروم وحمل على الميمنة وعلى الميسرة وعلى القلب ثم قصد المتنصرة فقتل منهم فارسا ودعا للبراز وخرج اليه جبلة بن الايهم وعليه درع من الديباج المثقل بالذهب وتحتها درع من دروع التبابعة وعليه بيض تلمع كشعاع الشمس وتحته فرس من نسل خيول عاد فلما خرج جبلة الى عامر بن الطفيل قال له من أى الناس أنت قال أنا من دوس قال جبلة انك من القرابة فابق على نفسك وارجع الى قومك ودع عنك الطمع فقال له عامر

وثلثمائة ومات بعد شهرين وتسعة أيام فى المحرم سنة أربع وستين وثلثمائة وأقام الطائع ابنه واليا سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وأياما وخلع سنة احدى وثمانين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات غرة شوال سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وفى أيامه قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبنى العباس وأقيمت للحسن العبيدى صاحب مصر والمغرب (وولى بعده أحمد القادر بالله) بن المقتدر فاقام ثلاثا وأربعين سنة ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله فى امرة الخلافة مدته ولا

قد أخبرتك من أنا ومن قبيلتى فأنت من أى العرب قال أنا من غسان وأنا سيدها جميعها أنا جبلة بن الأيهم الغسانى وانما خرجت اليك حين نظرت اليك وقد قتلت هذا البطريق الشديد وهو نظير ماهان وجرجير فى الشجاعة فعلمت انك كفؤ فخرجت لأقتلك وأحظى عند ماهان وهرقل بقتلك فقال عامر بن الطفيل أما ما ذكرت من شدة القوم وعظم خلقهم فالله أشد منعة وهو مهلك الجبابرة وأما قولك انك تحظى بقتلى عند مخلوق مثلى فانى أريد أن أحظى بجهادى عند رب العالمين بقتلك وحمل عامر على جبلة بن الايهم والتقيا بضربتين فخرجت ضربة عامر بن الطفيل غير ممكنة وخرجت ضربة جبلة ممكنة فقطعت من قرنه الى كتفه فسقط عامر قتيلا فجال جبلة على مصرعه ووقف يعجب بنفسه وبما صنع وطلب البراز فخرج اليه ولد المقتول وهو جندب بن عامر بن الطفيل وكانت معه راية أبيه فأقبل الى أبى عبيدة وقال أيها الامير ان أبى قد قتل وأريد أن آخذ بثاره أو أقتل فادفع رايتك لمن شئت من دوس فأخذ أبو عبيدة الراية ودفعها لرجل من دوس فحملها وخرج جندب الى قتال جبلة بن الأيهم وهو ينشد ويقول

سأبذل مهجتى أبدا لانى * أريد العفو من رب كريم * وأضرب فى العدا جهدى بسيفى
وأقتل كل جبار لئيم * فان الخلد فى الجنات حتى * تباح لكل مقدام سليم

قال ودنا من جبلة وقال له اثبت يا قاتل أبى لأقتلك به فقال جبلة ومن أنت من المقتول قال ولده قال جبلة ما الذى حملكم على قتل نفوسكم وأولادكم وقتل النفوس محرم قال جندب ان قتل النفس فى سبيل الله محمود عند الله وننال به الدرجة العالية فقال له جبلة انى لا أريد قتلك فقال جندب وكيف أرجع وأنا المفجوع بأبى والله لا رجعت والله أو آخذ بثار أبى أو ألحق به ثم حمل على جبلة وجعلا يقتتلان وقد شخصت نحوهما الابصار ونظر جبلة الى الغلام وما أبدى من شجاعته فعلم أنه شديد البأس صعب المراس فأخذ منه حذره وغسان ترمق صاحبها فرأت الغلام جندبا وقد ظهر على صاحبهم وقارنه فى الحرب فصاح بعضهم على بعض وقالوا ان هذا الغلام الذى برز الى سيدكم غلام نجيب وان تركتموه ظهر عليه فانجدوه ولا تدعوه فتأهبت غسان للحملة ليستنقذوه ونظر المسلمون الى جندب وما قد ظهر منه ومن شجاعته وشدته ففرحوا بذلك ونظر الامير أبو عبيدة الى ذلك وما فعل فبكى وقال هكذا يكون من يبذل مهجته فى سبيل الله اللهم تقبل له فعله (قال جابر بن عبد الله) شهدت قتال اليرموك فما رأيت غلاما كان أنجب من جندب بن عامر بن الطفيل حين قاتله جبلة وبعد ذلك حمل على جبلة وضربه ضربة أوهنه بها وضربه جبلة فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة وتحقق منام أبيه عامر بن الطفيل وجال جبلة على مصرعه وطلب البراز فصاح به قومه ارجع الينا فقد قضيت ما يجب عليك فرجع وهو معجب بنفسه حتى وقف تحت صليبه قال وبعث اليه ماهان يشكره وأصيب المسلمون بعامر بن الطفيل وولده جندب قال فعندها صاحت دوس الجنة الجنة خذوا بثار سيدكم عامر وساعدتها الازد وكانوا أحلافهم وحملوا على غسان ولخم وجذام وتناشدوا الاشعار فصاح أبو عبيدة بالمسلمين وقال أيها الناس سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية ومعانقة الحور العين فى جنات النعيم فما من موطن احب الى الله من هذا الموطن الا وان الصابرين فضلهم الله على غيرهم ممن لم يشهد مشهدهم هذا ولما سمعت الازد ذلك حملت مع دوس وكان شعارهم يومئذ الجنة الجنة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى موسى بن محمد عن عطاء بن مراد قال سألت رجالا عدة ما كان شعار المسلمين يوم اليرموك فأخبرت ان شعار أبى عبيدة أمت أمت وشعار عبس يا لعبس وشعار اليمن من أخلاط الناس يا أنصار الله وشعار خالد ومن معه يا حزب الله وشعار حمير الفتح وشعار دارم والسكاسك الصبر الصبر وشعار بنى مراد يا نصر الله انزل فهذه كانت شعار المسلمين يوم اليرموك قال فلما حملت دوس تبعها الأزد وقصدت العرب المتنصرة وطلبت صليبهم وفرقتهم تفريقا صعبا حتى وصلوا الى الصليب فطلب رجل منهم حامل العلم الذى لغسان فأرداه عن فرسه ووقع الصليب من يده منكوسا وقتل من الازد ودوس رجال الا انهم كانوا مثل الشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود ثم كرت غسان تريد أخذ صليبهم فاقتتلوا عنده قتالا شديدا حتى قتلوا خلقا كثيرا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى هشام بن عمارة عن أبى الجريرى عن نافع عن جبير بن الحويرث عن عبد الله بن عدى قال شهدت اليرموك فكان المسلمون خمسة وعشرين ألفا فغضب الحويرث وقال كذب من حدثك بهذا الحديث فان المسلمين كانوا يوم اليرموك احدا وأربعين

طول عمره لانه مات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وتوفى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة (وولى بعده ابنه القائم بأمر الله) عبد الله بن أحمد وأقام فى الخلافة أربعة وأربعين عاما وتوفى سنة سبع وستين وأربعمائة (وولى بعده ابنه المقتدى بأمر الله محمد بن عبد الله القائم بأمر الله) وأقام فى الخلافة تسع عشرة سنة وتوفى سنة ست وثمانين وأربعمائة (وولى بعده ابنه المستظهر بالله أحمد) فأقام خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وتوفى سنة ثنتى عشرة

ألفا وقد أديت اليك ما سمعته ممن أثق به من الرواة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وهذا أثبت الأقاويل لان المسلمين كانوا يوم أجنادين اثنين وثلاثين ألفا وجاءت الامداد بعد ذلك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني ابن أبي نمرة عن عبد الحميد بن سهل عن جده قال لما حملت الازد يوم اليرموك ودوس وزحفت المشركين دوخة عظيمة وحمل المشركون حملة هائلة انكشف المسلمون وكان صاحب لوائهم عياض بن غنم الاشعري فولى منهزما واللواء بيده فصاح به الناس انما ثبات القوم وأهل الحرب بألويتهم فابتدر لأخذه عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كلاهما يتسابق اليه فأخذه عمرو ولم يزل يقاتل به حتى انهزمت الروم وفتح الله على أيدي المسلمين وكان اليوم الثالث من اليرموك يوما شديدا انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات كل مرة تردهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحون بالاطفال اليهم فيرجعون الى القتال ولم يزل القتال قائما الى أن أقبل الليل بسواده ورجعت الروم الى مواضعها والقتل فيهم كثير وفي المسلمين قليل الا أن الجراح فيهم فاشية من النشاب فلما دخل الليل بسواده رجعت كل فرقة الى أماكنها وباتوا تحت السلاح قال وأما المسلمون فما كانت همتهم الا الصلاة وبعد ذلك شدوا الجراح وصلى أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه وقال أيها الناس اذا عظم البلاء فانتظروا الفرج فانه يأتي من عند الله فاضرموا نيرانكم وتحارسوا وأظهروا التهليل والتكبير وقام أبو عبيدة يمشي في الناس هو وخالد بن الوليد يتفقدان الجرحى ويقولان أيها الناس ان عدوكم يألم كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وباتا طول ليلهم كله وهما طائفان على المسلمين الى أن أصبح الصباح قال وانحازت الروم الى جانب اليرموك مع ماهان الارمني فجمع بطارقته ووبخهم وزجرهم وقال لهم قد علمت ان هذا يكون منكم وقد رأيت فشلكم وخوفكم وجزعكم من هؤلاء العرب الضعاف قال فاعتذروا اليه وقالوا غدا نبارزهم فان فينا فرسانا وشجعانا لم يقاتلوا أصلا وغدا نصدقهم الحرب فتكون لنا العاقبة قال فسكت عن توبيخهم وأمرهم أن يتأهبوا لذلك وباتت الفرقتان يتحارسون وقد رعبت الروم من كثرة القتل فيهم وأما المسلمون فانهم أقوى قلوبا لشدة دينهم ويقينهم قال فلما أصبح الصباح صلى بهم أبو عبيدة صلاة الخوف واذا بالصلبان قد بدت وبرايات القوم طلعت في عدد الشوك والشجر كأنهم لم يلاقوا قتالا قط فوقفوا في مصافهم ونصب ماهان سريره على الكثيب الذي كان عليه بالامس وهو يشرف منه على العساكر فأمرهم أن يعبوا مصافهم فلما نظر أمير المؤمنين الى سرعة الروم صاح كل أمير برجاله وحرضهم على القتال فانقلبوا من الصلاة الى خيولهم ولبسوا السلاح وركبوا خيولهم ورجع كل أمير الى مكانه وهو يعظ أصحابه ويوصيهم ويعدهم من الله بالنصر وسار أبو عبيدة بين الصفوف وهو يصف لهم فضل الجهاد وما أعد الله للمجاهدين الصابرين وخلف على الذراري والنساء والأموال والاولاد عمرو بن سعيد بن عبد الله الانصاري وجعل من الرماة خمسمائة في الميمنة وخمسمائة في الميسرة وخمسمائة في القلب وطاف أبو عبيدة عليهم وقال لهم معاشر الرماة الزموا مراكزكم فان رأيتم القوم زحفوا اليكم فارشقوهم بالنبال واذكروا وهم عند رميكم ولا تتركوها فرقة ولتخرج سهامكم كأنها من كبد قوس واحدة فان هم زحفوا اليكم فاثبتوا مكانكم حتى يأتيكم أمري ففعلوا ما أمرهم به الامير وتقدم أبو سفيان الى ولده يزيد والراية في يده وحوله أصحابه وقد عزم على الحملة والجهاد فقال يا بني ان أحسنت أحسن الله اليك عليك بتقوى الله والصبر فاتق الله حق تقاته وانصر دين الله وشرع نبيه صلى الله عليه وسلم واياك والجزع فاقتد بنا قد أمضاه فاصبر مع أصحابك صبر أولي العزم واياك ثم اياك أن يراك الله منهزما فتبوء بغضب من الله قال يزيد سأصبر جهدي وطاقتي والله أسأله أن يكون معينا لي وناصرا ثم صاح يزيد برجاله وهز الراية وندبهم الى القتال وحمل على من يليه من الروم فقاتلوا قتالا عظيما ولم يزلوا حتى أنكوا العدو نكاية عظيمة وأبلوا بلاء حسنا وكان قتالهم من جانب القلب ولم يزالوا كذلك حتى برز اليهم بطريق من البطارقة وبيده رمح عظيم وعليه صليب من الذهب وحوله زهاء من عشرة آلاف فارس من الروم فحملوا على الميمنة وكان فيهم عمرو بن العاص ومن معه فرجعوا على أعقابهم منهزمين حتى دخلت الروم في أوائل عسكر المسلمين مما يلي عمرا ومن معه وهم يتراجعون على الرجال فيكرون تارة ويرجعون تارة حتى تكاثرت عليهم الروم فكشفوهم حتى ألصقوهم بالتل الذي عليه النساء وأحاطوا بالتل فصاحت امرأة أين أنصار الدين أين حماة المسلمين وكان الزبير بن العوام جالسا عند زوجته أسماء بنت أبي بكر الصديق يداوي عينه وكان أرمد فلما سمع صوت المرأة

وخمسمائة (وولي بعده ابنه المسترشد بالله منصور) فاقام سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخلع وقتل سنة خمسمائة وتسع وعشرين (وولي بعده ولده الراشد بالله منصور) واتهموه بالمنكرات وخلعوه وأرسلوه الى الموصل ثم قتلوه سنة خمسمائة وثلاثين (وولي بعده محمد المقتفي لامر الله) بن المستظهر بالله فاقام أربعا وعشرين سنة ثم قامت عليه الجند ورجموه ثم حبسوه شهرا من غير شرب فمات بالظما سنة خمسمائة وخمسة وخمسين (وولي بعده ولده المستنجد بالله يوسف) فاقام أحد عشر

وهي تنادي أين أنصار الدين قال يا أسماء ما هذه المرأة تصيح أين أنصار الدين فقالت له عفرة ابنة عثمان يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انهزمت ميمنة المسلمين حتى ألجأهم الروم الينا وأحاط بنا الاعلاج وهذه نساء الانصار مستصرخة بانصار الدين فقال الزبير والله انى أنا من أنصار الدين ولا يرانى الله جالسا فى مثل هذا الوقت قال ثم طرح الخرقة عن عينه واستوى جالسا على متن جواده فأخذ قناته وتسمى باسمه وقال فى حملته أنا الزبير بن العوام انا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يطعن فيهم طعنا متداركا حتى ردهم على أعقابهم وخيلهم تنكص باذنابها قال ليث بن جابر فلله در الزبير بن العوام لقد رد الروم بنفسه وحده اذ حمل عليهم وما كان معه من العرب أحد حتى ردهم الى عسكرهم وتراجعت خيل عمرو ورجاله وهو ينادى الرجعة الرجعة الحزم الحزم يا أهل الاسلام الصبر الصبر فتراجعوا بعد ادبارهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وحمل جرجير الارمني فى ثلاثين ألفا من الارمن على شرحبيل بن حسنة كاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشف أصحاب شرحبيل بن حسنة ولم يثبت غيره لقتال الروم فى عصبة من قومه دون الخمسمائة فجعل شرحبيل يحمل على الارمن وهو يقول يا أهل الاسلام لا فرار من الموت الصبر الصبر قال فتراجع أصحابه اليه وحملوا على الأرمن فردوهم على أعقابهم وجعلوا يضربون فيهم حتى اصابوا من الارمن مالم يصبه الارمن منهم فرجع شرحبيل الى مكانه ودار به أصحابه فجعل يعنفهم بالقتال ويقول لهم ما الذى أصابكم حتى انهزمتم أمام هؤلاء الكفرة وأنتم الحماة البررة وأهل القرآن وعباد الرحمن أما سمعتم قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وقال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وانتم تهربون فقالوا يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم زلة من الشيطان مثل يوم أحد وحنين وها نحن معك فاحمل حتى نحمل معك فجزاهم خيرا ووقف مكانه وكان موقفه مما يلى سعيد بن زيد وقد لزموا مواقفهم ولم يتحركوا التماسا للحفيظة ونظر قيس بن هبيرة الى خيل شرحبيل وقد تراجعت فحمل بمن معه ونادى هو وأصحابه بشعارهم وكان شعارهم يا نصر الله انزل يا منصور أمت أمت وكان هذا شعارهم يوم بدر وأحد وحمل خالد بن الوليد بمن معه ذات اليمين وحمل قيس من ذات الشمال فقاتلوهم قتالا شديدا ولله در الزبير بن العوام وهاشم بن المرقال وخالد بن الوليد لقد حملوا حملة عظيمة حتى قربوا من سرادقات ماهان وتواقعت الروم على سرادقات ماهان وخيامه فلما نظر ماهان الى ذلك نزل عن سريره هاربا وصاح بالروم وعنفهم فتراجعوا يطلبون القتال وصاح أبو عبيدة بسعيد بن زيد فحمل بمن معه وهو ينادى لا اله الا الله يا منصور أمت أمت فاقبلوا يقتلون فى الروم قتلا ذريعا فبينما المسلمون فى حملتهم اذ سمعوا قائلا يقول يا نصر الله انزل يا نصر الله اقرب أيها الناس الثبات الثبات قال عامر بن أسلم فتأملنا الصارخ فاذا هو أبو سفيان وتحت رايته ابنه يزيد قال وشدت الامراء باجمعهم على من يليهم وقاتلوا قتالا شديدا ولم يكن فى الروم أثبت من أصحاب السلاسل فانهم ثبتوا فى أماكنهم يمنعون من أتاهم وأما الرماة وهم مائة ألف رام فكانوا اذا رشقوا سهامهم نحو العرب يسترون الشمس فلولا النصر والمعونة من الله لكان المسلمون هلكوا وانفصل المسلمون فرحين مستبشرين والمشركون قد هلك أكثرهم وبرز علج من أعلاج الروم كأنه نخلة باسقة وعليه درع مذهب وعلى رأسه بيضة مذهبة وعليها صليب من ذهب مرصع بالجوهر وهو راكب على شهباء وعليه زرد من حديد وبيده رمح فجال واشهر نفسه وسأل البراز فنظر المسلمون الى عظم خلقته وهول جثته فجعلوا ينظرون اليه فقال أبو عبيدة لا يهولنكم ما ترون من خلقته فكم رأيتم من هو عظيم خلقة ولا قلب له فمن له منكم يخرج اليه واستعينوا بالله عليه قال فخرج اليه عبد من عبيد العرب وبيده سيفه وحجفته وهو راجل فلما اراد أن يدنو من العلج صاح به مولاه ذو الكلاع الحميرى فلما رجع خرج اليه ذو الكلاع وجال عليه وكان ذو الكلاع من أهل الشدة والباس فتواقفا وكل منهما رمح فتطاعنا طعنا شديدا أشد من الجمر ثم انهما تجاذبا سيوفهما والتقيا فضرب ذو الكلاع العلج ضربة وضرب العلج ضربة وكان سيف العلج قاطعا وساعده قويا فقطع سيفه درقة ذى الكلاع وسيفه ودرعه وما تحته من الثياب ووصلت الضربة الى عضده الايسر فجرحته جرحا بليغا وثقلت يده فلما نظر ذو الكلاع الى ما لحقه من العلج عطف بجواده يريد المسلمين ونظر العلج الى ذى الكلاع قد انعطف راجعا فصاح بجواده ليلحقه وكان فرس ذى الكلاع سابقا فلم يلحقه حتى لحق بالمسلمين فاتى قومه والدم يفور من

عاما وخمسة أيام وتوفى سنة خمسمائة وست وستين (وولى بعده ولده الحسن المستضيء بامر الله) فاقام سبعة أعوام وأربعة أشهر وتوفى سنة خمسمائة وثلاثة وسبعين بالطاعون وفى أيامه عادت الخطبة بمصر لبنى العباس بعد انقطاعها منها مائتين وخمس عشرة سنة وانقرضت دولة بنى عبيد بمصر (وولى بعده أحمد الناصر لدين الله) فاقام سبعا وأربعين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس (وولى بعده ولده محمد الظاهر) فاقام تسعة

جرحه فاجتمع فرسان قومه فقال لهم يا فرسان حمير اياكم أن تتكلوا في قتالكم على السلاح ومنعته ولكن اتكلوا في قتالكم على الله عز وجل قالوا وكيف ذلك أيها السيد قال لأني رددت عبدي عن القتال شفقة عليه اذا ليس معه لامة حرب وقلت اني أفرس منه وأجود عدة ولامة فصنع بي هذا الاغلف ما ترون والله ما لحقني قبلها في حرب مثلها قط فشدوا جرحه ووقف مكانه ثم انه صاح بقومه يا رجال حمير ان كان سيدكم قد رجع كالا فما منكم من يأخذ بثاره فانتدب فارس من فرسان حمير وعليه صنائع اليمن من الابراد والحبر كأنه جمرة نار وحمل نحو العلج مصمما وجال جولة عظيمة وطعنه طعنة أثبتها في صدره فأرداه قتيلا وعجل الله بروحه الى النار فهم الحميري أن ينزل عن جواده ويأخذ سلبه فحمل عليه كردوس من الروم ليكشفوه عنه فردهم الحميري صاغرين ثم رجع اليه وأخذ سلبه وأقبل به على أبي عبيدة فاعطاه اياه فدفع السلب الى قومه ورجع الى مقامه في القتال فخرج اليه آخر فقتله وآخر فقتله فخرج اليه علج رابع فقتل الحميري ونزل ليأخذ سلب الحميري فرماه رجل من رماة الانصار بنبلة فوضعها في لبته فخذله صريعا وعجل الله بروحه الى النار قال فانقلبت الروم على وجوهها وهابوا جميع المسلمين وكان ذلك البطريق الذي قتل بالنبلة من عظمائهم ويقال انه كان صاحب نابلس فصاح بهم ماهان وسكنهم عن اضطرابهم وخرج الى القتال ملك اللان واسمه مريوس وعليه لامة الملوك وعليه ديباجة وفي وسطه منطقة مرصعة بالجوهر فجال بين الصفين وشهر نفسه وقال أنا ملك اللان فلا يبرز لي الا أميركم فخرج اليه شرحبيل بن حسنة كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده لواؤه وعليه درع من حديد وهو ممنطق بمنطقة من الاديم وهو على جواده فقال أبو عبيدة من هذا الذي خرج قالوا له شرحبيل بن حسنة فبعث اليه أبو عبيدة يقول له ادفع الراية لمن شئت واخرج من غير راية فلما سمع ذلك سلم الراية لرجل من قومه وقال له قف بها موضعي فان قدر على فسلم الراية الى الامير أبي عبيدة يدفعها لمن يريد وان رجعت أخذتها فأخذها الرجل وخرج شرحبيل كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ملك اللان وهو يقول

سأحمل في اللئام بني الاعادي * بكل مثقف لدن حداد

فيا بؤسا لقيصر يوم تأتي * وجمع الروم شرد في البلاد

قال فسمع البطريق شعر شرحبيل ولم يفهمه وكان يفهم قليلا بالعربية فقال له يا عربي ما الذي تقول قال أقول كلاما تقوله العرب عند الحرب تشجع به نفوسها وتثق بوعد الله الذي وعد به نبينا فقال ملك اللان وما الذي وعدكم به نبيكم فقال شرحبيل وعدنا الله أن يفتح لنا الارض في الطول والعرض ونملك الشام ونكون من الظافرين بنصر الله لنا قال ملك اللان ان الله لا ينصر من يبغي وأنتم تبغون علينا وتطلبون ما ليس لكم بحق فقال شرحبيل نحن قوم أمرنا الله أن نفعل ذلك والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين واني أراك تعرف كلام العرب فلو تركت ما أنت عليه من عبادة الصليب ودخلت في دين الاسلام كنت من أهل الجنة وسعدت فقال ملك اللان ما أترك دين المسيح أبدا فان دينه حق فقال شرحبيل لا تقل انه المعبود ولا تقل صلب وقتل فان الله سبحانه وتعالى أحياه في الارض ما شاء ثم رفعه الى السماء ثم قال ملك اللان ان أرجع عن قولي ثم استخرج صليبا من عنقه فرفعه ووضعه على عينيه وأقبل يستنصر به فغضب شرحبيل من فعاله فقال له يا ويلك تهالك ولمن معك ولمن يقول بقولك ثم حمل عليه وأخذا في القتال وجالا جولانا عظيما فرمقتهما الابصار وجعل المسلمون يدعون لشرحبيل بالنصر والمعونة ونظر شرحبيل الى شدة الكافر ففر بين يديه كأنه منهزم فتبعه عدو الله فلما علم شرحبيل أنه قد قاربه ثنى عنان جواده فطعنه بقناته يريد أن يجعلها في نحره فزاغ المشرك عن الطعنة ونجا منها سالما ثم قال يا معاشر العرب أنتم لا تدعون الخديعة والمكر فقال شرحبيل ويلك أما علمت أن الحرب خدعة والمكر رأسها فقال العلج فما الذي نفعك من حيلتك قال فتضاربا حتى انقطع السيفان في أيديهما فاعتنقا معانقة شديدة وكان المشرك أعظم جثة وأشد منعة وكان شرحبيل نحيف الجسم من كثرة الصيام والقيام فضغط عليه المشرك ضغطة أوجعه بها وهم أن يقتله في سرجه والفريقان ينظران اليهما قال ضرار بن الازور فداخلني والله الغيظ فقلت في نفسي ويحك يا ضرار يقتل هذا العلج كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تنظر

أشهر وتوفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة (وولي بعده ولده المستنصر بالله منصور) فاقام سبع عشرة سنة وتوفي سنة أربعين وستمائة وله من العمر اثنان وخمسون سنة (وولي بعده ولده المستعصم بالله عبد الله) فاقام سبع عشرة سنة وتوفي سنة ستمائة وتسع وخمسين بخيانة وزيره ابن العلقمي الذي كان رافضيا وخربت بغداد وزالت دولة بني العباس منها وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم ومن أعظم أسباب زوالها ان ابن العلقمي استولى على المستعصم وكان

اليه فيا عزمك من نصرته ﴿قال الواقدى رحمه الله تعالى﴾ فخرج ضرار نحوهما يسعى على قدميه كالظبية الخمصاء حتى قرب منهما ولا يعلمان به جميعا وكان فى يده خنجر فضرب به العلج من ورائه فاطلع الخنجر من قلبه فسقط العلج قتيلا وخلص شرحبيل من الضغطة قال فلما سقط العلج عن ظهر جواده نزل اليه شرحبيل وسلب ما كان عليه من لامة حربه وركب ضرار جواده وانثنى راجعا هو وشرحبيل نحو المسلمين فهنأ المسلمون شرحبيل وشكروا ضرارا على فعله قال ثم ان شرحبيل أخذ سلب العلج فنازعه ضرار فيه فقال السلب لى وأنا قتلته وقال شرحبيل أنا آخذ السلب فأتيا أبا عبيدة فخاف أبو عبيدة أن يحكم بينهما فلا يرضون بحكمه فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول يا أمير المؤمنين ان رجلا خرج الى البراز وقاتل علجا من الاعلاج وبالغ معه الجهد الى جهد جهيد فخرج آخر من المسلمين فأعان الرجل وقتل العلج قال ولم يسم أبو عبيدة الرجلين فلمن السلب منهما فجاء الجواب من عمر بن الخطاب ان السلب للقاتل فاخذ السلب أبو عبيدة من شرحبيل وأعطاه ضرارا فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولما قتل ضرار ملك اللان غضبت الروم فخرج فارس شجاع وطلب البراز فخرج اليه الزبير بن العوام رضى الله عنه فقتله وأخذ سلبه وخرج اليه ثان وثالث ورابع فقتلهم وأخذ أسلابهم فقال خالد لأبى عبيدة ان الزبير قد تجرد للروم وبذل نفسه لله ولرسوله وأخاف عليه من التعب فصاح عليه أبو عبيدة وأقسم عليه فرجع الزبير الى مقامه قال وخرج من الروم بطريق فخرج اليه خالد بن الوليد وكان ملك الروسية فقتله خالد وكان زوج بنت ملك اللان فقوم سلبه وتاجه ومنطقته وصليبه ودرعه بخمسة عشر ألفا قال فاخبر ماهان بذلك فغضب وقال سيدان منا قد قتلا فى يوم واحد وانى أظن ان المسيح لا ينصرنا ثم أمر الرماة أن يرموا عن يد واحدة فرموا سهامهم وأطلقوا نحو المسلمين دفعة واحدة مائة ألف سهم فكان النشاب يقع فى عساكر المسلمين كسقوط البرد من السماء فكثرت الجراح فى الناس واعور من المسلمين سبعمائة عين فسمى ذلك اليوم يوم التعوير وكان ممن أصيب بعينه المغيرة بن شعبة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل التميمى وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد بن سعيد وكان الرجل بعد ذلك يلقى الرجل فيقول له ما لذى أصاب عينك فيقول الآخر لا تقل مصيبة بل هى محنة من الله قال وعظم وقع السهام فى عسكر المسلمين حتى ما كنت تسمع الامن يصيح واعيناه وابصراه واحدقتاه وعظم اضطراب المسلمين من ذلك قال فجذبت العرب أعنة خيولها راجعة قال ونظر ماهان اللعين الى اضطراب جيش المسلمين فحرض الرماة والروم وصاح برجاله وزحفت السلسلة نحو المسلمين فهالهم ذلك وحمل جرجير وقناطر وقورين وقال ماهان اثبتوا على الحملة وارموا العرب بالنشاب فزادت الرماة فى رميها وزحفت السلسلة بحديدها والبوارق تلمع من أكف الرجال كمقابيس النيران والحرب قائمة على ساق وأخذ المسلمون على أنفسهم اشفاقا مما نزل بهم ووصل اليهم من قلع الاحداق قال عبادة بن عامر فنظرت الى جيش الشرك وهو نحونا سائر وفرسان المسلمين متأخرة وخيولهم ناكصة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم أنزل علينا نصرك الذى نصرتنا به فى المواطن كلها ثم صحت فى رجال حمير تهربون من الجنة الى النار ما هذا الفرار أما تخافون العار أما أنتم بين يدى الجبار أما هو عالم الاسرار فررتم من الكفار قال فما أجابنى والله أحد كانهم صم لا يسمعون قال فقلت كان قبيلتك خرست عن الجواب فجعلت أهتف بقبائل العرب فكل قد شغل بنفسه عن اجابتى فجعلت أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فما كان غير بعيد حتى نزل النصر من الله وذلك أن المسلمين قد انقلبوا راجعين نحو تل النساء ولم يثبت غير أصحاب الرايات قال عبد الله بن قرط الأسدى شهدت القتال كله فلم أر قتالا أشد من يوم التعوير ورجعت الخيل على أذنابها وقاتلت الأمراء بأنفسها والرايات بأيديهم حتى كان أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص والمسيب بن نجية الفزارى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق والفضل بن العباس يقاتلون قتالا شديدا قال عبد الله بن قرط فقلت فى نفسى وكم مقدار ما يقاتلون هؤلاء وهم نفر يسير حتى ساعدتنا النساء اللاتى شهدن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد يداوين الجرحى ويسقين الماء ويبرزن الى القتال ولم أر امرأة من نساء قريش قاتلت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فى اليمامة مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حتى دهمهن القتال وخالط الروم المسلمين فضربن بالسيوف ضربا وجيعا وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قد انضم النساء

رافضيا عدوا لاهل السنة يداريهم فى الظاهر وينافقهم فى الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين واطفاء أهل السنة واظهار أهل البدعة فصار يكاتب كبير التتار وهو هلاكو ويطمعه فى ملك بغداد ويخبره بضعف الخليفة ويعلمه صورة أخذها ويحسن لمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع فى مرة عشرين ألف مقاتل ووفر علوفاتهم فى الخزينة وأظهر للخليفة انه وفر من علوفات العسكر أموالا عظيمة فى بيت

المهاجرات لغيرهن وقامت الحرب على ساق وتنادى النساء بأنسابهن وأمهاتهن وألقابهن وجعلن يقاتلن قتال الموت ويضربن وجوه الخيل بالعمد ويلوحن بالاطفال وحمل النساء بعضهن يقاتلن المشركين وبعضهن يقاتلن المسلمين حتى رجعوا الى قتال المشركين وبعضهن يسقي الماء وبعضهن يشد الجراح قال فبينما هن يقاتلن وقد هجمت الرجال اذا انهزمت نساء لخم وجذام وخولان نخرجت خولة بنت الأزور وام حكيم ابنة حكيم بنت الحرث وسلمى بنت لؤى وجعلن يضربن في وجوههن ورؤسهن بالعمد ويقلن اخرجن من بيننا فانتن توهن جمعنا قال فرجعت نساء لخم وجذام يقاتلن قتال الموت وقاتلت أم حكيم بنت الحرث أمام الخيل بالسيف وما نسمع يومئذ صوتا واحدة من النساء غير صوت واعظة تعظ وأما أم حكيم فانها جعلت تنادى يامعاشر العرب احصدوا الغلف بالسيوف وأما أسماء بنت أبي بكر فانها اقترنت عنانها بعنان زوجها الزبير بن العوام فما كان يضرب ضربا الاضربت مثله قال فتراجع المسلمون الى القتال حين رأوا النساء يقاتلن قتال الموت ويقول الرجل لمن يليه ان لم نقاتل نحن هؤلاء والافهن أحق بالخلد وزمن النساء فلله در نساء قريش يوم اليرموك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الرحمن بن الفضل عن يزيد بن أبي سفيان عن مكحول قال كانت وقعة اليرموك في رجب سنة خمس عشرة من الهجرة قال أبو عامر وحملت خولة بنت الازور على علج من الاعلاج كان قد حمل علينا فاستقبلته وجعلت تشاشه بالسيف فضربها العلج بسيفه على قصتها فسال دمها وسقطت الى الارض فصاحت عفيرة بنت عفان حين نظرتها صريعة ونادت فجع والله ضرار في أخته فاخذت رأسها على ركبتها والدم قد صبغ شعرها كالشقائق فقالت لها كيف تجدك قالت أنا بخير ان شاء الله تعالى ولكني هالكة لامحالة فهل لك علم باخي ضرار فقالت عفيرة يا ابنة الأزور ما رأيته فقالت خولة اللهم اجعلني فداء لأخي ولا تفجع به الاسلام قالت عفيرة فجهدت أن تقوم معي فلم تقم فحملناها الى أن أتينا بها موضعها فلما كان الليل رأيتها وهي تدور وتسقي الرجال وكان ليس بها المرقط ونظر اليها أخوها والضربة في رأسها فقال لها ما بك فقالت ضربني علج قتلته عفيرة فقال لها يا أختاه أبشري بالجنة فقد أخذت لك بثار الضربة مرارا وقتلت منهم أعدادا قال ولم يزل الحرب من أول النهار وكلما قرب الليل يزيد ويشتعل ضرامها وأبو عبيدة يقاتل برايته والأمراء يفعلون كفعله الى أن فصل بينهما الظلام وقد قتل من الروم يوم التعوير أربعون ألفا أو يزيدون ونقل عن خالد انه انقطع في يده ذلك اليوم تسعة أسياف ولقد أخبرنا عن خالد بن الوليد ممن حضر قتال اليرموك وشاهده قال كان بعد قتال خالد بمائة رجل من شجعان الرجال قال حازم بن معن وبرز من المشركين في قلب الوقعة أصحاب الديباج والحرير والتجفيف على الخيول الشهب والبلق كانها من الجبال الراسيات فلما برزوا غاصوا في القلب وكروا كرة واحدة ورفعوا في وسطهم صليبا من الجوهر وحملت ميمنتهم على ميسرتنا وميسرتهم على ميمنتنا وقد شردوا الى النساء والنساء يضربن وجوههم فجعلن يصحن بهم الله الله لا تمحوا الاسلام بهزيمتكم واتقوا ربكم قال كان بين يدي أبي عبيدة رجل من محارب اسمه نجم بن مفرح وكان من خطباء العصر وأفصح العرب لسانا وأجرئها جنانا وكان رفيع الصوت حسنه جدا خطيبا فقصده العرب والفصحاء يسمعون ما ينطق به من نظمه ونثره (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عوف عن موسى بن عمران اليشكرى قال رأيت نصر بن مازن رحمه الله بجامع النيل يحدث عن وقعة اليرموك قال ما رد الناس عن الهزيمة بعد قضاء الله الى نصرة الاسلام الا غلام رجل من بني محارب يقال له نجم بن مفرح وكان لا يتكلم الا بالسجع يؤلفه بحسن نظمه ولقد حفظنا منه يوم اليرموك ما نحن نذكره عنه ولقد بلغني أن البلغاء الفصحاء المتأخرين مثل الأصمعي وأبي عبيدة اللغوى ينسجان على منواله في حسن كلامه فكان من جملة ما وعظ به المسلمين يوم اليرموك وقت هزيمتهم أيها الناس هذا يوم له ما بعده وقد عاينتم قربه من بعده ولن تنال الجنة الا بالصبر على المكاره وتالله لا ينالها من هو للجهاد كاره وينشد

وللّه في عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وأعلى الدرجات درجة الشهادة فارضوا عالم الغيب والشهادة وهذا الجهاد قد قام على ساقه وكسد النفاق في أسواقه وأخفى نفاقه في نفاقه وأنتم أصحاب نبي العصر فاستم من الثبات والنصر بشروا روح المصطفى بثباتكم

المال فاعجبه رأيه لكونه كان يحب المال وجمعه فدخل التتار الى بلاد العراق واستأصلوا من بها وتوجهوا الى بغداد فاستيقظ الخليفة من غفلته وجمع من قدر عليه من الجيوش وبرز الى قتالهم فلم يقدر عليهم وغرق من عسكره كثير في نهر الدجلة وقتل أكثرهم وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الخزائن والأموال وأسروا المستعصم وأولاده فاستبقاه هلاكو الى أن استخلص أمواله وخزائنه ودفائنه ثم قتل أولاده وأتباعه وأمر أن يوضع الخليفة في غرارة ويرفس

وقوموا العزم بصفاء نياتكم وإياكم ان تولوا الأدبار فتستوجبوا عذاب النار وغضب الجبار فوالذى قدر الاقدار وأدار الافلاك الدوّار وكل شئ عنده بمقدار لقد تزينت لكم الحور العين بأيديهم أباريق وكأس من معين فمن طلب دار البقا هان عليه ما يلقى فحققوا حملاتكم تنالوا بغيتكم واطعنوا الصدور تنالوا الحور وشرعوا الأسنة تنالوا الجنة واغتنموا الصبر يكتب لكم الأجر بشروا المؤمنين بحسن عملكم وإياكم ان تضلوا عن سبيلكم لا توافقوا الكفار فى جهنم واعدلوا عن طريق قولهم ووافقوا من سلف من أسلافكم فى دعاهم واسمعوا ما نزل فى القرآن من أجلهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون سيروا فقد سبق المفردون واجتهدوا فقد فاز المجتهدون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال وحمل خالد بن الوليد بعصابة حمراء وهو يفزع الروم باسمه ويقول أنا خالد بن الوليد فبرز اليه بطريق يقال له النسطور وعليه الديباج فأقبل يدعو خالدا وبينهم وخالد فى القتال لا يشعر به ولا يدرى ما يقول فعند ما سمعه يرطن عطف عليه فاقتتلا قتالا شديدا فبينما هما فى أشد القتال اذ كبا بخالد الجواد فوقع الفرس على يديه وهوى خالد على أم رأسه فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وخالد يقول حى حى فعلا البطريق على ظهر خالد فى عثرته وقد سقطت قلنسوته من رأسه فصاح قلنسوتى رحمكم الله فأخذها رجل من قومه من بنى مخزوم وناوله اياها فأخذها خالد ولبسها فقيل له فيما بعد يا أبا سليمان أنت فى مثل هذا الحال من القتال وأنت تقول قلنسوتى فقال خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه فى حجة الوداع أخذت من شعره شعرات فقال لى ما تصنع بهؤلاء يا خالد فقلت أتبرك بها يا رسول الله وأستعين بها على القتال قتال أعدائى فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال منصورا ما دامت معك فجعلتها فى مقدمة قلنسوتى فلم ألق جمعا قط الا انهزموا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم شدها بعصابة حمراء وحمل على النسطور وضربه على عاتقه أخرج السيف من علائقه وانكسر من بقى من ملوكهم وكرهوا البراز بعد ذلك فكان يدعوهم الى البراز فلا يخرج اليه أحد ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى كل فاشفق عليه الحرث بن هشام المخزومى فقال لابى عبيدة أيها الامير لقد قضى خالد ما يجب عليه وأدى السيف حقه فلو أمرته أن يريح نفسه قال فمشى أبو عبيدة اليه وجعل يعزم عليه أن لا يتقدم ويسأله أن يريح نفسه فقال خالد أيها الامير أما والله لأطلبن الشهادة بكل وجه فان أخطأتنى فالله يعلم نيتى وحمل فلم يرجع عن حملته حتى جلاها وذلك أن كل المسلمين استعفوه فى حملته وأقبلوا على القتال من بعد هزيمتهم والنساء أمام الرجال ولم يزل الحرب بين الفريقين حتى انقلبت الروم على أعقابها وقد قتل منهم ألوف عديدة وأما أصحاب السلاسل فانحطم أكثرهم ووطئتهم الخيل بحوافرها ولم يزل القتال بينهم حتى مالت الشمس للغروب بها وانفصل الجمعان وقد جرت الدماء بينهم وفرشت الارض بالقتلى والجراح فاشية فى الجمعين لكن فى الروم أكثر ورجع كل قوم الى اصلاح شأنهم ومداواة جرحاهم وأما النساء فاصلحن الطعام وشددن الجروح وداوين السقام ولم يقل أبو عبيدة لاحد من المسلمين من يكون الليلة على حرس المسلمين لما عندهم من التعب بل انه تولى الحرس بنفسه ومعه جماعة من المسلمين قال فبينما هو يدور اذ رأى فارسين قد لقياه وهما يدوران بدورانه فكلما قال لا اله الا الله قالا محمد رسول الله فقرب أبو عبيدة منهما فاذا هما الزبير بن العوام وزوجته أسماء بنت أبى بكر الصديق فسلم عليهما وقال يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذى أخرجكما قال الزبير بحرس المسلمين وذلك أن أسماء قالت لى يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين مشتغلون بانفسهم فى هذه الليلة عن الحرس بما لحقهم من التعب فى الجهاد طول يومهم فهل لك أن تساعدنى على حرس المسلمين فأجبتها الى ذلك فشكرهما أبو عبيدة وعزم عليهما أن يرجعا فلم يفعلا ولم يزالا كذلك الى الصباح (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى أبو عبيدة عن صفوان بن عمرو وعن عبد الرحمن بن جبير ان أبا الجعيد كان رئيسا من رؤساء أهل حمص فلما اجتمعت الروم على المسلمين فى اليرموك دخلوا على حمص ونزلوا فى بلدة تسمى الزراعة وكان أبو الجعيد هذا قد جعلها مسكنه لطيب هوائها ومائها وانتقل من حمص اليها فنزل عسكر الروم على الزراعة عنده وكان فيها عرس لأبى الجعيد وزوجته تزف اليه فى تلك الليلة قال فتكلف أبو الجعيد بضيافة

بالأرجل الى أن يموت وأوقع بوزيره الذل والهوان وصار معهم من جملة الغلمان ومات كمدا وهذه الحادثة قد استطار شررها وعم ضررها وهم قوم لا يحصون عددا ولا يحتاجون الى المدد تأتيهم فانهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها تأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولما حصل فى بغداد

الروم وأكرمهم وأطعمهم وسقاهم الخمر فلما فرغوا من أمورهم قالوا هات امرأتك الينا فأبى ذلك وسبهم فأبوا الا أخذ العروس فلما شنع عليهم بذلك عمدوا الى العروس وأخذوها كرها منه وعبثوا بها بقية ليلتهم فبكى أبو الجعيد من حزنه ودعا عليهم فقتلوا أولاده وكان له ولد من زوجة غيرها قال فأقبلت أم الفتى فأخذت رأس ولدها فى خمارها وأقبلت به الى مقدم ذلك الجيش ورمت الرأس اليه وشكت حالها وقالت له انظر ما صنع أصحابك بولدى فخذ بحقى فلم يعبأ بكلامها فقالت له أم الفتى والله لتنصرن العرب عليكم ورجعت وهى تدعو عليه وفيما كان الاسير حتى هلكوا فى أيدى المسلمين قال فلما كان يوم اليرموك بعد ما قتل النسطور أتى أبو الجعيد الى عساكر المسلمين وقال لهم اعلموا أن هذا الجيش النازل بازائكم جيش عظيم ولو سلموا أنفسهم اليكم للقتل لما فرغتم من قتلهم الا فى المدة الطويلة فان كدتهم لكم فى هذه الليلة بمكيدة تظفرون بها عليهم ماذا تعطونى قالوا نعطيك كذا وكذا ولا تؤدى جزية أنت وولدك وأهل بيتك ونكتب لك بذلك عهدا الى آخر عقبك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما استوثق منهم لنفسه مضى الى الروم وهم لا يعلمون وأتى الى واد عظيم مملوء ماء فأنزل الروم الى جانبه وقال لهم ان هذا المنزل به العرب وانا سأكيد لكم العرب بمكيدة يهلكون بها قال وجعل الناقوصة فيما بين الروم والعرب ولم يعلم أحد من الروم ما عمقها قال فلما كان يوم التعوير علم أبو الجعيد ان النصر للعرب وان العرب هم المنصورون جاء أبو الجعيد الى أبى عبيدة فوجده يطوف تلك الليلة هو وجماعة من المسلمين المهاجرين فقال لهم ما جلوسكم قالوا وما نصنع قال اذا كان ليلة غد فأكثروا من النيران ثم رجع الى الروم لينصب عليهم حيلة فلما كانت الليلة الثانية أوقد المسلمون أكثر من عشرة آلاف نار فلما اشتعلت النيران أقبل اليهم أبو الجعيد فقالوا قد أشعلنا النيران كما أردت فما بعد ذلك قال أريد منكم خمسمائة رجل من أبطالكم حتى أشير عليهم بما يصنعون (قال الواقدى) فاختار من المسلمين خمسمائة رجل من جملتهم ضرار بن الازور وعياض ورافع وعبد الله بن ياسر وعبد الله بن أوس وعبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن ابى بكر وغانم بن عبد الله ومثل هؤلاء السادات فلما اجتمعوا سار بهم أبو الجعيد على غير المخاضة وقصد بهم عسكر الروم فلما كادوا يخالطونهم أخذ أبو الجعيد منهم رجالا ودلهم على المخاضة ولم يكن يعلم بها أحد سواه ممن سكن اليرموك وقال لهم ناوشوهم الحرب ثم انهزموا ودعونى واياهم ففعلوا ذلك وصاحوا فيهم وحملوا ثم انهزموا وقدامهم نحو المخاضة فعند ذلك صاح أبو الجعيد برفيع صوته يا معاشر الروم دونكم ومن انهزم فهؤلاء المسلمون قد أوقدوا نيرانهم وعولوا على الحرب قال فأقبلت الروم على حال عجلة يظنون ان ذلك حق فبعضهم ركب جواده عريانا وبعضهم راجل وساروا فى طلب المنهزمين وأبو الجعيد يعدو بين أيديهم الى أن أوقفهم على الناقوصة وقال لهم هذه المخاضة دونكم واياهم فأقبلوا يتساقطون فى الماء كتساقط الجراد حتى هلك فى الماء ما لا يعد ولا يحصى عددا ولا يدركه حسبان فسمتها العرب الناقوصة لنقص الروم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) هذا ما جرى للروم ولا يعلم الاول بما جرى للآخر حتى أصبحوا فنظروا المسلمين فى أماكنهم فعلموا انهم قد دهموا فى الليل وقل عددهم وتبددشملهم فقال بعضهم لبعض من كان الصايح فى ليلتنا قال الرجل الذى عبثتم بزوجته وقتلتم ولده وقد أخذ بثاره منكم قال فلما أصبح ماهان وعلم الحقيقة وعلم ما نزل باصحابه علم أنه هالك لا محالة وان العرب ظافرون عليه فبعث الى قورين فقال ما ترى أن أصنع وقد ظهرت العرب علينا وان حملوا علينا حملة لم يفلت منا أحد فهل لك أن تسألهم أن يؤخروا القتال حتى نفعل الحيلة فى خلاص أنفسنا قال قورين أفعل ذلك قال فدعا ماهان برجل من لخم وبعثه الى المسلمين يقول لهم اعلموا ان الحرب سجال والدنيا زوال وقد مكرتم بنا فلا تبغوا فالبغى له مصرع وأخروا الحرب عنا يومنا هذا فاذا كان غدا يكون الانفصال بيننا وبينكم قال فأقبل اللخمى الى أبى عبيدة وبلغه الرسالة فهم أبو عبيدة أن يجيبهم الى ذلك فمنعه خالد من ذلك وقال له لا تفعل أيها الامير فما عند القوم خير بعد ذلك فقال أبو عبيدة ارجع الى صاحبك وقل له ما نؤخر عنك القتال وانا على عجل من أمرنا فرجع الرسول الى ماهان فأعلمه بجواب أبى عبيدة فعظم عليه وكبر لديه وكفر وتجبر وقال لقد كنت أتربص بنفسى عن العرب أرجو بذلك الصلح فوحق الصليب لا يبرز لهم غيرى ثم صرخ بالروم وأصحاب سرير الملك ومن كان يتكل عليه فى الشدائد وأمرهم أن يأخذوا الاهبة فاستعدوا وخرج ماهان فى مقدمة الجيش والصليب أمامه واذا بالمسلمين أخذوا مصافهم للقتال وذلك أن أبا عبيدة صلى بالمسلمين صلاة الفجر وأمرهم

ما حصل انتقل أولاد الخلفاء العباسيين الى مصر فى زمن السلطان بيبرس لانها كانت بأيدى أسلافهم وينيبون فيها نوابا وجملة نوابهم سبع وخمسون لم نتعرض لهم خوف الاطالة المؤدية الى السآمة ومن جملة نوابهم احمد بن طولون فانه كان نائبا على مصر فى زمن خلافة المعتز سنة أربع وخمسين ومائتين ثم سطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه وانفرد بالخراج وحاربه الخليفة أشد المحاربة فلم يقدر عليه فخضع له وتركه وصار سلطانا بمصر وتحوّل من

بالسرعة

بالسرعة للقتال وأخذوا مواضعهم للحرب ففعلوا وقد أيقنوا أنهم منصورون على عدوهم وصف أبو عبيدة أصحاب الرايات ووقف هو وخالد في الخيل المغر وفة بخيل الزحف وطلعت الشمس وخرج جرجير هو وبعض ملوك الروم ودعا بالبراز وقال لا يبرز لي الا أمير العرب فسمعه أبو عبيدة فسلم الراية الى خالد وقال أنت للراية يا أبا سليمان فان عدت من قتاله فالراية لي وان هو قتلني فامسك رايتك حتى يرى عمر رأيه فقال خالد أنا أقاتله دونك فقال أبو عبيدة لا هو طلبني ولا بد لي من الخروج اليه وأنت شريكي في الاجر فخرج أبو عبيدة وما أحد من المسلمين الا وهو كاره لذلك فاقبلوا يسألونه فلج في الخروج فتركوه ورأيه فلما قرب أبو عبيدة من جرجير وعاينه قال له أنت أمير هذا الجيش فقال أبو عبيدة أنا ذلك وقد أجبتك الى ما طلبت من أمر البراز فدونك وعرض الميدان فاما هزمتكم أو قتلتك وأقتل ماهان بعدك فقال جرجير أمة الصليب تغلبكم وحمل جرجير على أبي عبيدة وحمل أبو عبيدة على جرجير وطال بينهما القتال وبقي خالد ينظر الى أبي عبيدة ويدعو له بالسلامة والنصر وجميع المسلمين يدعون له قال وفر جرجير أمام أبي عبيدة وأخذ في عرض الجيش وطلب فرار جيش المشركين في الميمنة وتبعه أبو عبيدة على أثره فعندها عطف عليه جرجير وخرج كأنه البرق والتقيا بضربتين فكان أبو عبيدة أسبق فوقعت الضربة على عاتق جرجير فخرج من علائقه فكبر عند ذلك أبو عبيدة وكبر المسلمون ووقف أبو عبيدة على مصرع جرجير وجعل يتعجب من عظم جثته ولم يأخذ من سلبه شيأ فنادى به خالد لله درك أيها الامير ارجع الى رايتك فقد قضيت ما يجب عليك فلم يرجع أبو عبيدة فاقسم عليه المسلمون أن يرجع فرجع وأخذ الراية من يد خالد ونظر ماهان الى جرجير فعظم ذلك عليه وكبر لديه لانه كان ركنا من أركانهم فهم بالهزيمة ثم قال في نفسه ماذا يكون عذري عند هرقل ولا بد أن أبرز الى الحرب فان قتلت فقد استرحت من العار وان سلمت كان لي عند الملك عذر أحسن من أن أولي الأدبار ثم انه أعلم رجاله انه يريد المبارزة بنفسه وأخذ عدته ولبس زينته وخرج كأنه جبل ذهب يلمع ثم انه جمع اليه البطارقة والقسوس والرهبان وقال لهم ان الملك هرقل كان أعلم منكم بهذا الامر وانه أراد الصلح فخالفتموه فها أنا أبرز اليهم بنفسي فتقدم اليه بطريق من بطارقة السرير وكان فيه نسك ودين وكان يعظم الكنائس والرهبان ويتبع ما فرض عليه في الانجيل وكان يقرب من جرجير في النسب فلما علم بقتله عظم عليه وقال وحق الصليب لأبرزن الى المسلمين وآخذ بالثار فاما أن الحق به واما أن أقتل قاتله ثم قال لماهان قد نمين على الجهاد وأنا أؤدي فرض المسيح ولا بد لي من المبارزة قال فتركه ماهان فخرج وكان اسمه جرجيس وكان عليه درع وعلى الدرع ثوب حديد ومتقلد بسيفه ومعه قنطارية وعوذته القسوس وبخروه ببخور الكنائس وأقبل اليه راهب عمورية وأعطاه صليبا كان في عنقه وقال هذا الصليب من أيام المسيح يتوارثه الرهبان ويتمسحون به فهو ينصرك فاخذه جرجيس ونادى البراز بكلام عربي فصيح حتى ظن الناس انه عربي من المتنصرة فخرج اليه ضرار بن الازور كأنه شعلة نار فلما قارب ونظر اليه والى عظم جثته ندم على خروجه بالعدة التي أثقلته فقال في نفسه وما عسى يغني هذا اللباس اذا حضر الاجل ثم رجع موليا فظن الناس انه ولى فزعا فقال قائل منهم ان ضرارا قد انهزم من العلج وما ضبط عنه قط انه انهزم وهو لا يكلم أحدا حتى صار الى خيمته ونزع ثيابه وبقي بالسراويل وأخذ قوسه وتقلد بسيفه وحجفته وعاد الى الميدان كأنه الظبية الخمصاء فوجد مالكا النخعي قد سبقه الى البطريق وكان مالك من الخطاط اذا ركب الجواد تسحب رجلاه على الارض فنظر ضرار فاذا بمالك ينادي العلج تقدم يا عدو الله يا عابد الصليب الى الرجل النجيب ناصر محمد الحبيب فلم يجبه العلج لما داخله من الخوف منه قال فجال عليه وهم أن يطعنه فلم يجد للطعنة مكانا لما عليه من الحديد فقصد جواده وطعنه في خاصرته فأطلع السنان يلمع من الجانب الآخر فنفر الجواد من حرارة الطعنة وهم مالك أن يخرج الرمح فلم يقدر لانه قد اشتبك في ضلوع الجواد وهو على ظهره لم يقدر أن يتحرك لانه مزرد في ظهر الجواد بزنانير السرجه فنظر المسلمون الى ضرار وقد أسرع اليه مثل الظبية حتى وصل اليه وضربه بسيفه على هامته فشطرها نصفين وأخذ سلبه فاتاه مالك وقال ما هذا يا ضرار تشاركني في صيدي فقال ما أنا بشريكك وانما أنا صاحب السلب وهو لي فقال مالك أنا قتلت جواده فقال ضرار رب ساع لقاعد وآكل غير حامل فتبسم مالك وقال خذ صيدك هنأك الله به قال ضرار انما أنا مازح في كلامي خذه اليك فوالله ما آخذ منه شيأ وهو لك وأنت أحق به مني ثم انتزع سلب العلج وحمله على عاتقه وما كاد أن

دار النيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار والنفقة برسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار وتوفي ليلة الاحد لعشرين خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين وكان مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين (وتولى بعده ولده خمارويه) وبايعه الجند يوم الاحد

يغشى به وهو يتصبب عرقا قال زهير بن عابد ولقد رأيته وهو يسير به وهو راجل ومالك فارس حتى طرحه فى رحل مالك فقال أبو عبيدة بأبى وأمى والله قوم وهبوا أنفسهم لله وما يريدون الدنيا قال فلما قتل البطريق قص جناح ماهان فصاح بقومه وجمعهم اليه وقال لهم اسمعوا يا أصحاب الملك وبلغوه عنى انى ما تركت جهدى فى نصرة هذا الدين وحميت عن الملك وقاتلت عن نعمته وما أقدر ان أغالب رب السماء لانه قد نصر العرب علينا وملكهم بلادنا والآن مالى وجه أرجع به الى الملك حتى أخرج الى الحرب وأبرز الى مقام الطعن والضرب وعزمت أن أسلم الصليب الى أحدكم وأبرز الى قتال المسلمين فان قتلت فقد استرحت من العار ومن توبيخ الملك لى وان رزقت النصر وأثرت فى المسلمين أثرا ورجعت سالما علم الملك أنى لم أقصر عن نصرته فقالوا أيها الملك لا تخرج الى الحرب حتى نخرج نحن الى القتال قبلك فاذا قتلنا فافعل بعدنا ما شئت قال فحلف ماهان بالكنائس الاربع لا يبرز أحد قبله قال فلما حلف أمسكوا عنه وعن مراجعته ثم انه دعا بابن له فدفع اليه الصليب وقال قف مكانى وقدم لماهان عدة فافرغت عليه (قال الواقدى) وبلغنا أن عدته التى خرج بها الى الحرب تقومت بستين ألف دينار لان جميعها كان مرصعا بالجوهر فلما عزم على الخروج تقدم له راهب من الرهبان فقال أيها الملك ما أرى لك الى البراز سبيلا ولا أحبه لك قال ولم ذلك قال لانى رأيت لك رؤيا فارجع ودع غيرك يبرز فقال ماهان لست أفعل والقتل أحب الى من العار قال فحذروه وودعوه وخرج ماهان الى القتال وهو كأنه جبل ذهب يبرق وأقبل حتى وقف بين الصفين ودعا الى البراز وخوف باسمه فكان أول من عرفه خالد بن الوليد فقال هذا ماهان هذا صاحب القوم قد خرج ووالله ما عندهم شئ من الخبر قال وماهان يرعب باسمه فخرج اليه غلام من الاوس وقال والله أنا مشتاق الى الجنة وحمل ماهان وبيده عمود من ذهب كان تحت فخذه فضرب به الغلام فقتله وعجل الله بروحه الى الجنة قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فنظرت الى الغلام عند ما سقط وهو يشير بأصبعه نحو السماء ولم يهله ما لحقه فعلمت أن ذلك لفرحه بما عاين من الحور العين قال فجال ماهان على مصرعه وقوى قلبه ودعا الى البراز فسارع المسلمون اليه فكل يقول اللهم اجعل قتله على يدى وكان أول من برز مالك النخعى الاشتر رضى الله عنه وساواه فى الميدان فابتدر مالك ماهان بالكلام وقال له أيها العلج الاغلف لا تغتر بعن قتلته وانما اشتاق صاحبنا الى لقاء ربه وما منا الامن هو مشتاق الى الجنة فان أردت مجاورتنا فى جنات النعيم فانطق بكلمة الشهادة أو أداء الجزية والا فأنت هالك لا محالة فقال له ماهان أنت صاحبى خالد بن الوليد قال لا أنا مالك النخعى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهان لا بد لى من الحرب ثم حمل على مالك وكان من أهل الشجاعة فاجتهدا فى القتال فاخرج ماهان عمودا وضرب به مالكا على البيضة التى على رأسه فغاصت فى جبهة مالك فشترت عينيه فمن ذلك اليوم سمى بالاشتر قال فلما رأى مالك ما نزل به من ضربة ماهان عزم على الرجوع ثم فكر فيما عزم عليه فدبر نفسه وعلم ان الله ناصره قال والدم فائر من جبهته وعدو الله يظن أنه قتل مالكا وهو ينظر متى يقع عن ظهر فرسه واذا بمالك قد حمل وأخذته أصوات المسلمين يا مالك استعن بالله يعنك على قرينك قال مالك فاستعنت بالله عليه وصليت على رسول الله وضربته ضربا عظيما فقطع سيفى فيه قطعا غير موهن فعلمت ان الاجل حصين فلما أحس ماهان بالضربة ولى ودخل فى عسكره (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولما ولى ماهان بين يدى مالك الاشتر منهزما صاح خالد بالمسلمين يا أهل النصر والبأس احملوا على القوم ماداموا فى دهشتهم ثم حمل خالد ومن معه وحمل كل الامراء بمن معهم وتبعهم المسلمون بالتهليل والتكبير فصبرت لهم الروم بعض الصبر حتى اذا غابت الشمس وأظلم الافق انكشف الروم منهزمين بين أيديهم وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون كيف شاؤا فقتلوا منهم زهاء من مائة ألف وأسروا مثلها وغرق فى الناقوصة منهم مثلها وأمم لا تحصى وتفرق منهم فى الجبال والاودية وخيول المسلمين من ورائهم يقتلون ويأسرون ويأتون من الجبال بالاسارى ولم يزل المسلمون يقتلون ويأسرون الى أن راق الليل فقال أبو عبيدة اتركهم الى الصباح فتراجعت المسلمون وقد امتلأت أيديهم من الغنائم والسرادقات وآنية الذهب والفضة والزلازل والنمارق والطنافس (قال الواقدى) ووكل أبو عبيدة رجالا من المسلمين بجمع الغنائم وبات المسلمون فرحين بنصر الله حتى أصبحوا فاذا ليس للروم خبر ووقع أكثرهم فى الناقوصة فى الليل (قال عامر بن ياسر) حدثنى نوفل بن عدى عن جابر بن نصر عن حامد بن مجيد قال أراد أبو عبيدة أن يحصى عدد المشركين فلم يقدر أن يحصى ذلك

لعشر بن خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين فتعقب ما كان يفعله والده من الصدقات والمأكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك ثم قتل بدمشق على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جواريه فى ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل فى صندوق الى مصر فكانت ولايته ثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما (وتولى بعده ولده أبو العساكر) فى عاشر ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأقام ثمانية أشهر واثنى عشر يوما وقتل سنة ثلاث وثمانين ومائتين (وتولى بعده أخوه أبو موسى هرون

فأمر بقطع القصب من الوادي وجعل على كل قتيل قصبة ثم عدوا القصب فإذا قتلى مائة ألف وخمسة آلاف والأسارى أربعون ألفا غير من غرق في الناقوصة وقتل من المسلمين أربعة آلاف ووجد أبو عبيدة قرؤسا في اليرموك فلم يعلم أهم من العرب أم من الروم قال ثم انه صلى على قتلى المسلمين وسار في طلبهم الى الجبال والاودية واذا هم براع قد استقبلهم فسألوه هل مر بك أحد من الروم قال نعم مر بي بطريق ومعه زهاء من أربعين ألفا (قال الواقدي) وكان ذلك ماهان لعنه الله تعالى فاتبعهم خالد بن الوليد وجعل يقفو أثرهم ومعه عسكر الزحف فادركهم على دمشق ولما أشرف عليهم كبر وكبر المسلمون وحملوا ووضعوا فيهم السيف فقتل مقتلة عظيمة وكان ماهان قد ترجل عن جواده وقيل انه ترجل يتنكر نفسه ويسلم من القتل فأتاه رجل من المسلمين فحامى عن نفسه فقتله الرجل وكان قاتله النعمان بن محملة الازدي وعاصم بن خوال اليربوعي وقد اختلفوا في أيهما قتل ماهان (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وخرج أهل دمشق الى لقاء خالد وقالوا له نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم قال خالد أنتم على عهدكم ومضى في طلب الروم يقتلهم حيث وجدهم حتى انتهى الى ثنية العقاب واقام تحتها يوما ثم مضى الى حمص ونزل بها وبلغ ذلك أبا عبيدة فسار حتى لحق به فيمن معه قال والامراء في طلب الروم من كل جهة من الشام ثم اجتمعوا وعادوا الى دمشق وجمع أبو عبيدة الغنائم وأخرج منها الخمس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كتاب البشارة والفتح * بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم من أبي عبيدة عامر بن الجراح أما بعد فأنا أحمد الله الذي لا اله الا هو واشكره على ما أولانا من النعم وخصنا به من كرمه ببركات نبي الرحمة وشفيع الأمة صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين انا نزلنا اليرموك ونزل ماهان مقدم جيوش الروم بالقرب منا ولم ير المسلمون أكثر جمعا منه فاقصى الله تلك الجموع ونصرنا عليهم بمنه وكرمه وفضله فقتلنا منهم زهاء من مائة ألف وخمسة آلاف وأسرنا منهم اربعين ألفا واستشهد من المسلمين أربعة آلاف ختم الله لهم بالشهادة ووجدت في المعركة رؤسا مقطوعة لم اعرفها فصليت عليها ودفنتها وقتل ماهان على دمشق قتله عاصم بن خوال وقد كان قبل وقعة الانفصال نصب عليهم رجل منهم يقال له أبو الجعيد من أهل حمص حيلة فألقاهم في موضع يقال لها الناقوصة فغرق منهم ما لا يحصى عددهم الا الله تعالى وأما من قتل من المشركين في الاودية والجبال من المنهزمين وغيرهم وأخذت عدتهم فتسعون ألفا وقد ملكنا أموالهم وخيولهم وحصونهم وبلادهم وكتبنا اليك هذا الكتاب بعد الفتح ونزلنا في دمشق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه ودعا بحذيفة بن اليمان ودفع الكتاب اليه وضم اليه عشرة من المهاجرين والانصار وقال لهم سيروا بكتاب الفتح والبشرى الى أمير المؤمنين وبشروه بذلك وأجركم على الله فأخذ حذيفة الكتاب وساروهو والعشرة من وقتهم وساعتهم يجدون السير ليلا ونهارا حتى قربوا من المدينة (قال الواقدي رحمه الله تعالى) قال عبد الله ابن عوف المالكي عن أبيه قال لما هزم الله الروم في اليرموك وكان من أمرهم ما كان رأى عمر بن الخطاب ليلة هزيمة الروم رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في الروضة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان عمر يسلم عليهما ويقول يا رسول الله ان قلبي مشغول على المسلمين وما يصنع الله بهم وقد بلغني أن الروم في ألف ألف وستين ألفا فقال يا عمر أبشر فقد فتح الله على المسلمين وقد انهزم عدوهم وقتل كذا وكذا ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا الآية قال فلما كان من الغد صلى عمر بالناس صلاة الفجر وأعلم الناس بما رأى في منامه قال فاستبشر المسلمون وفرحوا وعلموا أن الشيطان لا يتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم وأرخوا تلك الليلة فكانت كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فسجد عمر لله شكرا ووصله الكتاب فقرأه عمر على الناس فارتفعت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم قال يا حذيفة فهل قسم أبو عبيدة الغنائم فقال يا أمير المؤمنين هو منتظر كتابك وأمرك فدعا عمر بدواة وقرطاس وكتب الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام سلام عليك أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد فرحت بما فتح الله على المسلمين من نصرتهم وانهزام عدوهم فاذا وصل اليك كتابي هذا فاقسم الغنيمة بين المسلمين وفضل أهل السبق واعط كل ذي حق حقه واحفظ المسلمين واكلأهم

ابن خماروية) فأقام ثماني سنين وثمانية أشهر وقتل سنة احدى وتسعين ومائتين (وتولى بعده شيبان بن أحمد ابن طولون) في عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين فأقام اثنى عشر يوما فأنكر عليه قواد هرون بن خماروية وبعثوا الى محمد بن سليمان غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر في عسكر عظيم وقبض على شيبان وألقى النار في القطائع ونهب أصحاب الفسطاط واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وأخرج بقية أولاد أحمد بن طولون وقوادهم في اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت الديار

واشكرهم على صبرهم وفعالهم وأقم بموضعك حتى يأتيك أمري والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وسلمه لحذيفة بن اليمان فأخذه حذيفة وسار حتى ورد على أبي عبيدة فوجده على دمشق فسلم عليه وعلى المسلمين وناوله الكتاب فلما قرأه على المسلمين قسم الغنائم فأصاب الفارس أربعة وعشرون ألف مثقال من الذهب الاحمر والراجل ثمانية آلاف وكذلك من الفضة وأعطى الفرس الهجين سهما والفرس العتيق سهمين وألحق القادمين ٢ بالعراب فلما فعل أبو عبيدة ذلك قال أصحاب الحمر ألحقنا بالعراب فقال أبو عبيدة اني قسمت عليكم بما قسم النبي صلى الله عليه وسلم الغنيمة بين أصحابه فلم يقبلوا قوله فكتب الى عمر بذلك يعلمه باختلاف الناس في الخيل والهجين والعراب فكتب اليه عمر يقول أما بعد فقد عملت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تتعد حكمه فاعط الفرس العربي سهمين والهجين سهما واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرب العربي وهجن الهجين يوم خيبر فجعل للهجين سهما وللعربي سهمين فلما ورد الكتاب على أبي عبيدة وقرأه على المسلمين قال ما أراد أبو عبيدة أن يحقر رجلا منكم ولكن تبعت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فلما قسم أبو عبيدة الغنائم على المسلمين قال له خالد بن الوليد ان رجلا من المسلمين تشفع بي اليك أن تلحق فرسه الهجين بفرسه العتيق العربي وتعطيه سهمين فأبى أبو عبيدة وقال والله ان سف التراب أحب الي من ذلك (وروى) عثمان أن ابن الزبير قال شهدت جدي الزبير بن العوام يوم اليرموك ومعه فرسان يتعقب عليهما للقتال يركب هذا يوما وهذا يوما فلما كان وقت قسم الغنائم أعطاه أبو عبيدة ثلاثة أسهم له سهم ولفرسه سهمان فقال الزبير أما تصنع بي كما صنع بي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان معي فرسان فاسهمني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر خمسة أسهم لفرسي أربعة وأعطاني سهما وقال المقداد بن عمرو كنت أنا وأنت يوم بدر ومعنا فرسان لا غيرهما فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين سهمين للفرسين قال أبو عبيدة انك لصادق يا مقداد أنا أتبع فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى الزبير وأقبل جابر بن عبد الله الانصاري فشهد عند أبي عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى الزبير يوم خيبر خمسة أسهم فلما فعل ذلك أتى رجال من رجال العرب لكل واحد منهم أربعة أفراس وخمسة أفراس فقالوا ألحقنا بالزبير قال فاستأذن عمر في ذلك فقال صدق الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه يوم خيبر خمسة أسهم فلا تعط غيره مثله وروى عروة عن أبي الزبير قال لقي الزبير غلاما كان قد وقع بيده يوم غنيمة عمان فهرب منه فلما كان يوم اليرموك قبل قسم الغنائم عرفه فقبض عليه وأخذ بيده فقال له الموكل على حفظ الغنيمة لست أدعك فبينما هما في المحاورة اذ أقبل أبو عبيدة فقال ما بالكما فقال الزبير أيها الامير هذا غلامي يصل الي من غنيمة عمان وهرب مني وقد رأيته الآن فلا بد لي منه فقال أبو عبيدة صدق ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو له وأنا سلمته له من غنيمة عمان فسلمه اليه فأخذه الزبير قال زيد المرادي هربت منا جارية الى العدو وظفرنا بها يوم اليرموك في قسم الغنائم فكلمنا أبا عبيدة فيها فكتب الى عمر فرد اليه الجواب ان كانت جارية حربية ففيها السهام والا فلا سبيل اليها وان كانت لم تجر فيها السهام فردوها فكان القوم لا يرضون بهذا من أبي عبيدة فقال أبو عبيدة والله الذي لا اله الا هو هذا كتاب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب يحكم بما أمرتكم فقبل قوله ودفع الجارية الى القسم (قال الواقدي) حدثني ثوبان بن عبد ربه عن سالم مولى حذيفة بن اليمان عن القاسط بن سلامة عن عدي بن عاصم عمن حدثه عن فتوح الشام قال لما هزم الله الروم باليرموك على يد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الخبر الى هرقل بهزيمة جيشه وقد قتل ماهان وجرجير وغيرهما قال علمت أن الامر يصل الى هنا ثم أقام ينتظر ما يجري من المسلمين

﴿ذكر فتح مدينة بيت المقدس﴾

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) وأما ما كان من المسلمين فانهم أقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة أمراء المسلمين وقال لهم أشيروا علي بما أصنع وأين أتوجه فاتفق رأي المسلمين اما الى قيسارية واما الى بيت المقدس فقال فما الذي ترون منهما فقالوا انت الرجل الامين وما تسير الى موضع الا ونحن معك فقال معاذ بن جبل اكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فحيث أمرك فسر واستعن بالله فقال أصبت الرأي يا معاذ فكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعلمه انه قد عزم على قيسارية أو الى بيت المقدس وانه منتظر ما يأمره به والسلام

منهم وكانت مدة ولايتهم سبعا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما ثم عادت الدولة العباسية بمصر في خلافة المكتفي فارسلوا نوابهم الى مصر ومن جملة نوابهم محمد ابن طفج الملقب بالاخشيد ثم تغلب على مصر وصار يدعى له على المنابر فأقام احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (وولي بعده ابنه أبو القاسم) فأقيم كافور الخادم الاسود نائبا عنه فكان يدبر المملكة فأقام أربع عشرة سنة وعشرة

وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعي وأمره بالمسير فسار حتى وصل المدينة فأرسل الكتاب لعمر رضي
الله تعالى عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم في الامر فقال علي رضي الله تعالى عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك
أن يسير الى بيت المقدس فيجد قوابها ويقاتلوا أهلها فهو خير الرأي وأكبره واذا فتحت بيت المقدس فاصرف
جيشه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت
يا أبا الحسن فكتب اليه (بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام أبي عبيدة أما
بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه وقد ورد على كتابك وفيه تستشيرني في أي ناحية تتوجه
اليها وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير الى بيت المقدس فان الله سبحانه وتعالى يفتحها على
يديك والسلام عليك ثم طوى الكتاب ودفعه الى عرفجة وأمره أن يعجل بالسير فسار الى قدم أبي عبيدة
فوجده على الجابية فدفع الكتاب اليه فقرأه على المسلمين ففرحوا بسيرهم الى بيت المقدس ثم دعا
أبو عبيدة بخالد بن الوليد وعقد له راية وضم اليه خمسة آلاف فارس من خيل الزحف وسرحه الى بيت المقدس
ثم دعا بيزيد بن أبي سفيان وعقد له راية على خمسة آلاف وأمره أن يلحق بخالد الى بيت المقدس وقال له يا ابن
أبي سفيان ما علمتك الا ناصحا فاذا أشرفت على بلد ايلياء فارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير واسألوا الله بجاه
نبيه ومن سكنها من الانبياء والصالحين أن يسهل فتحها على أيدي المسلمين فأخذ يزيد الراية وسار يريد بيت
المقدس فسار ثم دعا شرحبيل بن حسنة كاتب وحي النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له راية وضم اليه خمسة
آلاف فارس من أهل اليمن وقال له سر عن معك حتى تقدم بيت المقدس وانزل بعسكرك عليها ولا تختلط
بعسكر من تقدم قبلك ثم دعا بالمرقال بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وضم اليه خمسة آلاف فارس مع جمع
من المسلمين وسرحه على أثر شرحبيل بن حسنة وقال له انزل على حصنها وأنت منعزل عن أصحابك ثم عقد راية
خامسة فسلمها للمسيب بن نجيبة الفزاري وأمره أن يلحق بأصحابه وضم اليه خمسة آلاف فارس من النخع وغيرهم
من القبائل وعقد راية سادسة وسلمها الى قيس بن هبيرة المرادي وضم اليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءه ثم
عقد راية سابعة وسلمها الى عروة بن مهلهل بن زيد الخيل وضم اليه خمسة آلاف فارس وسيره وراءهم فكان جملة
من سرحه أبو عبيدة الى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألفا وسارت السبعة أمراء في سبعة أيام في كل يوم أمير وذلك
كله يرهب به أعداء الله فبقي كل يوم ينزل عليهم أمير بجيشه فكان أول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد فلما
شرف عليهم كبر وكبر أصحابه فلما سمع أهل بيت المقدس ضجيج أصواتهم انزعجوا وتزعزعت قلوبهم وصعدوا
على أسوار بلدهم فلما نظروا الى قلة المسلمين استحقروهم وظنوا أن ذلك جميع المسلمين فنزل خالد ومن معه
مما يلي باب أريحاء وأقبل في اليوم الثاني يزيد بن أبي سفيان وفي اليوم الثالث شرحبيل بن حسنة وأقبل في
اليوم الرابع المرقال وأقبل في اليوم الخامس المسيب بن نجيبة وأقبل في اليوم السادس قيس بن هبيرة فنزل
وأقبل في اليوم السابع عروة بن مهلهل بن زيد الخيل فنزل مما يلي طريق الرملة قال عبد الله بن عامر بن
ربيعة الغطفاني ما نزل أحد من المسلمين على بيت المقدس الا وكبر وصلى ما قدره الله عليه ودعا بالنصر والظفر
على الاعداء ويقال ان خالدا كان هو وأبو عبيدة قال فلما مضى العسكر أقام أبو عبيدة وخالد وبقية المسلمين
والذراري والسواد والغنم وما أفاء الله على المسلمين من المواشي والاموال فلم يبرحوا من مكانهم قال وأقام
العسكر على بيت المقدس ثلاثة أيام لا يبارزهم حرب ولا ينظرون رسولا اليهم يأتي ولا يكلمهم أحد من أهلها
الا أنهم قد حصنوا أسوارهم بالمجانيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخر قال المسيب بن
نجيبة الفزاري ما نزلنا بلدا من بلاد الشام فرأينا أكثر زينة ولا أحسن عدة من بيت المقدس وما نزلنا بقوم الا
وتضعضعوا لنا وداخلهم الهلع وأخذتهم الهيبة الا أهل بيت المقدس نزلنا بازائهم ثلاثة أيام فلم يكلمنا منهم أحد
ولا ينطقون غير أن حارسهم شديد وعدتهم كاملة فلما كان في اليوم الرابع قال رجل من البادية لشرحبيل بن
حسنة أيها الامير كان هؤلاء القوم صم فلا يسمعون أو بكم فلا ينطقون أو عمى فلا يبصرون ازحفوا بنا اليهم
فلما كان في اليوم الخامس وقد صلى المسلمون صلاة الفجر كان أول من ركب من المسلمين من الامراء لسؤال
أهل بيت المقدس يزيد بن أبي سفيان فشهر سلاحه وجعل يدنو من سورهم وقد أخذ معه ترجمانا يبلغه عنهم
ما يقولون فوقف بازاء سورهم بحيث يسمعون خطابه وهم صامتون فقال للترجمان قل لهم أمير العرب يقول لكم

أشهر وتوفي سنة تسع
وأربعين وثلثمائة (وتولى
بعده أبو الحسن علي ولد
الاخشيد) فأقام سنتين
والكلام لكافور
الاخشيدي ثم استقرت
المملكة باسم كافور فكان
يدعى له على المنابر في الديار
المصرية والشامية والحجازية
وكان حسن السيرة فأقام
سنتين وأربعة أشهر ومات
سنة سبع وخمسين وثلثمائة
(وولي أحمد بن علي
الاخشيد) فأقام سنة واحدة
وزالت دولة الاخشيدية
وكانت مدة تصرفهم أربعا

ماذا تقولون فى اجابة الدعوة الى الاسلام والحق وكلمة الاخلاص وهى كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله حتى يغفر
لكم ربنا ما سلف من ذنوبكم وتحقنون بها دماءكم وان أبيتم ولم تجيبونا فصالحوا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو
أعظم منكم عددا وأشد منكم وان أبيتم هاتين الحالتين حل بكم البوار وكان مصيركم الى النار قال فتقدم الترجمان
اليهم وقال لهم من المخاطب عنكم فكلمه قس من القسس عليه مدارع الشعر وقال أنا المخاطب عنهم ماذا
تريد فقال الترجمان ان هذا الامير يقول كذا وكذا ويدعوكم الى احدى هذه الخصال الثلاث اما الدخول فى
الاسلام أو أداء الجزية واما السيف قال فبلغ القس من وراءه ما قال الترجمان قال فضجوا بكلمة كفرهم وقالوا
لا نرجع عن دين العز والقبول وان قتلنا أهون علينا من ذلك فبلغ الترجمان ذلك لزيد قال فمشى الى الامراء
وأخبرهم بجواب القوم وقال لهم ما انتظاركم بهم فقالوا ان الامير أبا عبيدة ما أمرنا بالقتال ولا بحرب القوم بل
بالنزول عليهم ولكن نكتب الى أمير الامة فان أمرنا بالزحف زحفنا فكتب يزيد بن أبى سفيان الى أبى عبيدة
يعلمه بما كان من جواب القوم فما الذى تأمر فكتب اليهم أبو عبيدة يأمر بالزحف وانه واصل فى أثر الكتاب
فلما وقف المسلمون على كتاب أبى عبيدة فرحوا واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح (قال الواقدى رحمه الله
تعالى) ولقد بلغنى ان المسلمين باتوا تلك الليلة كأنهم ينتظرون قادما يقدم عليهم من شدة فرحهم بقتال أهل
بيت المقدس وكل أمير يريد أن يفتح على يديه فيتمتع بالصلاة فيه والنظر الى آثار الانبياء قال فلما أضاء الفجر
أذن وصلت الناس صلاة الفجر قال فقرأ يزيد لاصحابه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا
ترتدوا الآية فيقال ان الامراء أجرى الله على ألسنتهم فى تلك الصلاة أن قرؤا هذه الآية كأنهم على ميعاد واحد
فلما فرغوا من الصلاة نادوا النفير النفير يا خيل الله اركبى قال فأول من برز للقتال حمير ورجال اليمن وبرز
المسلمون للحرب كأنهم أسود ضارية ونظر اليهم أهل بيت المقدس وقد انشرحوا القتالهم فنشطهم ورشقوا
المسلمين بالنشاب فكانت كالجراد فجعل المسلمون يتلقونها بدرقهم فلم تزل الحرب بينهم من الغد الى الغروب
يقاتلون قتالا شديدا ولم يظهروا فزعا ولا رعبا ولم يطمعوهم فى بلدهم فلما غربت الشمس رجع الناس وصلى
المسلمون ما فرض الله عليهم وأخذوا فى اصلاح شأنهم وعشائرهم فلما فرغوا من ذلك أوقدوا النيران واستكثروا
منها لان الحطب عندهم كثير فبقى قوم يصلون وقوم يقرؤن وقوم يتضرعون وقوم نائمون مما لحقهم من التعب
والقتل فلما كان الغد بادر المسلمون اليهم وذكروا الله كثيرا وأثنوا عليه وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتقدمت رماة النبل وأقبلوا يرمون ويذكرون الله وهم يضجون الى الله بالدعاء (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
ولم يزل المسلمون على القتال عدة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح وانه ليس على قلوبهم من هم ولا
جزع فلما كان اليوم الحادى عشر أشرفت عليهم راية أبى عبيدة يحملها غلامه سالم ومن ورائه فرسان المسلمين
وأبطال الموحدين وقد أحدقوا بأبى عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبى بكر عن يساره وجاءت النسوان
والاموال وضج الناس ضجة واحدة بالتهليل والتكبير فأجابتهم القبائل ووقع الرعب فى قلوب أهل بيت
المقدس فانقلب كبارهم وعظماؤهم وبطارقتهم الى البيعة العظمى عندهم وهى القمامة ووقفوا بين يدى
جاثليقهم وكانوا يعظمونه ويبجلونه فلما سمعوا تلك الضجة دخلوا عليه ووقفوا بين يديه وخضعوا له وقالوا يا أبانا
قد قدم أمير القوم الينا ومعه بقية المسلمين وهذه الضجة بسببه فلما سمع بطركهم وجاثليقهم تغير لونه وتغير وجهه
وقال هى هى قالوا وما ذلك أيها البترك والأب الكبير قال وحق الانجيل ان كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم
والسلام قالوا وكيف ذلك قال لانا نجد فى العلم الذى ورثناه عن المتقدمين ان الذى يفتح الارض فى الطول
والعرض هو الرجل الاسمر الاحور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد فان كان قد قدم فلا سبيل لقتاله ولا طاقة
لكم بنزاله ولا بد لى أن أشرف عليه وأنظر اليه والى صورته فان كان اياه عمدت الى مصالحته وأجبته الى ما يريد
وان كان غيره فلا نسلم اليه قط لان مدينتنا لا تفتح الا على يد من ذكرته لكم والسلام ثم انه وثب قائما والقسوس
والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه وفتحوا الانجيل بين يديه ودارت البطارقة من
حوله وصعد على السور من الجهة التى فيها أبو عبيدة فنظر الى المسلمين وهم يسلمون عليه ويعظمونه ثم يرجعون
الى القتال كأنهم الاسد الضارية فناداهم رجل ممن كان يمشى بين يدى البترك فقال يا معاشر المسلمين كفوا عن
القتال حتى نستخبركم ونسألكم قال فامسك الناس عن القتال فناداهم رجل من الروم بلسان عربى فصيح

وثلاثين سنة وعشرة أشهر
وأربعة وعشرين يوما
﴿الباب الثانى فى دولة
الفواطم والدولة الأيوبية
والدولة التركية المعروفين
بالمماليك البحرية ودولة
الجراكسة﴾
أما دولة الفواطم ويقال
لهم العبيديون فسبب
دخولهم مصر انه لما مات
الامير كافور اضطربت
أحوال الديار المصرية
وطمعت أهل القرى فى
الجند فكتب أعيان مصر
الى الملك المعز الفاطمى
فأرسل اليهم جوهرا
الصقلى القائد فى مائة
ألف مقاتل فدخلوا مصر
فى يوم الثلاثاء سابع عشر

اعلموا أن صفة الرجل الذى يفتح بلادنا هذا وجميع الارض عندنا فان كان هو أميركم فلا نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم يكن اياه فلا نسلم اليكم أبدا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع المسلمون ذلك أقبل نفر منهم الى أبى عبيدة وحدثه بما سمعوه قال فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم فنظر البترك اليه وقال ليس هذا هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم وحريمكم فلما سمعوا قوله رفعوا أصواتهم وأعلنوا بكلمة كفرهم وأقبلوا يقاتلون القتال الشديد وعاد البترك الى القمامة ولم يخاطب أبا عبيدة بكلمة واحدة بل أمر قومه بالحرب والقتال وعاد أبو عبيدة الى أصحابه فقال خالد ما كان منك أيها الامير فقال لا علم لى غير أنى خرجت اليهم كما رأيت وأشرف على شيطان من شياطينهم الذى يضاهم فما هو غير أن نظر لى وتأملنى حتى ضجوا ضجة واحدة وولى عنى لم يكلمنى فقال خالد يوشك أن يكون لهم فى ذلك تأويل ورأى فنقف عليه ونعلم نبأه ثم قال شدوا عليهم الحرب والقتال فشد عليهم المسلمون (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى أيام الشتاء والبرد وظنت الروم ان المسلمين لا يقدرون عليهم فى ذلك الوقت قال وزحف المسلمون اليهم وبرزت النبالة من أهل اليمن وهم أصحاب القسى ورشقوهم بالنبل وكانوا غير محترزين من النبل لقلة اكتراثهم به حتى رأوا النبل ينكسهم على رؤسهم من وراء ظهورهم وهم لا يشعرون قال مهلهل لله در عرب اليمن فلقد رأيتهم يرمون بالنبل الروم فيتهافتون من سورهم كالغنم فلما رأوا ما صنع بهم النبل احترزوا منه وستروا السور بالجحف والجلود وبما يرد النبل قال ونظرت الروم الى ضرار بن الازور وقد أقبل نحو الباب الاعظم وعليه بطريق كبير وعلى راسه صليب من الجوهر وحوله غلمان وعليهم الطوارق وبأيديهم القسى الموترة والعمد وهو يحرض القوم على القتال قال عوف بن مهلهل فنظرت الى ضرار وقد قصد نحوه يختفى ويستتر الى أن قرب من البرج الذى عليه البطريق ثم أطلق اليه نبلة قال عوف فنظرت الى النبلة مع علو هذا الجدار وقد خرجت من قوس ضرار والبرج عال رفيع فقلت وما تكون هذه النبلة مع علو هذا الجدار وما الذى تصنع فى هذا العلج وعليه هذه اللامة اللامعة فاقسم بالله لقد وقعت هذه النبلة فى فيه فتردى الى أسفل برجه فسمعت للقوم ضجة عظيمة وولولة هائلة فعلمت أنه قتل قال ولم يزل أبو عبيدة ينازل بيت المقدس أربعة أشهر كاملة وما من يوم الا ويقاتلهم قتالا شديدا والمسلمون صابرون على البرد والثلج والمطر فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار وما نزل بهم من المسلمين قصدوا الفخامة ووقفوا بين يدى بتركهم وسجدوا بين يديه وعظموه وقالوا له يا أبانا قد دار علينا حصار هؤلاء العرب ورجونا أن يأتينا مدد من قبل الملك ولا شك أنه اشتغل عنا بنفسه من أجل هزيمة جيشه وانهم اشهى منا للقتال وانهم من يوم نزلوا علينا لم نخاطبهم بكلمة واحدة ولم نجبهم احتقارا منا لهم والآن قد عظم علينا الامر وانا نريد منك أن تشرف على هؤلاء العرب وتنظر ما الذى يريدون منا فان كان أمرهم قريبا أجبنا الى ما يريدون ويطلبون وان كان صعبا فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما أن نقتل عن آخرنا واما نهزمهم عنا فأجابهم البترك الى ذلك واشتمل بلباسه وصعد معهم على السور وحمل الصليب بين يديه واجتمع القسوس والرهبان حوله وبأيديهم الأناجيل مفتحة والمباخر حتى أشرف على المكان الذى فيه أبو عبيدة فنادى منهم رجل بلسان فصيح العربية يا معاشر العرب ان عمدة دين النصرانية وصاحب شريعتها قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فاخبروا أبا عبيدة بمقالهم فقال والله انى لأجيبه حيث دعانى ثم قام أبو عبيدة وجماعة من الامراء والصحابة ومعه ترجمان فلما وقف بازائه وقال لهم الترجمان ما الذى تريدون منا فى هذه البلدة المقدسة ومن قصدها يوشك أن الله يغضب عليه ويهلكه فأخبره الترجمان بذلك فقال قل لهم نعم انها بلدة شريفة ومنها أسرى بنبينا الى السماء ودنا من ربه كقاب قوسين أو أدنى وانها معدن الانبياء وقبورهم فيها ونحن أحق منكم بها ولا نزال عليها أو يملكنا الله اياها كما ملكنا غيرها قال البترك فما الذى تريدون منا قال أبو عبيدة خصلة من ثلاث أولها أن تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فان أجبتم الى هذه الكلمة كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا قال البترك انها كلمة عظيمة ونحن قائلوها الا ان نبيكم محمدا ما نقول انه رسول قال أبو عبيدة كذبت يا عدو الله انك لم توحد قط وقد أخبرنا الله فى كتابه انكم تقولون المسيح ابن الله لا اله الا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال البترك هذه خصلة لا نجيبكم اليها فما الخصلة الثانية فقال أبو عبيدة تصالحوننا عن بلدكم أو تؤدون الجزية الينا عن يد وأنتم صاغرون كما أداها غيركم من أهل الشام

شعبان سنة ثمانين وخمسين وثلثمائة فهرب أصحاب كافور وأخذ جوهر مصر بلا ضرب ولا طعن فخطب للمعز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها وأمر المؤذنين بجامع عمرو وبجامع ابن طولون أن يؤذنوا بحى على خير العمل التى هى من شعائر الخوارج فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له ردا وأرسل بشيرا الى المعز يبشره بفتح الديار المصرية واقامة الدعوة له بها وطلبه اليها ففرح بذلك فرحا شديدا ولما دخل جوهر القائد مصر لم يعجبه مدينة

قال البترك هذه الخصلة أعظم علينا من الاولى وما كنا بالذى يدخل تحت الذل والصغار أبدا فقال أبو عبيدة مانزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم ونستعبد أولادكم ونساءكم ونقتل منكم من خالف كلمة التوحيد وعكف على كلمة الكفر فقال البترك فانا لا نسلم مدينتنا أو نهلك عن آخرنا وكيف نسلمها وقد استعددنا بآلة الحرب والحصار وفيها العدة الحسنة والرجال الشداد ولسنا كمن لاقيتم من أهل المدن الذين أذعنوا لكم بالجزية فانهم قوم غضب عليهم المسيح فادخلهم تحت طاعتكم ونحن في بلد من اذا سأل المسيح ودعاه أجاب دعوته فقال أبو عبيدة كذبت والله يا عدو الله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام فقال أنا أقسم بالمسيح أنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة مافتحتموها أبدا وانما تفتح لرجل صفته ونعته في كتبنا ولسنا نجد صفته ونعته معك أبدا فقال أبو عبيدة وما صفة من يفتح مدينتكم قال البترك لا نخبركم صفته لكن نجد في كتبنا وماقرأناه من علمنا انه يفتح هذه البلدة صاحب محمد اسمه عمر يعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه في الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم قال فلما سمع أبو عبيدة ذلك من كلام البترك تبسم ضاحكا وقال فتحنا البلدة ورب الكعبة ثم أقبل عليه وقال له اذا رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندى وعدد سنينه وأيامه قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا فقال البترك ان كان الامر كما ذكرت فقد علمت صدق قولنا فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك يأت فاذا رأيناه وتبيناه وعرفنا صفته ونعته فتحنا له البلد من غيرهم ولا نكدوا أعطينا الجزية فقال أبو عبيدة فاني أبعث اليه بأن يقدم علينا أفتحبون القتال أم نكف عنكم فقال البترك معاشر العرب الا تدعون بغيكم أخبركم بأنا قد صدقناكم في الكلام طلبا لحقن الدماء وأنتم تأبون الا القتال قال أبو عبيدة نعم لان ذلك أشهى الينا من الحياة ونرجو به العفو والغفران من ربنا قال فأمر أبو عبيدة بالكف عنهم وانصرف البترك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فجمع أبو عبيدة الامراء والمسلمين اليه وأخبرهم بما قال البترك فرفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا افعل أيها الامير واكتب الى أمير المؤمنين بذلك فلعله يسير الينا ويفتح هذا البلد علينا فقال شرحبيل بن حسنة اصبر حتى نقول لهم ان الخليفة معنا ويتقدم خالد اليهم فاذا نظروا اليه فتحوا الباب وكفينا التعب وكان خالد أشبه الناس بعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلما أصبح الصباح قال له الترجمان قد جاء الخليفة وكان قد قال أبو عبيدة لخالد فركبوا جميعا وقالوا قد جاء الرجل الذى تطلبونه فعرفوا البترك فأقبل الى أن وقف على السور وقال له قل له يتقدم بحيث نراه عيانا فتقدم خالد فتبينه وقال وحق المسيح كأنه هو ولكن باقى العلامات ماهى فيه فبحق دينك من أنت فقال أنا من بعض أصحابه فقال البترك يافتيان العرب كم يكون هذا الخداع فيكم وحق المسيح اننا لم نر الرجل الموصوف مانفتح لكم ولا يرجع أحد منا بكلامكم ولو أقمتم علينا عشرين سنة ثم ولى ولم يتكلم فقال المسلمون عند ذلك اكتبوا الى أمير المؤمنين وعرفوه بذلك فعسى أن يأتى ويتشرف بهذه البقعة فكتب أبو عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله أبى عبيدة عامر بن الجراح أما بعد السلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أمير المؤمنين انا منازلون لاهل مدينة ايلياء نقاتلهم أربعة أشهر كل يوم نقاتلهم ويقاتلوننا ولقد لقى المسلمون مشقة عظيمة من الثلج والبرد والامطار الا انهم صابرون على ذلك ويرجون الله ربهم فلما كان اليوم الذى كتبت اليك الكتاب فيه أشرف علينا بتركهم الذى يعظمونه وقال انهم يجدون فى كتبهم انه لا يفتح بلدهم الا صاحب نبينا واسمه عمر وانه يعرف صفته ونعته وهو عندهم فى كتبهم وقد سألنا حقن الدماء فسر الينا بنفسك وأنجدنا لعل الله أن يفتح هذه البلدة لنا على يديك ثم انه طوى الكتاب وختمه وقال يامعاشر المسلمين من ينطلق بكتابى هذا وأجره على الله فأسرع بالاجابة ميسرة بن مسروق العبسى وقال أنا أكون الرسول وأرجع مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ان شاء الله تعالى قال أبو عبيدة خذ الكتاب بارك الله فيك فأخذه ميسرة واستوى على ناقة له كوماء ولم يزل سائرا الى أن دخل المدينة فدخلها ليلا وقال والله لا نزلت عند أحد من الناس فأناخ ناقته على باب المسجد وعقلها ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ثم اتى مكانا فى المسجد فنام وكان له ليال عدة لم ينم فأخذته عيناه فما استيقظ الا على أذان عمر وكان عمر يغلس فى الاذان فلما أذن دخل المسجد وهو يقول الصلاة رحمكم الله

الفسطاط فأخذ فى أسباب عمارة القاهرة بنية المفاخرة لبنى العباس ببنائهم بغداد فحفر أساس المدينة وجمع أرباب الفلك فأمرهم أن يختاروا له طالعا سعيدا يضع أساس المدينة فيه فجعل على كل جهة من أساس المدينة قوائم من خشب وبين كل قائمتين حبلا فيه أجراس من نحاس ثم وقف الفلكية ينتظرون دخول الساعة الجيدة والطالع السعيد ليضعوا فيه الاساس فقدر الله أن طائرا حرك تلك الاجراس فالقوا مافى أيديهم من الحجارة فى أساس السور

قال

قال ميسرة فقمت وتوضأت وصليت خلف عمر صلاة الفجر فلما انحرف عن محرابه قمت اليه وسلمت عليه فلما نظر الى صافحني واستبشر وقال ميسرة ورب الكعبة ثم قال ما وراءك يا ابن مسروق قلت الخير والسلامة يا أمير المؤمنين ثم ناولته الكتاب فقرأه على المسلمين فاستبشروا به فقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب به أبو عبيدة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم وأخرجهم من الشام ونصر المسلمين عليهم وقد حاصر أصحابنا مدينة ايلياء وضيقوا عليهم وهم في كل يوم يزدادون ذلا وضعفا ورعبا فان أنت أقمت ولم تسر اليهم رأوا انك بأمرهم مستخف ولقتالهم مستحقر فلا يلبثون الا اليسير حتى ينزلوا على الصغار ويعطون الجزية فلما سمع عمر ذلك من مقال عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأى غير هذا فقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه نعم عندي غير هذا الرأى وأنا أبديه لك رحمك الله فقال عمر وما هو يا أبا الحسن قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذلك فتح للمسلمين وقد أصاب المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام واني أرى أنك ان سرت اليهم فتح الله هذه المدينة على يديك وكان في مسيرك الاجر العظيم في كل ظمأ ومخمصة وفي قطع كل واد وصعود جبل حتى تقدم اليهم فاذا أنت قدمت عليهم كان لك وللمسلمين الامن والعافية والصلاح والفتح ولست آمن أن ييأسوا منك ومن الصلح ويمسكوا حصنهم ويأتيهم المدد من بلادهم وطاغيتهم فيدخل على المسلمين من ذلك الهم والبلاء لا سيما بيت المقدس عندهم وهو معظم واليه يحجون فلا يتخلفون عنه والصواب أن تسير اليهم ان شاء الله تعالى قال ففرح عمر بن الخطاب بمشورة علي رضي الله تعالى عنه وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وأحسن علي المشورة للمسلمين فجزاهما الله خيرا ولست آخذ الا بمشورة علي فما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الغرة ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه أمر الناس بأخذ الاهبة للمسير معه والاستعداد فاسرع المسلمون الى ذلك واستعدوا وتأهبوا وأمرهم عمر ان يكونوا خارج المدينة ففعلوا ذلك وأتى عمر المسجد فصلى فيه أربع ركعات ثم قام الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وعلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج من المدينة وأهلها يشيعونه ويودعونه (قال الواقدي) رضي الله تعالى عنه وخرج عمر من المدينة وهو على بعير له أحمر وعليه غرارتان في احداهما سويق وفي الأخرى تمر وبين يديه قربة مملوءة ماء وخلفه جفنة للزاد وخرج ومعه جماعة من الصحابة قد شهدوا اليرموك وعادوا الى المدينة منهم الزبير وعبادة بن الصامت وسار عمر نحو بيت المقدس فكان اذا نزل منزلا لا يبرح منه حتى يصلي الصبح فاذا انفتل من الصلاة أقبل على المسلمين وقال الحمد لله الذي أعزنا بالاسلام وأكرمنا بالايمان وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات على كلمة التقوى وألف بين قلوبنا ونصرنا على عدونا ومكن لنا في بلاده وجعلنا اخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابغة والمنن الظاهرة فان الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين ثم يأخذ الجفنة فيملؤها سويقا ويصف التمر حولها ويقرب للمسلمين ويقول كلوا هنيئا مريئا فيأكل ويأكل المسلمون معه ثم يرحل فلم يزل كذلك في مسيره قال عمرو بن مالك العبسي كنت مع عمر ابن الخطاب حين سار الى الشام فمر على ماء لجذام وعليه طائفة منهم نزول والماء يدعى ذات المنار فنزل بالمسلمين عليه فبينما هو كذلك وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله اذ أقبل اليه قوم من جذام فقالوا يا أمير المؤمنين ان عندنا رجلا له امرأتان وهما أختان لأب وأم قال فغضب عمر وقال علي به فأتي بالرجل اليه فقال له عمر ما هاتان المرأتان قال الرجل زوجتاي قال فهل بينهما قرابة قال نعم هما أختان قال عمر فما دينك ألست مسلما قال بلى قال عمر وما علمت ان هذا حرام عليك والله يقول في كتابه وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف فقال الرجل ما علمت وما هما علي حرام فغضب عمر وقال كذبت والله انه لحرام عليك ولتخلين سبيل احداهما والا ضربت عنقك قال الرجل أفتحكم علي قال أي والله الذي لا اله الا هو فقال الرجل ان هذا دين ما أصبنا فيه خيرا ولقد كنت غنيا عن أن أدخل فيه قال عمر ادن مني فدنا منه فخفق رأسه بالدرة خفقتين وقال له أتتشاءم بالاسلام يا عدو الله وعدو نفسه وهو الدين الذي ارتضاه الله لملائكته ورسله وخيرته من خلقه خل يا ويلك سبيل احداهما والا جلدتك جلدة المفتري فقال الرجل كيف أصنع بهما واني أحبهما ولكن أقرع بينهما فمن خرجت القرعة عليها كنت لها وهي لي وان كنت لهما جميعا محبا فامر عمر فاقترع فوقعت القرعة على

فصادفت عليهم الفلكية القاهر في الطالع يعنون المريخ فانه يسمى عندهم القاهر فقال اعلموا أن هذه المدينة أكثر من يملكها الاتراك وكان الامر كذلك وبني الجامع الازهر ثم لما دخل المعز مصر لم يعجبه ما بناه جوهر القائد وعابه وقال لأي شئ لم تجعلها على البحر وكان قد سماها المنصورية أولا ثم لما بلغه ما وقع للفلكية غير الاسم وسماها القاهرة المعزية ولما استقر للمعز ملك مصر انفرد بها ولم يدخل تحت طاعة الخلفاء العباسية وقال أنا أفضل منهم لاني من ولد فاطمة

احدا هما فامسكها واطلق سبيل الثانية ثم أقبل عليه عمر وقال له اسمع ياذا الرجل ودع ما أقول لك انه من دخل في ديننا ثم رجع عنه قتلناه فاياك أن تفارق الاسلام واياك يبلغني انك قد أصبت أخت امرأتك التي فارقتها فانك ان فعلت ذلك رجمتك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وسار عمر حتى مر على حي من بني مرة فاذا بقوم منهم قد أقاموا في الشمس يعذبون فقال لهم عمر ما بال هؤلاء يعذبون فقيل عليهم خراج فهم يعذبون قال فما يقولون قال يقولون ما نجد ما نؤدي فقال عمر دعوهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعذبوا الناس في الدنيا يعذبكم الله يوم القيامة فخلى سبيلهم ثم سار حتى اذا كان بوادي القرى أخبروه ان شيخا على الماء وله صديق يوده فقال له صديقه هل لك أن تجعل لي في زوجتك نصيبا وأكفيك رعيك ابلك والقيام عليها ولي فيها يوم وليلة ولك فيها يوم وليلة قال له الشيخ قد فعلت ذلك ورضي فلما أخبر عمر بذلك أمرهما فأحضرا فقال ويلكما ما دينكما قالا الاسلام قال عمر فما الذي بلغني عنكما قالا وما هو فأخبرهما عمر بما سمعه من العرب فقال عمر الشيخ قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فقال عمر أما علمتما أن ذلك حرام في دين الاسلام قالا لا والله ما علمنا ذلك فقال للشيخ وما دعاك أن صنعت هذا القبيح قال أنا شيخ كبير ولم يكن لي أحد أثق به ولا أتكل عليه فقلت يا هذا أتكفيني الرعي والسقي وتعينني على دوابي وأنا أجعل لك نصيبا في امرأتي والآن علمت انه حرام فلا أفعله فقال عمر خذ بيد امرأتك فلا سبيل لي عليها ثم قال للشاب اياك أن تقرب منها فانه ان بلغني ذلك ضربت عنقك ثم ارتحل عمر يريد بيت المقدس حتى دنا من أول الشام وأشرف عليه قال أسلم ابن برقان مولى عمر فلما أشرفنا على الشام وأشرف عليه المسلمون نظرنا الى طائفة من خيل المسلمين فقال عمر للزبير أسرع وانظر ما هذه الخيل فاسرع الزبير اليها فلما قرب منها واذا هي خيل من اليمن قد بعثهم أبو عبيدة يأخذون له خبر عمر رضي الله تعالى عنه قال الزبير يسلموا علي وقالوا يا فتى من أين أقبلت فقلت من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كيف خلفت أهلها قلت بخير قالوا فما فعل عمر هل قدم علينا أم لا قال الزبير من أنتم قالوا نحن من عرب اليمن قد وجهنا أبو عبيدة لنأخذ له خبر عمر قال فرجع الزبير الى عمر وحدثه فقال أصبت يا أبا عبد الله فاقبل علينا نبع آخر فسلموا علينا وسألونا عن عمر فقال لهم ها أنا عمر فما تريدون قالوا يا أمير المؤمنين قد ذرفت العيون وطالت الاعناق بطول قدومك فلعل الله أن يفتح بيت المقدس على يدك (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ثم رجعوا على أعقابهم حتى أشرفوا على عسكر المسلمين وأبي عبيدة ونادوا بأصواتهم أبشروا يا معشر المسلمين بقدوم عمر قال فارتج الناس وهموا أن يركبوا الاستقباله بأجمعهم فقال لهم أبو عبيدة عزيمة على كل رجل أن لا يخرج من مركزه ثم سار أبو عبيدة في اناس من المهاجرين والانصار حتى أشرف بمن معه على عمر قال ونظر عمر الى أبي عبيدة وهو لابس سلاحه متنكب قوسه وهو راكب على قلوصه مغطى بعباءة قطوانية وخطام قلوصه من شعر فلما نظر أبو عبيدة الى عمر رضي الله عنهما أناخ قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجل كل منهما ومد أبو عبيدة يده فصافح عمر وتعانقا جميعا وسلم بعضهما على بعض وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبا جميعا وجعلا يسيران أمام الناس وهما يتحادثان ولم يزالا كذلك حتى نزلا ببيت المقدس فلما نزلا صلى عمر رضي الله تعالى عنه بالمسلمين صلاة الفجر ثم خطبهم خطبة حسنة فقال في خطبته الحمد لله الحميد المجيد القوي الشديد الفعال لما يريد ثم قال ان الله تعالى قد أكرمنا بالاسلام وهدانا بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأزاح عنا الضلالة وجمعنا بعد الفرقة وألف بين قلوبنا من بعد البغضاء فاحمدوه على هذه النعمة تستوجبوا منه المزيد فقد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ثم قرأ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا قال فلما تلا عمر ذلك قام قس من النصارى كان حاضرا بين يديه فقال ان الله لا يضل أحدا فلما كررها قال عمر انظروا ان عاد الى قوله فاضربوا عنقه فعرف القس ما قال عمر فامسك ومضى عمر في خطبته فقال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله عز وجل الذي يبقى ويفنى كل شئ سواه الذي بطاعته ينفع أولياءه وبمعصيته يفني أعداءه أيها الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها قلوبكم وأنفسكم لا تريدون بها جزاء من مخلوق ولا شكورا افهموا ما توعظون به فان الكيس من أحرز دينه وان السعيد من اتعظ بغيره ألا ان شر الأمور مبتدعاتها وعليكم بالسنة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم فالزموها فان الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة والزموا القرآن فان فيه الشفاء

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر المؤرخين يكذبونهم في ذلك ويقولون انهم أولاد الحسين بن محمد ابن أحمد القداح وكان مجوسيا وقيل يهوديا وأمهم فاطمة بنت عبيد اليهود وخلافتهم باطلة لانهم قاموا والخلافة العباسية قائمة ببغداد ولا تصح البيعة بالخلافة لامامين في وقت واحد وعبدا ظهورهم بالمغرب المهدي بالله عبيد الله في المهدية تولى بالمغرب خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر ثم القائم بامر الله محمد تولى المغرب أيضا اثنتى عشرة سنة وسبعة أشهر

والثواب أيها الناس انه قد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي فيكم وقال ألزموا أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى يشهد من لم يستشهد ويحلف من لم يحلف فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة وتعوذوا من الشيطان ولا يخلون أحدمنكم بامرأة فانهن من حبائل الشيطان ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن والصلاة الصلاة فلما فرغ من خطبته جلس فجعل أبو عبيدة يحدثه بما لقى من الروم وعمر باهت فتارة يبكى وتارة يحمد فلم يزل كذلك الى أن حضرت صلاة الظهر فقال الناس يا أمير المؤمنين اسأل بلالا أن يؤذن لنا وكان بلال مقيما بالبلد فلما بلغه أن الناس قد نزلوا على بيت المقدس أتى اليهم وشاهد قتالهم وجعل يقاتل معهم فلما بلغه أن عمر قد وصل سار مع أبى عبيدة حتى سلم على عمر فعظم قدره فلما حضرت صلاة الظهر وسأل المسلمون عمر أن يسأل بلالا فقال له يا بلال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون أن تؤذن لهم وتذكرهم أوقات نبيهم صلى الله عليه وسلم فقال بلال نعم فلما قال الله أكبر خشعت جلودهم واقشعرت أبدانهم قال فلما قال أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا حتى كادت قلوبهم أن تتصدع عند ذكر الله ورسوله فلما فرغ بلال من أذانه وجلس قال بلال يا أمير المؤمنين ان أمراء المسلمين وأجناد الشام يأكلون لحوم الطيور والخبز النقى ومالا يلحق ضعفاء الناس ومالا تناله أيديهم وان الكل يفنى ومآله الى التراب ومصيرنا اليه فقال له يزيد بن أبى سفيان ان سعر بلادنا هذه رخيص وانا لا نصيب ما قاله بلال ههنا مثل ما كنا نقوت به أنفسنا مدة من الزمان فى الحجاز فقال عمر ان الامر كما ذكرت فكلوا هنيأ مريأ ولست أبرح من مكانى حتى تجمعوا الى من فى المنازل وان تكتبوا الى فقراء المسلمين ممن فى المدن والقرى فافرض لكل أهل بيت ما يجزيهم من البر والشعير والعسل والزيت وما يحتاجون اليه ومالا بد لهم منه ثم قال عمر هذا لكم من أمرائكم غير ما يأتيكم منى من بيت مال المسلمين فان قطعت عنكم أمراؤكم فأمرونى حتى أعزلهم عنكم ثم أمرهم بالرحيل فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعة من صوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) بلغنى ممن أثق به انها كانت مرقعة من صوف فقال له المسلمون يا أمير المؤمنين لو ركبت بدل بعيرك جوادا ولبست ثيابا بيضا قال ففعل قال الزبير أحسب أنها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما وطرح على عاتقه منديلا من كتان ليس جديدا ولا بالخلق دفعه اليه أبو عبيدة وقدم اليه برذون أشهب من براذين الروم فلما صار عمر على ظهره جعل البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى البرذون وفعاله نزل عنه مسرعا وقال أقيلوا عثرتى أقال الله عثرتكم يوم القيامة فقد كاد أميركم أن يهلك مما داخل قلبى من العجب والكبر وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من الكبر ولقد كاد أن يهلكنى ثوبكم الابيض وبرذونكم المهملج ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه نزع ما كان عليه ثم عاد الى لبس مرقعته (قال الواقدى) كنا يوما نقرأ فتوح الشام وفتوح بيت المقدس عند قبر أبى حنيفة وكان الفتوح يقرأ على عبادة بن عوف الدينورى وكان من أهل الفضل وكان يسجع كلامه فلما وصل الى ما ذكرناه من لبس عمر لمرقعته قال قد سمح خاطرى بما أنا قائله (قال الواقدى) قلت قل ولا تخف الصدق فتهوى فى النار وان الصدق أمانة والكذب خيانة قال لما لبس عمر مرقعته وجعل يتبختر فى شمائل فقره والكائنات تتعجب من زهده وصبره عندها تزينت له الدنيا بملابسها وتراءت له فى حلل أمنيتها بواسطة حدثان مشيئتها وقد جعلت أشباح شهواتها على قمة رأس مرآتها وأقبلت رافلة فى حلة مراودته مطلقة عنان الطمع فى طلب زوال مجاهدته معرضة بملابس جمالها على سوق معارضته فى سناء قبلة مرآة تبهرج بها فى عين مشاهدته واقفة على قدم الاستدراج الى ترك خدمته جاعلة ودادها ذريعة الى وصلته وعمر قد أمسك عرى طاعته بيد عصمته فلما نصبت له حبائل بلاها ولم تره وقع فى اشراك هواها أسمعت فى معناها قد شغفها حبا أنا لنراها وقالت يا عمر قد وليت أرضى فلا بد من القيام بفرضى فالولاية لا تقوم الا بالملابس الطفية والمآكل الشهية والظلم فى الرعية فقال عمر اذهبى فلست من رجالك ولا ممن يقع فى حبالك ولا فى أوحالك أما علمت أنى قد تجردت لمعاندتك ولا حاجة لى فى مشاهدتك وها أنا على قدم تجردت لاقامة دعوة سيد الامم حتى أفتح بلاد الروم والعجم ثم أظهر فى وجهها صارم اجتهاده من معنى قوله وجاهدوا فى الله حق جهاده (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) فاستحسنت هذا الكلام وألحقت ما قاله فى هذا الموضع

ثم المنصور اسمعيل صاحب افريقية تولى بالمغرب فاقام اثنتين وثلاثين سنة وأولهم بمصر المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بن القائم بامر الله بن المهدى صاحب المغرب بويع له بالمغرب بعد موت أبيه المنصور وكان رافضيا يبغض الصحابة ويسبهم يوم الجمعة على المنبر الا انه كان عاقلا فاضلا أديبا حاذقا وفيه عدل للرعية وكانت مدة ولايته بمصر اربع سنين وشهرا ويومين (وتولى من بعده ولده العزيز بالله نزار) بويع له بالخلافة بعد موت أبيه المعز سنة خمس وستين

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال وان عمر سار يريد العقبة ليصعد منها الى بيت المقدس فلقيه قوم من المسلمين وعليهم ثياب الديباج مما أخذوه من اليرموك فامر عمر أن يحثوا التراب فى وجوههم وان تمزق عليهم ولم يزل على ذلك حتى أشرف على بيت المقدس فلما نظر اليها قال الله أكبر اللهم افتح لنا فتحا يسيرا واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا ثم سار واستقبلته العشائر والقبائل وأصحاب العقود وسار عمر حتى نزل بالموضع الذى كان فيه أبو عبيدة وضربت له خيمة من شعر وجلس فيها هنالك على التراب ثم قام فصلى أربع ركعات (قال الواقدى) وعلت للمسلمين ضجة عظيمة وصياح مزعج بالتهليل والتكبير فسمع أهل بيت المقدس الضجة والجلبة فقال لهم البترك يا ويلكم ما شأن العرب قد ارتفعت لهم جلبة من غير شئ فاشرفوا عليهم وانظروا ما شأنهم (قال الواقدى) فاشرف عليهم رجل ممن يعرف العربية فقال يا معاشر العرب أخبرونا ما قصتكم قالوا ان أمير المؤمنين عمر قد قدم علينا من مدينة نبينا وهذه الضجة من فرح المسلمين به قال فرجع وأعلم البترك فاطرق الى الارض ولم يتكلم فلما كان الغد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر قال لأبى عبيدة يا عامر تقدم الى القوم وأعلمهم أنى قد أتيت قال فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال يا أهل هذه البلدة ان صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فما تصنعون فيما قلتم قال فاعلموا البترك فخرج من كنيسته وعليه المسوح وترجل الرهبان والقسوس والاساقفة معه وقد حمل بين يديه صليب لا يخرجونه الا فى عيدهم وسار معه البطاليق الوالى عليهم وهو يقول للبترك يا أبانا ان كنت تعرفه معرفة حقيقة والا فلا تفتح له ودعنا وهؤلاء العرب فاما أن نبيدهم واما أن يبيدونا قال البترك أنا أفعل ذلك ثم صعد على السور ووقف البطاليق الى جانبه والصليب أمامهم وأشرف على أبى عبيدة وقال ما تشاء أيها الشيخ الباهى قال أبو عبيدة هذا أمير المؤمنين عمر وليس عليه أمير قد أتى فاخرجوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة وأداء الجزية فقال البترك يا ذا الرجل ان كان صاحبك الذى ليس عليه أمير قد أتى فدعه يدن منا فانا نعرفه بنعته وصفته وأفردوه من بينكم وليقف بازائنا حتى نراه فان كان صاحبنا الذى نعته فى الانجيل نزلنا اليه وعقدنا معه الامان وأقررنا له بالجزية وان كان غير الذى نجد نعته فى الانجيل وصفته فما لكم عندنا غير القتال قال فرجع أبو عبيدة الى عمر وأخبره بما قاله البترك فهم عمر بالقيام فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين أتخرج اليهم منفردا وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة وانا نخشى عليك منهم غدرا أو مكرا فينالون منك فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم أمر ببعيره فقدم اليه فاستوى فى ركوبه عليه وعليه مرقعته ليس عليه غيرها وعلى رأسه قطعة عباءة قطوانية وقد عصب بها رأسه وليس معه غير أبى عبيدة رضى الله تعالى عنهما وهو سائر بين يديه حتى قرب من السور ووقف بازاء السور والبترك والبطاليق عليه فتكلم أبو عبيدة وقال يا هؤلاء هذا أمير المؤمنين قد أتى ففسح البترك عينه ونظر اليه وزعق بأعلى صوته هذا والله الذى نجد صفته ونعته فى كتبنا ومن يكون فتح بلادنا على يديه لا محالة ثم انه قال لأهل بيت المقدس يا ويحكم انزلوا اليه واعقدوا معه الامان والذمة هذا والله صاحب محمد بن عبد الله (قال الواقدى) فلما سمعت الروم كلام البترك نزلوا مسرعين وكانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار ففتحوا الباب وخرجوا الى عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية فلما نظر اليهم عمر وهم على تلك الحالة تواضع لله وخر ساجدا على بعيره ثم نزل اليهم وقال ارجعوا الى بلادكم ولكم الذمة والعهد اذا سألتمونا وأقررتم بالجزية قال فرجع القوم الى بلدهم ولم يغلقوا الابواب ورجع عمر الى عسكره فبات فيه ليلته فلما كان الغد قام فدخل اليها وكان دخوله يوم الاثنين وأقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا من جهة الشرق وهو موضع مسجده فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة فهمت الروم بغدرهم وكان أبو الجعيد الذى احتال على الروم باليرموك ببيت المقدس هو وأهله وماله فقالوا ما ترى فى غدر هؤلاء العرب اذا هم اشتغلوا بصلاتهم وليس معهم آلة حرب ولا ما يحترزون به من الضرب والقتل فقال لهم أبو الجعيد يا قوم لا تفعلوا ولا تغدروا بهم فان فعلتم ذلك أخبرتهم بما تريدون أن تفعلوا بهم فقالوا وما الذى تصنع فقال أبو الجعيد اظهروا للعرب ما لكم من الزينة ومتاع الدنيا فان متاع الدنيا وما فيها لا يصبر صاحبها عنها فاطلبوهما بغدركم فشأنكم وما تريدون قال فاقبل القوم على ما كانوا يقدرون عليه من المال والمتاع الحسن فاظهروه ووضعوه فى طريق المسلمين وشوارعهم فجعل المسلمون ينظرون الى ذلك فى دخولهم وخروجهم وهم

وثلثمائة وكان جوهر القائد يدبر له المملكة كما كان فى زمن والده فاقام احدى وعشرين سنة وتوفى فى حمام بلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة (وتولى بعده الحاكم بامر الله) أبو على منصور بن العزيز كان شر الخليقة لم يل مصر بعد فرعون أشر منه رام أن يدعى الالوهية كما ادعاها فرعون فامر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر أن يقوموا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان ذلك فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا

يعجبون منهم ولم يمل أحد منهم اليه ولم يلمسه وهم يقولون الحمد لله الذى أورثنا ديار قوم لهم مثل هذا ولو ساوت
الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء قال عوف بن سالم فوالله ما من المسلمين من جعل يده
على شئ من متاعهم ولا لمسه فقال لهم أبو الجعيد هؤلاء القوم الذين وصفهم الله فى التوراة والانجيل وانهم
لا يزالون على الحق ولا يقربهم أحد ماداموا على ماهم عليه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقام عمر فى بيت
المقدس عشرة أيام قال شهر بن حوشب سمعت كعب الاحبار يقول ان عمر بن الخطاب لما صالح أهل بيت
المقدس ودخلها أقام فيها عشرة أيام فاقبلت اليه وكنت فى قرية من فلسطين وتقدمت اليه لاسلم عليه وأسلم
على يديه وذلك أن أبى كان أعلم الناس بما أنزل الله على موسى بن عمران وانه كان لى محبا وعلىّ مشفقا ولم يكتم
على شيأ الا أعلمنى اياه مما كان يعلم الناس فلما حضرته الوفاة دعانى اليه وقال لى يا بنى انك تعلم أنى ما ادخرت عنك
شيأ مما كنت أعلمه لانى خشيت أن يخرج بعض هؤلاء الكاذبين وتتبعهم وقد جعلت هاتين الورقتين فى هذه
الكوة التى ترى فلا تتعرض لهما ولا تنظر فيهما الى أن تسمع بخبر نبى يبعث فى آخر الزمان اسمه محمد فان يرد الله
بك خيرا فانت تتبعه ثم مات بعد وصيته اياى قال كعب فدفنته فما كان شئ أحب الى بعد انقضاء العزاء من النظر
فى الورقتين وقراءة ما فيهما ففتحتهما فاذا فيهما لا اله الا الله محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبى بعده مولده بمكة
ودار هجرته طيبة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب أمته الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال ألسنتهم
رطبة بالتهليل والتكبير وهم منصورون على كل من عاداهم من أعدائهم أجمعين يغسلون وجوههم ويستزرون
أوساطهم أناجيلهم فى صدورهم تراحمهم بينهم تراحم الانبياء بين الامم وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من
الامم قال كعب الاحبار فلما قرأت ذلك قلت فى نفسى وهل علمنى أبى شيأ أعظم من هذا ثم مكثت بعد وفاة والدى
ما شاء الله الى أن بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم الموصوف قد ظهر بمكة وهو يظهر مرة بعد أخرى فقلت هو
والله لامحالة ولم أزل أبحث عن أمره حتى قيل انه خرج ونزل بيثرب فجعلت أترقب أمره حتى غزا غزوات ونصر
على أعدائه فتجهزت أريد المسير اليه فبلغنى انه قبض صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى فقلت فى نفسى لعله
ليس الذى كنت أنتظره حتى رأيت فى منامى كأن أبواب السماء قد فتحت والملائكة تنزل زمرة بعد زمرة وقائل
يقول قد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى عن أهل الارض فرجعت الى دار قومى وجاءنا
الخبر انه قد أم أمته خليفة اسمه أبو بكر فقلت أقدم عليه فلم ألبث حتى جاءتنا جنوده الى الشام ثم جاءتنا وفاته ثم
قيل انه استخلف عليهم رجل اسمه عمر فقلت لا أدخل هذا الدين حتى أحققه ولم أزل متوقفا حتى قدم عمر
ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه بيت المقدس وصالح أهلها ونظرت الى وفائهم بعهدهم وما صنع الله باعدائهم
وقلت انهم أمة النبى الامى فحدثت نفسى بالدخول فى هذا الدين فوالله انى كنت ذات ليلة على سطحى واذا أنا
برجل من المسلمين يقول يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها
فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا قال كعب فلما سمعت هذه الآية خفت
والله أن لا أصبح حتى يحول وجهى فما كان شئ أحب الى من الصباح أن يرد فلما أصبحت غدوت من منزلى
وسألت عن عمر فقيل لى انه ببيت المقدس فقصدت اليه واذا به قد صلى باصحابه صلاة الفجر عند الصخرة
فاقبلت اليه وسلمت عليه فرد على السلام وقال لى من أنت فقلت له أنا كعب الاحبار وانى جئت أريد الاسلام
والدخول فيه فانى وجدت صفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فى الكتب المنزلة وان الله عز وجل أوحى الى
موسى عليه السلام انى ما خلقت خلقا أكرم على من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولولاه ما خلقت جنة ولا نارا ولا
سماء ولا أرضا وأمته خير الامم ودينه خير الاديان بعثته آخر الزمان أمته مرحومة وهو نبى الرحمة وهو النبى الامى
التهامى القرشى الرحيم بالمؤمنين الشديد على الكافرين سريرته مثل علانيته وقوله لا يخالف فعله القريب
والبعيد عنده سواء أصحابه متراحمون متواصلون فقال عمر أحقا ما تقول يا كعب قال أى والله والله يسمع
ما أقول ويعلم ما تخفى الصدور فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا وأكرمنا وشرفنا ورحمنا برحمته التى وسعت كل
شئ وهدانا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهل لك يا كعب فى الدخول فى ديننا فقال كعب يا أمير المؤمنين فى كتابكم
الذى أنزل اليكم أمر دينكم ذكر ابراهيم فقال عمر نعم وقرأ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله
اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من

كثير التلون فى أقواله وأفعاله وله أحكام مشهورة عجز عنها صاحب العقل السليم والطبع المستقيم وقبائح ينكرها العرف والشرع القويم حتى انه تعدى قصده الى أخته وأراد أن يفعل بها الفاحشة فعملت على قتله فركب ليلة الى الجبل المقطم ينظر فى النجوم فاتاه عبدان وقتلاه وحملاه الى أخته ليلا فدفنته فى دارها وذلك سنة احدى وأربعمائة فتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا واحدا وبنى الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة فيما بين بابى النصر والفتوح ولما بناه

بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون ثم قرأ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ثم قرأ أفغير دين الله يبغون وله أسلم الآية ثم قرأ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الآية ثم قرأ قل انني هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما الآية ثم قرأ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل الآية قال كعب فلما سمعت هذه الآيات قلت يا أمير المؤمنين أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ففرح عمر باسلام كعب الاحبار ثم قال هل لك أن تسير معى الى المدينة فتزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم وتتمتع بزيارته فقلت نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك قال وارتحل عمر بعد أن كتب لأهل بيت المقدس كتابا أى عهدا وأقرهم فى بلادهم على الجزية وسار بمن معه من العساكر الى الجابية فاقام بها ودوّن الدواوين وأخذ الخمس الذى لله مما أفاء الله على المسلمين ثم قسم الشام قسمين فاعطى أبا عبيدة من حوران الى حلب وما يليها وأمره بالمسير الى حلب وأن يقاتلوا أهلها الى أن يفتحها الله على يديه وأعطى أرض فلسطين وأرض المقدس والساحل ليزيد بن أبى سفيان وجعل أبا عبيدة واليا عليه وأمر يزيد أن يحارب أهل قيسارية الى أن يفتحها الله على يديه وكان قد أعطى أكثر الأجناد لأبى عبيدة مع خالد وسير عمرو بن العاص الى مصر واستعمل على قضاء حمص عمرو بن سعيد الانصارى ثم سار عمر رضى الله عنه يريد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ كعب الاحبار معه وكان أهل المدينة يظنون ان عمر يقيم بالشام لما يرون من كثرة خيرها وطيب فواكهها ورخص أسعارها ولما يخبرون عنها انها بلاد الانبياء وهى الارض المقدسة وفيها المحشر فبقى الناس يتطاولون نحوه ويخرجون فى كل يوم ينظرونه حتى قدم عمر رضى الله عنه فارتجت المدينة يوم قدومه واستبشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤيته وسلموا عليه ورحبوا به وهنؤه بما فتح الله على يديه فاوّل ما بدأ بالمسجد سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم صلى ركعتين وعاد بكعب الاحبار وكال حدث المسلمين بما رأيت فى الورقتين فازداد الناس ايمانا (قال أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى) حدثنا أحمد بن الحسين بن العباس المعروف بابى سفيان النحوى قال حدثنا أبو جعفر بن أحمد بن عبيد الناسخ قال حدثنى عبد الله بن أسلم الزهرى وعبد الله بن يحيى الزرقى عمن حدثه ممن تقدم ذكرهم وأسماؤهم أول الكتاب وحديث القوم قريب بعضهم من بعض والله يعيذنا من الزيادة والنقصان لان الصدق أمانة والكذب خيانة والله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت فى خبر هذه الفتوح الا على الصدق وما حدثت حديثه الا على قاعدة الحق لأثبت فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهادهم حتى أرغم بذلك أهل الرفض الخارجين عن أهل السنة والفرض اذ لولاهم بمشيئة الله تعالى لم تكن البلاد للمسلمين وما انتشر علم هذا الدين فلله درهم لقد جاهدوا فى الله حق جهاده لا جرم وقد قال فيهم الملك المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (قال الواقدى) وذلك انه لما بعث عمر بن الخطاب أبا عبيدة وجعله أمير الشام وأمره بالمسير الى حلب وانطاكية والمفرق وما يليهم من الحصون بعث عمرو بن العاص الى مصر ويزيد بن أبى سفيان الى ساحل الشام فنازلوا قيسارية وهى آهلة بالخلق كثيرة الجند وكان عليها قسطنطين الى أن نزل يزيد وقسطنطين هذا ابن الملك هرقل وكان معه ثمانون ألفا من الروم والعرب المتنصرة والروسية فلما نظر قسطنطين الى نزول يزيد بن أبى سفيان عليه بعث الى أبيه يستنجده فبعث اليه هرقل بصاحب مرعش وعشرين ألفا من أبطال الروسية وأنفذ له المراكب بالزاد والعلوفة فلما نظر يزيد الى ذلك وأن لا قدرة له على ذلك كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد ابن أبى سفيان العامل على بعض الشام الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انى نازلت أهل قيسارية وهى مدينة آهلة بالخلق كثيرة الجند وليس اليها سبيل وان قسطنطين قد استنجد بابيه وقد أنجده بصاحب مرعش وعشرين ألفا والمراكب ترد عليه كل يوم بالعلوفة والزاد وأريد النجدة والسلام وبعث الكتاب مع عمرو بن سالم بن حميد النخعى فلما ورد المدينة وسلم الكتاب الى عمر بن الخطاب قال عمر من أين هذا الكتاب قال من عاملك يزيد بن أبى سفيان فقرأه فلما أتى على آخره تفكر فى أمر يزيد وما وقع له حتى دخل عليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاراه كتاب يزيد من قيسارية الشام يطلب منه نجدة فقال على لا تهتم على المسلمين فان الله يفتحها على يديك رغما فانجد يزيد وأنفذ اليه الكتاب

(قصد قطع الخطبة بالجامع الأزهر فقدر الله انه ما خطب به الا ولده من بعده ﴿وتولى من بعده ابنه الظاهر لدين الله أبو الحسن على بن الحاكم﴾ وهو الرابع من الخلفاء العبيدية الفاطمية وكان عمره ست عشرة سنة فاقام فيها وسبعة أشهر وفعل أفعالا تقرب من أفعال والده ومات يوم الأحد سنة سبع وعشرين وأربعمائة ﴿وتولى من بعده أبو أحمد المستنصر بالله معد بن الظاهر﴾ فاقام ستين سنة بتقديم السين المهملة على المثناة الفوقية وأربعة أشهر ولم يقم هذه المدة خليفة ولا)

﴿ذكر فتح مدينة حلب وقلاعها﴾

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) كان مع أبي عبيدة عشرون ألفا ومع يزيد وعمرو بن العاص عشرة آلاف (قال الواقدي) فلما وصل كتاب عمر الى أبي عبيدة أنفذ الى يزيد ثلاثة آلاف فارس مع حرب بن عدي وبقي أبو عبيدة في سبعة عشر ألفا وأكثرهم من اليمن وكان أبو عبيدة قد صالح أهل قنسرين والعواصم على خمسة عشر ألف مثقال من الذهب ومثلها من فضة وألف ثوب من أصناف الديباج وخمسمائة وسق من التين والزيت فلما تم الصلح وجاؤا بما ضمنوه من مدينتهم كتب لهم كتابا وشرط فيه الشروط ودخل أبو عبيدة وخالد في رجال من المؤمنين وسادات المسلمين فخطوا بها مسجدا فبلغ ذلك أهل حلب من الصلح لقنسرين ومسير العرب فاضطربوا اضطرابا شديدا وكان عليهم رئيسان أخوان لأب وأم وكانا يسكنان في القلعة ولم تكن القلعة محيطة بالمدينة بل كانت المدينة منفردة بذاتها وكان البطريقان يقال لأحدهما يوقنا والآخر يوحنا وكان أبوهما ملك البلد وأعماله وضياعه ورساتيقه الى حدود الضرب والى حدود الفرات وقد ملك حلب سنين لا ينازعه فيها منازع وكان هرقل طاغية الروم يهابه ويوقره ولا يحاربه كل ذلك لبقاء ملكهم واجتماع كلمتهم لانه كان قد انتزع من رومية الى أقصى البلاد لئلا يجيش عليه أحد جيشا ولا ينازعه في ملكه لكثرة شره وتدبيره وشدة بني عمه فلما نزل بالعواصم استخلص لنفسه قلعة حلب وبناها وحصنها وتمكن في البلاد فلما هلك آل الامر بعده لولده يوقنا وكان الكبير وكان شجاعا بطلا جامعا للاموال مقداما للحروب لا يصطلى له بنار ولا يدفع شره وكان أخوه يوحنا دينا قد نزع يده من الرياسة وترهب وكان أعلم الناس في أهل زمانه وانه لما بلغهم الخبر ان أبا عبيدة قد قصد اليهم قال لأخيه يوقنا على ماذا عولت قال على قتال العرب ولا أدعهم يقربون من أرضنا وبلادنا حتى يرى العرب انى لست كمن لقوا من بطارقة الشام ولا من غيرها وكان يوحنا قد درس الانجيل وقرأ المزامير وليس له همة الا عمارة الكنائس والاديرة وتشييد المواضع وكثرة الشمامسة والقسوس والرهبان والقيام بأمورهم فلما بلغ هذين الاخوين فتح العواصم عنوة وقنسرين صلحا وان العرب نازلون عليها وان خيلهم تضرب الى الفرات والعواصم والبقاع فاقبل يوحنا على أخيه الاكبر يوقنا وقال يا أخي أريد أن أختلي بك الليلة وأشاورك وأطلعك على سري ورأيي وأشرف على سرك ورأيك قال نعم فلما اجتمعا في الليل في دار كانت لابيهما في القلعة وجلسا للمشورة أقبل يوقنا على أخيه يوحنا وقال يا أخي ألا ترى ما نزل بنا من العرب الجياع الاكباد العراة الاجساد وما حل بأهل الشام منهم من القتل والنهب وأخذ الاموال وانهم لا ينزلون مدينة من مدن الشام الا فتحوها وملكوا أهلها فما ترى ان نصنع في أمر هؤلاء فكأني بهم وقد أشرفوا علينا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) فقال يوحنا يا أخي اذ قد استشرتني في أمرك فاني أنصحك ولا أغشك اذ قبلت النصيحة وان كنت أصغر منك سنا فاني أعلم منك بصيرة فوحق المسيح والقربان لئن قبلت مشورتي ليعلون أمرك ويسلم لك مالك ونفسك فقال يوقنا يا أخي ما علمتك الا ناصحا فما عندك من الرأي فقال الرأي عندي ان ترسل رسولا الى العرب وتبذل لهم ما شاؤا وتسألهم الصلح وتتفق معهم على معلوم يدفع لهم في كل عام ما دامت الغلبة لهم فلما سمع يوقنا ذلك من كلام أخيه يوحنا أقبل عليه وقد استوثق منه الغضب وقال قبحك المسيح ما أعجز رأيك ما ولدتك أمك الا راهبا أو قسيسا ولم أقلدك ملكا ولا محاربا ولا مقاتلا والرهبان ليس لهم قلوب لا كلهم العدس والزيت والبقل ولا يأكلون اللحم ولا يعرفون النعيم وليس لهم بالقتال بصيرة ولا بلاقاة الرجال خبرة واما أنا فلك ابن ملك وليس بيني وبينهم الا الحرب ولا ترى الملوك العجز ويلك كيف نسلم ملكنا للعرب ونعطيهم القياد من أنفسنا من غير حرب ولا قتال قال فلما سمع يوحنا ذلك من أخيه تبسم من كلامه وتعجب كل العجب وقال له يا أخي وحق المسيح ان أجلك قد اقترب لانك صاحب بغي تحب سفك الدماء وقتل النفس وما أظن جموعك أكثر من جموع الملك هرقل التي جمعها باليرموك مع ماهان ويوم أجنادين وهؤلاء القوم قد أيدهم الله علينا فاتق الله ولا تسع في قتل نفسك فلما سمع يوقنا كلام أخيه داخله الغضب وقال له قد أكثرت وأطلت في مدحك العرب واني لست كمن لاقوه من هذه الجموع التي ذكرتها ولا أقاس بهم ومع ذلك اعلم أن كل من ذكرت من أهل المدن وغيرها أسلم بلده عنوة أو صلحا قبل أن يقاتل بلا عذر في القتال ويبذل المجهود عن نفسه وانما جمعت الاموال من قبل الى الآن لأدفع بها الأذى عن نفسي واني مجمع على قتال العرب ومحاربتهم

ملك في الاسلام قبله وحصل في مدته غلاء عظيم لم يعهد مثله الا ما كان في زمن يوسف عليه السلام فمكث سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وخرجت امرأة بعقد جواهر وطلبت عوضه مدبر فلم تجد فالقته وماتت جوعا فلم يوجد من يأخذه وتوفي المستنصر سنة سبع وثمانين وأربعمائة وبعد موته صار التصرف في الامور لوزرائهم ولم يبق للفواطم من الخلافة سوى الاسم (وتولى من بعده المستعلي بالله أبو القاسم ولد المستنصر

فان أظفرنى الصليب بهم وأعاننى المسيح عليهم طلبت العرب الى أن أدخل خلفهم الحجاز وأسود على سائر الملوك وأرجع الى الشام ملكا فلا يقدر هرقل أن ينازعنى وان هزمتنى العرب طلعت الى قلعتى هذه ولزمتها فانى قد عبيت فيها من الزاد والاطعمة ما يكفينى طول دهرى وأكون فيها عزيزا الى أن أموت ولا ألتقى بدى الى العرب ولا أبذل أموالى من غير طلب فلا تعارضنى فى شئ من أمر العرب ولا تدعنى الى الصلح والا بطشت بك قبلهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) واحتوى الشيطان على قلب يوقنا وقد سوّلت له نفسه العمل فلما سمع يوحنا من أخيه يوقنا هذا المقال قال له كلامك على حرام أبدا حتى ترجع الى رأيى وتعود الى قولى ثم قام عنه مغضبا فلما كان من الغد جمع يوقنا اليه جميع من التجأ اليه من العسكر من الارمن والمتنصرة وغيرهم وعرضهم على نفسه فمن أراد سلاحا أعطاه وفرق فيهم الاموال وجعل يهون العرب عليهم ويقول انما هم قليل ونحن أكثر منهم لان جموعهم قد تفرقت منها جماعة على قيسارية ومنهم من توجه الى مصر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعزم على قتال أبى عبيدة قبل أن يصل اليه والى بلاده ثم عمد الى بطريق من بطارقته يقال له كراكس وضم اليه ألف فارس ووكله بحفظ بلاده وسار يوقنا بمن معه يريد أن يلقى جيش أبى عبيدة والمسلمين هو وقومه فى اثنى عشر ألف مدرع غير من كان معه بغير درع ونشرت أمامه الاعلام والصلبان وكان فيها صلبان من الذهب والجوهر ومن حوله ألف غلام عليهم ثياب الديباج المنسوج بالذهب قال ابن ثعلبة الكندى فاقام أبو عبيدة على مدينة قنسرين بعد ان فتحها بالصلح وبعد أن أتاه يزيد بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمره أن يبعث الى يزيد بن أبى سفيان طائفة من جيشه فبعث له بثلاثة آلاف فارس لابسى السلاح الكامل وعول أبو عبيدة على المسير الى حلب فدعا برجل من بنى ضمرة وكان بطلا مجربا بأشدة البأس وكان اذا ثبت على وجه الارض للقتال لا يهاب الجحافل قلت أو كثرت فضم اليه ألف فارس وسيره على مقدمته وقال يا كعب لا تقاتل جيشا الا تطيقه واختبر أمر هذا العلج واعرف خبره وأنا راحل من ورائك فسار كعب بن ضمرة يريد حلب وكان يوقنا قدم أمامه عيونا يأتونه بالاخبار فاتته جواسيسه يخبرونه أن خيول العرب قد أتت تريد بلاده وقتاله فقال لهم فى كم أتت العرب قالوا فى ألف فارس وهم على ستة أميال من بلدك نزول قال فكمن يوقنا كمينا ثم سار اليهم بجيوشه وبطارقته فلما أشرف عليهم وهم نزول على نهر يسقون خيلهم ويتوضئون فبينما هم كذلك اذ أشرف عليهم يوقنا بجيوشه وبطارقته والصليب امامه فنادى المسلمون بعضهم بعضا واستووا على متون خيولهم وورد كعب بن ضمرة على فرسه وسبق فى أول الخيل وأشرف على جيش يوقنا لحزره فاذا هو خمسة آلاف فارس وكان يوقنا قد قسم عسكره شطرين النصف معه والنصف مع الكمين فلما نظر كعب الى يوقنا وجيشه انقلب الى أصحابه وقال يا أنصار دين الله انى نظرت عسكر عدوكم وحزرته فهو فى خمسة آلاف وهم لكم مغنم ويقاتل الواحد منكم خمسة قالوا بلى والله أقبل أصحابه يشجع بعضهم بعضا اقتربت الفئة من الفئة وصاح يوقنا بأصحابه ورجاله وغلمانه وعبيده وبطارقته وأمرهم بالحملة على المسلمين فحملوا بأجمعهم حملة صعبة وحمل عليهم المسلمون والتقى الجمعان واشتبك الحرب وقاتل الجمعان قتال الموت وقد أيقن المسلمون بالظفر والغنيمة فطلع عليهم الكمين من ورائهم وأكبوا عليهم جميعا قال مسعود بن علوان الجحمى شهدت الخيل التى بعثها أبو عبيدة طلائع مع كعب بن ضمرة وكنت فيها يوم التقى الجمعان وقد خرج علينا الكمين ونحن فى القتال ونحن لا نظن أن لهم كمينا يطلع من ورائنا واذا بأصوات حوافر الخيل أكبت علينا وأيقنا بالهلكة بعد ما كنا موقنين بالغلبة وصرنا فى وسط عسكر الكفار فلم يكن لنا بد من القتال فافترقت المسلمون ثلاث فرق فرقة منهم منهزمة وفرقة قصدت قتال الكمين وفرقة مع كعب بن ضمرة قصدت قتال يوقنا ومن معه قال مسعود بن علوان فلله در كندة يومئذ لقد قاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء حسنا ووهبوا أنفسهم لله تعالى حتى قتل منهم ذلك اليوم مائة رجل فى مقام واحد وعمل أهل الكمين عملا عظيما وكعب بن ضمرة قلق على المسلمين فاهد عنهم وهو يجول بالراية وينادى يا محمد يا محمد يا نصر الله أنزل معاشر المسلمين اثبتوا انما هى ساعة ويأتى النصر وأنتم الاعلون فاجتمع المسلمون عليه والجراح فيهم فاشية وقتل من المسلمين مائة وسبعون رجلا من الاعيان منهم عباد بن عاصم الضحى وزفر بن أم راضى وحازم بن شهاب المقرى وسهل بن أشيم ورفاعة بن محصن وغانم بن برد وسهيل بن مفلج وكان ممن شهد يوم السلاسل وتبوك بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد

المذكور) فاقام سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة (وتولى من بعده الآمر باحكام الله) أبو على منصور بن المستعلى تولى وعمره خمس سنين فاقام تسعا وعشرين سنة وتسعة أشهر الى أن قتل فى الروضة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وكان رافضيا خبيثا فاسقا ظالما جبارا متظاهرا بالمنكرات فكانت مدة ولايته تسعا وعشرين سنة وشهرين (وتولى من بعده الحافظ لدين الله عبد المجيد) فاقام تسع عشرة سنة وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة

قتال اليمامة مع خالد بن الوليد قال مسعود بن عون والله لقد تأسفنا على قتله ووجدنا فيه أربعين ضربة كلها فى مقدمه رضى الله عنه ولم نجد واحدة فى ظهره وكان الاعيان أربعين رجلا لان الرجل منا ما قتل حتى قتل عددا من المشركين فلما انظروا الى ثبات المسلمين مع قلتهم وما هالهم ممن قتل منهم هم المشركون ان ينهزموا فثبتهم يوقنا وقال ويلكم ما العرب الا مثل الذئاب ان صدمت ولت وان تركت طمعت ولما نظر كعب بن ضمرة الى من قتل تحت رايته اغتم لذلك غما شديدا فنزل عن فرسه ولبس درعا من فوق درعه وشد وسطه بمنطقة ومسح وجه فرسه ومنخره وقبله بين عينيه وكان قد شهد معه المواطن وجاهد معه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سماه الهطال فقال يا هطال هذا يومك المحمود عاقبته فاثبت للقتال فى طاعة الله ولما استوى على متنه وقف أمام المسلمين وجعل ينظر الى القتلى وهو متفكر فى أمره والراية بيده وهو ينتظر من أبى عبيدة جيشا يقبل عليه أو طليعة تنجده فلم ير لذلك أثرا وذلك ان أبا عبيدة ما قطعه من المسير اليه الا قدوم أهل حلب عليه وذلك أنه لما سار يوقنا الى حرب المسلمين اجتمع مشايخ أهل حلب والروسية بعضهم الى بعض وقالوا يا قوم تعلمون أن هؤلاء العرب قد اطاعهم أهل دين النصرانية والصليب ودخلوا فى دينهم ومنهم من رجع الى دينهم ومنهم من قاتلهم فأما الذى قاتلهم خسر فهل لكم أن تسيروا الى أمير المؤمنين ونسأله الصلح ونصالح عن مدينتنا وندفع اليه ما أحب من أموالنا فان ظفر المسلمون بالبطريق يوقنا نكن نحن آمنين غير وجلين منهم ونقر عيننا من بأسهم وان صالح يوقنا القوم نكن نحن قد سبقناه الى الصلح وان غاب ورجع سالما لم نبلغه ولم نعلمه واستوى رأيهم على ذلك فخرج منهم ثلاثون رجلا من رؤسائهم وسلكوا طريقا غير طريق يوقنا حتى أشرفوا على عسكر المسلمين فنادوا الغوث الغوث وكان العرب قد علمت ان الغوث بالرومية هو الامان وقال لهم الامير فمن سمعتموه يقولها فلا تعجلوا عليه بالقتل لئلا يطالبكم الله يوم القيامة وعمر برىء منه فكان العرب يعرفونها فلما سمع المسلمون منهم ذلك أسرعوا اليهم وأوقفوهم بين يدى أبى عبيدة فقال خالد يوشك ان هؤلاء يطلبون الصلح والأمان لانفسهم وهم أهل حلب قال أبو عبيدة أرجو ذلك ان شاء الله تعالى وان صالحونى صالحتهم وهو لا يعلم ما أصابه من الحرب الشديد والقتل العتيد وكان قدومهم عليه ليلا والنيران تضرم بين يديه وكان فى العسكر رجال قيام فى صلاتهم يتلون القرآن فجعل بعضهم يقول لبعض بهذه الفعال ينصرون علينا فلما سمع الترجمان مقالهم أخبر أبا عبيدة بما قد تناجوا بينهم فقال أبو عبيدة انا قوم قد سبقت لنا العناية من ربنا وانا رجال لا نريد من الله ورسوله بدلا وان نجزع من قتال الاعداء فأخبرهم الترجمان بذلك ثم قال لهم من أنتم قالوا نحن سكان حلب من تجارها وسوقتها ورؤسائها وقد جئنا نطلب منكم الصلح فقال أبو عبيدة فكيف نصالحكم وقد بلغنا أن بطريقكم قد صمم على قتالنا وقد حصن قلعته وجعل فيها ما يقوته سنين واتخذ الجند وأكثر من ذلك وما لكم عندنا صلح فقالوا أيها الامير ان صاحبنا قد خرج من عندنا يريد حربكم وقتالكم قال أبو عبيدة ومتى خرج قالوا خرج سحرا ونحن من بعده وسلكنا طريقا غير طريقه وانا نرجو أنه هالك لا محالة لانه ركب البغى ولم يرض بالصلح وقد أطاع هواه فوقع فى شرك الردى فلما سمع أبو عبيدة بخروج البطريق خاف على طليعته منه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هلك والله كعب ومن معه انا لله وانا اليه راجعون ثم أطرق الى الارض فقالوا البعض مشايخ أهل حلب كلم لنا الامير فى الصلح قال فكلمه فقال أبو عبيدة بنفعر لا صلح لكم عندنا قال فخاف الشيوخ على أنفسهم وقالوا انا قد اجتمع عندنا من القرى والرساتيق خلق كثير فان صالحتمونا عمرنا لكم الارض وكنا لكم عونا على عمارتها وعشنا فى ظلكم أيام عدلكم وان أنتم أبيتم ذلك فر الناس عنكم وطلبوا أقصى البلاد وشاع الخبر عنكم أنكم لا تصالحون فلا يبقى حولكم أحد قال فأعلمه الترجمان بما قالوا فجعل ينظر اليهم واذا قد برز من القوم وصاح رجل أحمر الوجه وكان من حكماء الروم فصيحا بلسان عربى فقال أيها الامير اسمع ما ألقيه اليك من العلم الذى أنزل الله فى الصحف على الانبياء قال أبو عبيدة قل لنسمع فان كان حقا علمناه وان كان غير حق لا نسمعه ولا نعمل به وكان اسمه دحداح فقال أيها الامير ان الله سبحانه وتعالى أنزل على أنبيائه يقول أنا الرب الرحيم خلقت الرحمة وأسكنتها فى قلوب المؤمنين وانى لا أرحم من لا يرحم من أحسن أحسنت اليه ومن تجاوز تجاوزت عنه ومن عفا عفوت عنه ومن طلبنى وجدنى ومن أغاث ملهوفا أمنته يوم القيامة وبسطت له فى رزقه وباركت له فى عمره وأكثرت له أهله ونصرته على عدوه

(وتولى من بعده ولده الظافر بأعداء الله اسمعيل) فأقام أربع سنين وسبعة أشهر الى أن قتل بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهو الذى عمر جامع الفكهانيين بالشوائين (وتولى من بعده الفائز عيسى بن الظافر) وعمره خمس سنين فأقام ست سنين ونصفا ومات سنة خمس وخمسين وخمسمائة (وتولى من بعده العاضد عبد الله ابن يوسف الحافظ) فأقام احدى عشرة سنة وستة أشهر وخلع ومات سنة سبع وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة

ومن شكر المحسن على احسانه فقد شكرنى وانا قد أتيناك ملهوفين خائفين فأقل عثراتنا وآمن روعاتنا وأحسن الينا قال فبكى أبو عبيدة من قوله وقرأ ان الله يحب المحسنين ثم قال اللهم صل على محمد وعلى جميع الانبياء فبهذا والله أرسل نبينا أرسله الله الى جميع الخلق والحمد لله على هدايته لنا ثم أقبل على المسلمين وهم حوله وفيهم الرؤساء من المهاجرين والانصار وقال لهم الحمد لله على هدايته ثم قال ان هؤلاء أهل مصر وسوقة وضياع وهم مستضعفون وقد رأينا أن نحسن اليهم ونصالحهم ونطيب قلوبهم ومتى كانت المدينة فى أيدينا والسوقة معنا فانهم يميروننا بالعلوفة ويعلموننا بما يعزم عليه عدونا ويكونون عونا لنا عليه فقال رجل من المسلمين أصلح الله الامير ان مدينة القوم بالقرب من القلعة ولا نأمن أن القوم يدلون على عوراتنا ويخبرون بأحوالنا وما أتى القوم الا ليخدعونا الاترى الى بطريقهم وقد خرج يبغى قتالنا وحربنا فكيف يطلب هؤلاء الصلح منا ولا شك أنهم مكروا بكعب بن ضمرة ومن معه من المسلمين فقال أبو عبيدة أحسن ظنك بالله وثق بالله فان الله ينصرنا ولا يسلط علينا عدونا فرحم الله من قال خيرا أو صمت واذا أشرط عليهم النصيحة فى صلحهم للمسلمين ثم أقبل على القوم وقال انى أريد أن تبذلوا فى صلحكم ما بذله أهل قنسرين فقالوا أيها الامير ان قنسرين أقدم من مدينتنا وأكثر جمعا ومدينتنا خالية من السكان لجور صاحبنا الانه قد أخذ أموالنا وغلاتنا وأصعد الكل الى قلعته وما بقى عندنا الا الضعفاء ومن لا مال له وانا نسألك الترفق بنا والعدل فينا والاحسان الينا فقال أبو عبيدة فما الذى تريدون أن تبذلوا فى صلحكم قالوا نعطى نصف ما أعطى أهل قنسرين فقال أبو عبيدة قد قبلت منكم ذلك على أنا اذا نزلنا بصاحبكم أعنتمونا بالميرة والعلوفة وتبيعون وتشترون فى عسكرنا ولا تكتموا عنا خبرا تكونوا تعلمونه من أعدائنا ولا تتركوا جاسوسا يتجسس علينا وان رجع اليكم بطريقكم منهزما تمنعوه أن يصل الى القلعة فقالوا أيها الامير أما قولك هذا أن نمنع البطريق أن لا يصعد الى القلعة فما نجد الى ذلك من سبيل ولا نقول لك ما لا نفعله ما لنا به طاقة ولا بمن معه من أعوانه وجنوده قال أبو عبيدة فلا تمنعوه من الصعود الى القلعة وعليكم عهد الله وميثاقه والأيمان المؤكدة الغليظة أن لا تقولوا هذا القول وان توفوا لنا كل شرط ثم عليكم ثم حلفهم بالأيمان التى يعرفونها فخاف القوم عن آخرهم وصالحوا عن رجالهم ودوابهم وأبنائهم ونسائهم وعبيدهم وسائر أهاليهم وانتهوا على ذلك فقال أبو عبيدة انكم قد حلفتم وقد قبلنا قولكم وأيمانكم فان أصبنا أحدا قد أخلف أو علم من البطريق علما ولم يعلمنا به فقد وجب عليه القتل وأخذ ماله و ولده حلال لنا الا يطلبنا الله بذمته ومتى نقضتم ما شرطنا عليكم فلا عهد لكم عندنا ولا ذمة لكم علينا ولنا عليكم الجزية فى العام المقبل قال سعيد بن عامر التنوخى فرضى أهل حلب بما شرطه عليهم أبو عبيدة وأخذوا عهدهم وكتب أسماءهم وعزم القوم على الانصراف الى ديارهم فقال لهم أبو عبيدة على رسلكم حتى أبعث معكم من يسير معكم الى مأمنكم فقد وجب علينا حفظكم الى أن تعودوا سالمين الى بلدكم فقال له الدحداح أيها الامير اننا نرجع من الطريق الذى جئنا منه وما نريد أحدا يسير معنا فتركهم أبو عبيدة و بات بقية ليلته قلقا على كعب بن ضمرة ومن معه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ورجع القوم من ليلتهم الى حلب وانفجر الصبح ولم يصلوا فلما أشرفوا على حلب نظر اليهم بعض أعلاج البطريق وهم راجعون فاقبل اليهم وسألهم من أين أقبلتم وما صنعتم فظنوا انه من أهل حلب فاخبروه بصلحهم مع أبى عبيدة فتركهم ومضى وان القوم استقبلهم أهل حلب فسألوهم فاخبروهم بالصلح ففرحوا بذلك وأقبل العلج حتى أشرف على عسكر يوقنا وهو نازل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أحاط بهم وهو يظن انه قد ملكهم وهو يتوقع الصباح اذ أتى عليه العلج فقال له أيها البطريق انك غافل عما نزل بك ودهمك قال له وماذاك يا ويلك قال له ان أهل بلدك قد صالحوا العرب وكأنك بهم وقد ملكوا القلعة وأخذوا الاموال والنسوان فلما سمع يوقنا ما أخبر به العلج خشى على قلعته أن يملكوها فى غيبته فانعكس عليه ما كان يؤمل أن يفوز به من الظفر باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قتل من المسلمين نيف عن المائتين وكعب قد أجهد نفسه فى الحرب وأيقنوا انهم هالكون لا محالة قال كعب بن ضمرة وكنت ذلك اليوم صاحب القوم وأنا أثبتهم فى الحرب والى الحرب أنهضهم بهمتى وأدفع عنهم بمهجتى فاذا أجحفنى القتال و ركبنى الحرب التجأت الى أصحابى وأنا مع ذلك أتوقع فرجا من الله تعالى وأترقب راية أبى عبيدة أن تطلع فبعد علينا ذلك ولم تزل الحرب بيننا يوما وليلة الى الصباح من اليوم الثانى فاقسم بالله ان كان أحدنا ليصلى ولا حصل

الفاطميين ومدة تصرفهم مائتا سنة قرنان وخمسة أشهر وقد طهر الله منهم البلاد وأراح منهم العباد * ثم جاءت الدولة الايوبية والكردية السنية أصحاب الفتوحات الذين جددوا الخطبة للعباسيين وهم أكراد وكان فى خدمة زنكى ثم فى خدمة نور الدين الشهيد وهو الذى أرسلهم الى مصر فاولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حضر مصر مع نور الدين الشهيد لما أرسله له العاضد الفاطمى يستعين به على الافرنج الذين حضروا الى مصر وأخذوا مدينة

لهزاديا كله ولاماء يشربه وأنا بين اليأس والرجاء أرقب طريق قنسرين ان تطلع منه علينا راية الاسلام فما أرى لها أثرا فرأيت عند الصباح جيش العدو وقد اضطرب من جوانبه وقد علت لهم ضجة عظيمة من جميع جوانبه فقلت ما هذا الا مدد لحقهم من البلد أو من الملك فالتجأت الى كلمة الشدائد وهى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال كعب بن ضمرة فوعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلت الكلمة حتى رأيت جيش العدو وقد انكشف عنا على عقبه فقلت الحمد لله حمد الشاكرين وانى أظن أن صائحا صاح بهم من السماء فبددهم أو ملائكة نزلت عليهم كيوم بدر فلم أر لهم أثرا قال كعب فهممت أن أتبعهم فصاح المسلمون الى أين يا كعب أما كفاك ما نحن فيه انزل بنا الى الارض وارض بما فيه من التعب والنصب ونؤدى فرضنا ونريح خيولنا فارد الله هؤلاء القوم الا بمشيئته وقدرته قال فنزل كعب ومن معه فشربوا الماء وأسبغوا الوضوء وصلوا ما فاتهم وأكلوا زادهم واستقبلوا الراحة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأبطأ خبر كعب على أبى عبيدة فلما صلى الصبح انفتل من صلاته وأقبل على المسلمين وخاطب من بينهم خالدا وقال يا أبا سليمان ان أخاك أبا عبيدة ما رقد الليلة غما وانه كان يجب علينا الشكر بما فتح الله علينا وان نفسى تحدثنى بأن الذين مع كعب بن ضمرة قد قتلوا لما أخبرنى هؤلاء الذين يسألون الصلح ان صاحبهم يوقنا قد سار اليهم ولم أر أثرا وأظن انه صادف أصحابنا وقتلهم وأفناهم عن آخرهم فقال خالد والله انى ما غمت مثلك من الغم عليهم فما الذى عزمت ان تصنع قال الرحيل ثم أمر الناس بالرحيل وارتحلوا وساروا يريدون حلب وعلى المقدمة خالد بن الوليد وعلى الساقة أبو عبيدة فما كان غير بعيد حتى أشرف على المسلمين خالد بن الوليد وهم نيام وقد أقاموا لهم من الديدبان من يحرسهم فلما أشرف عليهم خالد والراية فى يده رفعها فوق رأسه فلما رآه الديدبان صاح النفير يا أنصار الدين فثاروا عن مضاجعهم كأنهم أسد ثائرة واستووا فى متون خيولهم واستقبلوا صاحب الراية فعرفوه فصاح بعضهم ببعض هذه والله راية الاسلام والمسلمين فنزل خالد وسلم عليهم واتصلت بهم الساقة وأقبل أبو عبيدة فلما نظر كعب بن ضمرة حمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع القتلى مطروحين وما كان من المسلمين ورأوهم فلما نظروا الى ذلك عاد فرحهم ترحا واسترجعوا وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون وسأل كعبا كيف قتل أصحابك هؤلاء ومن قتلهم فأخبره كعب بقتال يوقنا وانه أشرف هو وقومه ومن كان معه على الهلاك حتى لم يبق فيهم حركة وغنا ليلتنا هذه فلما أصبحنا واذا هم قد صاحوا وانقلبوا راجعين عنا من غير قتال فقال أبو عبيدة فسبحان مسبب الاسباب ليت أبا عبيدة قتل أمامهم ولم يقتلوا تحت رايته ثم أمر بدفن المسلمين بعد ما جمعهم زمرا زمرا وصلى عليهم ودفنوهم بأسلابهم ودمائهم ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يوم القيامة ودماؤهم على أجسادهم اللون لون الدم والريح ريح المسك والنور يتلألأ عليهم ولهم الجنة فلما واروهم فى حفرهم قال خالد ان كان عدو الله يوقنا رجع الى القوم وعلم بصلحهم لنا فيلقون منه تعبا عظيما فالحق بهم فقد وجب علينا أن نذب عنهم لانهم تحت ذمتنا وارتحل أبو عبيدة يريد حلب فلما وصل اليها رأى البطريق وجنوده قد أحدقوا بأهل البلد وهم يريدون قتلهم وقال لهم يا ويلكم صالحتم العرب عن أنفسكم وصرتم عونا لهم علينا قال الواقدى فعلنا ذلك وانهم قوم منصورون فقال يا ويلكم المسيح لا يرضى بفعالكم فوحق المسيح لاقتلنكم عن آخركم أو تخرجون معى الى قتالهم وتنقضون ما بينكم وبينهم من العهد والميثاق فاخبرونى عن بدأ بهذا الامر حتى أبدأ به قال فلم يطيعوه على ذلك فقال لعبيده ادخلوا عليهم وائتونى بهم لأقتلهم فقد أخبرنى فلان انه لقيهم وعرفنى بهم فهجم العبيد عليهم وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وأبواب منازلهم فسمع أخوه يوحنا الضجة فى البلد وهم فى القلعة فنظر الى أخيه وهو يقتل فى الناس وقد قتل من أهل البلد ثلثمائة فصاح بهم وبأخيه على رسلك لا تفعل فان المسيح يغضب عليك وقد نهانا أن نقتل عدونا فكيف بمن هو على ديننا فقال يوقنا لاخيه انهم صالحوا العرب عن البلد وصاروا لهم عونا علينا فقال يوحنا وحق المسيح لا أبقت عليك العرب أبدا وان لهم من يقتص منك قال ومن يقتص منى قال المسيح يقتلك كما قتلتهم بغير ذنب فقال يوقنا أنت حملتهم على ذلك وأنت أول من أبطش به ثم عمد الى أخيه وقبض عليه وجرد سيفه ليعلوه به فلما نظر يوحنا الى أخيه وقد جرد سيفه وعلم انه هالك رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اشهد على أنى مسلم وانى مخالف لدين هؤلاء القوم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم قال لاخيه اصنع ما أنت صانع فان كنت قاتلى فانى صائر

بلبيس وقتلوا وأسروا ثم راموا أخذ القاهرة فأمر شاور الوزير بحرق مصر والنقلة الى القاهرة فالتهبت النار فيها أربعة وخمسين يوما ثم لما توجه نور الدين الشهيد من الشام هرب الافرنج لما سمعوا صولته وقتل الوزير شاور لانه كان الذى أطمع الافرنج فى المسلمين وأقام العاضد مقامه وزيرا ومات فاقام مقامه فى الوزارة يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فقام بالسلطنة أتم قيام وأجلى الافرنج من أرض مصر واستمر وزيرا للعاضد الى أن مات فتولى صلاح

الى جنات النعيم فورد على يوقنا من اسلام أخيه مورد عظيم ومن أهل بلده ومن نزعه من المسلمين فحمله الغيظ على أن يرمى برأس أخيه عن جسده والتفت الى أهل البلد فوجدهم يستغيثون فلا يغاثون ويسألونه فلا يجيبهم ولا يكف عنهم فكثر منهم الضجيج وعلت الجلبة وقد أخذ واعليهم البلد من سائر جوانبها وقد أيس أهل حلب من نفوسهم واذا بالفرج وقد أتى والمعونة وقد أدركتهم وأشرفت عليهم رايات المسلمين وأبطال الموحدين وهم ينادون بكلمة التوحيد ويقدمهم خالد بن الوليد فلما نظر خالد الى أهل حلب ولهم ضجيج بالصياح والبكاء قال لأبى عبيدة أيها الامير هلك والله أهل صلحك وذمامك كما ذكرت فصاح بجواده وحمل الراية وزعق فى القوم وقال افرجوا معاشر الاعلاج عن أهل صلحنا ثم أجاد فيهم الطعن وحمل المسلمون معه وبذلوا السيف فى الاعلاج فلما نظر يوقنا الى ذلك انهزم الى القلعة ومعه بطارقته قال محصن بن عثرة ٢ ففرج الله عن أهل البلد بقتل الاعلاج يوم حلب فى البلد فمن لجأ الى القلعة سلم ومن طلب الهرب قتلناه قال محصن فكان جملة من قتل يوقنا من أهل صلحنا ثلثمائة وقتلنا نحن من أصحابه ثلاثة آلاف أو يزيدون فكانت وقعة عجيبة ففرح المسلمون بها فلما قتل من قتل وفرج الله عن أهل حلب ما يجدون أخبروا أباعبيدة كيف قتل يوقنا أخاه يوحنا وبالقصة جميعها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما سمع يوقنا سيوف المسلمين صعد القلعة هو ومن معه من جنده واستعد للحصار ونصب المجانيق ونشر السلاح على الأسوار وكثر آلة الحصار وأما أهل حلب فانهم أخرجوا لعساكر المسلمين أربعين أسيرا من البطارقة فقال لهم أبوعبيدة لأى سبب أسرتم هؤلاء قالوا لانهم من أصحاب يوقنا هربوا الينا فلم نر أن نخفيهم منك لانهم ليسوا منا ولا معنا فى الصلح قال فعرض عليهم الاسلام فاسلم منهم سبعة وأما الباقون فأبوا فضرب رقابهم وقال لهم لقد نصحتم فى صلحكم وسترون منا مايسركم وصار لكم مالنا وعليكم ماعلينا وهذا بطريقكم قد تحصن فى هذه القلعة فهل تعرفون لها عورة تدلونا عليها حتى نقاتلهم منها فان فتحها الله علينا جعلناها لكم غنيمة مع ماغنمتم من قومكم حتى نكافئكم بفعلكم الجميل فقالوا أيها الامير والله مانعرف لها عورة وان يوقنا قد شحن طرقاتها وقطع مسالكها وعرفجاجها وهذا مانعلمه ولولا أنه قتل يوحنا لكان أخذها سهلا لكم فقال أبوعبيدة وماجرى له فاخبره بخبره وحديثه مع أخيه وانه أسلم بعدما رفع يديه الى السماء وماندرى ماقال غير أننا سمعنا طرف كلامه وهو يقول اللهم انى أشهد أن لا اله الا أنت وان عيسى عبدك ورسولك ومحمدا عبدك ورسولك ختمت به الانبياء وجعلته سيد المرسلين ولا دين أعلى من دينه فاصنع ما أنت صانع فلما أسلم قتله قال فلما سمع أبوعبيدة ذلك قال فى أى موضع قتله ثم وثب وأخذ خالدا معه وجماعة من المسلمين وأتوا الى موضع قتله وهو رأس سوق الساعة فوجده ملقى على ظهره وهو كأنه البدر ليلة تمامه مشيرا باصبعه الى السماء وقدمات وأصبعه قائمة فاخذه أبوعبيدة وكفنه وصلى عليه ودفنه فى مقام ابراهيم فلما واروه أتى الى أبى عبيدة رجل من المسلمين فقال أصلح الله الامير انظر الى هؤلاء القوم فان كانوا من خربنا نصحوا ودلونا على عورات قومهم فقال لا والله ما يفعلون ذلك أبدا فعندها أقبل أبوعبيدة على المسلمين وقال أشيروا على رحمكم الله فقال له ذلك الرجل وكان اسمه يونس بن عمر والغسانى وكان رجلا بصيرا بالشام وجباله ومدنه وجميع أرضه وعارفا بطريق الشام أصلح الله الامير انظر الى ما أعرفه من البلد وماعندى من الرأى قال أبوعبيدة تكلم يا ابن عمرو فانت عندنا ناصح للمسلمين فقال ان الله قد فتح على يديك الشام سهله وجبله وحزنه ووعره وقتل طاغية الكفر وحاميته وأما بقايا عساكرهم فهى من وراء الدروب وهى جبال ووعرة ومضايق والقوم قد رعبت قلوبهم مما أباد الله منهم وليس لهم قلوب يقاتلون بها المسلمين فحاصر هذه القلعة وبث الخيل وشن الغارات فى بقايا البلاد وشاطئ الفرات فمالهم زاد يقوم بهم فتبسم خالد من كلام الغسانى وقال هذا هو الرأى وأنا أشير عليكم بمشورة أخرى أن نزحف نحو القلعة فلعل الله أن يفتحها فى وقتنا هذا فانى أخشى ان طال بنا المقام أن تعطف علينا جيوش الروم من جهة أخرى فيحولوا بينها وبيننا قال أبوعبيدة يا أبا سليمان لقد أشرت فاحسنت وقلت فصدقت ثم أمر أبوعبيدة بالزحف الى القلعة فترجلت الفرسان عن خيولهم وتجردت من ثيابهم واختلط العبيد والسادات وافتخرت القبائل وانبثت العشائر وتجاوبوا بالاشعار وتداعوا بالانساب قال مسروق بن مالك فوالله مارأيت فى قتال حصون الشام يوما كان أعظم من ذلك اليوم لاننا كنا نشبه دورات الحرب كدوران الرحى تهشم مادارت عليه وقد برزنا اليهم فى أول حربهم وتبادرت أبطال اليمن

الدين السلطنة واستولى على قصر الفواطم بخزائنه فوجد فيه من الاموال مالا يحصى وشرع فى نصرة أهل السنة وتوهين أهل البدعة والانتقام من الروافض وكانوا أكثر من فى أرض مصر يومئذ وعزل قضاة مصر كلهم لانهم كانوا شيعة وقطع الأذان بحى على خير العمل أول جمعة فى المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة ثم تحركت همته لغزو الافرنج فمكنه الله تعالى منهم ويسر له فتح بلاد الشام كلها وفتح بيت المقدس سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بعد استيلاء الافرنج عليه

وسادات ربيعة ومضر يتلو بعضهم بعضا وجعلوا يطلبون القلعة من حيث لا طريق عليها فاذا دنوا منها أخذتهم الحجارة من كل جانب ورموهم بالمجانيق والعرادات وكنت أنا وأصحابي أقرب الناس الى الارض ففزعنا راجعين على أعقابنا يدفع بعضنا بعضا لا نظن أن ينجو منا أحد فوقعت الخذلة في المسلمين وقد شدخت منا الحجارة خلقا كثيرا فقتلت بعضنا وبعضنا رمته فكان من جملة من قتل يوم حصار قلعة حلب بالحجارة عامر بن الاصلع الربعي ومالك بن خزعل الربعي وحسان بن حنظلة ومروان بن عبد الله وسليمان بن فارغ العامري وعطاف بن سالم الكلابي وسراقة بن مسلم بن عوف العدوي ورجال من أهل اليمن من آل عامر ومن بني كلاب وغيرهم وسبعة من بني عبد الله قال مرزوق بن مالك فلقد كنا نرى بعد ذلك بسنين خلقا كثيرا عرجا من يوم حصار قلعة حلب فعندها نصب أبو عبيدة رايته خارج المدينة وجعل ينادي بالمسلمين فاجتمعوا اليه فقال أيها الناس انكم قاتلتم اليوم على غرة فادفنوا الشهداء وشدوا كل من أصابه جرح فانتدب المسلمون الى ذلك وفرح الروم بهزيمة المسلمين وما قد نزل بهم فقال لهم يوقنا ان العرب لا تدنو من القلعة بعد هذا اليوم أبدا وان حاصرونا فلا كيدنهم ولأهبطن الى عسكرهم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولقد حدثني عبد الله بن سليمان الدينوري وكان ممن نقل أخبار الشام وفتوحه عن ثقات المسلمين قال حدثني عمرو أن يوقنا انتخب ألفين من خيار بطارقته وأبطاله وقال لهم انزلوا مسرعين وليحذر بعضكم بعضا وميلوا على طرف عسكر المسلمين اذا خمدت نيرانهم واغتنموا غرتهم وأمر عليهم وزيره فنزلوا ليلا من القلعة وجعلوا يدورون حول العسكر الى أن أتوا الى مكان وقد خمدت نيرانهم وكان القوم بادية من أهل اليمن مثل مراد وبني كلاب وعبيدهم قال عبد الله ابن صفوان المكي كنا تلك الليلة غادين من عدونا آمنين لكثرتنا وقد غفل حرسنا فلم نشعر الا وجماعة الروم قد هجموا علينا وهم ينادون بلغتهم وقد أعلنوا التبهرج بزينتهم فلا نعلم ما يقولون ووضعوا السيف فينا فكان النجيب منا من استوى على جواده وطلب النجاة وهو لا يعلم من هي ولا كيف يتخلص وقد وقعت الجفلة في أبطال المسلمين وعساكرهم والقوم ينادون النفير النفير دهينا ورب الكعبة وهم يسرعون الى خيمة أبي عبيدة وينادون أيها الأمير كبسنا يوقنا فعندها ركب الامير في بعض الرجال وجعل يدور حول العسكر فنظر صاحب الروم الى العرب وقد لحقته فصاح بأصحابه من كان أخذ شيأ فليتركه وليطلب نجاة نفسه قال عبد الله ابن صفوان أخذوا من رجالنا نحو خمسين رجلا من أخلاط الناس وأكثرهم من ربيعة ومضر ومضوا يجمع بعضهم بعضا ويطلبون القلعة فلما نظر خالد الى ذلك حمل في أصحابه واقتطع من الروم زهاء من مائة رجل ووضع فيهم السيف فقتلهم عن آخرهم فلما وصل أصحاب يوقنا الى القلعة فتح لهم وأدخلهم فلما أضاء الفجر وطلعت الشمس دعا يوقنا بالمسلمين الخمسين رجلا وهم موثقون بالحبال فقربهم الى موضع ينظرهم المسلمون ويسمعون أصواتهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله حتى قتلوا عن آخرهم فلما نظر أبو عبيدة الى ذلك أمر مناديا ينادي في عسكره عزيمة من الله ورسوله ومن الامير أبي عبيدة على كل رجل لا يكل حرسه الى غيره ولكن كل رجل منكم حارس نفسه ولا يتكلم بعضكم مع بعض قال فأخذ القوم حذرهم وأعدوا حرسهم وأقبل يوقنا يدبر أمره في مكيدة أخرى ليكيد بها المسلمين اذ علم انهم محاصرون ومع ذلك جواسيسه تأتيه بالاخبار في الليل والنهار وكان أعظم جواسيسه من متنصرة العرب لانهم كانوا يحسنون لسان الرومية قال فبينما يوقنا ذات يوم جالس في قلعته والبطارقة من حوله وقد أضر بهم الحصار وأشد ما كان عليهم من أهل المدينة لانهم لا ينظرون الى رجل من أصحابه يعرفونه الا أخذوه وسلموه للمسلمين واذا بجاسوس قد أقبل وهو من عيونه فقال له أيها السيد ان أردت أن تكيد العرب فهذا وقتك فقال له يوقنا وكيف ذلك وما الذي عندك من الخبر قال ان العلاقة منهم قد خرجوا الى وادي بطنان وقد صالحوا أهله وعلوفة العرب وميرتهم منه وقد رأيت منهم جمالا وبغالا ومعهم طائفة منهم وعليهم القمصان الخلقة وبأيديهم الرماح المسمة وهم يقصدون القرى في طلب الميرة وهم قليلون وليس هم في كثرة فلما سمع يوقنا ذلك من جاسوسه اختار ألفا من أصحابه وقال لهم أصلحوا شأنكم وحق المسيح لاضيقن على العرب مسالكهم ولاقطعن عليهم طرقاتهم فلما أقبل الليل فتح لهم الباب وسار الجاسوس أمامهم حتى استقاموا على الجادة وجعلوا يسيرون تحت جنح الليل فبينما هم كذلك اذ هم براع ومعه سرح من البقر يدبها بالمدى وقد خرج بها من بلد آخر وهو يسير بها سيرا عنيفا فلما نظروا اليه أسرعوا نحوه وقالوا أحسست بأحد من العرب قد عبر عليك قال نعم والشمس عند الغروب قد اصفرت وهم نحو

وعلى الخليل احدى وسبعين سنة وهدم ما أحدثوه من الكنائس وبنى موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية وكان يقدمهم لكونه كان شافعيا وأبطل المكوس والمظالم وأخلى ما بين الشام ومصر من الافرنج ثم افتتح الحجاز واليمن وتسلم دمشق بعد موت نور الدين وفتح عسكره طرابلس الغرب وبرقة وتونس وخطب بها لبني العباس وصار سلطان مصر والشام والحجاز واليمن

مائة رجل على خيول وهم مسرعون ومعهم جمال وبغال وحمير يريدون الميرة من هذا الوادى من الذين هم فى صلحهم واسنا نخاف منهم فقال له المقدم عليهم الآن قد ألقيت علينا من صلح أهل هذا الوادى مالم يكن عندنا منه خبر فبحق المسيح أخبرنا بأى طريق ذهبت العرب فقال من ههنا وأومأ بيده الى الشرق فسار البطريق بمن معه ولم يعرفوا ان صاحب البقر منهم حتى اذا قرب الصبح أشرفوا على خيل المسلمين وكان الامير عليها يقال له مناوش فلما انظر مناوش الى خيل الروم قد أقبلت أقبل على أصحابه وقال يا بنى العرب هذا بطريق من بطارقة الروم قد أقبل اليكم فدونكم اياه والجهاد والصبر على الشدة تنالوا الجنة ثم حمل وحمل معه أصحابه فحملت عليهم الروم فثبت لهم المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وقتل مناوش بن الضحاك والغطريف بن ثابت ومنيع بن ثابت ومنيع بن عاصم وكهلان بن مرة فقتل من المسلمين ثلاثون رجلا كلهم من طىء وانهزم الباقون وملكت الروم ما كان مع المسلمين من الابل والبغال وعاد المسلمون منهزمين فعند ذلك أقبل البطريق على أصحابه وقال ارموا الاحمال عن هذه الدواب واعقروها وسوقوا بقية الدواب بما عليها فانها الناميرة واطلبوا الجبل واختفوا عن أعين العرب والا ففى هذه الساعة تطلع علينا خيول العرب كالرياح تهزمكم فاكمنوا حتى اذا جاء الليل طلبنا القلعة واعتصمنا بها ففعلوا ذلك وقتلوا الجمال وساقوا الدواب والتجؤا فى الجبل الى قرية فاقاموا بقية يومهم يرقبون الليل ليرجعوا الى القلعة وأكاموا لهم ديدبانا قال عوف بن صباح الطائى كنت فى الخيل لما قتل عمى مناوش ونحن فى قلة وقد دهمتنا الخيل فلما انظرنا الى كثرة الروم وشدة بأسهم مع قلتنا أخذنا على أنفسنا وأتينا المسلمين فبادر الينا أبو عبيدة وقال لنا ما وراءكم قلنا الحرب والطعان قتل منا مناوش وقتل معه خلق كثير من فرساننا وأخذ ما كان معنا من الزاد والدواب فقال أبو عبيدة وما الذى دهاكم وقد حاصر الله الروم وما يجسر أحد أن يخرج منهم قالوا لا علم لنا غير أنا رأينا بطريقا عظيما قد أشرف علينا وهو فى عدة حسنة وخيول كثيرة مستعدين للقتال لا نعلم عددهم ولا من أين أتى مددهم فهجموا علينا ونحن سائرون فأصيب أميرنا وقتل رجالنا وأخذوا ما كان معنا من الدواب والزاد فلما سمع أبو عبيدة ذلك دعا بخالد بن الوليد اليه وقال يا أبا سليمان أنت لها والمعد لمثلها وأنا واثق بالله ثم بك مع انى أستخير الله فى جميع أمورى سر على بركة الله تعالى وخذ معك من المسلمين من أردت اما لك أن تقفو القوم وتعاين موضع أثر الوقعة وتتبع آثارهم عسى الله أن يوقعنا بهم واطلبهم أينما كانوا وحيث ساروا والملك تأخذ بثار المسلمين واعلم انا صالحنا أهل الوادى وانا لا ننقض عهدنا ولا نحول عن قولنا الا أن يكون القوم قد مكروا بنا فنجد الى قتالهم سبيلا فاتق الله فيهم سر يرحمك الله قال فاسرع خالد الى خيمته ولبس سلاحه واستوى على متن جواده وهم بالمسير وحده فقال له أبو عبيدة الى أين يا أبا سليمان قال له أسارع الى ما أمرتنى به فقال له خذ من أردت معك من المسلمين فقال خالد أنا أمضى وحدى وما أريد أحدا فقال له أبو عبيدة كيف تمضى وحدك وعدوك فى عدد كثير قال خالد لو كانوا فى ألف أو ألفين لقاتلهم بعونة الله تعالى فقال له أبو عبيدة انك كذلك ولكن خذ معك رجالا قال فأخذ ضرارا وأمثاله وسار حتى أتى الى موضع الوقعة فرأى القتلى مطروحين ورأى حولهم أهل الوادى وهم يبكون خوفا من المسلمين على أنفسهم وذراريهم وان العرب تطالبهم بهم فلما اطلع عليهم خالد ومن معه كأنهم شعلة نار تصارخ القوم فى وجهه وألقوا أنفسهم بين يديه فقال لهم خالد من هؤلاء القوم الذين قتلوا أصحابنا قالوا انا نحن بريئون من دماء أصحابكم ونحن فى صلحكم فاستحلفهم خالد انهم لا يعلمون من قتلهم فحلفوا له فقال لهم من الذى أوقع بأصحابى فقال بطريق بعثه يوقنا من القلعة ومعه ألف فارس من أشد قومه وان له فى عسكركم عيونا يخبرونه بما أنتم فيه كل ساعة فقال لهم وفى أى طريق قصدوا قالوا فى هذا الطريق فقال خالد أو ما حلفتم أن ما عندكم علم بهم قالوا هذا الذى يخبرك من أهل حلب قد أتى يشترى طعاما ولولا أنك أقبلت فى هذه الساعة ما كنا عرفنا من قتلهم فقال له خالد أعلى هذا الطريق أخذوا فقال له الرجل نعم ورأيتهم يطلبون الجبل فقال خالد لاصحابه ان القوم علموا انهم لا بد لهم من خيل تطلبهم وتتبعهم وقد عدلوا عن طريقنا حتى اذا هجم عليهم الليل رجعوا الى قلعتهم فعولوا على المسير فى طلبهم ثم انهم ارخوا الاعنة وخالد يقدمهم وقد أخذ معه رجالا من المعاهدين يقفون بهم أثر الطريق والقوم فلما احصلوا على الطريق قال خالد لواحد من المعاهدين ألهم طريق الى قلعتهم غير هذا قال نعم ولكن كن ههنا فانك تفوز بهم ان شاء الله تعالى فنزل خالد ومن معه فى الوادى وهم يرقبون الطريق فما مضى من الليل الا قليل اذ سمع وقع حوافر الخيل والبطريق أمامهم والخيل من ورائه وهو يزجرهم ويحثهم على المسير فلما توسطوهم

صباح

والمغرب ولم يل مصر بعد الصحابة مثله وكانت مجالسه منزهة عن اللغو والهزل كثير الذكر محافظا على الصلوات فى الجماعة وما وجبت عليه زكاة لان الجهاد وصدقة التطوع استغرقا أمواله كلها ورحل بولديه العزيز والافضل لسماع الحديث من السلفى بالاسكندرية وهذا لم يعهد لسلطان من زمن هرون الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطا من مالك

صاح خالد صيحة شديدة ووثب خالد كأنه الاسد وخرج عليهم هو وأصحابه فما كان قصد خالد غير البطريق
وظن انه يوقنا فضربه ضربة رماه نصفين وقد وضعوا السيف فيهم وحملوا يطلبونه وهم فى الحرب فلم ينج منهم الا
من أطال الله أجله وحازوا جميع ما معهم وأتوا برأس البطريق الى أبى عبيدة على رأس رمح فوجدوه متلهفا
على قدومهم فلما أشرف خالد بمن معه من الاسارى والاسلاب والدواب هللوا وكبروا فأجابهم العسكر بالتهليل
والتكبير قال وأتى خالد ومن معه بالرأس والاسلاب والاسارى فكانوا أزيد من ثلثمائة أسير ورؤس القتلى
سبعمائة فعرضوا عليهم الاسلام فأبوا وقالوا نحن نعطيك الفداء فقال خالد نضرب رقابهم فمال القلعة انهوهن
بذلك عدو الله قال فضربت رقابهم فمال القلعة فقال خالد انا كأنظن انا محاصرون القوم واذا نحن بخلاف
ذلك وهم يرقبون غفلتنا وينتظرون غرتنا وقد قتلوا جمالنا والدواب والصواب ان نجعل عليهم حرسا فى كل
طريق عنا ولا نمكنهم أن يخرجوا من قلعتهم ونضيق عليهم ما استطعنا قال أبو عبيدة جزاك الله خيرا يا أبا
سليمان ما أبصرك بالأمور فلما كان من الغد وصلى أبو عبيدة بالناس صلاة الفجر دعا بعبد الرحمن بن أبى بكر
وبضرار بن الازور وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق ففرقهم حول القلعة
ومعهم من اختاروا وأمرهم أن يمسكوا الطريق والمسالك على يوقنا حتى لو طار طائر منها أو اليها اقتنصوه وأقام
القوم على ذلك مدة فلما طال عليهم ذلك ضجر أبو عبيدة لطول مقامه فامر الناس بالرحيل عنهم وعزم أن يتباعد
عنهم أى عن القلعة لعل أن يجد منهم غفلة فينتهزها قال فبعد عن المدينة فنزل بقرية بقرب منها يقال لها
النيرب وهو يريد حيلة يصل بها الى يوقنا قال ويوقنا لا ينزل من القلعة ولا يفتح بابها ففكر أبو عبيدة غاية الفكرة
وقال لخالد يا أبا سليمان ان جواسيس عدو الله تكشف أخبارنا وتوصلها اليه وتخوفه فانى أقسم عليك يا أبا
سليمان الا ما جلت فى عسكرنا جولة واختبرت امر الناس فلعلك تقع بأحد من جواسيسه قال فركب خالد وأمر
الناس أن يدوروا فى عسكرهم وأن يقبضوا على كل من أنكروه قال فبينما خالد فى طوافه اذ نظر الى رجل من
العرب المتنصرة وبين يديه عباءة يقلبها فجعل خالد يرقبه فاستراب الرجل منه فناداه وقال من أى الناس أنت
يا اخا العرب قال انا رجل من اليمن قال من أيها قال فاراد أن يقول وينتمى الى غير قبيلته فجرى الحق على لسانه
فقال أنا من غسان فلما سمع خالد كلامه قبض عليه وقال له يا عدو الله أنت عين علينا العدونا قال ما أنا متنصر
وأنا مسلم فاتى به الى أبى عبيدة وقال أيها الامير قد رابنى أمر هذا الا انى ما رأيته قط الا يومى هذا وقد ذكر انه من
غسان ولا شك انه من عباد الصليب فقال أبو عبيدة اختبره يا أبا سليمان قال وكيف اختبره قال اختبره بالقرآن
والصلاة فان أجابك والا فهو كافر فقال له خالد فصل ركعتين واجهر بالقراءة فيهما فلم يدر ما يقول فقال له خالد
أنت يا عدو الله عين علينا ثم استخبره عن شانه فاخبره وأقر انه عين عليهم فقال له خالد أنت وحدك قال لا والكنا
ثلاثة أنا أحدهم والاثنان قد ذهبا الى القلعة ليخبروا يوقنا بخبركم وأنا قد تخلفت لأنظر ما يكون من أمركم فقال
أبو عبيدة أخبرنى أيما أحب اليك القتل أو الاسلام فليس بعدهما شئ فقال الغسانى أنا أشهد أن لا اله الا الله
وأشهد أن محمدا رسول الله ثم رجع أبو عبيدة الى حلب ومازالت القلعة محاصرة أربعة أشهر وقيل خمسة أشهر
وابطأ خبر أبى عبيدة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب الى أبى عبيدة يقول * بسم الله
الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله أبى عبيدة سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم واعلم يا أبا عبيدة أن بانقطاع كتابك وابطاء خبرك يكثر قلقى ويضنى جسدى على
اخوانى المسلمين ومالى ليل ولا نهار الا وقلبى عندكم ومعكم فاذا لم يأت منك خبر ولا رسول فان عقلى طائر
وفكرى حائر وكأنك لا تكتب الى الا بالفتح أو الغنيمة واعلم يا أبا عبيدة انى وان كنت نائيا عنكم فان همتى
عندكم وانى داع لكم وقلقى عليكم كقلق الوالدة الشفوقة على ولدها فاذا قرأت كتابى هذا فكن للاسلام
والمسلمين عضدا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعث الكتاب الى أبى عبيدة فلما ورد عليه وقرأه عليهم
قال معاشر المسلمين اذا كان أمير المؤمنين داعيا لكم وراضيا عنكم فى فعالكم فان الله ينصركم على عدوكم ثم
كتب جواب الكتاب يقول * بسم الله الرحمن الرحيم الى أبى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من
عامله بالشام أبى عبيدة سلام عليك وانى أحمد الله تعالى وأصلى على نبيه وبعد يا أمير المؤمنين فان الله تعالى له
الحمد قد فتح على أيدينا قنسرين وقد شننا الغارة على العواصم وقد فتح الله علينا مدينة حلب صلحا وقد عصت
علينا قلعتها وبها خلق كثير مع بطريقها يوقنا وقد كاد نار ارا وذكر له ما جرى له مع أخيه يوحنا وانه قتل منا

بالمدينه وفى زمنه جاءت
الافرنج الى ثغر دمياط
بمائتى مركب مملوءة
بالعساكر فسار اليهم صلاح
الدين بعساكر كثيرة من
مصر وقاتلهم فانهزموا
ورجعوا الى بلادهم وكانت
مدة ولايته اثنتين وعشرين
سنة وشهرين وتوفى سنة
تسع وثمانين وخمسمائة
بمحروسة دمشق وعمره
سبع وخمسون سنة وقبره
بها ظاهر يزار (ثم تولى من
بعده ولده عثمان)
وأعطيت دمشق لأخيه

رجالا ورزقهم الله الشهادة على يديه ثم انه ذكر له من قتل والله تعالى من ورائه بالمرصاد وقد أردنا الحيلة عليه فلم نقدر وأردت الرحيل عنه وعن محاصرته الى البلاد التى بين حلب وانطاكية وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وبعث الكتاب مع عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير فسارا الى أن أخذا فى طريق هيشة العتيقة وجدا فى السير حتى قطعا أرض الجفار الى صكاصكة وهى حصن العرب قريبة من تيما فلما وصلا اليها عارضهما فارس وعليه درع سابغ وعلى رأسه بيضة تلمع وهو متقلد برمح كأنه قد برز الى عدوه أو قاصدا الى قتال فلما نظر اليهما قصدهما فقال عبد الله بن قرط لجعدة بن جبير يا ويلك أما ترى هذا الفارس وقد عارضنا فى مثل هذا المكان على مثل هذه الحالة فقال له جعدة وما عسى أن تتخوف من فرسان العرب ورجالها وليس فى هذا الموضع من رفع عمودا أو ضرب وتدا الا وأصبح معنا ودخل تحت طاعتنا وفى شريعتنا فلما قرب الفارس منا سلم علينا وقال من أين أقبلتما والى أين قاصدان فقالا له نحن رسولان من الأمير أبى عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فمن أنت أيها الرجل قال أنا هلال بن بدر الطائى فقالا له مالنا نرى عليك آلة الحرب قال انى خرجت فى طوائف من قومى وجماعة من أصحابى نريد الشام للجهاد فكاتب ورد علينا من عمر بن الخطاب فلما رأيتكما فى بطن الوادى قصدتكما لأنظر ما قصتكما ولى أصحاب من ورائى مقبلون ثم سلم عليهما وولى فركضا مطيتهما وسارا واذا بالخيل قد أشرفت والابل قد أقبلت تتبع هلال بن بدر ارسالا يتبع بعضها بعضا الى ان لحقوه فاخبرهم بقصة صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وساروا يريدون الشام وأما عبد الله بن قرط وجعدة بن جبير فانهما وصلا المدينة ودخلا المسجد وسلما على عمر ابن الخطاب وعلى المسلمين ودفعا اليه الكتاب فلما قرأه استبشر ورفع كفيه الى السماء وقال اللهم اكف الناس شر كل ذى شر ثم أمر مناديا فنادى فى الناس الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس قرأ عليهم كتاب أبى عبيدة فلما قرأه قدم عليه ركب من حضرموت وأقاصى اليمن من همدان ومدان وسبا ومارب يسألونه ان ينفذهم الى الشام فقال لهم عمر فى كم أنتم بارك الله فيكم قالوا نحن زهاء من أربعمائة فارس وثلثمائة مطية مردفين ومعنا أناس يمشون على أقدامهم لاركاب لهم فان كان عند أمير المؤمنين ما يحملهم عليه حتى نصل الى عدونا فقال لهم عمر وكم يبلغ الرجال الذين معكم قالوا أربعين ومائة رجل فقال لهم عرب أو موال قالوا عرب وموال أذن لهم ساداتهم فى الجهاد والمسير الى الاعداء فعند ذلك دعا عمر بعبد الله ابنه رضى الله تعالى عنهما وقال امض الى مال الصدقات فائت القوم بسبعين راحلة ليعتقبوا عليها ويحملوا زادهم وميرتهم على ظهورها فأسرع عبد الله بن عمر وأتى بسبعين بعيرا وسلمها اليهم وقال لهم جدوا رحمكم الله الى اخوانكم المسلمين وأسرعوا الى حرب عدوكم ثم كتب الى أبى عبيدة أما بعد فقد ورد على كتابك مع رسلك فسرنى ما سمعت من الفتح والنصر على أعدائكم ومن قتل من الشهداء وأما ما ذكرته من انصرافك الى البلاد التى بين حلب وانطاكية وتترك القلعة ومن فيها فهذا رأى غير صواب تترك رجلا قد دنوت من دياره وملكت مدينته ثم ترحل فيبلغ الى جميع النواحى أنك لم تقدر عليه ولم تصل اليه فيضعف ذكرك ويعلو ذكره ويطمع من يطمع ويجترئ عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم ويرجع اليه الجواسيس وتكاتب ملوكها فى أمرك فاياك ان تبرح عن مجاهدته حتى يقتله الله أو يسلم اليك ان شاء الله تعالى أو يحكم الله وهو خير الحاكمين وبث الخيل فى السهل والوعر والضيق والسعة وأكناف الجبال والأودية وشن الغارات فى حدود الغارات ومن صالحكم منهم فاقبل صلحه ومن سالمك فسالمه والله خليفتى عليك وعلى المسلمين وقد أنفذت كتابى اليك ومعه عصبة من حضرموت وغيرهم وأهل مشايخ اليمن ممن وهب نفسه لله تعالى ورغب فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وهم عرب وموال فرسان ورجال والمدد يأتيك متواترا ان شاء الله تعالى والسلام وختم الكتاب وسلمه لعبد الله بن قرط وجعدة وجعل القوم يجدون فى سيرهم ومع ذلك يسألون عبد الله بن قرط وصاحبه عن بلاد الشام وفتح البلاد وقتل الروم الى ان سألوهما عن مستقر العسكر فقال لهم عبد الله ان جميع المسلمين وأميرهم محاصرون بقلعة حلب وفيها عظيم من عظماء الروم ومعه أعلاج من أصحابه وقد تحصنوا فى رأس قلعته فقالوا له يا ابن قرط ما لهؤلاء لايدخلون فى جملة من صالح من أصحابهم فقال لهم يا معاشر العرب انا لم نر بعد وقعة اليرموك رجالا أشجع من هذا فلقد قتل رجالا وجندل أبطالا وانه ليغير على أطراف العسكر فى وقت صلاتهم فيقتل رجالهم وينهب أموالهم ويرجع

الملك الافضل على وطلب لأخيه غياث الدين غازى فاقام عثمان خمس سنين وعشرة أشهر ومات سنة خمس وتسعين وستمائة ودفن بداره فى القاهرة ثم نقل لتربة الامام الشافعى قبل بناء القبة (ثم تولى من بعده الملك المنصور محمد ابن عثمان) وهو الثالث من ملوك بنى أيوب فاقام سنة واحدة وشهرين وعزل لصغره فانه ولى وعمره تسع سنين ثم وضع فى السجن بقلعة الجبل حتى مات (وتولى من

الى قلعته وربما انه يستتر فى سواد الليل فى طلب العلاقة فيقع بهم فيأسرهم ويأخذ دوابهم وجميع زادهم
وميرتهم ثم يعود الى قلعته ونحن لا نعلم به وان المسلمين له محاصرون ومنه خائفون حذرون قال وكان فيمن سمع
كلامه وفهمه مولى من موالى بنى طريف من ملوك كندة يقال له دامس ويكنى بأبى الاهوال مشهور باسمه
وكنيته وكان أسود كثير السواد بهاصا كأنه النخلة السحوق اذا ركب الفرس العالى من الخيل تخط رجلاه
بالأرض وان ركب البعير العالى تقارب ركبتاه رجلى البعير وكان فارسا شجاعا قويا قد شاع ذكره وعلا أمره
وعلا قدره فى بلاد كندة وأودية حضرموت وجبال مهرة وأرض الشحر وقد أخاف البادية ونهب أموال
الحاضرة وكان مع ذلك لا تدركه الخيل العتاق وكان اذا أدركته العرب فى باديتها تعجبت من ضوأته وشجاعته
وبراعته فلما سمع دامس أبو الهول بذكر يوقنا وما فعل بالمسلمين كاد أن يتمزق غيظا وحنقا وقال لعبد الله بن
قرط ابشر يا أخا العرب فوالله لأجتهدن فى أن يخذله الله على يدى فلما سمع عبد الله كلامه جعل ينظر اليه
شزرا وقال يا ابن السوداء لقد حدثتك نفسك آمالا لا تبلغها وأشياء لا تدركها اياو يلك ألم تعلم أن فرسان المسلمين
وأبطال الموحدين بأجمعهم له محاصرون ولأصحابه محاربون ومع ذلك لا يقدر أحد له على شر وقد كاد ملوكا
وقهرها فلما سمع دامس كلام عبد الله بن قرط غضب وقال والله يا عبد الله لولا ما يلزمنى لك من أخوة الاسلام
لبدأت بك قبله فاحذر ان تزدرى بالرجال وان أحببت أن تعرفنى فسل عنى من حضر من أهلى وما قد تقدم
من فعلى الذى من ذكره تطيش العقول وتضيق الصدور كم من عساكر قتلتها وجموع فرقتها ومحافل
بددتها وغارات شننتها ولا يضام لى جار ولا يلحقنى عار وبحمد الله أنا فارس كرار غير فرار ثم تركه
مغضبا وسار أمام الناس وان قوما من العرب قالوا لعبد الله بن قرط يا أخا العرب ارفق بنفسك فانك وايم الله
تخاطب رجلا يقرب اليه البعيد ويهون عليه الصعب الشديد وانه لجليد فريد لا تهوله الرجال ولا تفزعه
الأبطال ان كان فى حرب كان فى أولها لا يدركه من طلب ولا يفوته من هرب فقال عبد الله لقد كثر وصفكم
وأطنبتم فى ذكركم وأرجو أن يجعل الله فيه خيرا وفرجا للمسلمين قال ثم أخذ القوم فى جد المسير حتى قدموا
حلب الى أبى عبيدة وهو ومنازل أهل قلعة حلب ومحاصرها وقد أحاط المسلمون بالقلعة من كل جانب فلما أشرف
القوم عليهم أخذوا فى زينتهم وجردوا سيوفهم وأشهروا سلاحهم ونشروا راياتهم وكبروا بأجمعهم وصلوا على
نبيهم فأجابهم أهل العسكر بالتكبير من كل جانب واستقبلهم أبو عبيدة وسلم عليهم وسلموا عليه ونزل كل قوم
عند بنى عمهم وعشيرتهم ويوقنا ما زال فى كل ليلة ينشط اليهم برجاله ويناوشهم وذلك أنه كان لا يقاتلهم الا ليلا
ولا يظهر من القلعة نهارا أبدا وكان أكثر خروجه فى وقت خروج الناس فلما بات المسلمون القادمون فى تلك
الليلة ونظرت طى وسنبس ونبهان وكندة وحضرموت الى شدة الحرس وعظم حرسهم وحذرهم أقبل دامس
أبو الهول على أهله الذين نزل عليهم من طريف وكندة فقال لهم دامس والله ما أنتم محاصرون لا محالة فقالوا له
وكيف ذلك قال لان العدو فى رأس قلعة وأنتم قدام العدو من الارض لقربكم ولا عسكر بازائكم تخافونه فما هذا
الخوف قالوا يا أبا الهول ان صاحب هذه القلعة علج ميشوم يرتقب غفلتنا ويغير على أطرافنا ويأتينا من مأمننا
فبينما دامس يخاطب القوم واذا بالضجة قد وقعت فى طرف عسكر المسلمين ولها جلبة عظيمة فوقف دامس
منتضيا حسامه متنكبا حجفته وطلب الناحية التى سمع منها الصوت حتى بلغ اليها واذا بيوقنا فى خمسمائة رجل
أبطال أنجاد وليوث شداد وقد وجد غرة من القوم فلما نظر دامس الى الروم وقع فى وسطهم وجعل يقول

أنا أبو الهول واسمى دامس * أكر فى جمعهم مداعس
ليث هزبر بطل ممارس * مدمر كل عدو ناكس

قال وجعل يضرب فى أعراضهم بسيفه ومعه طائفة من بنى طريف من شجعانهم وفرسانهم فلما نظر يوقنا
ما نزل به تقهقر الى ورائه وقد قتل من رجاله مائتان ودامس يكر عليهم ويتبعهم الى رأس درب القلعة وكندة
من ورائه فناداهم أبو عبيدة عزيمة منى عليكم أن لا يتبعهم منكم أحد فى ظلمة هذا الليل فقال الناس يا أبا الهول
ان الامير يعزم علينا وعليك بالرجوع فارجع رحمك الله فرجع دامس الى رحله وتراجع القوم الى رحالهم
وقد أبليت كندة بلاء حسنا والناس قد خرجوا فلما أصبح الناس اجتمعوا للصلاة مع أبى عبيدة فلما قضيت
الصلاة تفرقوا ولم يبق الا نفر يسير من أمراء المسلمين فجعلوا يذكرون ليلتهم فقال خالد أصلح الله الامير لقد
رأيت كندة وقد أبلت بلاء حسنا وقد تقدمت رجالها وثبتت أبطالها وما زالت تضرب حتى أزالت عنا حامية

بعده عم أبيه أبو بكر بن
أيوب) سنة ست وتسعين
وخمسمائة وهى السنة التى
ولد فيها سيدى أحمد
البدوى رضى الله تعالى
عنه ولقب بالملك العادل
ودعى له ولولده الكامل
فى الخطبة وفى زمنه انتقلت
السلطنة من دار الوزارة
بالدرب الاصفر الى قلعة
الجبل فى سنة أربع
وستمائة وأول من سكنها
الكامل نائبا عن أبيه ثم
توفى العادل سنة خمس
عشرة وستمائة فكانت
مدته تسع عشرة سنة

الكفر والعدو فقال أبو عبيدة صدقت والله يا أبا سليمان والله لقد أسعدت الناس كندة بثباتها والله لقد سمعتهم يقولون أحسن دامس وأجاد أبو الهول فقام الى أبي عبيدة رجل من رؤساء كندة يقال له سراقة بن مرداس بن يكرب فقال أصلح الله الامير دامس هو أبو الهول وهو مولى ظريف قدم مع هذا الوفد الذى ورد بالأمس وهو رجل يفجر ويهول على الابطال ويفضح الشجعان ويذل الاقران لا يهوله جمع ولا يصعب عليه غارة فقال أبو عبيدة لخالد أما تسمع كلام سراقة فى عبدهم دامس فقال خالد يوشك أن يكون صادقا فى قوله ولقد سمعت بذكره وحديثه وشجاعته وبراعته ولقد أخبرنى رجل يقال له النعمان بن عشيرة المهرى ان دامسا هذا أغار وحده وهم على ساحل البحر فى سبعين رجلا من أهل مهرة وكان دامس هذا يطلبهم لأجل ثار كان له عند القوم وكانوا يخافون منه ومن شره وبأسه فكانوا مع ذلك يفتدون بأموالهم ودوابهم ويهربون الى أطراف الجبال وسواحل البحر حذرا منه وكان مع ذلك يسأل عن أخبارهم ويطلع على آثارهم فلما أصبح عند نزولهم على ساحل البحر استصرخ قومه للغزو فتشاغلوا ولم ينفر منهم أحد معه وكان خبيرا بالبلاد سهلها ووعرها برها وبحرها فلما أيس من قومه دخل الى خبايته واحتمل رزمة على عاتقه فأتاه أناس من قومه وقالوا له الى أين تريد وما هذا الذى معك فقال يا قوم أنا أريد الغارة على بنى الشعر وآخذ الثار وأكشف العار فقال له مشايخ الحى ما رأينا أعجب من أمرك وأنت تعلم أن بنى الشعر سبعون فن يريد أن يغير عليهم وحده ويأخذ منهم بالثار وما سمعنا بهذا أبدا وانا نرى أن تقصد جوادا وكانت جواد هذه أمة لبنى حباس من الحضارمة وكانت بقرية من قرى حضرموت يقال لها أسفل وكان دامس هذا يهواها وكل ما يأخذه من الاموال والخيل والابل يدفعه اليها ولا يعظم عليه كثرتها وكان لا يرضى لها بالقليل ولا يشبع منها بالكثير فظن القوم أنه مضى اليها وقصد نحوها بحملته التى معه من رزمته فقال لهم وايم الله انى بطل فيما تظنون وسوف تعلمون أن ما أفعله الحق واليقين قال فرجع قومه وتركوه وسار الى أن أتى الى مرعى قومه فأخذ راحلته من ابلهم ورحلها وأخذ سيفه وحجفته وجعل الرزمة تحته وسار بقية يومه وليلته حتى اذا كان آخر الليل عطف بالراحلة الى بعض الأودية فأبركها وحل رحلها وعقلها ودورها ترعى معقولة ثم كمن بين حجرين وكان قريبا من القوم ويخاف أن يدور وابه فلما مضى عليه نهاره وأقبل ليله أتى الى راحلته وأبركها ورحلها واستوى فى كورها وسار حتى أشرف على نار القوم فعدل بناقته حتى أشرف على الحى وكان فى ذلك الشرف شجر من الطلح فأبرك ناقته وزم شدقها لئلا ترغو فيسمع القوم رغاءها ثم عمد الى رزمته فحلها واستخرج منها الثياب وأتى الى تلك الشجرة فجعل على عود منها مثل عمامة الرجل ويأتى بالعود ينصبه ويسنده بالحجارة ويطرح عليه الازار ولم يزل حتى أكام أربعين عودا على هذه الصفة وجعل عليه حلة حمراء أرجوانية وهبط من ذلك الشرف الذى عليه الثياب وقصد الحى ودار حول بيوتهم وتفكر فى أمره وكيف يحتال وقد مضى أكثر الليل ثم صبر الى أن طلع الفجر وسار نحو الساحل فلما قرب منهم صاح فيهم وقال دنا أجلكم أنا أبو الهول ولقد أصبحتم بالويل وأخذتم من البر والبحر وجعل ينادى يا لثار ظريف يا آل ظريف يا آل كندة فلما وقع صوته فى أسماعهم ذهلت رجالهم وتصارخت نساؤهم وفزع القوم بين يديه من البيوت هاربين والى الساحل نحو الجبل طالبين وهو من خلفهم فلما رأوه وحده شجع بعضهم بعضا ورجعوا اليه يقاتلونه وطمعوا فيه لما رأوه وحده ولم يروا أحدا من ورائه وأخذوا فى طلبه فجعل يكر عليهم ويرجع عنهم ويقتل رجلا بعد رجل فلما نظروا الى شدة بأسه وعظم مراسه وهول صولته وشدة حملته أرادوا أن يسبقوه الى الشرق ليأتوا اليه من ورائه فلما علم انهم قد قاربوا الاعواد التى عملها وعليها الثياب خاف ان ينظروا اليها ويعلموا ما فعله من المكر فسبقهم الى الشرق وسار أمامهم وأقبل على الاعواد يخاطبها كأنه يخاطب الرجال وهو يقول يا أهل كندة يا أهل ظريف اياكم والقوم قد أتتكم الرجال فلا تحملوا عليهم وأنا أفديكم بنفسى فان رأيتم على الحيف فاحملوا على القوم فمد القوم أبصارهم اليه فوجدوا عنده الثياب على الاعواد فى انشقاق الفجر فلم يشكوا انهم رجال فانقلبوا راجعين نحو البحر وجعل دامس ينادى ألا يا قوم أقسمت عليكم أن لا تبرحوا من أماكنكم وأنا أكفيكم مؤنة القوم وحدى فرجعت بنو مهرة ناكصين على أعقابهم هذا قد أردف زوجته وهذا أولاده وهذا أمته وهذا أخذ ما قدر عليه من أثاثه ورجع أبو الهول الى الحى فلم يصادف فيه الا العبيد والصبيان والمشايخ والعجائز فأمر العبيد أن يوقروا الجمال فحملوها وكتفهم وساق الجميع قدامه وعادوا وأخذ الثياب من على الاعواد وألحقهم

وأربعين يوما (وتولى من بعده ولده الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد) فعمر قبة الامام الشافعى والمدرسة التى بين القصرين المعروفة بالكاملية وأقام عشرين سنة وشهرين وتوفى سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بدمشق (وتولى من بعده ولده العادل أبو بكر) وعمره ثمان عشرة سنة فاقام سنة وشهرين وأياما وقيل أكثر ثم خلع وسجن سنة تسع وثلاثين وستمائة وقتل بعد ذلك ودفن عند الامام

وأتى بهم ديار قومه فعجبوا منه ومن فعاله فلما سمع أبو عبيدة ذلك من خالد أقبل على سراقة وقال له ادع لى عبدكم
حتى أنظر اليه وأسمع كلامه فأتى به سراقة فقال له أبو عبيدة أنت دامس قال نعم أصلح الله الامير فقال له بلغنى
عنك عجائب وأنت وايم الله أهلها الا انك جزل من الرجال واعلم أنك وقومك تقاتلون فى بلاد سهلة لا تأتون
الجبال ولا القلاع ولقد اقتحمت البارحة أثر القوم اقتحاما منكرا فارفق بنفسك واحذر من هذا البطريق يوقنا
فقال له دامس أصلح الله الامير لقد غزوت مهرة وأخذت أموالها وان جبالها امنيعة شامخة رفيعة ذات وعر وحجر
وما هذه بامنع من تلك الجبال فقال أبو عبيدة أنا أراك نجيبا فهل حدثتك نفسك عن أمر هذه القلعة بشئ فقال
دامس أصلح الله الامير انى لما قدمت عليك فى هذا الوقت كنت رأيت فى نومى رؤيا فقال أبو عبيدة وما الذى
رأيت أراك الله الخير قال رأيت كأنى سائر فى وطاءة من الارض وانى مجد أطلب قومى فبينما أنا فى مسيرى اذ
أشرفت عليهم وهم حائرون لا يتقدمون ولا يتأخرون فناديتهم يا قوم ما شأنكم وأى شئ عرض لكم فى طريقكم
فقال لى القوم ما ترى هذا الجبل كيف قد عرض لنا فى آخر هذا الطريق وليس لنا فيه مسلك ولا مطلع فقلت
على رسلكم ألا ترون هذه الفجوة فى هذا الجبل فقالوا هيهات ليس لنا فيه منفذ ولا مطلع فقلت ولم ذلك قالوا
لان فيه ثعبانا عظيما لا يمر به أحد الا وأهلكه وقد قتل رجالا وجندل أبطالا فقلت يا قوم ألا تهجمون عليه
بأجمعكم قالوا لا نقدر على ذلك لان النار تخرج من أنفاسه وليس لنا عليه من سبيل فقلت لهم فالتمسوا لكم طريقا
من وراء ظهره فقالوا لا نقدر على ذلك من عظم جثته فتركتهم والتمست لى طريقا فلم أجد الا طريقا صعبا حرجا
فاقتحمته فما ملكته الا بعد المشقة وأتيت الى الثعبان من ورائه فقتلته ثم أشرفت على قومى فاتبعونى فما وصلوا
الا بعد جهد جهيد وهم آمنون من عدوهم ثم استيقظت فرحا مسرورا فقال أبو عبيدة خيرا رأيت وخيرا يكون
يا دامس أما رؤياك هذه فانها للمسلمين بشارة ولعدونا خسارة ثم قال له اجلس مكانك وأمر أبو عبيدة أن
ينادى المسلمين فحضر رؤساء المسلمين وأعيانهم فلما حضروا قال أبو عبيدة الله أكبر فتح الله ونصر وحبانا
بالظفر وخذل من كفر ثم قال يا معاشر المسلمين اسمعوا رؤيا أخيكم دامس فانها عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن
افتكر قال فاقبلوا يسمعون له فعندها قام أبو عبيدة على قدميه وقال الحمد لله وصلى الله على رسوله وسلم ثم يا معاشر
الناس ان الله سبحانه وتعالى له الحمد قد وعدنا فى كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الغلبة على أعدائنا
والظفر بمرادنا وما كان الله ليخلف وعده وانى نذرت ان فتح الله هذه القلعة على يدى أصنع من البر
ما استطعت والآن قد هجس فى نفسى ووقع فى قلبى انا ظافرون بهذه القلعة ومن فيها ان شاء الله تعالى ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم لانه قد دلنى على ذلك رؤيا هذا الغلام ثم قبض بكفه على زند أبى الهول وقال له رحمك
الله حدث اخوانك بما رأيت فى منامك فقام دامس قائما وقال اعلموا انى رأيت فى منامى كذا وكذا وجعل يقص
على الناس رؤياه من أولها الى آخرها فلما فرغ منها أقبل المسلمون على أبى عبيدة وقالوا له أيها الامير قد سمعنا
قوله وحفظنا شرحه فما تأويل رؤياه قال أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله أما الجبل الذى رآه عاليا شامخا شديد
الامتناع بين الشعاب والقلاع فذلك دين الاسلام بلا شك وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وأما الثعبان الذى
رآه وقد منع الناس وقد هجم عليه بسيفه فأمر حسن هو أن يفرج الله على يديه عن المسلمين ففرح الناس
بتأويل أبى عبيدة وقالوا أيها الامير فما الذى تأمرنا به فقال آمركم بتقوى الله سرا وجهرا ثم المكيدة على الاعداء
طوعا وصبرا فارجعوا الى رحالكم حفظكم الله وأصلحوا شأنكم وآلة حربكم وما تحتاجون اليه فانى أقدمكم
غداة غد الى أعاديكم الى أن يحدث لى رأى غير هذا فانى لست أدع الاجتهاد فى الرأى والمشاورة لمن أثق به
وبرأيه من المسلمين فقالوا بأجمعهم وفق الله رأيك أيها الامير وظفرك بأعدائك انه سميع عليم فمال لما يريد
ومضوا الى رحالهم فجعل هذا يحد سيفه وهذا يصلح آلة حربه وفرسه وهذا يتفقد درعه وهذا قوسه ونشابه وما
زالوا كذلك بقية يومهم فلما أصبحوا دعا أبو عبيدة بدامس فقال له أيها الولد المبارك ماذا تريد فى أمر هذه
القلعة وما عندك من الحيلة فقال دامس اعلم أيها الامير انها قلعة منيعة شامخة حصينة تعجز الوافد وتمنع
القاصد فى أهلها المحاصرة ولا تضيق صدورهم من قتال غير انى أفكر فى حيلة أحتالها أو بلية أعملها وارجو
من الله أن يتم ذلك عليهم فيكون ما فيه تبديدهم ونملك بمشيئة الله ديارهم ونقلع آثارهم فقال أبو عبيدة يا دامس
وما هى فقال أصلح الله الامير أنت تعلم ما فى اذاعة الاسرار من الشر والاضرار ومن كتم سره كانت الخيرة فيما

الشافعى (وتولى من بعده
أخوه الصالح نجم الدين
أيوب ابن الملك الكامل)
فأقام عشر سنين الا أربعة
أشهر وبنى المدارس
الاربعة بين القصرين
وعمر قلعة بالروضة واشترى
ألف مملوك وأسكنهم بها
وسماهم المماليك البحرية
وهو الذى أكثر من شراء
الترك وعتقهم وتأميرهم
وفى أيامه فى سنة سبع
وأربعين هجمت الافرنج
على دمياط فهرب من
كان فيها وملكوها والملك
الصالح مقيم بالمنصورة

لديه ويقال ان دامسا هذا أول من تكلم بهذه الكلمة فصارت مثلا فقال أبو عبيدة فما الذى تشير اليه وما الذى تعتمد عليه قال تزحف بعسكرك وجملة من معك من أصحابك حتى تنزلوا بازاء القلعة ليظهر لهم منك الحرص والهيبة واعلم ان فى ذلك من الحيل ما أرجو من الله أن يتم ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فأمر أبو عبيدة عسكره بالرحيل فارتحلوا ونزلوا تحت القلعة وهللوا وكبروا وأظهروا سلاحهم وأرهبوا أعداء الله تعالى قال فأشرف عليهم الروم ونظروا الى جمعهم فهابوهم وألقى الله الرعب فى قلوبهم حتى انهم اضطربوا فى قلعتهم وماجوا وجعل كبراؤهم يتشاورون فيما بينهم فقال قوم نقاتلهم وقال قوم بل نقعد فى قلعتنا فانهم لا يقدرون علينا ثم اجتمع رأيهم على القتال من فوق القلعة وقعدوا على الأبراج والبنيان وجعلوا يرمون المسلمين بالحجارة والسهام وقد أقاموا على ذلك ليلا ونهارا ودامس مع ذلك يعمل حيلة يصل بها اليهم بسوء قال فلما كان بعد السبعة والاربعين يوما أقبل دامس على أبى عبيدة وقال له أيها الامير قد عجزت وأنا أعمل حيلا فما صدر من يدى فى حقهم شئ وقد تفكرت فى شئ وأرجو من الله أن يكون به الظفر والظهور على أعداء الله فقال أبو عبيدة وما الذى دبرت قال تضيف الىّ من صناديد الرجال ثلاثين رجلا وتأمرهم بالطاعة وترك المخالفة والاعتراض على فيما آمرهم به وأفعله وأراه فقال أبو عبيدة سأفعل ذلك ثم ضم اليه ثلاثين رجلا من الشجعان حتى اذا اجتمعوا قال لهم أبو عبيدة معاشر المسلمين انى قد أمرت دامسا عليكم وأمرتكم بالطاعة والقبول لأمره واعلموا رحمكم الله انى ما أمرته عليكم لكونه أجل منكم حسبا ونسبا ولا أعظم موكبا ولا أشد باسا ولا أكثر مراسا فلا يقل أحدكم انى قد أمرت عليكم عبدا احتقارا بكم وبالله أحلف مجتهدا لولا ما يلزمنى من تدبير هذا العسكر لكنت أول من ينطلق معه فى جمعكم وأنا أرجو من الله أن يفتح على يديكم فاقبلوا عليه بجمعهم وقالوا أصلح الله الامير ما نشك فى اعظامك لنا ومعرفتك بسابقتنا ولقد كان كلامك الاول أثر فى نفوسنا وها نحن لك وبين يديك ولو أمرت علينا علجا أغلف لم نخرج لك عن أمر ولا رأى اذ علمنا أنك لا تريد الا نصح الدين وحياطة فالسمع والطاعة لله ثم لك ثم لمن وليته علينا من قبلك كائنا من الناس أجمعين قال ففرح أبو عبيدة بما قالوه ووثق بكلامهم وجزاهم خيرا وقال لهم اعلموا رحمكم الله تعالى أن نفسى تحدثنى ان الله تعالى يفتح هذه القلعة على يد هذا العبد المقبل لانه دقيق الحيلة حسن البصيرة فسيروا معه وثقوا بالله وتوكلوا عليه وقد تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى فؤادا على سادات العرب من المسلمين والاشراف من عشيرته ثم أقبل على دامس فقال له يا دامس ما الذى تحب بعد هذا قال ترحل أنت بجيشك من وقتك هذا فتكون منا على مسيرة فرسخ فتنزل بالعسكر وتأمرهم بقلة الحركة وأن يختفوا ما استطاعوا ويكون لك رجال تثق بشدتهم ونصحهم للمسلمين يتجسسون عن أخبارنا وآثارنا من غير أن نعلم بنا وبهم أحد ويكونون بغير سلاح سوى الخناجر فاذا عاينوا منا الظهور على أعدائنا والظفر بهم لحقوك وبشروك بذلك فتلحق بنا ان شاء الله تعالى وليكونوا متفرقين فى موضع واحد فان ذلك أسلم لهم وأبلغ لما يريدون من أمورهم والله المستعان فى جميع الامور والاحوال فعلم أبو عبيدة انه نصيح من الرجال صاحب رأى وبصيرة ثم ان دامسا أقبل على رفاقه الذين ولى عليهم وقال لهم يا فتيان العرب انهضوا بنا بارك الله فيكم حتى نكمن فى بعض هذا الوادى ما دام الناس عازمين على الرحيل لئلا تشرف الروم فينظروا الى رحيلنا فلا يتفق لنا أن نطلب ان امكننا اذا أشرفوا من أعلى حصنهم وليكن مع كل رجل منكم سيفه وجحفته وخنجره لا غير ففعلوا ذلك فلما تكاملوا لبس دامس لامة حربه وجعل خنجره تحت أثوابه وأخذ جماعته وخرج بهم حتى اذا فارق العسكر جعلوا يخفون آثارهم وأشخاصهم وهو سائر بهم حتى أتى بهم كهفا فى الجبل فأمرهم بالدخول اليه وجلس على بابه قال وأما أبو عبيدة فانه أمر الناس بالرحيل بعد ما رتب الرجال كما وصاه أبو الهول فارتحل العسكر وأشرف عليهم اهل القلعة فرأوهم يرحلون ففرحوا بذلك وسروا سرورا عظيما وصاروا يصيحون على المسلمين من أعلى القلعة وقالوا لبطريقهم أيها السيد افتح لنا الباب حتى نخرج وراء العرب فلعل أن نقتل منهم أحدا أو نأسره فنهاهم عن ذلك قال وداموا بقية يومهم الى العشاء فقال دامس لاصحابه من فيكم ينهض الى تحت القلعة ويأتينا بخبرها أو يقدر على رجل يأسره فيأتينا به فنأخذ منه خبرا فلم يجبه أحد فقال أنا أعلم ان ما فى هذه الجماعة الا من هو ضنين بنفسه كاره للموت وأنا لكم الفداء فانظروا كيف تكمنون ثم تركهم دامس ومضى فغاب عنهم ساعة واذا به قد أتى ومعه علج وقال لهم

فقاتلهم فادركه أجله ومات فأخفت جاريته شجرة الدر موته وصارت تعلم بعلامته سرا وحمل من المنصورة الى القاهرة ودفن بقبة بنيت له بجوار مدرسته وساست شجرة الدر الناس أحسن سياسة وأعلمت أعيان الامراء فارسلوا الى ابنه توران شاه وأحضروه وكان بديار بكر فملكوه فركب فى عصائب الملك وقاتل الافرنج وكسرهم وقتل منهم ثلاثين ألفا وأسر الفرنسيس ملك الافرنج

يا فتيان العرب دونكم هذا فاسألوه فسألوه فلم يفقهوا قوله فقال على رسلكم فغاب غير بعيد وأتى بثلاثة أخر فلم
يكن فيهم من يفهم بلغة العرب فقال دامس لعن الله هؤلاء ما أقطع لغتهم وأكثر طمطمتهم ثم أوثقهم كتافا
وغاب الى أن مضى من الليل نصفه ولم يأت فقلق عليه أصحابه قلقا شديدا واغتموا عليه وقال بعضهم لبعض
أنا أقول ان دامسا قد فطن به فقتل أو أسر وماجوا فى ذكره وهموا أن يرجعوا الى العسكر فبينما هم فى ذلك اذ
دخل عليهم دامس وهو يقود رجلا من الروم فتواثبوا اليه وقبلوه بين عينيه وسألوه عن ابطائه وقالوا له
يا دامس لقد حدثتنا نفوسنا بالعظائم وصعب علينا ابطاؤك عنا فقال اعلموا رحمكم الله تعالى انى لما فارقتكم
سرت الى قريب من سور القلعة وكنت لهم وهم يمرون على وهم يرطنون بلغتهم وأنا لا أتعرض للقوم كل ذلك
وأنا أطلب من يتعرض للعربية ويتكلم بها فلم أر أحدا حتى أيست وهممت بالرجوع خائبا اذ سمعت هدة
شديدة قد وقعت من أعلى السور فأسرعت اليها لأنظر اليها ما هى فاذا أنا بهذا الرجل وقد ألقى نفسه من القلعة
الى أسفل السور فبادرت اليه وأخذته وأتيت به اليكم فانظروا ما هو فدنوا اليه وخاطبوه فلم يكلمهم الا بلغته واذا
به قد انفضت جبهته فقال لهم دامس اعلموا أن له شأنا وأى شأن وانى أظنه هاربا من القوم وليس فيكم من
يفهم ما يقول ولكن على رسلكم فانا آتيكم بمن يتكلم بلسانه وبالعربية ثم أسرع دامس من عندهم فلم يكن
الا قليل واذا به قد عاد ومعه رجل قد نزلت عمامته فى رقبته وهو يقوده حتى مثله عندنا فقالوا له من المدينة
أنت أم من القلعة فقال له دامس ممن أنت تكون أمن الروم أم من العرب المتنصرة قال ولكنى من العرب
المتنصرة فقالوا يا هذا هل لك أن تطلعنا على عورات القلعة أو عورة من عوراتها ونحن نطلق سبيلك ولا
يتعرض اليك أحد بسوء فقال يا هؤلاء لست أعرف لهذه القلعة عورة ولا طريقا ولو عرفت لما وسعنى فى دينى
ولا رأيت أن أدلكم عليها وحق المسيح قال فاغتاظ منه دامس وقال له اسأل هؤلاء الأسارى هل فيهم أحد من
أهل الربض فان بيننا وبينهم صلحا قال فسألهم فلم يجد فيهم أحدا من أهل الربض بل كلهم من أهل القلعة
وأنا أعرفهم فقال له دامس فاسأل هذا الرجل لم طرح نفسه من السور وما دعاه الى ذلك فسأله فقال له انه
يقول ان الملك يوقنا غضب على أهل الربض لأجل صلحهم لكم وبعث يتهددهم فلما انصرفت العرب نزل
يوقنا فجمع رؤسهم وأصعدهم الى القلعة وأنا فى جملتهم وطلب منا من الاموال ما لا طاقة لنا به ولا نقدر عليه فلما
رأيت ما قد نزل بنا هربت وألقيت نفسى من القلعة أطلب الفرج وأنجو من العقوبة فلم أشعر الا وأنت قد
قبضت على وأنا من أهل الربض فان كنتم من العرب فأنا فى ذمتكم وأمانكم فلا تنكثوا ولا تغدروا وان كنتم
من غيرهم فاطلبوا منى ما أردتم من الفداء فانى قد هربت من العقوبة فقال له دامس قل له نحن من العرب
ولا بأس عليك ولا خوف ولا ينالك منا سوء وأراد دامس أن يرى الربضى ما يفعل بأعدائه فأخرج الروم
والمتنصرة وضرب رقابهم ولم يدع غير الربضى ثم أطلقه واستتروا الى الليل وعمد دامس الى مزوده فاستخرج
منه جلد ماعز وألقاه على ظهره وأخرج كعكا يابسا وقال لأصحابه بسم الله استعينوا بالله وتوكلوا عليه واخفوا
نفوسكم وقدموا الحزم فى أموركم فانى معول على فتح هذه القلعة ان شاء الله تعالى فقالوا سر على بركة الله تعالى
فقاموا مسرعين وتقدم دامس وبعث رجلين من أصحابه يعلمان أبا عبيدة بشأنهم ويقولان له ابعث الخيل
عند طلوع الفجر قال فانطلق الرجلان وصعد دامس ومن معه تحت الظلام ودامس على المقدمة يمشى على
أربعة والجلد على ظهره وكلما أحس بشئ قرض فى الكعك كأنه كلب يقرض عظما وهم من ورائه يقفون أثره
وهم يستترون بين الاحجار فلا زالوا كذلك حتى لاصقوا السور وسمعوا أصوات الحرس وزعقات الرجال من
أعلى القلعة والحرس شديد فلم يزل دامس دائرا بهم حول السور الى أن أتى الى مكان لم يجد به حسا واذا بحرسه
قد ناموا وراء المكان ولم يروا فى السور أقرب منه فقال دامس لأصحابه أنتم ترون هذه القلعة وعلوها وتحصينها
وليس فيها حيلة لشدة الحرس ويقظة القوم فالذى ترون من الرأى أن نصنع بها وكيف الحيلة فى الصعود اليها
الى أن نحصل فى وسطها فقالوا يا دامس ان الامير أمرك علينا وأنت أدرى منا وأرجحنا ونحن لك وبين يديك
فمهما رأيت فيه الصلاح للمسلمين فلا نتأخر عنه ووالله ان قتل نفوسنا وذهاب أرواحنا أسهل علينا من الرجوع
بغير فائدة فلك الامر ومنا السمع والطاعة فليس منا من يتأخر عنك ولا نموت الا تحت ظلال السيوف وفى طاعة
الله ونصرة دين الاسلام فقال دامس شكر الله فضلكم ورزقكم النصر على أعدائكم فان كانت هذه نيتكم
فالتصقوا بنا الى هذا المكان قال وكانوا ثمانية وعشرين رجلا واثنان كانوا أرسلوهما الى الامير يعلمانه بان

وحبس مقيدا ووكل بحفظه طواشى يقال له صبيح وبقى أسيرا الى ولاية شجرة الدر فاتفقت مع الامراء على اطلاقه بشرط أن يردوا دمياط الى المسلمين ويعطوا ثمانية آلاف دينار عوضا عما نهب من دمياط ويطلقوا أسرى المسلمين التى بايديهم ففعلوا وأقام توران شاه فى المملكة شهرين ثم قتل وتولت من بعده شجرة الدر أم سرية الملك الصالح لحسن سيرتها وجودة تدبيرها ودعى لها على المنبر بعد الدعاء للخليفة العباسى ونقش اسمها على الدراهم والدنانير ولم يل مصر فى الاسلام امرأة قبلها

بأتى اليهم فى الصبح فقال لهم دامس أفيكم من يقدر على الصعود على هذه القلعة فقلنا له يا أبا الهول وكيف لنا أن نرقى اليها وعلى أى شئ نصل الى أعلاها بغير سلم فقال على رسلكم ثم انه اختار من اصحابه سبعة رجال كالاسد الضوارى لو كلفوا حمل ذلك البرج على مناكبهم لما عظم ذلك عليهم ثم جلس على قرافيصه وقال لاحد السبعة اجلس على منكبى وارم بحيلك الى الجدار واجلس كما أنا جالس ففعل الرجل ما أمر به وأمر آخر أن يفعل ويصعد على منكبى الآخر وأن يرمى بقوته على الجدار قال ففعل ثم انه لم يزل يصعد واحد بعد واحد الى أن صعد الثامن بقوته على الجدار وهم متمسكون به فعند ذلك أمر الاعلى أن يقوم قائما وأن يطرح حيله على الجدار فقام الاول وقام الثانى ثم قام الثالث ثم قام الرابع والخامس والسادس وكل واحد منهم قد طرح نفسه على الجدار ثم قام دامس آخرهم فاذا الاعلى قد وصل الى شرافة السور وتعلق بها فاستوى على السور ونظر الى حارس ذلك المكان فوجده نائما وهو ثمل من الخمر فاخذ بيده ورجله ورماه فلما وصل الى الارض قطعوه وأخفوا جسده ووجد من أصحابه اثنين سكارى وهم رقود فذبحهم بخنجره ورمى بهم ثم أرخى عمامته لصاحبه ونشله اليه فاذا هو معه على السور وكان دامس قد أعطاه حبلا فبقوا ينشلون به بعضهم الى أن تكاملوا على السور وأصعدوا من بقى معهم على الارض وكان آخر من صعد أبو الهول فقال لهم مكانكم حتى أقفوا الخبر وأكشف لكم الاثر ثم انه أتى الى دار البطريق وهو فى وسط القلعة واذا عنده سادات البطارقة وأكابرهم وهم جلوس وبين أيديهم بواطى الخمر ويوقنا جالس فى وسطهم على بساط من الديباج منسوج بالذهب وعليه بدلة من اللؤلؤ ومعصب بعصابة من الجوهر والقوم يشربون والمسك والبخور يفوح عندهم فعاد دامس الى أصحابه وقال اعلموا أن القوم خلق كثير وان هجمنا عليهم فلا نأمن الغلبة من كثرتهم ولكن ندعهم فيما هم فيه فاذا كان وقت السحر هجمنا على يوقنا ومن معه من الملوك ونقتلهم بسيوفنا فاذا ظفرنا بهم وأذلهم الله لنا وعلى أيدينا فهو الذى نريد وان كان غير ذلك فيكون الصباح قد قرب ولاشك ان الرجلين من أصحابنا قد أعلما خالد بن الوليد فيأتينا فقالوا ما نخالف لك أمرا ونحن قد صرنا فى قلعة هؤلاء الاعداء وليس ينجينا الا صدق جهادنا والعزم والشدة من قوتنا فقال لهم مكانكم فلعل أن نفتح الباب قال وكان للقلعة بابان وبينهما دهليز والبوابون داخلهما والرجال تنام عندهم بالنوبة فلما وصل دامس الى الباب وجده مغلقا واذا بالقوم رقود من السكر فعاجلهم بالذبح ثم فتح البابين وتركهما مردودين ورجع الى أصحابه وقد قرب الفجر فقال لهم أبشروا فانى قد فتحت البابين وقتلت من كان وراءهما فدونكم والباب فاستوهم اليه وخذوه عليهم فقد بقى القوم حصيدا لاسياف المسلمين ان شاء الله تعالى قال وأرسل من يستعجل خالدا ويبشره بذلك ثم أرسل خمسة من أصحابه يمسكون الباب وأخذ الباقين ومشى نحو دار يوقنا فصاحوا عليه ووقع الصياح فى القلعة فرجعوا بأجمعهم الى الباب وأخذ كل واحد منهم مكانا يحميه فعندها جاءتهم الابطال وصاحت الروم ويلاه كيف تمت علينا هذه الحيلة وصرخ يوقنا بأصحابه فأتوا من كل جانب فعندها كبر المسلمون ونادوا بلسان واحد الله أكبر نخيل للروم ان القلعة ملآنة منهم قال ابن أوس وقاتلت الروم قتالا شديدا وأما المسلمون فكانوا كالاسد الضارية فما رأيت أقوى بأسا ولا أشد مراسا من دامس أبى الهول فى ذلك اليوم فلقد عددنا فى بدنه بعد ما انفصلنا ثلاثة وسبعين جرحا كلها فى مقدم بدنه قال فبينما نحن فى أشد القتال ونحن يحمى بعضنا بعضا وقد بقى منا ثلاثة وعشرون وقتل منا اربعة وهم أوس بن عامر الحزمى من بنى حزم وأبو حامد بن سراقة الحميرى والفارع بن مسيب التميمى وفزارة بن مراد العوفى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) لقد حدثنى نوفل بن سالم عن جده غويلم بن حازم وكان ممن صحب دامسا فى قلعة حلب قال لما قتل من قتل منا وقد قتل أيضا لاعيننا مقدام بن عروة الحضرمى وكان ممن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية وتبوك ومرارة بن ربيعة العامرى وهلال بن أمية وهو ابن أخى كعب الذى تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبوك وأنزل الله فيه ما أنزل قال وبقينا عشرين رجلا وتكاثرت الروم علينا فى أزيد من خمسة آلاف وهم سد من حديد قال ونحن قد أيسنا من الحياة اذ دخل علينا خالد بن الوليد ومعه جيش الزحف فوجدونا ونحن فى أشد ما يكون من القتال فلما دخلوا علينا صاح فيهم خالد فخلت الروم عنا قال أوس فلما رأيناهم كذلك وانفرج عنا ما كنا فيه اشتدت قلوبنا فعندها كبرت المسلمون ودخل ضرار وأمثاله يضربون رقابهم فلما رأى الروم ذلك وعلموا انهم لا طاقة لهم بما وقع بهم القوا السلاح ونادوا الغوث الغوث

فاقامت فى المملكة ثلاثة أشهر ثم عزلت نفسها وتولى الملك الاشرف موسى بن الملك الكامل وكان يخطب له وللعز أيبك التركمانى معا على المنابر لانه كان تولى قبله بخمسة أيام فقال الناس لابد من سلطان غير هذا يكون من بنى أيوب فارسلوا الى الاشرف واحضروه وسلطنوه ولم يعزلوا أيبك بل كانا شريكين وكان آخر الدولة الكردية الايوبية وجملة ولايتهم احدى وثمانون سنة ثم جاءت الدولة التركية مماليك الاكراد فى حدود خمسين وستمائة فاولهم الملك المعز عز الدين أيبك

وكفوا أنفسهم عن القتال فكفت المسلمون أيديهم عنهم فبينما هم كذلك اذ أقبل أبو عبيدة ومعه عساكر الاسلام فاخبروه أن الروم يطلبون الأمان وان المسلمين قد رفعوا عنهم القتل الى أن تأتى وترى فيهم رأيك فقال أبو عبيدة قد وفقوا وسددوا فامر باحضار رجالهم ونسائهم فعرض عليهم الاسلام فكان أول من أسلم بطريقهم يوقنا وجماعة من ساداتهم قال فرد عليهم أموالهم وأهاليهم واستبقى منهم الفلاحين وعفا عنهم من القتل والاسر وأخذ عليهم العهود أن لا يكونوا الا مثل أهل الصلح والجزية وأخرجهم من القلعة قال ثم أخرج المسلمون من الذهب والأوانى ما لا يقع عليه عدد فاخرج منه الخمس وقسم الباقى على المسلمين وأخذ الناس فى حديث دامس وحيله وعجائبه وعالجوا جراحته حتى برأت قال وأعطاه أبو عبيدة سهمين ثم ان أبا عبيدة طلب أمراء المسلمين وأكابرهم وشاورهم فى أمره وقال ان الله وله الحمد قد فتح هذه القلعة على أيدى المسلمين وما بقى لنا موضع نخافه فهل نقصد انطاكية وهى دار الملك وكرسى عزهم وفيها بقية ملوكهم مع هرقل فما ترون من الرأى قال فعندها قام البطريق يوقنا وتكلم بلسان عربى فصيح وقال أيها الأمير ان الله تبارك وتعالى قد أيدكم وأظفركم بعدوكم ونصركم وما ذاك الا أن دينكم هو الدين القويم والصراط المستقيم ونبيكم هو المشهور فى الانجيل وهو لا محالة الذى بشر به المسيح ولا شك فيه ولا امراء وهو الفاروق الذى تفرق بين الحق والباطل وهو النبى الكريم اليتيم الذى يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه فهل كان ذلك أم لا أيها الأمير فقال أبو عبيدة نعم هو نبينا صلى الله عليه وسلم وانى يا يوقنا قد حرت فى أمرك وأنت بالأمس تقاتلنا ومرادك أن تكسر عسكرنا وتقطع الطريق على علوفتنا واليوم تقول مثل هذا القول وقد بلغنى انك لا تفهم بالعربية شيأ فمن أين لك حفظها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله وانك تعجب أيها الامير من هذا الامر قال نعم قال له اعلم أيها الامير انى كنت البارحة مفكرا فى أمركم وقد وصلتم الى قلعتنا ونصرتم علينا وانه لم يكن عندنا أمة أضعف منكم وتوسوست فى ذلك فلما نمت رأيت شخصا أبهى من القمر وأطيب رائحة من المسك الاذفر ومعه جماعة فسألت عنه فقيل لى هذا محمد رسول الله فكأنى أقول ان كان نبيا حقا فليسأل ربه أن يعلمنى العربية وكان يشير الى وهو يقول يا يوقنا أنا محمد الذى بشر بى المسيح وأنا لا نبى بعدى وان أردت فقل لا اله الا الله وانى محمد رسول الله فأخذت يده فقبلتها وأسلمت على يديه واستيقظت وفى من تلك الليلة كالمسك الاذفر وأنا أتكلم بالعربية ثم انى قمت الى منزل أخى يوحنا وفتحت خزانة كتب فوجدت فى بعض الكتب صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما يكون من أمره ووجدت كل الصفات صحيحة وان أبغض الخلق اليه اليهود أكان ذلك أيها الامير أم لا فقال أبو عبيدة نعم كانت اليهود تطالبنا أشد الطلب حتى نصرنا الله عليهم وأخذنا حصونهم وقتلنا أبطالهم قال يوقنا ووجدت هذا فى سيرته وجملة أخباره وان الله تعالى كان يوصيه بأصحابه وبالمسلمين وبالأيتام والمساكين أكان ذلك أم لا قال أبو عبيدة نعم أما وصيته من الله على أصحابه فقد قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال فى حق اليتيم والمسكين فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فقال يوقنا كيف قال ووجدك ضالا فهدى فما معنى وصفه بالضلال وهو عند الله كريم فقال له معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه وجدناك ضالا فى تيه محبتنا فهديناك الى مشاهدتنا وأيضا سهلنا لك الوصول الى سبل المكاشفة ووفقناك للوقوف الى مقام المشاهدة ووجدناك ضالا فى بحار الطلب على مركب العطب فهديناك الى سواحل الحق وقربناك الى ظل حقائق الصدق لتكون بقلبك مائلا عن الاغيار أو تهيم فى قيعان الاخيار متمنيا ساعات الوصول والتلاق وليس لك منا خبر ولا مهلك منا أثر أحللناك لوائح الرضا وكشفنا لك عن واضح القضا أما علمت يا يوقنا انه لا شئ عند المؤمن أوفى من العلم ولا أربح من الحلم ولا حسب أوضح من الدين ولا قرين أزين من العقل ولا رفيق أشر من الجهل ولا شئ أعز من التقوى ولا شئ أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أعلى من الصبر ولا سيئة أخزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الخرق ولا رسول أعدل من الحق ولا دليل أنصح من الصدق ولا فقر أذل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أحسن من الصحة ولا معيشة أهنا من العفة ولا عبادة أفضل من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت فلما سمع يوقنا هذا الكلام من معاذ تهلل وجهه وقال هكذا قرأته فى كتب أخى يوحنا وهو مذكور فى الانجيل والتوراة ثم خر ساجدا وقبل الارض شكرا وقال الحمد لله الذى هدانى الى هذا الدين والله لقد رسخ هذا الدين فى قلبى وعلمت أنه الحق وسأقاتل فى الله كما كنت أقاتل فى طاعة الشيطان والله

التركمانى الصالحى) فاقام ست سنين وتزوج شجرة الدر ثم تزوج بنت صاحب الموصل ففارت شجرة الدر فقتلته فى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة ثم أحدثت أمورا أدت الى قتلها فقتلت بأيدى مماليك المعز وهو الذى بنى المدرسة المعزية برحبة الحناء وفى أيامه ظهرت النار بالمدينة المنورة وسارت هكذا وهكذا كأنها الجبال واستمرت أكثر من شهر واحترق منها المسجد النبوى وكان صلى الله عليه وسلم أخبر عن ظهورها ولما صفا الوقت لايبك وكثرت عساكره قبض على شريكه فى السلطنة وسجنه بالقلعة وتفرد

لأنصرن هذا الدين حتى ألحق بأخي يوحنا ثم انه بكى بكاء شديدا على مافرط فى أمر أخيه فقال له أبو عبيدة قال الله فى حق اخوة يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وقال له ان أخاك فى عليين مع الحور العين وأما أنت فساعة أسلمت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك فبكى لذلك وقال أشهد على المسلمين أنى كلما جاهدت وقتلت من المشركين فثوابه فى صحيفة أخي يوحنا ولا بد أن أقاتل فى سبيل الله وأمحو ماسلف من الفعال فقال أبو عبيدة يا عبد الله دلنا أين نسير فقال يوقنا اعلم أيها الامير أن حصن عزاز حصن منيع وهو قوى بالرجال والعدد والزاد وفيه ابن عم لى اسمه دراس بن جوفناس وهو ذو شدة و باس وقوة ومراس جلد فى الحرب قوى عند الطعن والضرب وان أنتم تركتموه ومضيتم الى نحو انطاكية أغار على حلب وقنسرين وأذاقهم شرا فقال أبو عبيدة يا عبد الله قد أنطق الله لسانك بالحق والصواب فما عندك من الحيلة فقال يوقنا عندى من الرأى أن أركب جوادى وتضم الى مائة فارس من المسلمين ولنكن على زى الروم ولباسهم وأتقدم بهم ثم يتقدم أمير من العرب ومعه ألف فارس على خفاف الخيل وأنا فى المقدمة بالمائة فارس على مقدار فرسخ كأننا هاربون منكم وأوائل الخيل الالف فى طلبنا فاذا أشرفنا على عزاز نلقى الصوت فاذا نظر الينا صاحبها دراس لا بد أن ينزل الينا و يلقانا فاذا سألنى أخبرته انى أسلمت زورا ثم هربت فخرجت العرب فى طلبى فاذا سمع منى ذلك يصعد بنا الى حصنه وليكن مقدم الالف بالقرب منا فى قرية هناك فاذا كان نصف الليل سرنا فى وسط الحصن ونضع السيف فى أعدائنا فاذا كان عند صلاة الفجر يأتينا أمير العرب بالالف الذى معه فلما سمع أبو عبيدة ذلك استنار وجهه واستشار خالدا ومعاذا فى ذلك فقالا يا أمين الأمة رأى سديد ان لم يغدر هذا الرجل و يرجع الى دينه فقال أبو عبيدة ان ربك لبالمرصاد فقال يوقنا أنا والله رجعت عن دينى الى دينكم بعد ما كنت أعظم من تلك الصور والصلبان ومابقى فى قلبى سوى محبة الرحمن ومحمد سيد ولد عدنان والجهاد عن أفضل الأديان والله على ما أقول وكيل وحق الله الذى لا اله الا هو وحق محمد عبده و رسوله صلى الله عليه وسلم الذى رأيته وعاينته فى المنام ان كنتم تظنون فى غير ذلك فلا تتركونى أفعل شيأ مما ذكرته لكم فقال أبو عبيدة يا عبد الله انك انت نصحت للمسلمين ولم تغدر بهم كان الله لك معينا فى كل ما تحاوله فاتبع الصدق تنج به فان ديننا مبنى على الصدق واتبع سنن اخوانك المؤمنين واعلم ان المؤمن الصادق قوته ما وجد ولباسه ماستر ومسكنه ما وجد فلا يحزنك ما تركت من ملكك وحكمك وامارتك فان الذى تركته فان والذى تطلبه باق لان نعمة الدنيا فانية والآخرة خير وأبقى واعلم أنك فى يومك هذا عار من الشرك واعلم ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والمؤمن يتيقن أن القبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكره والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة داره واعلم يا يوقنا أن المسيح قال عجبت لمن ليله غافل وليس بمغفول عنه ومؤمل دنيا والموت يطلبه و بان قصرا والقبر مسكنه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم من أعطى أربعا أعطى أربعا وتفسير ذلك فى كتاب الله تعالى من أعطى الذكر ذكره الله عز وجل لان الله تعالى يقول اذكرونى أذكركم ومن أعطى الدعاء أعطى الاجابة لان الله تعالى يقول ادعونى أستجب لكم ومن أعطى الشكر أعطى الزيادة لان الله تعالى يقول لئن شكرتم لأزيدنكم ومن أعطى الاستغفار أعطى المغفرة لان الله تعالى يقول استغفروا ربكم انه كان غفارا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى عامر بن قبيصة اليشكرى قال حدثنى يونس بن عبد الاعلى قراءة عليه قال شهر بن حوشب عن جده عامر بن زيد قال كنت ممن شهد فتوح الشام وكنت فى فتوح قنسرين وحلب مع أبى عبيدة وكنت كثيرا ما أصحب الروم الذين دخلوا فى ديننا فلم أرهم أشد اجتهادا ولا أخلص اعتقادا ولا أعظم نية ولا أحسن فى الجهاد حمية ولا أبلغ فى قتال الروم من يوقنا ولقد نصح والله للمسلمين وجاهد فى الكافرين وأرضى رب العالمين ولقد فعل فى الروم مالم يقدر عليه أحد من أبناء جنسه من بعد ماقاسى المسلمون منه على قلعة حلب وماتركهم ينامون ولا يقرون ليلا ولا نهارا وماقتل من المسلمين رضى الله تعالى عنهم أجمعين

﴿ذكر فتح عزاز﴾

(قال الواقدى رحمه الله تعالى و رضى عنه) لما وعظ أبو عبيدة يوقنا وفرغ وعظه ضم اليه مائة فارس وألبسهم

وحده وكانت مدة ملكه سبع سنين ومدة شركه سنة وشهرا (ثم تولى من بعده ولده الملك المنصور نور الدين على الثانى) من ملوك الترك وكان عمره نحو خمس عشرة سنة فاقام سنتين وثمانية أشهر ثم حبس بأمر قطز المعزى لصغره وعدم صلاحيته لقتال التتار وتملك مكانه ولقب بالملك المظفر قطز المعزى فلم يلبث أن جاء رجل وبيده كتاب فيه من ملك الملوك شرقا وغربا الخاقان العظيم هلاكوخان ووصف نفسه بأوصاف عظيمة وسطوة شديدة وفيه يا أهل مصر لا تقابلونى فانه ليس لكم قدرة على

زى الروم قال وكان كل عشرة من قبيلة قال وهم من طى وفهر وخزاعة وسنبس ونمير والحضارمة وحمير وباهلة وتميم ومراد وجعل على كل عشرة نقيبا فأما نقيب طى فخزعل بن عاصم وعلى فهر فهر بن مزاحم وعلى خزاعة سالم ابن عدى وعلى سنبس مسروق بن سنان وعلى نمير أسد بن حازم وعلى الحضارمة ماجد بن عميرة وعلى حمير مالكهم ذو الكلاع الحميرى وعلى باهلة سيف بن قادح وعلى تميم سعد بن حسن وعلى مراد مالك بن فياض فلما كملوا قال لهم أبو عبيدة اعلموا رحمكم الله أنى مرسلكم مع هذا الرجل الذى وهب نفسه لله ورسوله وكل طائفة منكم عليها نقيب وقد وليته عليكم فاسمعوا له وأطيعوا ما دام فى مرضاة الله عز وجل قال فلبسوا وركبوا وساروا معه فلما بعدوا بفرسخ أرسل وراءهم ألف فارس وأمر عليهم مالكا الاشتر النخعى وقال له سر فى أثر القوم وانظر ما يكون من أمر هذا العبد الصالح فاذا قربت من هذا الحصن فاكمن الى وقت السحر ثم تظاهر لاخوانك سر وفقك الله وأرشدك فسار مالك يقدم قومه فسار وابقية يومهم فلما جن عليهم الليل كمنوا فى قرية بالقرب من الحصن وهى خالية من السكان وأما ما كان من يوقنا فانه أخذ على غير طريق وسار طالبا اعزاز (قال الواقدى) حدثنى سليمان بن عبد الله اليشكرى حدثنى الشديد بن مازن عن جده على بن عاصم قال كنت فى خيل يوقنا لما وجهنا أبو عبيدة معه قال لما شارفنا اعزاز قال لنا يوقنا اعلموا يا فتيان العرب انا قد شارفنا هذا العدو فاياكم أن يتكلم أحد منكم فان لغتكم لا تخفى على الروم وأنا المترجم عنكم وكونوا على يقظة من أمركم فاذا رأيتمونى وقد بطشت بصاحب الحصن فثوروا على اسم الله تعالى ثم سار وا وليس عنده خبر من تواتر القدر (قال الواقدى) حدثنى سليمان بن عبد الله اليشكرى قال حدثنى عبد الرحمن المازنى وكان ممن يكتب فتوح الشام قال حدثنى الاكوع بن عباد المازنى قال كنت مع مالك الاشتر من جملة الالف حين سرنا فى أثر يوقنا صاحب حلب حتى اذا كنا فى تلك القرية ونحن ننتظر الصباح واذا نحن بجيش من ورائنا من غربى القرية فسار مالك الاشتر وقصد الحصن فغاب عنا غير بعيد وعاد ومعه رجل من العرب المتنصرة وقد أقبل به فلما صار بيننا قال يا فتيان اسمعوا ما يقول هذا الرجل فقلنا وما الذى يقوله قال اسألوه فانه يخبركم فسألناه وقلنا من أى الناس أنت قال من غسان من بنى عم جبلة بن الأيهم فقال له مالك ما اسمك قال اسمى طارق بن شيبان فقال له يا طارق بحق ذمة العرب لا تكتمنا أمرا تعرفه من أعدائنا قال والله لا أكتم أمرا أعرفه ولكن خذوا على أنفسكم قبل قدوم عدوكم قال مالك وكيف ذلك قال لانا البارحة ورد علينا جاسوس من عندكم وهو منا اسمه عصمة بن عرفجة وكان يسمع ما تناجيتم به من الحيلة التى أرادها يوقنا على صاحبكم فلما سمع الجاسوس منكم ذلك كتب رقعة وربطها تحت جناح طير كان معه وأطلقه الى صاحب عزاز فلما قرأها أرسلنى الى صاحب الراوندات لوقا بن شاس يستنجده عليكم فقضيت اليه بالرسالة وهو قادم فى خمسمائة فارس وكأنكم بهم وقد هجموا فخذوا حذركم (قال الواقدى) وأما ما كان من أمر يوقنا فانه سار حتى وصل الى الحصن فوجد صاحبه قد تجهز بنفسه ومعه أصحابه وهو خارج الحصن وكان اللعين يركب فى ثلاثة آلاف فارس من الروم وألف من العرب المتنصرة غير من التجأ اليه من السواد فلما قدم عليه يوقنا لم يوهمه فى شئ من أمره بل استقبله وترجل اليه وأقبل كأنه يقبل ركابه وكان فى يده سكين أمضى من القضاء فقطع بها حزام فرس يوقنا وجذبه اليه واذا به قد وقع على أم رأسه فاطبق الاربعة آلاف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمهلوهم حتى أخذوهم قبضا بالكف وشدوهم كتافا وبصق دراس فى وجه يوقنا وقال لقد غضب عليك المسيح والصليب اذ فارقت دينك ودخلت فى دين أعدائك وحق المسيح لابد لى أن أبعثك الى الملك الرحيم هرقل يصلبك على باب انطاكية بعد ما أضرب رقاب هؤلاء العرب ثم انه أصعدهم الى الحصن (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ومن خيرة الله للمسلمين ان الجاسوس لم يكتب لصاحب عزاز فى مكاتبته بسير مالك الاشتر قال وان مالكا الاشتر لما سمع كلام المتنصر أيقظ أصحابه وربط المتنصر عنده وأكمنوا ينتظرون صاحب الراوندات فلما راق الليل سمعوا وقع حوافر الخيل فلم يكلمهم مالك حتى توسطوا الكمين وأطبقوا عليهم فكل اثنين ربطوا واحدا من الروم وأخذوهم بالكف ولم يفلت منهم أحد ولبسوا ثيابهم ورفعوا راياتهم وصلبانهم كما كانت ثم ان مالكا الاشتر قال للمتنصر هل لك أن ترجع الى دين الله عز وجل ودين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيمحو عنك ما سلف من الكفر بالايمان وتبقى لنا من جملة الاخوان فقال ان قلبى ولبى عندكم فلا جزى الله من الجأنا الى الدخول فى هذا الدين خيرا وأنا والله من الطائفة التى هى أول من أسلم على يد عمر بن الخطاب وقد سمعنا عن محمد صلى الله عليه وسلم

ملاقاتى فصنوا دماءكم ولا تكونوا مثل أهل بغداد وأهل حلب وغيرهم وقد كان قتل من تلك البلاد خلائق لا تحصى وقتل الخليفة المستعصم بالله ببغداد كما مر فلما سمع الملك المظفر قطز هذه الالفاظ عسر عليه ذلك ثم جاء الخبر بان التتار قد وصلوا البلاد الشامية وجاء أهلها الى مصر يطلبون النجدة وأراد قطز أن يأخذ من الناس شيأ يستعين به على قتالهم فجمع العلماء وحضر الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فقال لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شئ حتى لا يبقى فى بيت المال شئ وتبيعوا أموالكم من المواشى

أنه قال من بدل دينه فاقتلوه فقال له مالك لقد صدقت في قولك ولكن نسخ هذا الحديث بقول لا اله الا الله وقد قال الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الآية وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة وحشي قاتل عمه حمزة فأنزل الله فيه الآيات فلما سمع الغساني ذلك فرح وقال أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والآن والله يا مالك قد طاب قلبي وانجبر كسري أخذ الله بيدك وأنقذك الله يوم القيامة قال ففرح مالك باسلامه وقال له وفقك الله وثبت ايمانك ثم قال له يا عبد الله اني أريد أن تمحو ما سلف منك بما تفعله فقال وما تريد أيها الامير قال تمضي الى صاحب عزاز وتبشره بقدوم صاحب الراوندات الى نصرته فقال افعل ذلك ان شاء الله تعالى وان كنت في شك من أمري فارسل معي من تثق به حتى يسمع ما أقول فان الليل قد تنصف والحرس شديد وباب الحصن مقفول وأنا اخاطبهم من شفير الخندق قال فارسل معه مالك ابن عم له يقال له راشد بن مقبس وأوصاه أن يكون مستيقظا فسارا جميعا الى ان وصلا الى الحصن فوجدا الحرس شديدا وا لروم تضرب بوقاتها والصوت عال في وسط الحصن فقال طارق لابن عم مالك ما هذا وحق أبي الاقتال وضرب وحرب فأنصتا فاذا هو كما قال طارق (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وكان السبب في ذلك أن ابن صاحب عزاز شاب شجاع يقال له لاوان كان أبوه دراس في كل وقت يرسله الى يوقنا بالهدايا والتحف لما بينهم من القرابة وكان يقيم عنده اشهرا فأعزه كان وانه حضر عنده في بعض المرات في عيد الصليب في البيعة التي هي اليوم الجامع وكان يدخل في كل وقت فرأى يوما ابنة يوقنا وهي بين جواريها وخدمها وحشمها فوقع بقلبه حبها فكتم أمرها وعاد الى عزاز وشكا حاله الى أمه وما كان لأبيه ولد غيره وهي تجد له محبة عظيمة فقالت له أنا اخاطب أباك في ذلك والزمه أن يرسل يخطبها من أبيها ويزوجك بها ويبذل له من المال ما أراده وطلبه واشتغل قلب الشاب بحب الجارية وفي أثناء ذلك جاءت العرب الى بلادهم واشتغلت خواطرهم فلما وقع يوقنا في يد أبيه وكان من أمره ما كان وقبض عليه وعلى المائة من المسلمين وحبسهم جميعا في دار ولده لاوان ووصاه بحفظهم فقال لاوان في نفسه وحق ديني ان ابن عمنا يوقنا أعلم من أبي بالاديان ولولا انه رأى الحق مع هؤلاء العرب ما تبعهم بعدما قاتلهم أشد القتال وأيضا ان جيوش الملك ما ساوتهم وان الله قد نصرهم على ضعفهم وأنا قلبي متعلق بابنته واني أرى من الرأي السديد أن أحل هؤلاء القوم من الوثاق وأرجع الى دينهم بعد أن أثق من ابن عمي أن يزوجني ابنته فانه على الحق وأنال ما أطلب بعدها وأتزوج ابنته فلما حدثته نفسه بذلك أقبل الى يوقنا وجلس بين يديه وقال له يا عم اني عولت على ان أحل وثاقك أنت وأصحابك وقد اخترتك على أهلي وأبي وملكي وأنت تعلم ان فراق الاهل صعب واخترت الايمان على الكفر وقد علمت ان دين هؤلاء صحيح ولكن لي عليك شرط أن تزوجني ابنتك ومهرها عتقك أنت وهؤلاء الناس الذين معك فقال يوقنا يا بني مالك الى زواجها من سبيل اذا كنت تدخل فيه لاجل عرض الدنيا وليكن دخولك فيه خالصا من قلبك حتى ان الله يأجرك على ما تفعله وأنا ان شاء الله تعالى أبلغك ما تريد ومعه تنال عز الدنيا والآخرة فقال لاوان أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم حل وثاق يوقنا وأعطاه سلاحه وحل المائة وأعطاهم سلاحهم وقال لهم كونوا على أهبة وأنا أمضي الى أبي وهو ثمل بالخمر فاقتله وثوروا على بركة الله تعالى في رضا الله فعندها قال يوقنا للمائة اشهدوا على أني زوجته ابنتي وجعلت صداقها عتقنا فقبل منه ومضى الى دار أبيه فوجد أباه مقطوع الرأس واخوته عنده فقال لهم من فعل هذا بأبي قالوا نحن قال ولم ذلك قالوا أردنا بذلك وجه الله وقد سمعناك وما تحدثت به مع يوقنا وأصحابه فخفنا عليك أن لا يتم لك هذا الامر ويتكاثر الجمع على القوم ويبلغ أبانا خبرك فيقتلك فبطشنا به قبلك قال ففرح لاوان بذلك ورجع الى يوقنا وأصحابه وأعلمهم بما جرى فخرجوا من دار لاوان وتوسطوا الحصن ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير ووضعوا السيف في الروم قال ووقع الصايح في الحصن كما وصفنا وتبادرت الروم لقتال المسلمين وفي تلك الساعة قدم طارق ورفيقه قال فسمعنا الاصوات قال فرجعنا الى مالك وأعلمناه بما سمعناه فقال مالك لاصحابه اركضوا الاصحابكم فركضوا خيولهم وخلف منهم مائة يحافظون الاسرى فلما قربوا من الحصن وكان يوقنا قد قال للاوان ان نجدة من المسلمين تاتينا فاتى لاوان فرأى المسلمين قد أتوا ففتح لهم باب الحصن من باب السر وأدخلهم فلما حصل مالك الاشتر في حصن عزاز نادى هو ومن معه الله أكبر فتح الله ونصر

والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه فاتفق انه أخذ من كل رأس دينارا وأخذ من الاملاك أجرة شهرين ومن الغيطان كذلك فكان جملة ما جمعه ستمائة ألف دينار ثم جمع الامراء والعساكر والعربان وخلقا لا تعد ولا تحصى وصرف عليهم الجوامك وخرج في آخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة وجد في السير الى أن وصل عين جالوت من أرض كنعان فالتقى مع التتار هناك ووقع بينهم القتال فقتل منهم خلق كثير وانكسر هلاكو ومن معه من التتار وهربوا ثم رجعوا واقتتلوا

وخذل

وخذل من كفر فلما رأى أهل الحصن ذلك رموا سلاحهم ونادوا الغوث الغوث فرفعوا عنهم السلاح وأخذوهم اسارى وشكر واليوقنا ومن معه قال فحدث يوقنا مالكا الاشتر بحديث الغلام لاوان فقال مالك اذا أراد الله امرا هيأ أسبابه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى قيس عن عقبة عن صفوان عن عمرو بن عبد الرحمن عن جبير عن أبيه قال سألت أبا لبابة بن المنذر وكان ممن حضر فتوح الشام كيف كانت فتوح عزاز وقتل دراس فان نفسى تنكر هذا واريد صحته فقال لما وضعت الحرب أوزارها وجمع مالك الاشتر الاسارى والمال والثياب والذهب والفضة والآنية وأمر باخراج ذلك من الحصن ووكل به قيس بن سعد وكان ممن حضر وأصابه سهم فعوّره وكذلك أبو لبابة بن المنذر وكلاهما حضر بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد فى عزاز ثم قام مالك فمشى فى الحصن وتفقد دراسا فوجده مقتولا فقال من قتل هذا اللعين فقال لاوان قتله أخى لوقا وهو أكبر منى سنا فامر مالك باحضاره وقال لم قتلته وهو أبوك وما سمعنا ولدا اقتل أباه من الروم سواك فقال حملنى على ذلك محبة دينكم لان فى بيعة هذا الحصن قسا من المعمرين وكنا نقرأ عليه الانجيل ويعلمنا بعلم الروم وانى كنت فى بعض الايام فى البيعة أنا وهو وليس عندنا أحد وكان اسمه أبا المنذر فقلت له يا أبا المنذر ألا ترى الى بلاد الشام كيف استولت عليها العرب وملكوا أكثرها وهزموا جيوش الملك وما كنا نظن ان العرب تقدر على ذلك لانه ليس فى الامم أضعف منهم وان الله تعالى نصرهم على ضعفهم فهل قرأت ذلك فى كتب الروم أو ملاحمهم أو ملاحم اليونانيين فقال يا بنى نعم انى قرأت ذلك ولقد أخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع هذا الامر وجمع اليه الملوك والاساقفة والبطارقة وغيرهم وأخبرهم أن العرب لابد أن يملكوا ما تحت سرير هذا ولقد بلغنا عن نبى القوم انه قال زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها فقلت له يا أبانا فما تقول فى نبى القوم قال له يا بنى ان فى كتبنا ان الله تعالى يبعث نبيا بالحجاز وقد بشر به عيسى المسيح ابن مريم ولا ندرى أهو هذا أم لا فعلمت انه كتم عنى أمره مخافة أن أذيع سره فكتمت ما قال لى البارحة فلما رأيت يوقنا وأصحابه أسرى قلت هذا يوقنا قد قتل أخاه يوحنا وعاند العرب وقاتلهم ثم انه رجع الى دينهم وما ذاك الا انه قد علم الحق معهم فقلت أنا لنفسى قم أنت واقتل أباك وخلص يوقنا وأصحابه وارجع الى دين هؤلاء فهو الدين الحق لاشك فيه فلما نام أبى بعد ما شرب الخمر وسكر قتلته وسرت الى خلاص يوقنا ومن معه فوجدت أخى لاوان قد سبقنى الى ذلك فقال له مالك يا غلام لم فعلت ذلك قال محبة فى دينكم وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال له مالك قبلك الله ووفقك ثم خرج مالك من الحصن وولاه سعيد بن عمرو الغنوى وترك معه المائة الذين كانوا مع يوقنا وقدموا اليه صاحب الراوندات ومن معه فعرض عليهم الاسلام فأبوا فضرب رقابهم (قال الواقدى) حدثنى عبد الملك بن محمد عن أبيه عن حسان بن كعب عن عبد الواحد عن عبد الله بن قرط الازدى أن فتح عزاز كان هكذا والذى ذكر ان بنات دراس وزوجته قتلنه لم يصح والله أعلم ثم ان مالكا الاشتر أراد أن يرحل فعرض عليه سبى عزاز فكان ألف رجل من الشباب ومائتين وخمسة وأربعين رجلا من الشيوخ والرهبان وألفى امرأة من النساء والبنات ومائة وثمانين عجوزا ونظر الى شيخ من الرهبان مليح الشيبة واضح الهيبة فقال ان صدقت الفراسة فهذا القس الذى أخبرنى به لوقا وأخوه لاوان فدعا بهما وقال هذا هو القس الذى أخبرنى به لوقا فقال نعم فقال له يا شيخ اذا كنت من علماء أهل الكتاب فكيف تكتم الحق عن مستحقيه فقال والله ما كتمت الحق عن مستحقيه ولكن خفت من الروم ان يقتلونى لان الحق ثقيل وقد قتلوا الابناء والاخوة وذلك لاجل الحق فكيف أنا فقال له مالك أفتدخل فى ديننا فقال لست أدخل فيه الا اذا سألتكم عن مسائل وجدتها فى الانجيل فقال له مالك هات ما عندك فلما أراد القس أن يتكلم وقع الصياح فى الحصن فارتاع الناس ووثب مالك لينظر ما خبر الناس وظن أن الروم قد غدرت بهم واذا بأناس من المسلمين الذين بالحصن يقولون أيها الامير خذ واحذر كم فانا نرى غبرة على طريق منبج وبزاعة ولا ندرى ماهى فركب مالك ومن معه ووقفوا ينتظرون ما ذاك واذ قد لاح من تحتها خيول الاسلام وهم يسوقون السبايا والاموال والرجال وهم مشدودون فى الحبال ووراءهم ألف فارس من المسلمين وأميرهم الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنه وكان قد أرسله أبو عبيدة حتى غازى منبج والباب وبزاعة فوقع التكبير فى الفريقين وسلم بعضهم على بعض وسأل الفضل مالكا عن قصته فحدث أن الله قد فتح عزاز وأذل من فيها وحدثه بما كان من حديث يوقنا وانى مامنعنى من الرحيل الا هذا القس وسؤاله فقال له الفضل أيها القس

حتى قتل منهم النصف ورجعوا هاربين وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة وكان بيبرس عين أعيان دولة الملك قطز وقد ساق وراء التتار الى حلب وطردهم عن البلاد ووعده السلطان بحلب ثم رجع فى ذلك فتأثر بيبرس ووقعت الوحشة بينهما فاضمر كل لصاحبه الشر فاتفق بيبرس مع جماعة من الامراء وقتلوا المظفر فى الطريق بين الغزالى والصالحية فعظم على الناس قتله لحصول النصرة على يده وذلك سنة ثمان وخمسين وستمائة (ثم تولى من بعده الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس العلائى

قل ما انت قائل فقال القس اخبرني عن أي شئ خلقه الله تعالى قبل خلق السموات والارض فقال الفضل أول ماخلق اللوح والقلم و يقال العرش والكرسي و يقال الوقت والزمان و يقال العدد والحساب و يقال أول ماخلق الله جوهرة فنظر اليها فصارت ماء ثم خلق العرش من ياقوتة وكان عرشه على الماء وانه نظر الى الماء فاضطرب وارتعد وصعد منه دخان فخلق الله منه السماء ثم خلق الارض وقيل خلق أولا العقل لانه أراد أن ينتفع به الخلق وقيل أول ماخلق الله نور وظلمة ثم دعاهما الى الاقرار فأنكرت الظلمة وأقر النور فخلق منه الجنة لرضاه عنه وخلق النار من الظلمة لسخطه عليها وخلق أرواح السعداء من النور وأرواح الاشقياء من الظلمة فلاجل ذلك كل منهم يرجع الى مستقره و يقال أول ماخلق الله نقطة فنظر اليها بالهيبة فتضعضعت وسالت الفا فجعلها مبدأ كتابه العزيز فسبحان من ألف كتابه من نقطة وخلق خلقه من نقطة ثم يميتهم بقبضة و يحييهم بنفخة فلما سمع القس ذلك من كلام الفضل بن العباس قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله هذا هو العلم الذي استأثر به أنبياء الله تعالى فلما نظر أهل عزاز الى قسهم وقد أسلم أسلموا عن آخرهم الا قليلا منهم والله أعلم (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني عامر بن يحيى عن أسد بن مسلم عن دارم بن عياش عن جده قال لما أسلم أهل عزاز باسلام قسهم الذي كان معتقدهم عول الفضل ومالك على المسير الى حلب فقال يوقنا أنا والله مالي وجه أقابل به المسلمين لاني كنت قلت قولا ودبرت أمرا فلم يتم لي واني سائر الى انطاكية فلعل الله أن يظفرني بالاعداء و ينصرني عليهم فقال له الفضل ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ فلا تحمل قلبك هما فقال ودين الاسلام لا أرجع الا بأمر يبيض الله به وجهي عند اخواني المسلمين فنظر وقد صحبه مائتان من بني عمه ممن قد رسخ في قلوبهم الايمان ولهم عيال وأولاد في حلب فأخذهم يوقنا وسار يريد انطاكية فلما اقترب من أرضها أخذ منهم أربعة وأمر الباقي أن يتعوقوا خلفه أربعة أيام ثم يأتوا كأنهم هاربون من العرب ليتم مادبره في خاطره وسار هو والاربعة على طريق حارم والباقي على طريق ارتاح وقال لهم الميعاد بيننا انطاكية ففعلوا ذلك وسار وا وسار هو الى أن أشرف على دير سمعان المشرف على البحر فوجد هنالك خيلا ورجالا يحفظون الطرقات فلما رأوا يوقنا والاربعة معه بادروا اليهم واستخبروهم عن حالهم فقال لهم يوقنا أنا صاحب حلب وقد هربت من العرب فوكل بهم صاحب الدرك جماعة وأمرهم أن يسيروا بهم الى الملك فأخذتهم الخيل وأتوا بهم اليه فوجدوه في كنيسة القتيان يصلي فوقفوا حتى فرغ من صلاته فأوقفوا يوقنا بين يديه وقالوا أيها الملك ان بطرس صاحب الحرس الذي عند دير سمعان قد وجد هذا ومن معه اليك ويزعم أنه صاحب حلب فلما سمع هرقل ذلك قال له يا يوقنا ما الذي أتى بك وقد بلغني أنك دخلت في دين العرب فقال أيها الملك لقد بلغك الحق وذلك اني ما أسلمت الا مكيدة القوم حتى أتخلص من شرهم ومن كراهة منظرهم ونتن رائحتهم واني قلت لهم أسلم اليكم حصن عزاز وأقتل صاحبها وأخذت منهم مائة سيد من ساداتهم وسرت بهم وأمرت أن ينفذوا ورائي ألفا حتى اذا صار وا داخل الحصن أقبض عليهم وأرسلهم اليك فجعل دراس علي ولم يفهم ما أضمرته ووثق بكلام جاسوسه ولم يثق بكلامي فقبض علينا فأتت العرب ووضعت السيف في أهلها وذلك أن لو قاتل أباه رجل من العرب وأنا من جملتهم فلما اشتغلوا بالقتال والنهب هربت أنا وهؤلاء الاربعة وجئنا اليك ولولا محبتي في ديني ما كنت قتلت أخي يوحنا وصبرت على قتال العرب وحصارهم سنة كاملة (قال الواقدي) فاعانه البطارقة والملوك الذين كانوا حاضرين وقالوا صدق يوقنا أيها الملك وسيظهر لك فعله وعمله وجهاده فانبش وجه الملك لذلك وخلع عليه من لباسه الذي هو عليه وسوره ومنطقه وتوجه وقال له ان كانت حلب أخذت منك فاني وليتك على انطاكية وأعطاه وظيفة دمستقها واسكندرها يمني واليها (قال الواقدي) فسمع يوقنا له ودعا له فبينما هو كذلك اذ أتى اليه الموكل بجسر الحديد وأخبر الملك انه قد قدم عليهم مائتا بطريق من فرسان حلب وهم يزعمون أنهم من بيت واحد من الرومية من بني عم يوقنا وانهم قد هربوا من العرب فلما سمع ذلك قال ليوقنا أيها الدمستق والسكندرقم واركب واشرف على هؤلاء القوم فان كانوا من بني عمك فاهل بهم وضمهم اليك ليكونوا عسكرك وان كانوا غير ذلك فائت بهم لارى فيهم ما أرى واياك ان يكونوا من قبل العرب ممن رجع الى دينهم من أهل شيزر وحماة والرستن وجوسية و بعلبك ودمشق وحوران فقال نعم أيها الملك فركب و ركبت معه الفرسان من الملكية والسريانية وأتوا الى جسر الحديد وأمر أصحاب الدرك بأتوا بالمائتين فلما رآهم يوقنا رحب بهم ونظر اليه وهو في ذلك الزي والحشمة وخلعة الملك عليه فترجلوا وقبلوا ركابه فقال لهم

البندقداري الصالحي) صاحب الفتوحات وهو الرابع من ملوك الترك أصله تركي اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه ولازالت الاقدار تساعده حتى وصل الى ماوصل وكان ملكا شجاعا مقداما يباشر الحروب بنفسه له الوقائع الهائلة مع التتار ثم الافرنج وهو الذي بنى المدرسة بالقاهرة تجاه البيمارستان عام اثنين وستين وستمائة والجامع الكبير بالحسينية سنة خمس وستين وستمائة وتم في سنة سبع وهو الآن أعني سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والالف قلعة للافرنج اختاروه لصلابته واتقان بنائه وقطعوا ماحوله من الاشجار

كيف خلصتم من أيدى العرب فقالوا أيها السيد انا خرجنا مع أمير من أمرائهم وأغرنا على منبج و براعة فلما رجعنا نريد حلب أخذنا على عزاز فوجدناهم قد ملكوها فلما كان الليل تركناهم وأتينا (قال الواقدى) وهذا كله وحجاب الملك يسمعون فلما حضروا أخبروا الملك بذلك ودخل يوقنا بهم على الملك فخلع عليهم وأنزلهم وأمرهم أن يكونوا فى خدمة يوقنا وأعطاه دارا بازاء قصره فقال يوقنا أيها الملك أنت تعلم ان هذه الدار لا يدوم نعيمها وان السيد المسيح شبهها بالجيفة وطلابها بالكلاب يتجاذبونها كما روى عن المسيح أنه رأى طائرا حسنا مزينا بكل زينة فنزع جلده فرآه أقبح ما يكون منظرا فقال له من أنت قال أنا الدنيا ظاهرى مليح و باطنى قبيح وانما ضربت لك هذا المثل أيها الملك لتعلم أنه ما خلا جسد من حسد واذا أقبلت الدنيا على أحد كثرت حساده وأنا أخاف من الحساد أن يتكلموا فى عند الملك و يرمونى بالبهتان و بما لا أفعله فان كان الملك ينفرمنى فليول هذه الوظائف غيرى وأنا ما أبرح على ركابك ثم انه بكى فقال له الملك أيها الدمستق ما وليتك هذا الأمر الا وقلبى وخاطرى واثق بك ومن تكلم فيك بشئ سلمته اليك تفعل به ما تريد فشكره يوقنا وأراد الخروج الى وظيفته التى ولاه اياها واذا بخيل البريد قد أقبلت من مرعش وهم رسل ابنته زيتونة وانها خائفة من العرب وهى تريد القدوم عليك حتى ترى ما يؤول من الامر وانها تسألك أن ترسل لها جيشا يوصلها اليك فلما سمع الملك ذلك قال ليس لهذا الامر الا الدمستق يوقنا فقبل الارض وقال السمع والطاعة لأمرك فضم اليه ألف فارس ومائتين من أصحابه من المدبجة والقياصرة (قال الواقدى) فسار بالالفين والمائتى فارس وقد رفع الصليب فوق رأسه و جنبت الجنائب وعليها الرخوت المذهبة وسار يجد السير الى أن وصل الى مرعش وأخذ زيتونة بنت هرقل وهى الصغرى وكان الملك قد ولاها على تلك البلاد و زوجها بنوسطير بن حارس وكانوا يسمونه سيف النصرانية لشجاعته وكان قد قتل على اليرموك من جراحات أصابته (قال الواقدى رحمه الله ورضى عنه) ولما أخذ يوقنا ابنة الملك وعاد يطلب بها انطاكية أخذ على الجادة العظمى لعله يلقى أحدا من جواسيس المسلمين أو يرى معاهدا فيرسله ليعلم أبا عبيدة انه قد تمكن من الملك ومن البلد فلما وصل مرج الديباج وكان ليلا واذا بخيله التى على مقدمته قد أتته وهم مذعورون فقال لهم ما بالكم فقالوا له أيها السيد الدمستق ان هناك عسكرا نازلا لا نعرف من هم فاذا هم عرب وهم نيام ولا شك انهم مسلمون فقال لهم خذوا أهبتكم وأيقظوا خواطركم وانصروا دينكم وجاهدوا عدوكم وقاتلوا عن ابنة الملك ولا تسلموها الى أعدائها وكونوا خير جند كاتل عن نعمة صاحبه واذا تمكن الحرب بيننا و بينهم فاعتمدوا على الاسر واياكم والقتل واعلموا ان العرب وأميرهم لابد لهم أن يقصدوا الملك ومن معه فان أسر وا منا أحدا يكن من عندنا لفداء فقد وجدت فى كتاب حرقناس الحكيم انه من نظر فى عواقب زمانه توشح بوشاح أمانه ومن أهمل أمره خاف حذره ومن أكثر الغدر حل به الاسر سيروا على بركة الله (قال الواقدى) فشرعوا الاعنة وقوموا الاسنة وقصدوا ذلك العسكر فلما أحسوا بهم بادروا اليهم واستقبلوهم وهم ينادون يعيسى بن مريم والصليب المفخم من أنتم فقال لهم يوقنا ومن أنتم فقالوا نحن أصحاب جبلة بن الايهم فلما سمع يوقنا ذلك ترجل عن دابته وسلم عليه وسلمت العرب المتنصرة على الروم فقال جبلة من أين جئتم فقال له من مرعش وهى ابنة الملك وأنتم من أين جئتم فقال جبلة من العمق وقد أتينا بميرة أهلها فلما رجعت و وصلت الى مرج دابق لقيت كتيبة من فرسان المسلمين وهم زيادة عن مائتى فارس وهم لابسون زينا فلما وصلنا اليهم ابتدرونا بعزم شديد وحرب عتيد واذا مقدمهم لا يصطلى له بنار فلقد أباد منا رجالا وجندل منا أبطالا ونحن فى ألفى فارس وهم مائتان وكان فينا كالنار المحرقة فما زلنا نقاتلهم حتى أسرناهم بعد ما قتل الفارس منهم الفارس والاثنين والثلاثة منا و بقى أميرهم الى آخر الناس فقصدنا جواده بالسهام حتى قتلناه ووقع فهجمنا عليه وأخذناه أسيرا فاذا هو من أصحاب محمد وهو ضرار بن الازور ونحن قاصدون بهم الى الملك هرقل ليرى فيهم رأيه فأظهر لهم يوقنا الفرح وقال وحق دينى لقد فزت بالفخر بأسرك لهؤلاء وهذا الغلام فلقد بلغنى عنه ما فعل بأبطال الشام وفرسان الروم ثم سار القوم جميعا يطلبون انطاكية (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى الشريد بن عاصم عن شروان بن مجزل عن قادم بن بشر عن زائدة بن معمر قال حدثنا بشار عن عوف عن صالح بن عبد الله عن جده مسروق قال المؤلف وحدثنى هذا الحديث عباد بن عاصم عن عمران بن حصين قال فلما افتتح المسلمون حصن عزاز وترك مالك الاشتر عليها

هدموا البنيان الذى حول الاشجار فلا حول ولا قوة الا بالله و بنى أيضا قناطر أبى المنجى بالقليوبية وقناطر السباع بطريق مصر وغير ذلك من قلاع وحصون وقناطر وخانات بالشام وغيرها وأكمل

سعيد بن عمرو والغنوي والتقي بالفضل بن العباس ورجعا بالغنائم الى حلب استبشر أبو عبيدة بسلامة الناس
وبفتوح عزاز فسأل مالكا عن يوقنا فحدثه فيما بينه وبينه سرا وانه قصد انطاكية ليدخل على كلب الروم بحيلة
ولم يكن له وجه يعود اليك به فقال أبو عبيدة الله ينصره ويظفره ويغفر له فلقد ظهر لنا منه مالم يكن لنا في
حساب ثم انه كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابا يقول فيه * بسم الله الرحمن الرحيم من أبي عبيدة عامر
ابن الجراح الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم أما بعد فان الله سبحانه له المنة علينا التي يستوجب بها الحمد من جميع المسلمين اذ فتح علينا
مستصعب قلاع الكفر وحصونه وأذل لنا ملوكهم وأورثنا أرضهم وديارهم وان الله سبحانه قد فتح علينا
قلعة حلب وأردفها بحصن عزاز وان البطريق يوقنا صاحب حلب قد أسلم وحسن اسلامه وقد صار عونا
للمسلمين على الكافرين من بعدما قاسينا منه ما الله عالم به فالله يجازيه فلقد نصر الله به الدين ونصح للمسلمين
وأباد المشركين وقد دخل انطاكية يدبر حيلة على كلب الروم وقد ألقى بنفسه الى الهلاك في طاعة الله ورسوله
ولقد كتبت هذا الكتاب ونحن معولون على المسير الى انطاكية نقصد طاغية الروم فما بقي حصن سواه لاعدائنا
قريبا منا ونحن طامعون في أخذه وأخذ سريره وكنوزه كما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزودنا بالدعاء
منك فانه سلاح المؤمنين ودمار الكافرين والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم انه
أخرج الخمس وسلمه الى رباح بن غانم اليشكري وضم اليه مائتي فارس من المسلمين فيهم قتادة وسلمة بن
الاكوع وعبد الله بن بشار وجابر بن عبد الله ومثل هؤلاء رضي الله تعالى عنهم فاخذوا الخمس وساروا ثم ان أبا
عبيدة دعا ضرار بن الازور وضم اليه مائتي فارس وأمره أن يشن الغارة فركب ضرار وكان معهم سفينة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل ضرار سائرا هو ومن معه ومعهم رجال من المعاهدين يدلونهم على الطرق
حتى وصلوا الى مرج دابق وكان وقت السحر فقال لهم المعاهد ارفقوا على خيولكم فنزلوا وأراحوها بقية يومهم
وليلتهم حتى اذا كان وقت السحر فاشعر والاوجلة كبسهم فلما وقع الصياح ركب ضرار وركب معه نحو مائة
فارس وأما المائة الاخرى فقد دهمتهم خيول المتنصرة فلم يتمكنوا من الركوب فقاتلوا رجالا فنفرت خيولهم
ووصل اليهم عدوهم حتى انه قتل كل واحد خصمه وتكاثرت عليهم الخيل فاسر والمائة وأما ضرار فانه صاح
بالمائة الثانية وقال يافتيان العرب ان أعداء كم قد هاجموكم على حين غفلة منكم وهم عرب مثلكم وهذه
أفضل الساعات عند الله فقووا عزمكم ولا تفشلوا فانتم تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت
ظلال السيوف وقد قال الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين قال ميسرة بن
عامر وكان من جملة من حضر معنا في مرج دابق ربيعة بن معمر بن أبي عوف وهو ابن عم بن ربيعة الشاعر
وكان ربيعة من فصحاء العرب لا يتكلم الا بالسجع كلامه ينظم بحسن مقاله وكنا نصغي اليه اذا سجع ونحفظ منه
فلما سمع ضرارا وهو يحرضنا قال يافتيان العرب ان تنالوا الجنة الا بالصبر على المكاره والله ان يدخلها من هو
للجهاد كاره
ولله في عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره
وأعلى الدرجات درجة الشهادة فارضوا عالم الغيب والشهادة فهذا الجهاد قد قام على ساقه وكسد النفاق في
أسواقه واختفى بنفاقه في انفاقه أما أنتم أصحاب نبي العصر ولم يشتم من الثبات والنصر بشر وأروح المصطفى
بثباتكم وقوا والعزم بصفاء نياتكم واياكم أن تولوا الادبار فتستوجبوا غضب الجبار واعلموا ان النصر والثبات
جندان منصوران فمن طلب دار البقا هان عليه الملتقى فصححوا طلباتكم تنالوا رحمة ربكم وحققوا حملاتكم
تنالوا بغيتكم واطعنوا النحور تنالوا الحور وتسكنوا القصور وقوموا الاسنة تنالوا الجنة واعتمدوا على الصبر
تنالوا النصر واياكم أن توافقوا الكفار في حالهم واعدلوا عن طريق قولهم قال العالم بحالهم وفعالهم وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم قال سمرة بن غانم والله
لقد دهشت أنفسنا بقوله وحملنا على المتنصرة وضرار ينشد

ألا فاحملوا نحو اللئام الكواذب * لترووا سيوفا من دماء الكتائب * وردوا عن الدين المعظم في الورى
وارضوا اله العرش رب المواهب * فمن كان منكم يبتغي عتق ربه * من النار في يوم الجزا والمآرب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيغم * ويرضي رسولا في الورى غير كاذب

عمارة المسجد النبوي من الحريق وحج سنة سبع وستين وستمائة فغسل الكعبة بيده بماء الورد وله فتوحات كثيرة فتح النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها وملك الروم

(قال الواقدي) ثم حمل ضرار ونحن من ورائه وبذلنا نفوسنا وروينا سيوفنا ورماحنا من النصرة وجرى الحرب بما لا يوصف وضرار فيهم كأنه النار في الحطب اليابس وجبلة بن الأيهم يتعجب من حملاته وضرباته فأمر قومه أن يقصدوا جواده بسهامهم ففعلوا ذلك فانصرع الجواد ووقع ضرار فتكاثروا عليه وأخذوه أسيرا وأخذوا بقية أصحابه وصاروا يريدون انطاكية فالتقوا بيوقنا وابنة الملك كما ذكرنا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولقد حدثني معمر بن رواحة عن القاسم عن خزامة بن عمرو عن أبي المنذر أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في حرب ضرار بن الازور وأسيرا فلما كان الليل انطلق هاربا يلتمس الوصول الى أبي عبيدة فاذا هو بأسد قد عارضه فقال سفينة يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أمري كيت وكيت فقرب منه وهو يبصبص بذنبه حتى وقف الى جانبه وأشار اليه برأسه أن سر فسرت وهو الى جانبي حتى أتى بي الى بلد من صلحنا فتركني ومضى (قال الواقدي) فلما وصل سفينة الجيش حدث الناس بأسر ضرار ومن معه فصعب ذلك على المسلمين وبكى أبو عبيدة وخالد بن الوليد على أسرهم وقالا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبلغ ذلك أخته خولة فقالت انا لله وانا اليه راجعون يا ابن أمي ليت شعري في السلاسل أوثقوك أم بالحديد قيدوك أم في البيداء طرحوك أم بدمائك خضبوك وأنشدت تقول

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا * فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا * فلو كنت أدرى انه آخر اللقا
لكنا وقفنا للوداع وودعنا * ألا يا غراب البين هل أنت مخبري * فهل بقدوم الغائبين تبشرنا
لقد كانت الايام تزهو بقربهم * وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا * ألا قاتل الله النوى ما أمره
وأقبحه ماذا يريد النوى منا * ذكرت ليالي الجمع كنا سوية * ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما الى دار عزهم * لثمنا خفافا للمطايا وقبلنا * ولم أنس اذ قالوا ضرار مقيد
تركناه في دار العدو عمنا * فما هذه الايام الا معارة * وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى
أرى القلب لا يختار في الناس غيرهم * اذا ما ذكرهم ذا كر قلبي المضنى
سلام على الاحباب في كل ساعة * وان بعدوا عنا وان منعوا منا

(قال الواقدي رحمه الله تعالى) ولقد بلغني عن واصل بن عوف أنه قال اجتمعت النساء من العربيات ممن كان لهم أسير مع ضرار عند خولة ومن جملتهم مزروعة بنت عملوق الحميرية وكانت من فصحاء زمانها وكان ولدها صابر ابن أوس فيمن أسر مع ضرار فجعلت تندب ولدها وتقول

أيا ولدي قد زاد قلبي تلهبا * وقد أحرقت مني الخدود المدامع * وقد أضرمت نار المصيبة شعلة
وقد حميت مني الحشا والاضالع * وأسأل عنك الركب كي يخبروني * بحالك كيما تستكن المدامع
فلم يك فيهم مخبر عنك صادق * ولا منهم من قال انك راجع * فيا ولدي مذ غبت كدرت عيشتي
فقلبي مصدوع وطرفي دامع * وفكري مقسوم وعقلي موله * ودمعي مسفوح وداري بلاقع
فان تك حيا صمت لله حجة * وان تكن الاخرى فما العبد صانع

فقالت لهن سلمى بنت سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت من الزاهدات العابدات أبهذا أمركن الله انما أمركن بالصبر ووعدكن على ذلك الاجر أما سمعتن ما قال الله سبحانه وتعالى الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فاصبرن تؤجرن فسكتن عن البكاء (قال الواقدي) ولما ورد الخمس على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكتاب أبي عبيدة مع رباح بن غانم اليشكري ووقع الصائح في المدينة بقدومه فاجتمع الناس الى المسجد ليسمعوا ما تجدد من أمر المسلمين فلما دخل رباح المسجد بدأ بالسلام على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قبر أبي بكر وصلى ركعتين وأتى الى عمر وقبل يده وعرض عليه الكتاب فقرأه على المسلمين فضجوا بالتهليل والتكبير وصلوا على البشير النذير وأخذ الخمس وكتب الى أبي عبيدة يأمره بالمسير الى انطاكية ولا يصده عن ذلك شئ ورد الجواب مع رباح اليشكري (قال الواقدي) أخبرني مازن بن عبد ربه عن مالك بن أسيد عن جده مروان بن الحر أن الجواب لما ورد على أبي عبيدة سار من يومه يطلب انطاكية قال وأما ما كان من أمر يوقنا رحمه الله تعالى وجبلة بن الايهم لعنه الله فانهم ساروا الى انطاكية وسبق البشير الى الملك هرقل بقدوم ابنته مع يوقنا

وجلس بقيسارية ولبس التاج وضرب باسمه الدراهم والدنانير وجدد عمارة الجامع الأزهر بعد أن خرب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة فأعادها كما كانت وله صدقات وأوقاف كثيرة ولما خرج الى قتال التتار بالشام

وقدوم يوقنا ومعه المائتنا أسير من المسلمين فأمر بتزيين البلد والبيع فأظهرت الروم زينتها ودفعت الصدقات
الى الفقراء وأخرج موكب الروم الى لقائهم مع ابن أخيه فى زينة عظيمة ودخل القوم وهم فى زيهم وحشمهم
وكان يوما مشهودا وقد ترجلت الملكية والسريرية بين يدى ابنة الملك وخرج كل من بانطاكية وقدموا
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامهم وهم مشدودون والروم تشتمهم وتبصق عليهم وقد دارت بهم
الرجال والبطارقة ودخلت ابنة الملك الى قصر أبيها (قال الواقدى) ودخل جبلة بن الايهم ويوقنا على الملك
فخلع عليهما وعلى كبار أصحابهما ثم انهم أحضروا الصحابة وأوقفوهم بين يديه وهم فى الحبال فلما وقفوا صاحت
بهم الحجاب اسجدوا الى الارض تعظيما للملك فلم يلتفتوا الى قولهم ولا اعتنوا به فقال لهم الحاجب الكبير ما منعكم
أن تعظموا الملك بالسجود بين يديه فقال لهم ضرار لا يحل لنا أن نسجد لمخلوق وقد نهانا نبينا صلى الله عليه وسلم
عن ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى سهل بن برقان رضى الله عنه عن السائب بن حازم عن الحكم
ابن مازن قال لما وقف ضرار والصحابة بين يدى هرقل خاطبهم من غير ترجمان وأراد الملك أن يسمع بطارقته
وحجابه بما كان يحدثهم به حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أنه جمعهم اليه لما بلغه أن النبى صلى الله
عليه وسلم قد ظهر وقال هذا هو النبى المبعوث الذى بشر به عيسى ابن مريم وهو صاحب الوقت ولا بد لدينه أن
يظهر حتى يملأ المشرق والمغرب ثم ان هرقل دعاهم لأداء الجزية فأرادوا قتله فأراد ذلك اليوم أن يبين لهم
حقيقة قوله وانه أراد بذلك الاصلاح لهم ولحالهم فقال لضرار ومن معه من يخاطبنى منكم عما أسأله من العلم
فأشاروا الى قيس بن عاصم الانصارى رضى الله عنه وكان شيخا معمرا وقد شاهد جميع أحوال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعجزاته وغزواته فلما أشاروا اليه قال للملك قل ما أنت قائل أيها الملك قال هرقل كيف نزل على
نبيكم الوحى أول مبتدأ أمره فقال قيس بن عاصم سأل هذا السؤال لنبينا صلى الله عليه وسلم رجل من مكة يقال
له الحرث بن هشام فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأتينى أحيانا مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا
فيكلمنى فأعى ما يقول قال قيس ولقد كان ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا
فأول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الاجاءت مثل
فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه أى يتعبد الليالى ذوات العدد فلم يزل كذلك
حتى جاءه الملك وقال له اقرأ فقال لست بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى وقال لى اقرأ
فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى وقال لى اقرأ فقلت له لست بقارئ فأخذنى
فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ
وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف بها فؤاده
فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فأخبر
خديجة وقال لها لقد خشيت على نفسى فقالت له خديجة كلا لا يخزيك الله أبدا انك تصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر أو الحق وذكر الحديث بطوله قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينما أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا أنا بالملك الذى جاءنى بحراء وهو جالس
على كرسى بين السماء والارض فخشيت منه رعبا فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فأنزل الله تعالى
يا أيها المدثر قم فأنذر الآية ثم حمى الوحى وتتابع ولقد كنت معه يوما فى المسجد اذ دخل رجل ومعه بعير له فأناخه
بالباب وعقله ودخل وقال السلام عليكم فرددنا عليه السلام فقال أيكم محمد فقلنا هذا الابيض الوجه فقال له
الرجل يا ابن عبد المطلب قد أتيت أسألك مشددا عليك فلا تجد على فى نفسك فقال له سل عما بدا لك فقال
بربك ورب من قبلك آلله أرسلك الى الناس كلهم كافة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصلى
الصلوات الخمس فى اليوم والليلة قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة فقال
اللهم نعم فقال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال اللهم نعم
فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى أنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر فقال
هرقل بحق دينك ما الذى رأيت من معجزاته قال كنت معه فى سفر فأقبل اليه أعرابى فدنا منه فقال له النبى

استفتى العلماء فى أخذ
أموال من الرعية فأفتوه
الا النووى فانه امتنع
وكلمه كلاما شديدا فغضب
منه وأمره بالخروج من
الشام فخرج الى بلده نوى
ثم رسم برجوعه فامتنع
وقال لا أدخلها والظاهر

صلى الله عليه وسلم أتشهد أن لا اله الا الله وانى محمد رسول الله قال الاعرابى ومن يشهد بما تقول فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا الشجرة وهى بشاطئ الوادى فاقبلت اليه وهى تخط الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاث مرات فقالت أنت محمد رسول الله ثم أمرها فرجعت الى منبتها فقال هرقل انا نجد فى كتابنا ان الرجل من أمته اذا عمل السيئة كتبت عليه واحدة وان عمل الحسنة كتبت له عشرا قال قيس بن عامر هذا فى كتابنا قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فقال هرقل أعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم الذى بشر به عيسى المسيح هو الشاهد على الناس يوم القيامة فقال قيس هو نبينا قال الله تعالى فى كتابه العزيز يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الآية وأما شهادته فى العقبى فهو قول ربنا فى كلامه القديم وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقال هرقل ان الذى وصفته لك هو الذى يأمر العباد أن يصلوا اليه فى حياته ويصلوا عليه فى حياته وبعد وفاته قال قيس هو نبينا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى كتابه العزيز ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال هرقل ان الذى وصفه المسيح يعرج به الى السماء ويخاطبه العلى الاعلى فقال قيس هو والله نبينا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى حقه سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وكان فى ذلك الوقت بترك الروم وهو رأس دينهم جالسا يستمع هذا الكلام فالتفت هذا البترك الى الملك وقال له أيها الملك ان الذى ذكره عيسى لم يبعث بعده ولا قبله بل هى تأويل كاذبة فقال ضرار بن الازور كذبت فى وجهك وكذبت هذه اللحية الملعونة المخزية يا كلب الروم أنت من أمثالك من يكذب عيسى عليه السلام وينكر بعث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أما تعلم أن عيسى قرأه فى الانجيل وموسى قرأه فى التوراة وقرأه داود فى الزبور وان نبينا المبعوث بخير الاديان المشهود له بالنبوة والرسالة فى كتاب الله العزيز وجميع الكتب المنزلة على الانبياء من قبله وهو نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المكى ولكن حجاب الكفر منعكم عن معرفته فلما ان سمع هرقل من ضرار هذا الكلام قال له لقد أسأت الأدب فى المجلس اذ خرقت بعمدة دين النصرانية فمن أنت فقال له قيس بن عامر هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ضرار بن الازور لا تتكلم فى حقه بكلام قبيح فقال الملك هذا الذى بلغنى عنه انه يقاتل مرة راجلا ومرة فارسا ومرة عاريا ومرة لابسا قال نعم فعندها سكت ولم يتكلم (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) ولقد بلغنى أن البترك لما سمع خرق ضرار به أبدى الغضب بعد الابتسام ولحقه غيظ شديد مما عليه من مزيد وقام من حضرة الملك قال وغضب البطارقة والحجاب لغضب البترك فلما رأى الملك غضبهم خاف على نفسه منهم فقال قطعوه بسيوفكم وامحوا أثره قال فنزلوا عليه بالسيوف وضربوه ضربات شديدة وكانت عدة تلك الضربات مائة وأربع عشرة ضربة الا أنها غير قاتلة لما يريده الله من لطفه الخفى فى حياته ونجاته فلما رأى البترك هذا الفعل سكن غضبه وقال اقطعوا لسانه فلما رأى يوقنا ذلك الامر وتحقق هذا الكلام منهم قال فى نفسه والله لا أترك هذا اللعين يتمكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الى الملك وقبل الارض ودعا بدوام الملك والنعم وقال أيها الملك ان هذا ليس بصواب وان من الرأى السديد عندى أن تترك هذا الغلام حتى يصح فاذا عاد الى صحته أخرجناه الى باب المدينة وصلبناه لتشفى صدور الروم لانه قد أثر فيهم كلامه الذى تكلمه وقد قتل من آبائهم وأبنائهم وأخوانهم وأيضا يبلغ الخبر الى المسلمين باهانته وضربه فيهنوا بذلك (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى الله عنه) انما أراد يوقنا بذلك أن يخلص ضرارا منه وقال فى نفسه اذا بات تلك الليلة انكسرت حدة الغيظ من الملك فيطلقه فقال الملك ليوقنا خذه واحفظه الى غد فأخذه يوقنا الى داره وافتقد جراحاته فاذا بها كلها سليمة ما قطع له عصب ولا عرق وذلك من لطف الله الخفى ولما ان رأى يوقنا جراحاته خاطها وداواها وأطعمه وأسقاه ففتح عينيه فرأى يوقنا وولده ولم يكن عنده علم بأن يوقنا قد أتى الى هذا المحل ليحتال على الملك فلما أن رآهما قال لهما ان كنتما كافرين فقد سخركما الله لى حتى داويتمانى وان كنتما مؤمنين فرحبا بكما وهنيا لكما واهل الله يبركتكما يجمع شملى بعجوز فى الحجاز قد أضربها البكاء والعويل ليلا ونهارا من أجلى وأجل أختى خولة وهى فى العسكر ولقد كانت تحسب هذا الحساب لانى بقية من مضى لها من الاحباب ولقد خفى عليها خبرى وأمرى فان قدرتما أن تبلغاها سلامى وتعلماها مقامى وكيف كان للكافرين

بها فات الظاهر بعد شهر سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق وفى أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر ووصل الى مصر فى سنة تسع وخمسين وستمائة فاجتمع بالملك

كلامى فهى ترسل وتعلم أمى وتكاتبها بأمرى فلما استراح فى الليل قال بالله عليكما اكتبا عنى ما أقول لكما فكتب عنه ابن يوقنا وهو يملى له ويكتب حرفا بحرف شعرا

الا أيها الشخصان بالله بلغا * سلامى الى أهلى بمكة والحجر * تلقيتما ما عشتما ألف نعمة
بعز واقبال يدوم مع النصر * ولا ضاع عند الله ما تصنعانه * فقد خف عنى ما وجدت من الضر
بصنعكما لى نلت خيرا وراحة * كذلك فعل الخير بين الورى يجرى * ومابى وأيم الله موتى وانما
تركت عجوزا فى المهامه والقفر * ضعيفة حال مالها من جلادة * على نائبات الحادثات التى تجرى
تعودها حب القفار مقيمة * على الشيح والقيصوم والنبت والزهر * وكنت لها ركنا تعد رحاله
واكرمها جهدى وان مسنى فقرى * وأطعمها من صيد كفى أرانبا * من الوحش واليربوع والظبى والصقر
من الضب والغزلان والبهت بعده * مع البقر الوحش المقيمات فى البر * وأحمى حماها أن تضام ولم أزل
لها ناصرا فى موقف الخير والشر * وانى أردت الله لاشئ غيره * وجاهدت فى جيش الملاعين بالسمر
وأرضيت خير الخلق أعنى محمدا * امل أنل الفوز فى موقف الحشر * فمن خاف يوم الحشر أرضى الهه
وقاتل عباد الصليب بنى الكفر * كذا جاءت يوم الحرب فى كل كافر * وجندلته بالطعن فى الكر والفر
تقول وقد حان الفراق لحينه * الا يا أخى مالى على البين من صبر * الا يا أخى هذا الفراق فمن لنا
بحسن رجوع قادم منك بالبشر * اذا سافر الانسان عن أرض أهله * فاما رجوع أو هلاك مدى الدهر
الا بلغاها عن أخيها التحية * وقولا غريب مات فى قبضة الكفر * جريح طريح بالسيوف مشرح
على نصرة الاسلام والطاهر الطهر * الا يا حمامات الاراك تحملى * رسالة صب لا يفيق من السكر
حمائم نجد بلغى قول شائق * الى عسكر الاسلام والسادة الغر * وقولى ضرار فى القيود مكبل
بعيد عن الأوطان فى بلد وعر * حمائم نجد اسمعى قول مفرد * غريب كئيب وهو فى ذلة الاسر
وان سألت عنى الاحبة خبرى * بأن دموعى كالسحاب وكالقطر * حمائم نجد خبرى الاخت اننى
قتلت عدا المرهفات من البتر * حمائم نجد عددى عند موطنى * وقولى ضرار قد دعى الى الوكر
وقولى لهم انى أسير مقيد * له علة بين الجوانح والصدر * له من عداد العمر عشر وسبعة
وواحدة عند الحساب بلا نكر * وفى خده خال محته مدامع * على فقد أوطان وكسر بلا جبر
مضى سائرا يبغى الجهاد تطوعا * فوافاه أبناء اللئام على غدر * الا فادفنانى بارك الله فيكما
الا واكتبا هذا الغريب على قبرى * الا يا حمامات الحطيم وزمزم * الا خبرا أمى ودلا على أمرى
عسى تسمح الأيام منا بزورة * لقلب غريب لا يرام من الفكر

(قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) لما كتب ابن يوقنا هذه الأبيات كتب أبوه يوقنا الى أبى عبيدة يعلمه بما يريد أن يدبره وسلمه الى رجل يثق به وبعثه الى المسلمين * قال المؤلف حدثنى جابر بن عمران الدوسى ونحن فى أرض يقال لها البلاط اذ جاء معن بن أوس من آل مخزوم ولقد تركه أبو عبيدة فى المقدمة فجاء برجل من الروم فقال لابى عبيدة خذ هذا اليك فهو يزعم انه رسول فاستخبره أبو عبيدة فى السر فقال أنا رسول اليك بكتاب فقال ممن قال من يوقنا ومن أسير لكم بانطاكية يقال له ضرار بن الازور فاخذ أبو عبيدة الكتاب وقرأه على من يعز عليه فبكوا من أبيات ضرار وبلغ الخبر اخته فأتت الى أبى عبيدة وقالت يا أمين الامة اسمعنى أبيات أخى فقرأ البعض عليها ولم يتمها فاسترجعت وقالت انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فوالله لآخذن بثاره ان شاء الله تعالى وحفظ الناس أبيات ضرار وتداولوها بينهم فكان أشد الناس عليه حزنا خالد بن الوليد (قال الواقدى رحمه الله تعالى ورضى عنه) حدثنا عبد الملك بن محمد عن أبيه حسان بن كعب عن عبد الواحد بن عوف عن موسى بن عمران اليشكرى عن عامر بن يحيى عن أسد بن مسلم عن دارم بن عياش ان أهل حازم فتحوا قلاعا كثيرة وحصونا منها الراوندات وما سواها من قورص وبالوطا ولم يزل أبو عبيدة سائرا بالمسلمين الى أن نزل على جسر الحديد وبلغ الخبر هرقل فتمكن الخوف من قلبه وأمر بطارقته بالتأهب للقتال ونصب سرادقاته مما يلى جسر الحديد وضربت الملوك خيامها وفتح الملك هرقل خزائن السلاح وفرقها على رجاله وأبطاله وخلع على يوقنا وقال له أيها الدمستق قد وليتك على جيشى هذا كله فكن أنت

الظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقة وليس له من الامر الا الاسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ويأتون الى السلطان الذى يريدون

مدبره وسلم اليه صليبا كان في بيعة القيسان لايخرجونه الا في الايام العظام عندهم وقال له أيها الدمستق قدم
هذا الصليب بين يديك واعتمد على نصرته فهو ينصرك فاخذه وسلمه الى ولده وأمره أن يحمله بين يديه فعندها
ركب الملك هرقل الى كنيسة القيسان ومعه الملوك والحجاب حتى يصلي صلاة النصر فلما وصلوا وصلى الملك
جلس وأمر باحضار المائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقربهم قربانا فقبل يوقنا يده وقال له
يا عظيم الروم ماولاك الله على البلاد والعباد الا وقد علم أن عقلك يسع ذلك وقد قال ديسقوروا الحكيم ان العقل
مرقى جليل وصاحبه نبيل لانه عز الانسان ومصباح الأنام واعلم أيها الملك أن العرب قد قصدتنا بعددها
وعديدها وقد نزلوا على جسر الحديد ولابد لنا من القتال والمصاف معهم ولاندري على من تكون الدائرة فان
قتلت هؤلاء الاسرى ووقع أحد منا بأيديهم فانهم لايبقون عليه والصواب تركهم الى أن نرى مايؤل من أمرنا
فان أسر واحد من أصحابنا أحدا أو من أعياننا نفاديه به فقالت أرباب الدولة صدق الدمستق في قوله قال البترك
أيها الملك أحضرهم الى هذه الكنيسة فانها أحسن كنائس بلدنا وأمر النساء والبنات يتزين ويحضرن هنا
فاذا هم نظروا الى نسائنا وحسنهن وجمالهن وطيب رائحتهن مالت أنفسهم اليهن فيرجعون الى ديننا فيكون
ذلك وهنا على المسلمين قال فأمر بذلك فلما حضروا ورفعت القسوس أصواتهم بقراءة الانجيل فرفع المسلمون
أصواتهم بالتهليل والتكبير وقالوا كذب الجاحدون وضلوا ضلالا بعيدا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من
اله وكان في الاسرى رجل من اليمن من فضلائهم وعلمائهم ممن علم علم الحمير بين وقرأ الكتب السالفة وكان
اسمه رفاعة بن زهير يقول الشعر وينظم الكلام وانه لما نظر الى الكنيسة ملآنة بأهل الكفر ورآهم
يعظمون الصلبان ويسجدون للصور قال الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله كذب العادلون عن الله أصحاب
الشيطان ولا اله الا الله الواحد الرحمن الذي ليس له أب محسوب وانه فرد صمد لا الى شئ منسوب ليس
له ضد ولاند ولاحد أوجد الموجودات وصور المخلوقات وخلق الكائنات ودبر الارض والسموات
أول لا افتتاح لوجوده وآخر لاعدم لشهوده لايموت ولايفنى ولايزول ولايبلى لاشريك له ولا وزير له
ولاصاحب له ولامشير له ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال فاضطربت الكنيسة لقوله ومالت
القسوس بمكا كبزها اليه فاشارت الحجاب اليهم أن لايكلموه ويتركوه فتفرقوا عنه فقال له الملك هرقل
ما اسمك يا أخا العرب قال أيها الملك وماتريد من اسمي ولست من جنسكم فتستخبروني فقال البترك صدق أيها
الملك ليس هو من جنسنا ولا له علم ولاخبرة فعلام تسأله انما هو بدوي يعلم بسكنى القفار وصحبته الاشرار والحكمة
من بلادنا ظهرت وفي حكمائنا اشتهرت لانها انبعثت من اليونانيين وعلماء أجدادنا السريانيون من أين
للعرب حكمة يتوارثونها وعلوم يتدارسونها والفضائل كلها من علمائنا والعدل في ملوكنا الاسكندر وبطليموس
رمور يق ويوسطنيوس وأرمويل وانطاميس وأرجاس وجرجس واسطوس واسطانيس وسارغورس
النوصيدي وهو الذي بنى انطاكية وسقليوس وأرساوكان نبيا ملكا وبلينوس وهو الذي بنى الرها ومنبج
واسطيس وكان كاهنا وهو الذي أخبر ملك زمانه انه قد ولد مولود يخاطب الرب ويكون له شأن ونبأ عظيم يهلك
على يديه أفلاطون وهو فرعون ومنا فلسطين الحكيم ومنا فخر العلوم ومنامنو وهو الذي بنى رومية الكبرى
وياسمة ومنا اسطاليوس وهو الذي وضع الكتاب الاول الذي فيه صورة الارض بجبالها وبحارها وبنائها
وصوانها ووصف أمة كل اقليم بألوانها وخواصها ووصف ما في كل اقليم من معدن ذهب أو فضة أو جوهر
وأحصى عيون الارض جميعها بأسمائها وجبالها وأوديتها وشعابها وغدرانها وعجائبها ومنا ايدروس القلنسب
الرومي وهو الذي يقول لاحشرني الله مع الذين يقال لهم في المعاد أدبروا وامع ابليس وجنوده الى النار ألم تطهر
نفسك أيها المسكين الناظر في كتابي القارئ الآبي من أدناس الدنيا وشهواتها المظلمة للنفوس المعوقة للحس
الروحاني النوراني أن ترقى الى عالم عليين فانظر في الحكمة فانها اسلم العالم الروحاني فمن عدمها فقد عدم القرب
الى بارئه ومصوره ومنشئه (قال الواقدي رحمه الله تعالى) وانما تكلم البترك بهذا الكلام بين يدي الملك
هرقل وهو يظن انه يطعن في العرب ليسمع جبلة بن الايهم حكمته وكان جبلة وولده حاضرين وكان بين البترك
وبينه عداوة وسببها أن البترك كان بنى له ديرا عظيما وجعل له عيدا في السنة تقصده الروم من كل مكان بالنذور
والاموال والستور والشموع وكان ذلك كله برسم البترك قال فاعطى الملك لجبلة تلك الارض التي فيها الدير

تواليته ويقولون ولينا لك السلطنة هكذا كانوا بألقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون اليهم أحيانا يطلبون السلطنة باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء

فتغلب جبلة على الدير وبنى حوله مدينة وسماها باسمه وهى جبلة هذه * حدثنا سليمان بن عامر عن منصور الجونى قال حجاج بن جريج أخبرنى يحيى بن عمارة بن أبى الحسن قال لما سمع رفاعة بن زهير كلام البترك تبسم من قوله وقال أيها البترك لقد مدحت أقواما ليس لهم الى الفضل سبيل ولا فيهم فاضل ولا نبيل ولا من وحد الملك الجليل الذى ليس له مثيل ولا عديل وما الفضل الا لولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل الذين لهم البيت الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام ومنهم التبابعة والاقيال والحماة والاشبال الذين ملكوا الارض فى الطول والعرض ومنهم الملك الصعب الاسكندر الذى ملك قرنى الارض ودخل الظلمات ودخل فى طاعته أهل الارض وبلغ مطالع الشمس ومغربها واذل ملوكها وجعل له منهم جندا وأعوانا وسماه الله ذا القرنين ومنهم سبأ بن يعرب بن قحطان وشداد بن عاد وشديد بن عاد وعمر وذو الأذقان وهو ابن سكسك والهدهد بن عاد ولقمان بن عاد وشعبان بن اكسير بن تنوخ وعباد بن رقيم وهاديل بن عثمان وكان يتكلم بالحكمة ومناجاة موسى بن جلهمة بن سياسة بن عجلان بن ياقد بن رخ وثمود بن كنعان ومنا سبأ بن يشجب وهو أول متوج ومنا ثم ولى بعده حمير ثم منا تبع وهو متوج ومنا وائل بن حمير متوج ومنا عاد بن حمير متوج ومنا نبى الله حنظلة بن صفوان من أهل الرس ومنا نفيل بن عبد المدان بن خشدم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان ابن هود عليه السلام عاش خمسمائة سنة وهو الذى بنى المصانع واستخرج الكنوز وقاد الجيوش وورثه الله علم نبيه حنظلة بن صفوان وقد ختم الله شرفنا ورفع قدرنا اذ جعل محمدا صلى الله عليه وسلم منا فنحن السادة وأنتم العبيد * حدثنا سفيان عن عبد ربه قال أخبرنا رحيم قال حدثنا الوليد بن زيادة عن خزام بن حكيم قال بلغنى أن هذا الرجل يعنى رفاعة بن زهير بن زياد بن عبيد بن سرية الجرهمى كان عالما بانساب العرب واخبارهم وملوكهم وكان طالع كتب هود وصالح وحنظلة عليهم السلام فلما تكلم بحضرة الملك هرقل بهذا الكلام أراد البترك أن يعجزه بسؤال يلقيه عليه فقال ياذا الهمم العلية والقرايح الذكية بم تصل القلوب الى نسيم العقل الروحانى وترقى الى ملكوت اللاهوت والطيور النفسية الغائبة عن الابصار المحيطة بالاقطار وترقى فى رياضات الألباب المصفاة من الأدناس والافكار النورانية بصفو أكدار الاخلاق المحيطة بالافكار من الهياكل الجسمانية فعند الصفو من مفارقة الكدر تعيش الارواح عيشة الأبد الذى لا يصل اليها انحلال ولا اضمحلال فحينئذ يختلط العنصر بالعنصر ويطفو الصفو بالصفو ويرسب الكدر الى الكدر فقال رفاعة بن زهير ما أصبت أيها البترك فى مقالتك قال ولم قال رفاعة كيف تدل القلوب الى علام الغيوب وقد حجب عنها صواب المصيب أم كيف يتخلص الصفو من الكدر بغير تهذيب من الكفر وكيف تخلى الافكار من غوامض الاسرار وهى فى حجب الاغترار اذا تناهت الأهوال اليه فازاتها وقربت الهمم من مواضعها وعادت الفكر الى عناصرها وعادت متحركات الفكر الى مساكنها وغالبات الأذهان الى أماكنها فانحازت الاشكال عن الاشكال بلطف تأثير الهوى فيها وانكبت مشرفة على هياكلها من أقطار عناصرها قال أيها البترك هذا كلام العرب الذى زعمت أن الحكمة ليست من أخلاقهم ولا تباع فى أسواقهم ولقد كان ملك من ملوك اليمن اسمه سيف بن ذى يزن الذى بشر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يتكلم بغوامض العلوم الحكمية ووشح بوشاح شكر النعمة ومن جملة ما قال فصيح من فصحائنا اسمه قس بن ساعدة هذه الأبيات

الا اننا من معشر سبقت لهم * أياد من الحسنى فعوفوا من الجهل * ولم ينظروا يوما الى ذات محرم
ولا عرفوا الا التقية فى الفعل * وفينا من التوحيد والفعل شاهد * عرفناه والتوحيد يعرف بالعقل
نعاين ما فوق السماء جميعها * معاينة الاشخاص بالجوهر الجلى * ونعلم ما كنا ومن أين بدؤنا
وما نحن بالتصوير فى عالم الشكل * وانا وان كنا على مركز الثرى * فأرواحنا فى عالم النور تستجلى
وما صعدت كى تستريح وانما * حقيقة معقول وجلت عن المثل

(قال الواقدى) رحمه الله ورضى عنه قال أبو سعيد حدثنا شيبة بن أبى عبد الله بن عيسى عن لقية بن هند عن عبد الله بن ربيعة قال قلت لرفاعة بن زهير لما خلص من قبضة الروم ياعم كيف كان البترك يفهم ما تقول وتفهم ما يقول فقال يا بنى ما رأيت أفصح من اللعين بلسان العربية ولقد سألت عن ذلك من عبد الله يوقنا فقال أما علمت أن ملوك الروم والبطارقة لا يستقيم ملكهم الا أن يتعلموا لسان العربية قال ولما حدث

بمصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب ولقب بالمتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وافتتحت مصر أخذ المرحوم سلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور معتبرا كابه فلما توفى السلطان سليم عاد الى مصر واستمر بها الى أن توفى بها سنة

رفاعة المسلمين بمناظرة البترك كتبها كثير من الناس (قال الواقدى رحمه الله) وكان لرفاعة بن زهير الجرهمى ولد جاهل قال وكان أسيرا معه قال وكان قلبه يميل الى الكفر وكان رفاعة يدعو عليه فلما احضر الأسارى فى كنيسة القيسان واشتغل رفاعة مع البترك بالمناظرة أقبل ولده عامر يحدق بنظره الى البيعة وزينتها وصورها وصلبانها ويتأمل نساء الروم وزينتهن فبادر الى تقبيل الصلبان والاشراك بالرحمن فلما رآه أبوه رفاعة بكى وقال ياويلك أكفرت بعد الايمان ياويلك طردت عن باب الرحمن ياويلك كفرت بالملك الديان ياطريد القدرة يامن بعد عن الحضرة فياولدى ما بكائى على فراقك وانما بكائى اذا سلكت أنا فى طريق وأنت فى طريق اذا مضيت أنت الى دار الابالسة وحشرت مع الرهبان والشمامسة وتكون فى طبقة النار السادسة وأنا أمضى مع محمد الى دار فيها الأرواح مستأنسة يابنى لا تطلب حياة الدنيا يابنى لا تختر شهوتها على الآخرة واخجلتى من فعالك اذا وقفت بين يدى العزيز الجبار يابنى لقد فضحت شيبة أبيك اذ كفرت بعالم السر والنجوى يابنى لقد خاب أملى فيك والرجاء يابنى كيف طاب قلبك أن تتبرأ من محمد المصطفى يابنى ممن تطلب الشفاعة غدا يابنى غرتك الحياة فصرت تكفر بالعليم يابنى صرت الى الشقاء من بعد كونك فى النعيم يابنى أما تخشى العذاب فى الجحيم أما تستحى من أحمد يوم القيامة أما تعلم ان أباك قد غدا من أجل كفرك فى هموم أين المفر اذا دعاك الله فى اليوم العظيم ويقول ياعبدى كفرت بواحد فرد يابنى أنت فى عيش ذميم أما أبوك فانه يبقى بعزم مقيم أسألك ياولدى بما قد كان فى الزمن القديم من حنوى وتعطفى حال الرضاعة والفطام الا رجعت الى الذى غطاك بالستر العميم قال فقيل له ان ولدك قد أغلق الباب عليه وأرخى الحجاب فامر به البترك فحل من الوثاق وأمر به الى جرن ماء المعمودية فغمسوه فيه ودارت به القسوس والشمامسة وبخروه ووقعت عليه الخلع من البطارقة والملوك ووهب له البترك مركبا وجارية ومنزلا وضمه الى عسكر جبلة بن الايهم ثم قال البترك ياهؤلاء ما منعكم أن تدخلوا فى ديننا كما فعل صاحبكم قالوا منعنا من ذلك صحة ديننا وثبات يقيننا وما نحن من الذين يبدلون ايمانهم بالكفر ولو قتلنا فقال لهم البترك طردكم المسيح عن بابه وأبعدكم عن جنابه فقال له رفاعة الله يعلم أينا المطرود ومن هو عن رحمة ربه مبعود فقال هرقل يامعاشر العرب قد وصل الينا ان خليفتكم وأميركم يلبس مرقعة وقد وصل اليه من أموالنا وذخائرنا ما يكل عنه الوصف فما منعه أن يتزيا بزى الملوك فقال رفاعة منعه من ذلك طلب الآخرة والفزع من جبار الجبابرة فقال هرقل ما صفة دار امارته فقال رفاعة مبنية بالطين خالية من الحجاب آنسة بالفقراء والمساكين قال فما بساطه قال العدل والتمكين قال فما سريره قال العقل واليقين قال فما بدل مملكه قال الزهد والدين قال فما خزائنه قال الثقة برب العالمين قال فمن جنده قال أبطال الموحدين أما علمت أيها الملك ان جماعته قالوا له ياعمر قد ملكت كنوز القياصرة وذلت البطارقة والاكاسرة فهلا لبست ثيابا فاخرة قال أنتم تريدون زينة الحياة الظاهرة وأنا أريد رب الدنيا والآخرة فلما أبدى هذا القول وأضمر أشار اليه منادى القدرة وبشر الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال ثم ان الملك هرقل أمر بهم الى السجن الذى هو فى كنيسة القيسان وخرج الى عسكره ليشرف على الخيام فرأى السرادقات قد ضربت لان البطارقة ضربت سرادقاتها عند خيامه ونوبة الملوك قد نصبت بازاء كل نوبة كنيسة من الخشب المدهون بسائر الاصانيع والنواقيس على أبوابها وكان زى الروم ذلك وهذه البيع الخشب كانوا يتنافسون فيها وفى صنعتها وتكون معهم فى أسفارهم وعساكرهم وطاف هرقل على عسكره جميعه وأراد الدخول الى انطاكية واذا بفوارس تركض اليه فقالت لهم الحجاب وأصحاب السرير ما وراءكم قالوا ملك جسر الحديد منا وقد حصلت العرب منا على داخل الجسر قال فايقن الملك بزوال ملكه قال وكيف ملكت العرب الجسر والبرجين وفيهما ثلثمائة من البطارقة الشداد قالوا أيها الملك ان المقدم الذى على الابراج هو الذى سلمهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ومن حسن لطف الله بالمسلمين ان صاحب الملك كان فى كل يوم يمضى الى الجسر ويوصى من فى البرجين باليقظة والحرس الشديد وانه مضى فى بعض الايام على عادته فوجدهم يشربون الخمر وليس عندهم حفظ ولا حرس فاخذهم وضرب كبراءهم وهم بقتل مقدمهم ثم انه أمسك عنه خوف الملك فعمل الحقد فى قلوبهم نحاءهم يوقنا فى بعض الايام يتجسس ليدبر فيه حيلة فرآهم حنقين من صاحب الملك فسألهم فانكروا منه فقال لهم اطلعونى على خبركم فقالوا له أتعطينا منك أمانا فاعطاهم فقالوا نحن نسلم هذا الجسر للعرب فلما

خمسين وتسعمائة فى زمن المرحوم داود باشا وبموته انقطعت الخلافة العباسية فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الدار الآخرة وبعد أن توفى السلطان بيبرس المذكور

صح عنده ذلك قال لهم ما مرادكم قالوا نأخذ أمانا من المسلمين فقال يوقنا أنا أكتب لكم كتابا الى أميرهم بان يعطيكم أمانا وان دخلتم فى دينهم فهو خير لكم فقالوا له وكيف أنت دخلت فى دينهم ثم رجعت فقال حاش لله وانما أتيت أدبرهم على تسليم انطاكية لهم فلما صح عندهم ذلك قالوا ونحن نسلم اليهم الجسر فلما وافقهم على ذلك كتموا أمرهم فلما قدم المسلمون مضى اليهم صاحب الجسر من غير أن يعلم به أحد وأخذ له ولمن معه أمانا وناوله كتاب يوقنا ففرح المسلمون بذلك بان يأخذوا جسر الحديد من غير قتال فاعطوا المقدم أمانا فلما وصل عسكر المسلمين الى الباب الذى على الجسر فتح لهم فدخلوا فلما سمع هرقل بذلك أمر الناس أن يتأهبوا للحرب قال ففعلوا ذلك (قال الواقدى رحمه الله) حدثنا ياسر بن عبد الرحمن عن منازل بن نزاف الصيدلانى وكان أعرف الناس بفتوح الشام قال بلغنى انه لما صار المسلمون بارض انطاكية قال أبو عبيدة لخالد يا أبا سليمان قد صرنا بارض انطاكية بلد كاتب الروم والساعة يأتينا عسكره فما ترى من الرأى قال خالد ان الله قال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية فامر أصحابك أن يتأهبوا و يظهروا زينة الاسلام وقوة الايمان وسير كل أمير بجيشه ولتكن الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا قال ففعل أبو عبيدة ذلك وأول من سير سعيد بن زيد أحد العشرة ومعه ثلاثة آلاف فارس فيهم المهاجرون والانصار وجعله على مقدمة الجيش وسير وراءه رافع بن عميرة الطائى ومعه ألف فارس وسير وراءه ميسرة بن مسروق العبسى فى ثلاثة آلاف فارس وسار وراءه خالد فى جيش الزحف وسار وراءهم أبو عبيدة فى بقية العسكر وكان معه عمرو بن معديكرب الزبيدى وذو الكلاع الحميرى وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن عمر وأبان بن عثمان بن عفان والفضل بن العباس وأبو سفيان صخر بن حرب وراشد بن ضمرة وسعيد بن رافع وزيد بن عمرو ومثل هؤلاء السادات وسار وراءهم النساء اللاتى لهن الاسرى وفيهن خولة بنت الازور وعفيرة ابنة عفان ومزروعة ابنة عملوق وأم أبان بنت عتبة وليس فيهن أشد حزنا من خولة بنت الازور (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ومما بلغنى انها قالت فى أمر أخيها من المراثى المبكيات

أبعد أخى يلذ الغمض عينى * فكيف ينام مقروح الجفون * سأبكى ما حييت على شقيق
أعز على من عينى اليمين * فلو انى لحقت به قتيلا * لهان على اذ هو غير هون
وكنت الى السلو أرى طريقا * وأعلق منه بالحبل المتين * وانا معشر من مات منا
فليس يموت موت المستكين * وانى أن يقال مضى ضرار * لباكية بنسجم هتون
وقالوا كم بكاؤك قلت مهلا * أما أبكى وقد قطعوا وتينى

قال فسار أبو عبيدة فى مواكبه كما ذكرنا فبينما الروم فى خيامها وعسكرها اذ وقع فيهم الصايح بقدوم العرب فركزوا خيولهم وصفوا صفوفهم فاول من أشرف عليهم برايته سعيد بن زيد وبعده المسيب بن نجية الفزارى وبعده ميسرة بن مسروق العبسى وبعده أتى خالد بن الوليد وبعدهم أبو عبيدة فى مواكبه فنزل كل أمير بقومه فلما نظر هرقل اليهم وانهم قد نزلوا بفنائه و بنائه ترك على حفظ جيشه صاحبه الاكبر نسطار وس بن روميل وكان من شجعان الروم ودخل الى كنيسة القيسان وجمع الملوك والبطارقة والسرير ية والحجاب وقام هرقل فيهم خطيبا وقال يا أهل دين النصرانية ويا بنى ماء المعمودية قد قرب ما حذرتكم منه من زوال ملككم وذهاب عزكم من أرض سورية وقد كنت حذرتكم من زوال ملككم ومن هذا المقام فلم تقبلوا منى وأردتم قتلى وهؤلاء القوم قد دخلوا بدار ملككم وزياح عزكم فقاتلوا عن حريمكم وأموالكم وأنفسكم واياكم والفشل لئلا يلحقكم فى الجهاد فقد جاهدت عنكم جهدى وأتلفت أموالى وخزائنى ورجالى عن دينكم وملككم فلم تصادفنى مساعدة ولا أدركت من القوم فائدة فان أنتم فشلتم وتقاعدتم ولم تجردوا لهؤلاء العرب سيوف العزم والا كان العار عليكم والذلة تصل اليكم أين أبناؤكم ومن سلف من آبائكم ماتوا كراما غير لئام وسكنت ديارهم العرب اللئام وكنائسهم صيروها جوامع وأخربوا البيع والصوامع وأذلوا ملوككم واستعبدوا أبناءكم ونساءكم وملكوا قلاعكم واستولوا على حصونكم ومدائنكم وقد مضى ما مضى فاستأنفوا الامر وقاتلوا فكم هلك من الامم قبلكم على ممالكهم وعلى الغيرة على حريمهم ولقد كانت حكمتى أنتجت لكم أن تنسجوا على منوال المصالحة بينكم وبين هؤلاء العرب فابيتم ذلك لان ظلمة جهلكم قد أطفأت نور الحكمة أما علمتم انه قد وجد لوح من الحجر على قبر طيماون تلميذ أفيانوس وفيه مكتوب الحكمة سلم العالم

سنة ستمائة وست وسبعين تولى من بعده ولده (محمد بركة خان) وكان سنه ثمان عشرة سنة وكان أبوه عقد له فى حياته ولقبه بالملك السعيد واستنابه على مصر أيام سفره واستقل بالسلطنة بعد أبيه الى سنة

الاعلى من عدمها فقد عدم القرب الى بارئه الحكمة حياة القلوب وبغية الأذهان ونزهة النفوس ونور العقول من لم يكن حكيما لم يزل سقيما من تدبر نظر ومن نظر عرف ومن عرف عمل ومن عمل انفتح ذهنه وعقله ومن انفتح عقله صفت نفسه فقام اليه جبلة بن الايهم وقال يا عظيم الروم اغا قتال هؤلاء العرب بقتل خليفتهم عمر بالمدينة فلو انت أرسلت اليه رجلا من آل غسان نقتله فيكون سبب فشلهم وانتزاع الشام من ايديهم فقال هرقل هذا شئ لا يصح أمله ولا ينقضي أجله لان الآجال مقدرة والأنفاس مقررة ولكن هو شئ تطيب النفس عند سماعه فافعل ما أردت قال فأرسل جبلة من قومه رجلا يقال له واثق بن مسافر الغساني وكان جريئا مقداما في الحروب فقال له انطلق الى يثرب فلعلك تقتل عمر فان أنت فعلت ذلك فانا أعطيك ما أردته من الأموال قال فانطلق واثق بن مسافر حتى دخل المدينة ليلا فلما كان الغد صلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالناس صلاة الصبح ودعا وخرج الى ظاهر المدينة يتنسم أخبار المجاهدين بالشام قال فسبقه المتنصر وجلس له بأعلى شجرة من حديقة ابن الدحداح الانصاري واستتر بأغصانها ثم ان عمر قام عن ظاهر المدينة حين حميت الرمضاء وعاد وهو وحده فقرب من الحديقة ودخلها ونام في ظلها فلما نام هم المتنصر بالنزول من الشجرة وجرد خنجره واذا هو بأسد أقبل وهو قدر البقرة الكبيرة وطاف حول عمر وجلس عند قدميه يلحسهما وأقام حتى استيقظ فعندها نزل المتنصر وقبل يد عمر وقال له يا عمر قد عدلت فأمنت بأبي والله من الكائنات تحفظه والسباع تحرسه والملائكة تصفه والجن تعرفه ثم حدثه بأمره وأسلم على يديه (قال الواقدي رحمه الله) وكانت هذه الفعلة قبل نزول المسلمين على انطاكية (حدثنا) أبو محمد قال أخبرني أبي عن حسان عن السدي عن يحيي الواقدي عن شهر بن عباس المبروقي ان عمر حدثه عن نزول أبي عبيدة بالمسلمين على انطاكية قال وعظ هرقل قومه بكنيسة القسيان واستحلفهم انهم لا ينهزمون أو يموتوا عن دم واحد فحلفوا وخرجوا مع الملك الى عسكره وقد رفعت الصلبان وقرأت القسوس والرهبان وارتفع الضجيج من أهل الكفر والطغيان واصطفوا للقتال وكان المسلمون قد رتبوا صفوفهم وأوقفوا كل أمير في مكانه ونشرت الرايات والاعلام وأشار أبو عبيدة الى ربيعة بن معمر الشاعر وكان لسنا فصيحا لا يتكلم الا بالكلام المنظم فقال له يا ربيعة فوق سهام افظك وعظك الى المجاهدين وحرض المسلمين على قتال المشركين قال فتقدم ربيعة أمام الصفوف وكان جهوري الصوت يسمعه القريب والبعيد فقال أيها الناس الى متى هذه المهلة فتأهبوا للحملة فهذه طيور الأرواح قد عولت على فراق أقفاص الاشباح وقد ارتاحت الى باريها وأجابت صوت مناديها وها هي تخاطبنا بلسان اشارتها عن نطق عبارتها اما هذا الوقوف عن بذل أنفسكم وقد اشتراها مؤيدكم أفركنتم الى حب الحياة الفانية والانفس الدانية وهذه أوقاتكم بالنصر مؤيدة وهمتكم عن طلب زينة الدنيا محيدة والمواعظ الصادقة بكلام الحق مقيدة أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وهذه طوالع سعودنا بالاقبال طالعة وشجرة آمالنا بالتأييد يانعة فلله درهم فلقد ظهرت زهرة نجوم المحبة في أفلاك راياتهم وتبلج فجر العشق في سماء سماتهم وأشرقت شموس المعرفة في مشارق عشقهم فلما هموا بالحملة باجمعهم واصطفوا وقدموا هم النفوس في رضا الملك القدوس واستبقوا وزاحم بعضهم بعضا ولم يرفقوا ونودوا من صفاء أسرارهم من المؤمنين رجال صدقوا (قال الواقدي رحمه الله تعالى) حدثني زيد بن اسمعيل الصائغ عن جعفر بن عون عن عياش بن أبان عن جابر بن أوس قال كنت حاضرا في مصاف أبي عبيدة على انطاكية حين وعظنا بسجعه ربيعة بن معمر فكان أول من خرج من الروم للبراز شجاع من الروم نسطاروس بن روبيل وهو كأنه برج من الحديد فلما توسط الميدان طلب البراز فخرج اليه دامس أبو الهول مولى بني طريف فاتح قلعة حلب وهو يومئذ فارس غطريف فحملا على بعضهما فلما اشتعلت نار الحرب بينهما عثر جواد دامس فسقط من على ظهره فانقض عليه نسطاروس وأخذه أسيرا وقاده ذليلا ورجع الى الميدان فخرج عليه الضحاك بن حسان الطائي وكان يشبه خالدا في حملاته وخفته فلما برز قال قائل من الروم ممن شاهد قتال خالد في المواطن وعرفه هذا فارس الشام والمسلمين الذي فتح بلادنا فصار كل من في انطاكية ينظر اليه وهم يظنون انه خالد فازدحمت خيل المشركين من كثرة النظر اليه فقطعت حبال السرادقات التي لنسطاروس وغيره وامر بره فخاف الغلمان على أنفسهم وسرادقاته على ذلك واذا رآها على

ثمان وسبعين فاختلف عليه الامراء وقاتلوه فخلع نفسه من السلطنة وأشهد بذلك ثم ذهب الى الكرك ومات بها سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وكانت مدة اقامته

تلك الحالة قتلاهم ولم يجدوا أحدا يعينهم على رفع السرادق لان كل من فى العسكر مشغول بالفرجة على نسطاروس مع خصمه فاتفق اثنان من الفراشين وكانوا ثلاثة على حل دامس أبى الهول وقالوا له نحن نحلك من وثاقك وتعيننا على حمل عمود هذا السرادق ونعيدك الى الوثاق فاذا جاء البطريق نشفع فيك فانه يخلى سبيلك فقال نعم فخلوه من وثاقه فعندها قبض على الاثنين كل واحد بيد وضرب واحدا بواحد فصرعهما فاتا فهجم على الثالث فقتله وفتح صندوقا من الصناديق فوجد فيه ثياب نسطاروس فلبسها وركب من الطوالة جوادا من خيارها وأخذ بيده قنطارية وسيفا وأثم وجهه وقصد عسكر المتنصرة ووقف الى جانب حازم بن عبد يغوث وهو ابن عم جبلة وكان قدمه على عسكر المتنصرة وجبلة وولده وبنو عمه فى موكب الملك (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولم يزل القتال بين نسطاروس والضحاك بن حسان الى أن كل الجوادان ولم يقدر أحدهما على صاحبه فافترقا وعاد نسطاروس الى سرادقاته ليستريح فوجد السرادق على الارض والفراشين قتلى ولم يرد امسا فعلم أن المصيبة من قبله فمضى الى الملك وأعلمه بذلك فقال وحق المسيح ماهؤلاء العرب الا شياطين قال وهرج العسكر بصنع أبى الهول فقال الملك هو الآن فى عسكرنا ومارأيناه خرج وماهو الا مختف فى عسكر المتنصرة لانه من جنسهم فلما رأى دامس هرج عسكر الروم وأن ذلك بسببه انتضى سيفه على حين غفلة وضرب به حازم بن عبد يغوث فرمى رأسه عن بدنه فبهتت المتنصرة من فعله وأمسك الله عنه أيديهم ودهشوا لذلك وأطلق جواده وطلب عسكر المسلمين فلما رأوه صاحوا بالتهليل والتكبير فأتى الى أبى عبيدة وأخبره بما وقع له مع القوم فقال لاشلت يداك قال وبلغ الخبر جبلة من قتل ابن عمه حازم فغضب وأتى الى هرقل وصقع له وقال ياعظيم الروم أنا لا أقدر على الصبر ولابد لنا من الحملة على هؤلاء الذين قد تعدوا طورهم وجهلوا قدرهم فأراد الملك أن يأمرهم بالحملة واذا قد أقبلت عليه خيل تركض فقال لهم ماوراءكم قالوا أيها الملك انه قد قدم الى نصرتك فلنطانوس بن سطانيوس بن أرمونيا صاحب المدائن ورومية الكبرى وباسم جده سميت وكان قد وضع فيها هيكلا عظيما يسمى أباسرفيا وكان به صورة من نحاس مطلية بالذهب الاحمر ولذلك الهيكل سبعة أبواب من الذهب على كل باب هيكل مدور على رأسه شخص آدمى وبيده عدة ألواح من الذهب وفى كل عام يعلق منها لوح على الهيكل تلقاء الشمس ثم ينظر كاهن ذلك الهيكل فى ذلك اللوح فيعلم مايجرى فى الاقليم المختص بذلك اللوح وكان كل لوح مختصا باقليم من الاقاليم السبعة وكذلك لكل هيكل من تلك السبعة هياكل فيعلم أهل رومية الكبرى مايجرى فى العالم بما وضعه حكماؤهم الاقدمون وفى وسط تلك السبعة هياكل قبة مبنية على ثمانية عمد من نحاس أصفر مطلية بالذهب محوط به سور مرقط ببياض وفيه بابها الاعظم وعلى رأسها صورة من حجر لا يعلم ماهو بل الحجر اسود فاذا كان استواء الزيتون فى مشارق الارض ومغاربها يسمعون من تلك الصورة صوتا هائلا تكاد القلوب تنفطر منه فاذا كان الغد تأتى من آفاق الارض زرازيرها وكل زرزور يحمل ثلاث زيتونات واحدة فى منقاره واثنتان فى رجليه فيلقونها على رأس تلك الصورة فلا تزال كذلك حتى يمتلئ ذلك المكان العظيم قال فيعصرون منه زيتهم ومايأكلون من العام الى العام وكان فى داخل الهيكل الاعظم بيت مقفل لم يفتح منذ بنيت رومية ولما أراد فلنطانوس الملك النهوض الى نصرة هرقل احتاج الى مال يصرفه على عسكره فأتى الى ذلك البيت المقفل وهم بفتحه فقال له عظماؤه وعطماوس وهو القيم على أمر الهياكل كلها أيها الملك ان هذا البيت منذ أقفل تاريخه سبعمائة سنة وذلك من قبل ظهور المسيح بمائة سنة وسبعين وما أحد من أجدادك تعرض اليه ولا أحد ممن ولى أمر هذه الكنيسة الا ويوصى على هذا البيت أن لا يفتح فلا تزل حكمة اسسها من كان قبلك من الحكماء والملوك وقد بنى هذه المدينة وأسس هذا الهيكل وهذا البيت وهو بيت جدك رسيوى بن قطاوس وبقى فى ملكه على مابلغنا ثلثمائة وسبعين سنة ووصى كوصية أبيه وتولى عليه احدا أجدادك حتى وصل اليك هذا الملك ولك فيه مائة سنة فلا تزل حكمة أجدادك الذين اسسوها وطلاسم وضعوها قال فاخذ به اللجاج فى فتحه فلما فتحه لم يجد فيه شيأ الا أنه رأى فى البيت صورة القدس ومدن الشام وصفة ملوكهم وعددهم وفى آخرهم صورة ليطن وهو هرقل كأنه ينظر فى اللوح مكتوب باليونانية ياطالب العلم عليك بكثرة القراءة فانه كلما تكرر مرور النكت على مسامع من يتعلمها كان ذلك أشد لثبوته وأحكم لتصرفه فهذا العلوم كلها انما تستخرج بالعقل والقياس وانما يكون بكثرة الرياضة والعلم مطية

سنتين وثمانية أشهر وتولى من بعده أخوه (بدر الدين الملك العادل سلامش) وكان يسمى ابن البدوية فاقام خمسة أشهر ثم جاءت الدولة القلاونية الصالحية

التدبير والتدبير موضع العلم والعلم موضع العقل هذا هو المتمم لاشكال العلوم وقد رأينا فى الحكم والأسرار الخفية
أن صاحب الغمامة اذا خيمت على صفحة الارض وحلت الضلالة خرج مصباح الهداية من أرض تهامة
فيذهب بظلام الجهل المظلم للحس ويدعو الناس بدينه الى توحيد الصانع وهو صاحب الجمل الاورق فيذهب
بالأديان أو الملك يضيق لدعوته السهل والجبل فاذا غاب نوره على كل كثيف انتقل الى العالم الروحانى وولى
بعده رجل نحيف الصورة قلبه منوّر بنور الصدق يشيد ملته ويصدق شريعته وويل للشام مما يحل بها
من الرجل الأحور الذاهب بملك قيصر وهو الرجل الكثيف صولته الربعة صورته العدل صفته والحق
منقبته جبته مرقعة وسيفه درته فى أيامه تذهل الدول وتحوّل وتضمحل وتزول وأوانه اذا افتتح هذا البيت
المصوّر بالحكمة المحفوظ بحفظ النعمة فطوبى لمن رسخت الحكمة فى قلبه وأشرقت مصابيحها فى لبه واتبع
الحق وعرفه وجانب الباطل وخالفه قال فلما قرأ فلنطانوس ما فى اللوح أخذه العجب وقال لعطماوس قيم
الهيا كل أيها الأب الشفيق ما تقول فى هذه الحكمة قال أيها الملك وما عسى أن أقول فى حكمة وضعتها
العظماء وعلمت بها الحكماء وانما العلوم غامضة يصل اليها الخبر الجوهرى بنور العقل وانما أرى أن دولة
هرقل وهى عز دولتها انهدت أركان ملكه من أرض سوريا وانتقل ملك الروم الى أرض اسطور يعنى
قسطنطينية وبذلك أخبره هرابيس الحكيم فى كتابه العزيز الذى وضعه وسماه اسلاس يعنى جواهر الحكمة
ومن جملته اذا ظهر نور اليتيمة المصفاة من الأدناس من جبال فاران تفتقت الاذهان بنور حكمته وانصرفت
الظلمة المتكاثفة فى سماء الجهل بقوّة عزيمته ودعا الناس الى لطيف دعوته وقادهم بأزمة لطافته فيعلو
على الافلاك فويل لارض ايليا من صولة صاحبه المتوشح بوشاح الهيبة المتوج بتاج العقل صاحب فتوح
الارض ومذل ملوكها العدل فسطاطه والمرقعة لباسه وفى زمانه تنكسر الصليب وتخرج اليها الهيا كل
وتندرج المذابح ويذوب ماء المعمودية فلا نجاة من صولته الا باتباع شريعته وصاحبه قال فلما سمع ذلك
فلنطانوس من القيم على الهيا كل كتم الامر فى نفسه وقال لا بد لى من النظر الى العرب والمسير اليهم والى نصرة
الملك هرقل وقد وصل الى كتاب البترك وندبنى الى نصرة دين المسيح فان تأخرت حرمنى ثم انه اختار من جيشه
فى زومية ثلاثين الفا وهم الكرجية وولى فى موضعه ولده استفليوس وهو مثلث النعمة واستخرج من بيت
الحكمة رايات الاسكندر اليونانى وكانت منسوجة بالذهب واللؤلؤ التى نشرها يوم فتحت الواحات من أرض
باليوس وكانت لا تنشر الا فى يوم واحد فى السنة ببيعة اياسوفيا وهو يوم عيد الصليب والشعانين قال فلما رفعت
على رأس فلنطانوس سار حتى ورد انطاكية ونزل على باب هاوس ومعناه باب فارس قال وركب الملك
هرقل فى موكبه الى لقائه وضربت سرادقاته بازاء سرادقات هرقل وفرحت الروم وتفاءلت بالنصر وضربت
النواقيس ووقعت ضجة عظيمة فى جيوشهم وارتفعت أصواتهم وجاءت عيون المسلمين فاخبروهم بقدوم
صاحب رومية فرفع أبو عبيدة كفه الى السماء وقال اللهم ان أعداءك يستنصرون علينا بكثرة عددهم
وتزايد مددهم فشتت كلمتهم ودمر جيوشهم وزلزل أقدامهم وعسر أيامهم واجعل كلمتنا العليا وكلمتهم
السفلى وانصرنا كنصر نبيك فى يوم الاحزاب اللهم رد كيدهم فى نحرهم وانصرنا عليهم قال وأمنت
المسلمون على دعائه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا ابراهيم بن العلاء عن أبى يوسف الكندى عن أبى
جعفر الدارمى عن الربيع بن أنس عن جعفر بن ميسرة قال قال لى عمى لما قدم صاحب رومية بجنوده خاف
المسلمون ولكن ثبتهم الله وبعث أبو عبيدة معاذ بن جبل ومعه ثلاثة آلاف وقال له يا صاحب رسول الله ان
الروم قد تجمعت من سواحل البحر انصرة دينها فانهض وشن الغارات على بلاد السواحل واحتفظ أن تؤتى
المسلمون من قبلك قال ففعل ذلك معاذ وسار الى جبلة واللاذقية فاحتوش أموالها وأخذ غنائمها ووجد على
باب جبلة عنان بن جرهم الغسانى بن عم جبلة بن الأيهم ومعه ألف دابة محملة براو شعير العسكر الكفر وقد جمعها
من طرابلس وصور وعكا وصيدا وقيسارية وقد بعث بها قسطنطين بن هرقل الى أبيه فلما وصلت مدينة جبلة
سلمها العرب المتنصرة لابن عم جبلة وعادوا فوقع بها معاذ رضى الله تعالى عنه فأخذها ورجع قافلا الى عسكر
المسلمين فلما رأوها رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فسأل هرقل عن ذلك فأخبروه بما وقع فغضب على
أخذ الميرة التى يتقوت بها عسكر أعدائه فقال لبطارقته ما بقى بيننا وبين هؤلاء الا المصاف ويعطى الله النصر

وهى من الدولة التركية المتقدمة فأولهم (الملك المنصور أبو المعالى قلاون الصالحى النجمى) وقيل له الالفى لانه اشترى بألف دينار فأقام احدى عشرة

لمن يشاء ثم انه أمر عساكره بالاهبة للقتال ثم انه ركب والى جانبه فلنطانوس صاحب رومية وصاحب مرعش
وصاحب قلعة اسكادنيس وهى قلعة الروم وصاحب طرسوس وصاحب مصيصة وصاحب قونية وصاحب
ماصر وصاحب اقصراو وصاحب قيسارية الروم الأقصى وصاحب قوماط وصاحب انطراته وصاحب طبرزند
وجبلة بن الأيهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأقبل يوقنا يرتب الصفوف فى الحرب فلما وقف كل ملك
بجيشه وكل بطريق بأصحابه أراد فلنطانوس ملك رومية أن يتقرب الى هرقل بمبارزة العرب فصقع له على
قربوس سرجه وقال أيها الملك ما تركت ملكى وأتيت الى خدمتك من مائتى فرسخ الا حتى أرضى المسيح
وأخدمه بين يديك وان كل عسكرك قد قاتلوا وجاهدوا وأريد أن أبرز فى هذا اليوم الى هؤلاء المجديين وأشفى
فؤادك وفؤادى منهم فاراد الملك أن يطيب قلبه فقال له الزم مكانك ولا تخرق بحرمتك وحشمتك حشمة الملوك
فانت أقدم منى فى المملكة فدع غيرك يكون لهذا الامر فما بلغ من شأن العرب أن تخرج أنت اليهم بنفسك
فقال فلنطانوس أيها الملك وأى حشمة بقيت لنا مع هؤلاء وقد أهلوا أعزنا وأذلوا أعزتنا والجهاد مفروض
على كبيرنا وصغيرنا أما علمت أيها الملك انه من نظر الى الدنيا بعين المحبة جذبته الشهوات الى الغلو فى محبتها
والتعلق بزخارفها فاذا فعل ذلك ركب غيم كثافة الجهل على صفحة صدره فمنعه ذلك عن طلب معاده ومن
سارع الى طاعة خالقه بترك شهواته ارتقى الى دار دائرة القدس فى محل الانس ولما علم القديم الأزلى بركون
أنفسكم المحجوبة بحجاب الغفلة الى طلب ما يفنى سلط عليكم أضعف أمة قد أخرجتكم من دياركم وأبعدتكم
عن أوطانكم وما ذاك الا انكم لودكم الى الاهواء الجاذبة الى مهاويكم والى ادراك درك المهالك لانكم حكمتم بغير
الحق واجترأتم على الرعية بطلبكم منهم ما ليس لكم بحق والجور فى أخذ أموالهم وفساد أحوالهم وكثرة الزنا
واتباع الخنا فلاجل ذلك لم تنصروا ودارت دائرة السوء عليكم قال ثم تكلم صاحب الملك هرقل الكبير
واسمه سروند وصاح عليه وقال له أيها السيد لا تحمل على قلب الملك من كلامك ما لا يطيق فى مثل هذه الساعة
فقد وعظه من هو أكبر منك فلم يسمع قوله قال فغضب فلنطانوس من صياح الحاجب عليه وكتم أمره الى الليل
فلما مضى من الليل ربعه طلب حجابه وخواصه وقال لهم أرضيتم أن يزعق على حاجب هرقل ويوبخنى بين
الملوك وأنتم تعلمون أن بيتى أعظم من بيته ونسبه أدنى من نسبى وملكى أقدم من ملكه ولقد قال قسيس
حكيم بلاد الذكر المشهور بحكمته وهو الذى وضع المنار الاعظم فى يوم كبير كان بين بلاد الجرامقة وبلاد الانجار
وهى مسيرة اثنى عشر يوما ولا يصل الى أرضها الا بعد عناء كبير فاحتفر لها بئرا ووضع فى وسطها عمودا على رأس
بحر يدور من صنعة حكمتها يسمع له من حدة النداء من حوله ويرشح له بقدر ما علا ذلك الجرن العظيم فانه قال
لا تسع بقدمك الى من يراك دونه فتصغر عنده واجعل عز نفسك فى مقابلة كبرياء تجبره فان عزة النفوس
تقابل جاه الملوك ولا تصنع صنيعك لغير مستحقه لانها تجلب عليك السوء من قبل ذلك فان ذلك الاحسان
لا يزكو الا عند ذوى الأصول فانه يندمج عند السفهاء والأراذل لا تصنع اليهم النصيحة فانك أنت تطلب
منفعته وهو يريد هوى نفسه بأذيتك وقد جئنا من مائة فرسخ أو أكثر الى خدمة رجل يرى انا قد قصدنا داره
وتاج عزه وانا نحن من جملة خدمه وان نور العقل المجوهر للحس يمنعنى من اتباع الجهل المظلم للحواس
وان نفسى تأبى ذلك والعز محل جليل ومقام نبيل والذل ويل وصاحبه قليل وقد عولت أن أسير الى
هؤلاء العرب وأختبر ما بهم فانها هى الملة الواضحة بالحق المؤيدة بالصدق ومن كان عليها أمن فى معاده من
الهول الاكبر فما أنتم قائلون قالوا أيها الملك وكيف تطيب نفسك بترك دينك وملكك وعزك وتتبع هؤلاء
وهم لا فضل لهم ولا عندهم حكمة فقال فلنطانوس أما الحكمة البالغة فعندهم مقرها وفى نفوسهم موطنها لان
نور توحيدهم صفى أذهانهم ونور اعيانهم ببركة صاحبهم المسمى فى علوم الغيوب لان مغناطيس حكمته
الربانية جذب جوهر عقولهم الى متابعته والاقتداء بشريعته ومن أراد أن يلقى عالم عليين فلا يقعد على
صحفة أهل الجهل أما علمتم أن النور أنور من الظلمة والموت نهار الحياة قال فلما سمعوا قوله قالوا أيها الملك
نحن ما نعدل من عزك انما نخرج من الذل ومهانة الغلبة فاذا كنت تطلب ناظرا يقاد يؤدى الى البقاء
ويذهب بالشقاء فالحق اتباع الحق ونفى الباطل فنحن لك وبين يديك قال فخذوا على أنفسكم فاذا كانت ليلة
غد كبنا كأنا نطوف حول البيت نحرسه ونطلب جيش العرب قال ففعلوا ذلك وأخذ فلنطانوس فى أمره

سنة وعشرة أشهر وتوفى بالقرب من المطرية سنة تسع وثمانين وستمائة وهو الذى بنى البيمارستان وجعله مباحا للفقير والامير والمدرسة المنصورية التى

قال ابن وهب وابن صالح عن أبي موسى الاشعري قال لما عزم أن يسير الى جيش المسلمين أتى اليه يوقنا برسالة الملك هرقل فلما أدى الرسالة وهم بالقيام قال له فلنطانوس من أنت من الحجاب قال أنا يوقنا صاحب حلب قال وكيف تركت بلدك قال استولت عليها العرب وحدثه بحديثه فقال فلنطانوس وما الذي ظهر لك من هؤلاء العرب قال أيها الملك انى دخلت فى دينهم واطلعت على أمرهم وكشفت سرهم فرأيت القوم لا يستمعون الى الباطل ولا يحيدون عن الحق ولا ينامون الليل من كثرة اجتهادهم ولا يتكلمون بغير ذكر ربهم ينصفون المظلوم من الظالم ويواسى غنيهم فقيرهم الامراء منهم فى زى المساكين والعزيز والذليل عندهم سواء فقال له فلنطانوس فاذا وقفت على سرهم ورأيت فضلهم فما منعك أن تقيم عندهم وبينهم فقال يوقنا منعنى من ذلك محبة دينى ومحبة قومى لانى لم أرفراقهم قال فلنطانوس ان النفوس الزكية الباقية اذا رأت الحق جذبها جاذب اليقين الى حضرة طلب الاخلاص من المعيشة الذميمة الى أن ترقى الى أعلى عليين قال فخرج يوقنا وقد رسخ كلام فلنطانوس فى قلبه فقال والله ما تكلم بشئ الا وهو منقوش على صفحة صدرى وكلامه يشهد بقبول عقله لمحبة دين الاسلام وأقام يوقنا على قلق من ذلك حتى أقبل الليل فأتى الى فلنطانوس فرآه وهو على نية الركوب الى ماذكرناه فلما وقف بين يديه صقع له فقال له فلنطانوس بأى حجاب يحجب الله الظالمين عن اتباع سبيل المتقين فالحق واضح لمن طلبه. والباطل خفى عمن اتبعه فقال يوقنا أيها الملك ما معنى هذا الكلام الذى أشرت اليه فقال لو انك نظرت بعين البصيرة لما رجعت عن ملتهم ولا أردت بدلا غيرهم وانما أنت طلبت نعيما يؤل الى الزوال ويفضى بصاحبه الى النكال قال فسكت يوقنا وخرج من عنده وجعل يتجسس عليه ومضى ووقف على الطريق الذى يمضى الى المسلمين فركب فلنطانوس وخرج من مرادقه فوجد بنى عمه وقد أخذوا أهبتهم وهم أربعة آلاف فارس وقدموا عزمهم وساروا يدا واحدة يطلبون جيش الموحدين وقد تركوا عزمهم وفارقوا دينهم فلما اقتربوا من جيش المسلمين ظهر لهم يوقنا وبنو عمه المائتان فقال يوقنا لفلنطانوس أيها الملك عولت على أن تكبس المسلمين فقال لا والقديم الازلى وانما أنا قاصد اليهم وداخل فى دينهم وملتهم وأكون من جملتهم فمن نظر الى الدنيا بعين الفناء عمل للآخرة فما الذى عندك يا يوقنا مما نحن عولنا عليه فقال يوقنا أيها الملك لقد جذبك جاذب الحق عن طريق الضلال ثم انه حدثه بحديثه وانه عازم على أن يغدر بالروم فقبله فلنطانوس وفرح بمقالته وقال له كيف تقدر على ذلك وما أرى معك الا نفرا يسيرا فقال أيها الملك ان فى داخل بيتى مائتين من المسلمين من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقام عشرين ألفا من الروم ولقد رأيت أن تعود أنت وقومك ولا تستعجل وتبعث رجلا الى أمير المسلمين يخبره بما نحن معولين عليه فاذا كان غدا تقف أنت وجيشك حول الملك هرقل وأدخل أنا البلد وأطلق المائتى أسير وأعطيهم سلاحا ويحمل جيش العرب وتحمل أنت وعسكرك على مركب هرقل وتقصده أنت بنفسك فتقبض عليه وتكون قد جاهدت وأصير أنا ومن معى فى داخل البلد فنملكها ان شاء الله تعالى وان أردت أن ترجع الى دار ملكك ويكون أمرك مكتوما علينا فخول أمر جيشك لمن تثق به من بنى عمك قال فلنطانوس ما فعلت هذا ولى نية فى ملكى ولا فى ملك الدنيا بل اذا قضى هذا الامر ونصر الاسلام قصدت مكة فاحج وازور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم أرجع الى بيت المقدس فأقيم فيه الى أن أموت فمن يذهب الى أمير العرب برسالتى ويخبرهم بما قد عولنا عليه فقال له يوقنا اعلم ان لهم عندنا عيونا وجواسيس بما هو تحت ذمتهم وأنا أعلمهم بما قد وقع قال فبينما هم فى الكلام تحت ستر الليل واذا بشخص قصد اليهم فتأمله يوقنا فاذا هو عمرو بن أمية الضمرى ساعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على يوقنا وعلى من معه وقال ليوقنا ان الامير أبا عبيدة يقول لك جزاك الله خيرا عن الاسلام وانه رأى فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان من أمر صاحب رومية وما تحدثتما به وما وقع له مع قومه وما عزم عليه وبشره بان الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد تفتح انطاكية ويزول عز الروم عنها وينتزع ملك صاحبها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فتهلل وجه فلنطانوس فرحا وازداد ايمانا وقال الحمد لله الذى هدانا للاسلام والايمان (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وذلك أن أبا عبيدة رضى الله عنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وهو يقول يا أبا عبيدة ابشر وابرضوان الله ورحمته وغدا تفتح انطاكية صلحا وان صاحب رومية المدائن الكبرى قد جرى من أمره كيت وكيت هو ويوقنا صاحب

دفن بها وله الفتوحات بساحل البحر وهى منها طرابلس وكانت بايدى الافرنج من سنة ثلاث وخمسمائة وعكا وبيروت وصيدا وغير ذلك وبلغت

حاب وهما بالقرب منك فانفذ اليهما بانجاز الامر قال فاستيقظ أبو عبيدة وقص رؤياه على خالد وانفذ عمرو بن أمية كما ذكرنا قال فلما سمع فلنطانوس ذلك اقشعر جلده وارتعدت فرائصه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن هذا الدين هو الحق اليقين ثم انهم عادوا وطافوا بجيش الملك كأنهم يحرسون فبينما يوقنا قد ذهب بأصحابه من عند صاحب رومية وقد قوى عزمهم على ما ذكرنا من أمر كبسهم الملك واذا بالحاجب قد لقيه والمشاعل بين يديه وقد خرج من انطاكية ومعه ضرار بن الازور ورفاعة بن زهير والمائتا أسير وقد عوّل على قتلهم وان يرمى غدا برؤسهم الى المسلمين فلما سمع يوقنا ذلك ضاقت الدنيا عليه وقال له أيها الحاجب الكبير أنت تعلم ان المصاف غدا واقع بيننا وبينهم فان أنتم قتلتم هؤلاء ورميتم برؤسهم الى المسلمين فانهم لا يبقون بأحد منا فيبقون عليه فاتق الله ولا تعجل بذلك ودعهم عندى وراجع الملك فى أمرهم الى أن نرى ما يؤل أمرهم اليه قال فتركهم الحاجب عند يوقنا ومضى الى الملك وأخبره بما قال يوقنا فقال له دعهم عند الدمستق فرجع اليه وقال له الملك يقول لك احتفظ عليهم فأمرهم لك فأخذهم يوقنا وسار بهم الى خيمته وصعب عليه اخراجهم من انطاكية لانه كان قد عوّل على ان يملك بهم البلد فلما حلوا فى خيمته حلهم من الوثاق وسلم اليهم العدد وأخبرهم بما قد عزم عليه هو وصاحب رومية من القبض على الملك هرقل فقال ضرار والله لارضين الرب غدا بجهادنا وكانت قد ختمت جراحاته لانه كان فى الاسر ثمانية أشهر وفرقهم مع بنى عمه (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنا أبو محمد عن سعيد بن أبى مريم عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن مسعود أن الذى أمر باخراج الاسرى لم يكن هرقل وانما كان مملوكه الخاص واسمه تاليس بن رينوس وكان قد ألبسه تاجه ومنطقته وكان أشبه الخلق به وقال له كن غدا مكانى فانى أريد أن أكيد العرب وأكمن خلفهم وما ذاك الا انه رأى فى نومه كأن شخصا قد نزل من السماء وقلبه عن سريره وكأن تاجه قد طار من على رأسه وكأن شخصا يقول له قد قرب ما بعد وقد زال ملكك من سورية وقد ذهبت دولة الشقاق والنفاق وجاءت دولة الوفاق وكان ذلك الشخص قد نفخ فى عسكره فاوقد نارا فاستيقظ مرعوبا وقسم منامه على نفسه بزوال ملكه وكان قبل نزول العرب قد عبى خزائنه وجمع ما يخاف عليه من التحف ووضعها فى المراكب من حيث لا يعلم بذلك أحد من دولته وعبى الزاد والماء ثم انه أرسل أهل بيته فى تلك الليلة بعد ما رأى فى المنام ولم يدع من حريمه وأولاده وعياله أحدا وبعده أمر مملوكه تاليس بن رينوس بما أمره أن يفعله قال فلما ركب تاليس ما كان من أمره الا أن قال للحاجب أخرج الاسارى واضرب رقابهم فاخرجهم وأخذهم يوقنا كما وصفنا قال حدثنا ياسر عن سليمان بن عبد الواحد عن صفوان بن بشر عن عروة بن منصور عن محمد بن على عن عدى عن شعبة عن قتادة عن أبى الصديق الناجى عن ابن سعد قال ما خرج هرقل من انطاكية الا وهو مسلم وذلك انه كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى السر من قومه انى صداع لا يسكن فانفذ الى بدواء أتداوى به فأرسل اليه قلنسوة فكان اذا وضعها على رأسه سكن صداعه واذا رفعها عاد اليه فتعجب من ذلك وأمر بفتحها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقال هرقل ما أكرم هذا الاسم وأعزه حيث شفانى الله به وكانوا قد توارثوا هذه القلنسوة الى أن وصلت الى صاحب عمورية فلما كان يوم المعتصم ونزل عليها عرض للمعتصم صداع فأرسل اليه صاحب عمورية بالقلنسوة فلما وضعها على رأسه سكن ما به فأمر المعتصم بفتحها فاذا فيها الرقعة ومكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وأما ما كان من أمر تاليس فانه لما أصبح ركب ورتب عساكر الروم عن آخرها ودارت المواكب حول تاليس بن رينوس وكان كل من رآه يظن انه هرقل ولا يشك فيه ودار بمواكبه عسكر فلنطانوس صاحب رومية وركب يوقنا ومن معه وهم متنكرون تحت السلاح فكان أوّل من حمل خالد بن الوليد بجيش الزحف قال وتبعه سعيد بن زيد وتبعه قيس بن هبيرة وتبعه ميسرة وبعده عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق وذو الكلاع الحميرى وأمثالهم وأطبق الناس بعضهم على بعض فلما اشتبكت الحرب هجم يوقنا ومن معه وحمل ضرار فلله دره لقد أعطى السيف حقه وأخذ بثاره من الروم وكلما قتل واحدا صاح واثارات أسر ضرار بن الازور وكان قد قصد عسكر المتنصرة هو وأصحابه ورفاعة بن زهير يشجعهم ويوبخهم ويقول خذوا بثاركم ممن أسركم واحملوا اياكم ان تفشلوا واعلموا أن الجنة قد فتحت أبوابها وزينت حورها وقصورها وأشرف نبيها ومرح ولدانها وتجلى ديانها ثم صاح يا فتيان العرب أيكم يرغب فى زواج الحور فان بذل

مما ليكه اثنى عشر ألفا وفى أيامه وصل عسكر التتار الى الشام وحصل الرجف والخوف فالتقاهم بعساكره وهزمهم شر هزيمة وحصلت مقتلة عظيمة ثم وقع

النفوس هى المهور ومن يريد عرسانى الجنان ويقوم فى خدمته الولدان من يرغب فيما قال الملك الديان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان أين من شهد بدرا وحنين مع سيد الكونين اين من يزيل عن قلبه حجاب الغفلة والرين وافقوا فوما سارت همهم الى دار الازل فاناخوا بباب من لم يزل محبوبهم فاراد الحق أن يوقفهم على منازلهم ليزيدوا فى حسن أفعالهم فكشف عن سرائرهم فرأوا دارا بناؤها النور وقواعدها من الرحمة حيطانها من الذهب ملاطها المسك ماؤها من الحيوان حصباؤها الدر والجوهر ترابها الكافور والعنبر سورها المجيد اللطيف ستورها الكرم أشجارها الا اله الا الله أغصانها محمد رسول الله ثمارها سبحان الله والحمد لله عرضها السموات والارض سقفها عرش الرحمن فلما كشف لهم عن هذه الاسرار اشتاقوا الى سكنى الدار قيل لهم ان تصلوا اليها الا ببذل النفوس فى رضا الملك القدوس ثم خلع عليهم خلع الاحسان وتوجهم بتيجان الرضوان ونشر على رؤسهم رايات الغفران مرسوم على طرزها بقلم السر المكنون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون لقد بذلوا النفوس فى رضا القدوس (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فبينما ضرار يحمل فى الاعداء ويذيقهم شراب الردى واذا هو بفارس يطحطح الكتائب ويفرق المواكب ويصيح واثارات ضرار بن الازور فتأمله فاذا هو أخته خولة فناداها اركى يابنت الأزور أنا والله أخوك فأقبلت تسلم عليه فقال لها اليك عنى ما هذا وقت سلام وان قتال الكفر أفضل من كلامك يابنت الازور فاجعلى عنانك مع عنانى وسنانك مع سنانى وجاهدى فى سبيل الله فان قتل أحدنا فالملتقى فى الحشر عند حوض سيد البشر فبينما هم فى ذلك اذ نظر الى جيوش الروم وقد تقهقرت وفرسانهم قد انهزمت وكان السبب فى ذلك أن صاحب رومية رحمه الله لما رأى الحرب قد أضرمت نيرانها وعلا دخانها حمل بأصحابه وقصد تاليس بن رينوس فقبض عليه وهو يظن أنه هرقل فصاح الصايح ان الملك هرقل قد قبض عليه فلنطانوس ملك رومية وغدر به فولت الروم الادبار وقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة لم يقتل مثلها الا بأجنادين واليرموك وقتل من العرب المتنصرة زهاء من اثنى عشر ألفا وطلب جبلة ولده فلم ير لهم خبرا فقيل انهم وأكابر قومهم ركبوا مع الملك هرقل فى المراكب وكان جملة من هرب من سادات المتنصرة مع جبلة وابنه خمسمائة من جملتهم ابن عمه قرظة وعروة بن واثق ومرهف بن واثق وهجام بن سالم وشيبان بن مرة قال فسكنوا جزائر البحر فمن نسلهم هذه الافرنج قال وأخذ المسلمون ما كان من السرادقات والخيام والديباج والمتاع والخزائن وأسروا ثلاثين ألفا وقتلوا من الروم سبعين ألفا وولت العرب المتنصرة منهزمين فمنهم من أخذ نحو الدروب ومنهم من طلب قيسارية الى قسطنطين بن هرقل فلما وضعت الحرب أوزارها وخمدت نارها جمعوا الأموال والأثقال والاسرى بين يدى أبى عبيدة فلما نظر الى ذلك سجد لله شكرا وسلم المسلمون بعضهم على بعض وجاء ضرار وأصحابه ويوقنا وفلنطانوس وأصحابه وسلموا على المسلمين وفرحوا بهم فلما وصل فلنطانوس قام اليه المسلمون وقال كبار الصحابة سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه قال فنظر فلنطانوس الى تواضعهم وحسن سيرتهم وكثرة عبادتهم فقال هؤلاء والله القوم الذين بشر بهم عيسى عليه السلام قال فاسلم بنو عمه عن آخرهم وجاهدوا فى الكفار الى أن فتحوا جميع الامصار وبعدها مضى فلنطانوس الى مكة فحج وزار قبر النبى صلى الله عليه وسلم المختار وسلم على عمر رضى الله عنه فلما رآه وثب اليه قائما وصافحه هو وجميع المسلمين وعاد الى بيت المقدس فجلس يعبد الله فيه حتى أتاه اليقين (قال الواقدى رحمه الله) ونظر أبو عبيدة الى جيش انطاكية وقد شحنوا فيها وهم لا يحصون فقال اللهم اجعل لنا الى فتحها من سبيل وافتح لنا فتحا مبينا قال وكان على انطاكية بطريق اسمه صليب بن مرقس وكان جاهلا فى رأيه وعزم على القتال من داخل السور فاجتمع أكابر البلد الى البترك فى الليل وقالوا له اخرج الى هؤلاء العرب وصالح بيننا وبينهم على ما نقدر عليه قال فخرج البترك الى أبى عبيدة وحدثه فى الصلح فاجابه الى ذلك فكان جملة ما صالح عليه أهل انطاكية ثلثمائة ألف مثقال من الذهب فلما تقرر الصلح قال له أبو عبيدة احلف لنا أنكم لا تغدرون بنا فان مدينتكم مانعة كثيرة الجبال والوعر فقال خالد ومن يحلفه فقال أبو عبيدة يوقنا قال فوضع يوقنا يده على رأس البترك فوق يده وقال قل والله والله والله أربعين مرة والا قطعت زنارى وكسرت صليبى وامتنى الشمامسة والديرانيون وخلعت دين النصرانية وذبحت الجمل فى جرن ماء المعمودية ونجستها

الصلح مع التتار بعد أمور طويلة (وتولى من بعده ابنه الاشرف خليل) فاقام ثلاث سنين وشهرين ومات سنة ثلاث وتسعين وستمائة ودفن بمدرسته التى أنشاها بجوار مشهد السيدة نفيسة وقد خربها

بتولد مولود من أولاد اليهود وقتلت كل الشهود والاخرقت شدائد مريم وعصبت رأسى والاذبحت القسوس وصبغت بدمائهم ثوب عروس والاجعلت مريم زانيـة به والاجعلت فى المذبح حيضة يهودية والاأطفأت قناديل بيعة جرجيس وجعلت عزيرا فى مقام كالوس والاتزوجت يهودية طامثة لاتنقى أبدا والاغسلت اثوابى صبيحـة يوم الجمعـة واهدمت الكنائس والبيع واحللت الاعياد والجمع والاعبدت اللاهوت وجحدت الناسوت والاأكلت لحم الجمل يوم عيد الشعانين والاصمت رمضان عاطشا وكنت لحم الرهبان ناهشا والاصليت فى ثياب اليهود وقلت ان عيسى دباغ الجلود انه الانغدر بكم ولا كنا الامعكم (قال الواقدى رحمه الله) فعندها اقام أبوعبيدة ودخل انطاكية وكان دخوله لخمسة أيام مضين من شعبان سنة سبع عشرة من الهجرة فدخلها وبين يديه اللواء الذى عقده له أبوبكر الصديق رضى الله عنه وعن يمينه خالد بن الوليد وعن يساره ميسرة بن مسروق ودخلها والقراء بين يديه يقرؤن سورة الفتح فلم يزل سائرا حتى وصل الى باب الجنان فنزل هنالك وخط هنالك مسجدا وأمر ببنائه وبه يعرف الى يومنا هذا قال ميسرة بن مسروق فنظرنا الى بلد رطب طيب الهواء كثير الماء والخيرات فاستطابه المسلمون ووددنا أن لو أقمنا فيه شهرا لنستريح فما تركنا أبو عبيدة فيه غير ثلاثة أيام ثم انه كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه سلام عليك وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأشكره على مافتح علينا ورزقنا من الغنيمة والنصر وأعلمك ياأمير المؤمنين ان الله عز وجل قد فتح على المسلمين كرسى النصرانية مدينة انطاكية وكسر الله عسكرها ونصرنا الله عليهم وهرب هرقل فى البحر وانى لم أقم بها لطيب هوائها وانى خشيت على المسلمين أن يغلب حب الدنيا على قلوبهم فيقطعهم عن طاعة ربهم وانى معول على المسير الى حلب وانى منتظر أمرك فان أمرتنى أن أسير الى داخل الدروب فعلت وان أمرتنى بالمقام أقمت واعلم ياأمير المؤمنين أن العرب قد نظرت الى بنات الروم فدعتهم أنفسهم الى التزوج فمنعتهم من ذلك وانى أخشى عليهم الفتنة الا من عصمه الله فعجل الى بأمرك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه وقال معاشر المسلمين من يسير بكتابى هذا الى امير المؤمنين فاسرع بالاجابة زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد مولى عمرو بن عوف فقال أنا أيها الامير أوصله ان شاء الله تعالى فقال أبوعبيدة يازيد أنت لست مالك نفسك وانما أنت مملوك فان أردت المسير فسل مولاك أن يأذن لك فى ذلك فأسرع زيد الى مولاه عمير فانكب على يديه يقبلهما فمنعه من ذلك وذلك أن عميرا كان رجلا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة ما علك من الدنيا سوى سيفه ورمحه وفرسه وبعيره ومزادته وقصعته ومصحفه وكان الذى يصيبه من الغنائم لايدخره ولا يأخذ الامايقوته وكان يفرق الباقى على قرابته وقومه فان فاض شئ يرسله الى عمر رضى الله عنه يفرقه على فقراء المسلمين والمهاجرين والانصار قال فلما اراد زيد ان يقبل يد سيده منعه وقال له ماالذى تريد فقال يامولاى تأذن لى أن أكون رسولا للمسلمين بشيرا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمير بن سعيد تريد أن تكون بشير المسلمين وأمنعك من ذلك انى اذا لآثم امض فأنت حر لوجه الله تعالى وارجو بعتقك أن يجيرنى الله من النار قال ففرح زيد بذلك وعاد الى أبى عبيدة فأخبره أن ببركة كتابه صار حرا فسر أبوعبيدة وسار زيد على نجيب من نجب اليمن دفعه اليه وكان سابقا قال فجعل زيد يطلب أقرب الطرق حتى قدم المدينة ودخلها واذا بها ضجة عظيمة ولاهلها ضجيج وهم يهرعون نحو البقيع وقباء فقلت لنفسى ان لهم امرا فتبعتهم لأرى ماشأنهم وأنا أحسب انهم يريدون حربا فرأيت رجلا فعرفته فسلمت عليه فعرفنى وقال أنت زيد قلت نعم قال الله أكبر ماوراءك يازيد قلت البشارة والغنيمة والفتح قلت مافعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب قال انه خارج يريد الحج ومعه ازواج النبى صلى الله عليه وسلم يحججهن والناس يشيعونه قال زيد بن وهب فانخت بعيرى وعقلته وأسرعت مهرولا حتى وقفت بين يدى عمر رضى الله عنه وهو يمشى راجلا ووراءه مولاه يقود بعيرا وقد رحله بعباءة قطوانية وزاده وجفنته عليه والهوادج بين يديه سائرة وعن يمينه على بن أبى طالب وعن يساره العباس بن عبد المطلب ومن ورائه المهاجرون والانصار وهو يوصيهم بالمدينة قال زيد بن وهب فلما وقفت بين يديه ناديت السلام عليك ياأمير المؤمنين أنا زيد بن وهب مولى عمير بن سعيد أتيتك بشيرا قال عمر بشرك الله بخير فما بشارتك قلت هذا كتاب من عاملك أبى عبيدة يخبرك أن الله قد فتح على يديه انطاكية قال فلما سمع عمر بذكر انطاكية وان الله فتحها خر لله ساجدا ومرغ خديه على التراب

الافرنج سنة أربع عشرة ومائتين بعد الالف وفى أيامه توجه لمحاصرة عكا وفتحها وفتح غالب سواحل الشام وافتتح قلعة الروم بهسنا ومرعش وفتح حصن صور المسمى الآن بحصن منصور وكان من أحصن

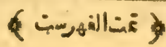
ثم انه رفع رأسه من سجوده وقد تترب وجهه وشيبته من التراب وهو يقول اللهم لك الحمد والشكر على نعمتك السابغة ثم قال هات الكتاب رحمك الله فناولته اياه فلما قرأه بكى فقال له علي كرم الله وجهه مم بكاؤك قال مما صنع أبو عبيدة بالمسلمين وبما استعقب رأيه في الموحدين ثم قال ان النفس لأمارة بالسوء ودفع الكتاب الى علي فقرأه على المسلمين الى آخره قال زيد بن وهب ثم رأيت عمر قد هدأ من بكائه وقد زاد فرحه وأقبل علي وقال يازيد اذا عدت فامن النظر فى تينها وعنبها واحمد الله كثيرا فقلت ياأمير المؤمنين أليس هذا أوانه قال ثم جلس عمر على الارض ودعا بدواة وقرطاس وكتب الى أبي عبيدة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك وانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأصلي على نبيه وأشكره على ما وهب من النصر للمسلمين وجعل العاقبة للمتقين ولم يزل بنا لطيفا معينا وأما قولك لم نقم بانطاكية لطيبها فان الله عز وجل لم يحرم الطيبات على المؤمنين الذين يعملون الصالحات فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله الآية فكان يجب عليك ان تريح المسلمين من تعبهم وتدعهم يرغدون فى مطعمهم ويريحون أبدانهم من نصب القتال مع من كفر بالله وأما قولك انك منتظر أمرى فالذى آمرك به أن تدخل وراء العدو وتفتح الدروب فانك الشاهد وأنا الغائب وقد يرى الشاهد مالا يراه الغائب وأنت بحضرة عدوك وعيونك تأتيك بالاخبار فان رأيت أن دخولك الى الدروب بالمسلمين صواب فابعث اليهم بالسرايا وادخل معهم الى بلادهم وضيق عليهم المسالك ومن طلب منك الصلح فصالحه وف لهم بما تقدر وأما قولك ان العرب أبصرت نساء الروم فرغبت فى التزوج فمن أحب ذلك فدعه ان لم يكن له أهل بالحجاز ومن أراد أن يشترى الاماء فدعه فان ذلك أصون لفروجهم وأعف لنفوسهم وما تحتاج ان أوصيك فى أمر فلنطانوس صاحب رومية فأوسع عليه فى النفقة وعلى من معه فانه قد فارق أهله وماله وأمره ونهيه والسلام عليك وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب ودفعه لزيد بن وهب وقال له انطلق رحمك الله وأشرك عمر فى ثوابك فأخذ زيد الكتاب وهم أن يسير فأمره أن يقف وقال له على رسلك حتى يزودك عمر من قوته ثم ان عمر أناخ راحلته وأخرج له تمرا وأعطاه صاع تمر وصاع سويق وقال يازيد اعذر عمر فهذا ما أمكنه ثم ان عمر قبل رأس زيد بن وهب فبكى زيد وقال ياأمير المؤمنين أو بلغ من قدرى أن تقبل رأسى وأنت أمير المؤمنين وصاحب سيد المرسلين وقد ختم الله بك الاربعين فبكى عمر وقال أرجو أن يغفر الله لعمر بشهادتك قال زيد بن وهب فاستويت على كور ناقتى وهممت بالمسير فسمعته يقول اللهم اجعله عليها بالسلامة واطوله البعيد وسهل له القريب انك على كل شئ قدير قال زيد ابن وهب ففرحت بدعوة عمر رضى الله تعالى عنه وعلمت ان الله لا يرد دعوته اذ كان لربه طائعا ولنبيه تابعا فجعلت أسير والارض تطوى لى تحت أخفاف مطيتى فكنت والله فى اليوم الثالث عند أبي عبيدة وقد رحل عن انطاكية وقد نزلت على حازم قال زيد فلما وصلت الى عساكر المسلمين سمعت ضجة وجلبة وقد ارتفعت الاصوات فسألت رجلا من أهل اليمن ما سبب ذلك قال فرحا بما فتح الله على المسلمين وهذا خالد قد أتى وكان قد ضرب على شاطئ الفرات وأغار بخيله وقد صالحه أهل منبج وبزاعة وبالس وأتى برجالهم وأموالهم وافتتحها صلحا وقد فتح منبج وبزاعة وبالس وقلعة نجم فى العشر الاوسط من المحرم سنة ثمانى عشرة من الهجرة وصالحهم بعد رد أموالهم على مائة ألف وخمسين ألف دينار وأخذها بعد أن نزل صاحبهم جرفناس وسار بأمواله وأثقاله وعبيده وخيوله الى بلاد الروم وولى على منبج عباد بن رافع التميمى وعلى الجسر نجم بن مفرج وولى على بزاعة أوس بن خالد الربعى وعلى بالس بادر بن عوف الحميرى وبنى له بها قلعة الى جانب بالس من الشرق وسماها باسمه وعاد خالد بالأموال والاثقال يوم قدوم زيد بن وهب قال فأتيت أبا عبيدة وهو جالس وخالد الى جانبه وقد قدم مال الصلح فانخت ناقتى وسلمت عليهم ودفعت الكتاب الى أبي عبيدة ففضه وقرأه على المسلمين فلما سمعت المسلمون ما فيه قال أبو عبيدة معاشر المسلمين ان أمير المؤمنين قد جعل أمر الدخول الى الدروب الي وقال أنت الشاهد وأنا الغائب وأنا لا أفعل شيأ الا برأيكم فما تشيرون علي أن أفعل رحمكم الله فلم يجبه أحد وأعاد القول ثانيا فلم يجبه أحد والله أعلم

(تم الجزء الاول من فتوح الشام ويليه الجزء الثانى أوله ذكر غزوة مرج القبائل داخل الدروب)

الاماكن بحيث عجز عنه السلطان صلاح الدين ومن يومئذ قطع دابر الافرنج من سواحل الشام وصار أمرهم فى ادبار بالله تعالى برحمه رحمة واسعة

فهرست الجزء الاول من فتوح الشام للعلامة الواقدي

صحيفة










UNIVERSITY OF TORONTO
3 1761 00259435 6